

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

أوراق مصطفى كامل



التيالات

د. يواقيم رزق مرقص



المكتبة المصرية المعاصرة للكتاب

أوراق مصطفیٰ کامل
المقالات

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

أوراق
مُصطفى كامل

المقالات

الكتاب الأول

من ١٨٩٣ - ١٨٩٩

تحقيق وإشراف

دكتور يواقيم رزق مرقص



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٦

أعد المادة وشارك في التحقيق:

- خلف عبد العظيم سيد الميرى
- أمال الفيومي
- أستيرة غالى تاوضروس
- عفاف محمد خيرى
- سامية عبد المعطى ثابت

الاخراج الفنى : انعام صالح

تصدير

عندما تناول مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر نشر تراث الزعيم الخالد (مصطفى كامل) لم يكن غرضه احياء ذكراه ، فذكراه حية في قلب مصر المعاصرة دائما ، وانما تقديم أعماله بعد جمع شتاتها في شكل علمي يخدم الباحثين في مجال تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، فيبدأ بتقديم الجزء الأول وهو « المراسلات » وتلاه الجزء الثاني وهو « الخطب » وها هو ذا يقدم « المقالات » .

ولما كانت مقالات الزعيم من الكثرة بمكان ، فانها ستظهر تباعا في أجزاء ثلاثة ، يفصل بين كل منها فاصل تاريخي واضح .

فيبدأ الجزء الأول من هذه المقالات - وهو ما بين أيدينا - منذ باكورة كتابته في مجلته « المدرسة » التي أصدرها ، وهو بعد طالب في مدرسة الحقوق ، حتى ١٨٩٩ ، وهي السنة التي بدأ يفكر فيها في انشاء صحيفة خاصة بمجموعته .

ويبدأ الجزء الثاني منذ انشائه صحيفته (اللواء) في عام ١٩٠٠ حتى الاتفاق الثنائي بين فرنسا وانجلترا في ١٩٠٤ وقد صادف منتصف الطريق الى النهاية ، حيث تغيرت بعد ذلك السياسة الفرنسية تجاه الشرق عامة ومصر على وجه الخصوص .

ثم الجزء الثالث الذي يبدأ من ١٩٠٤ الى نهاية حياته في ١٩٠٨

وهكذا يغطي باحثو المركز مساحة كبيرة من التاريخ المسجل في صحائف جهاد مصر ضد وطأة الاحتلال البريطاني الذي بدأ يجثم على صدرها منذ عام ١٨٨٢ .

والله ولي التوفيق ،

مركز

وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مؤمننا بالنشء على أساس أنهم قوام المستقبل ، فكتب لهم لتكون كتابته سدا يحول دون تسرب اليأس - الذى أحاط بالكبار - الى قلوبهم (١) .

ثم تلقفته الصحف قلما ناريا ، وطنيا ، فالتقى بقرائه من خلال الأهرام والمؤيد .

قرأ المصريون له فى السياسة والوطنية على صفحات الأهرام ، ولم يكن بين الصديقين من خلاف فى السياسة العليا ، فهما يناصران فكرة مصر للمصريين ، ويريان أنه لا بأس أن تحكم الصلة بين القاهرة والأستانة ، ففي ذلك ضمان لكيان مصر ، التى لولا هذا الرباط لأصبحت قطعة من انجلترا أو مستعمرة لها ، وهما أيضا متفقان تمام الاتفاق على أن الحياة السياسية الداخلية لن تستقر الا اذا عاشت مصر فى ظل دستور حر وحياة برلمانية صحيحة (٢) .

ولقد حظى مصطفى كامل فى الأهرام بمكانة عظيمة ، فأمنت به أسرته ؛ ونشرت له مقالاته دون اختصار ، أو تعليق ، لدرجة أنها كانت تدافع عنه اذا ما أراد به خصومه وقية أو انتقاصا ، حتى نشرت أخبارا عنه هو بالإضافة الى ما كان يدبج .

ولم يكن قلمه وفكره موضح اجلال واعتبار فى الداخل فقط ، بل رحبت به صحف الخارج أيضا فرحبت به صحف فرنسا والمانيا والنمسا ، بل وانجلترا ذاتها ! لم تنتظر مقالاته أو ترجماتها ، أرسلت مندوبيها اليه لينظروا منه بالأحاديث والتصريحات ، وأبدوا إعجابهم به ، شايبا ، كاتبها ، مفكرا ، صحفيا ، وهو بعد وقبل كل شيء ابن مصر المخلص لها .

وفى نفس الوقت نحس ونحن نقرأ لمصطفى كامل أنه كان متحملا للمسئولية كاملة ، فتسلح بالعلم عندما نبذ العنف والثورة وسفك الدماء ،

(١) أصدرها فى ١٨٩٣ وكان يديرها ويحررها كلها بقلمه ، ثم بعد ذلك اشترك معه كتاب آخرون من أقرانه ، فكانت أول مجلة مصرية يصدرها طالب ، وكان يطبعها فى مطبعة المحروسة ، وقد اتخذ لها شعارا « حيك مدرستك ٠٠ حيك أهلك ووطنك » ، وقد بلغ عدد المشتركين فيها ٢٤٠٠ مشترك ، أكثرهم من طلبة المدارس الابتدائية ، وبلغ قيمة الاشتراك السنوى فيها ثمانية قروش ، كانت تصدر عشرة أشهر وتحتجب شهرين فى العام ، الا أنه لم يصدر منها الا تسعة أعداد فقط ، نشر هنا أهم المقالات التى وردت فيها ، وقد اشتركت فيها نظارة المعارف ، بشراء خمسين نسخة من كل عدد .

(على فهمى كامل : مصطفى كامل باشا فى ٣٤ ربيعا ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٠٨ ، ص ١٨٤)

- ١٨٥ -

(٢) ابراهيم عبيد : (دكتور) : جريدة الأهرام ، (تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة ، القاهرة

١٩٥١) ص ١٢٥ .

وآثر الحكمة والموعظة الحسنة ، ودعوة الخصوم الى كلمة سواء تكون
بينه وبينهم .

فنجس بمقدار حصيلته من العلوم ، فاستشهد بوقائع التاريخ قديمة
ووسيلة وحديثه شرقه وغربه ؛ مدللا بالسياسة والعلاقات الدولية ؛ مقدما
الأمنلة للأمم والشعوب ، دارسا لعاداتها وقاليدها .

كل هذا يدفع قارئه الى العيش معه . وفيه ، من خلال كلماته
المؤثرة . . الواعية . . الداعية .

سرنا وراءه جامعين كلماته من مصادرها :

١ - المدرسة : منتقن المقالات التي تحدثت عن أغراض وطنية ، تاركين بقية
المسامرات اذ ليس هنا مجالها .

٢ - الأهرام .

٣ - المؤيد .

٤ - الصحف الأجنبية .

٥ - وما جمعه شقيقه على فهمي كامل ، في مصر والاحتلال الانجليزي ، وكتابته
« مصطفى كامل في ٣٤ ربيعا »

٦ - وما جمعه محمد مسعود في كتابيه : مصطفى كامل والانجليز . . وغيره .
هذا في حدود ما وجدناه من مجلدات الصحف ، لأن منها ما هو ممزق ،
وما هو غير موجود ، وأشرنا الى ما هو ممزق أو غير مقروء بعلامة () .

وكدأبنا ، أشرنا الى ظروف كتابة المقال ، ومكان نشره ، وتاريخه ،
ثم التعليق على ما ورد فيه من وقائع تاريخية أو حربية ، وأشخاص وبلاد ،
فضلا عن تحليل المواقف السياسية والعسكرية والمعاهدات التي يحتمل
موضوعها ذلك .

كما راعينا - أمانة في النقل - ألفاظه كما كتبها وان كانت تخالف أحيانا
أسلوب الكتابة الآن (كمسئلة - فرنساويين وطلينان) .

ونرجو بهذا أن نكون قد وفقنا في هذا العمل القومي الجليل .

والله نعم المستعان ،،،

القاهرة في ديسمبر ١٩٨٥

دكتور

يواقيم رزق مرقص

المشرف بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

**مقالات مصطفى كامل
في
مجلة المدرسة**

الجزء الأول

يوم السبت ١ شعبان سنة ١٣١٠ - ١٢ أشتير ١٦٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدبر الأعمال • وفي مدارس الكمال • على محور الاعتدال • موهب
الانسان • القلم واللسان • المعبرين عما في الجنان • والصلاة والسلام على نبيه
محمد روح مدرسة المعجزات الباهرة • وصاحب الأخلاق الطاهرة • مدينة العلم
والكرم • ومصدر الفضل والحكم • (وبعد) فلما كانت عموم الجرائد على اختلاف
مشاربها • وتنوع مذاهبها • لا تفيد الا الآباء • دون الأبناء • من تثقيف عقولهم وتنمية
أفكارهم • أمر من أهم الأمور الشريفة • وغاية نوالها من أكبر المزايا المنيفة لأنهم
عماد دولة مستقبل الزمان • ومتى صلح المبدأ صلحت الغاية في كل آن • (من يزرع
الشوك لا يجنى به عنباً) رأيت أن أهدي أبناء جلدتي • وصغار بلدتي • جريدة على
الأخص تهذيبية لما في ذلك من النفع والسداد • والهداية الى سبيل الرشاد •
تصدر في كل شهر مرة واحدة الا في شهري محرم وصفر (زمن الصيف في هذا
العام) فلا تصدر لما يحيط بكل من الاشتغال بالراحة وتبديل الهواء بعد طول العناء •
وقد جعلت قيمة الاشتراك فيها سنوياً رجاء للنفع العام (والله على ما أقول شهيد)
ثمانية قروش صاغاً حتى يسهل للجميع تناولها وتعم بذلك فوائدها ولنا الأمل
الوطيد في مساعدة حضرات نظار المدارس الابتدائية لنا في هذا المشروع لأنهم جميعاً
رجال همم عالية • وغاياتهم شريفة سامية • لا يبتغون الا نجاح بلادهم وعلو شأن
أوطانهم في ذلك العصر الزاهر عصر أميرنا المحبوب حامى حوى الديار المصرية
ورافع شأنها •

(عباس باشا حلمي)

من أصبح شكر جنابه المستطاب أسمى من شكر الرياض لبنت السحاب (١)
حفظه الله ورجاله الكرام وأهله وذويه الفخام أمين •

(١) لفظ •

لماذا أنشئت المدرسة

ما أنشئت المدرسة الا لكي تكون مركزا لجمع درر فرائد الأستاذ ومنهلا غزيرا لاتحاف التلميذ بأئمن القوائد وأسماءها . وأبهج اللطائف وأسنائها . فيهدى الأول من محاسن معارضه ما يجود به علينا . ويهدى الثاني من حلال العلم والأدب ما نوره وما يرد لنا . وما عليه الا استقبال تلك الجريدة لعصماء . والمجلة العذراء . بالترحيب والاحلال . والتردى بما تهديه له من اثواب التهذيب وطيب الأعمال والتقاط ما تتحفه به من المسائل السنوية الثمينة . والنفائس النفيسة المكيمة . وأن تعسر عايه الوقوف على أصل كلمة أو معنى جملة أو حسن خريدة فما عليه الا الرجوع بها الى محل ثقته وسنده القديم صامع جواهر فكره أستاذة العليم فيستفسر منه عما أعيته معرفته وما تعذر عليه نيله وإياه أن يقصر في السعي وراء التعليم والتهذيب وقد سهل الله عليه كل أمر مريب فأهداه جريدة تباع اليه بثمن بخس ما أخاله الا حقيرا وأمره عند الآباء يسير ليس يسيرا .

فعليك أيها الصبي المجد أن تستطلع أسرار تلك الجريدة التي لم تسطر الا لمنفعتك وخيرك وسعادتك وبرك وتعتني كل الاعتناء بأمرها فسوف يأتي يوم تسلم اليك فيه مقاليدها وتعطي من مديرتها زمام أعمالها فتشرش اذ ذاك بالاتفاق مع رفقاءك صغار اخوانك وضعاف أبناء بجدتك فتصفحها الآن وقف على حقيقتها وأنت صغير حتى تهدي غيرك فيما بعد وأنت كبير والله يهدينا جميعا الرشاد وما فيه خير البلاد انه سميع يجيب دعوة الداعي اذا دعاه .

(شرف الأستاذ ومجد التلميذ)

أعلم أن الناس على اختلاف مراتبهم وتفرق درجاتهم بين عالم وجاهل أي محصورون جميعا في طبقتين عليا وهي طبقة العلماء وسفلى وهي طبقة الجهلاء وكلاهما فيه أقسام عديدة ، فمن العلماء من تبحر في الفلسفة ومنهم في الفقه ومنهم في النحو ومنهم من هو أعلم من الآخر ، كما أن في الطبقة السفلى من هو أجهل من أخيه ولاشك أن المرتبة العليا أشرف كثيرا من السفلى في الآخرة والدنيا « قل هل يستوى الذين يعامون والذين لا يعلمون » كيف لا وهم هم العلماء دون غيرهم أهل المعارف والكمال ورجال المجد والفخام اذا عرفوا خواص ما يخطط بهم من الأجسام فاستخدموها أحسن استخدام ووقفوا على دقائق خواص المخلوقات فزادوا بربهم وثوقا ولانبيائهم تصديقا ولله من قال . العلماء في الأرض كالنجوم في السماء ولولا العلم لكان الناس كالبهائم :

العلم فيه جلالة ومهابة والعلم انفع من كنوز الجواهر
تفني الكثرة على الزمان وصرفه والعلم يبقى دائما في الأعصر

وعليه فالناس بعلومهم لا بزيهم واحترامهم متوقف على علومهم لا على ملابسهم وأعلم أن العلماء قسمان : قسم علم وعلم وقسم علم وما علم ولا مزية (لاشك) في أن القسم الأول أشرف من الثاني بكثير وهو لا يشمل على الأخص الا الأساتذة الكرام والمعلمين الأعلام فهم على ما بينا أشرف الناس على الاطلاق وأعظمهم مجدا وارفهم قدرا يهذبون الروح وهو أمر لو تعلمون عظيم ولا يغرنكم معشر التلامذة قلة مالهم أو عدم بهاائم فهم الذين على أيديهم تبلغون غاية عظمى وتخطون في مدارج الكمال خطوة كبرى .

إذا علم مامر من القول وتأملت قليلا الى حالتكم عند الدخول بالمدرسة وعند تكميم دروسها والخروج منها وقارنتم بين الحالتين لرأيتم فرقا بينا يوضح لكم أنكم عند الدخول بالمدرسة كنتم في ذيل طبقة الجهلاء وعند خروجكم منها (وهى مهد تعليمكم وتربيتكم) تعدون من طبقة العلماء بمعنى أن المدرسة هي التي تنتشلكم من حضيض الجهالة الى أوج المعارف والنجاح اياكم أن تعدلوا عن السير في منهج الكمالات بل عليكم عليكم أن تجهدوا كل الجهد في سرعة الانتقال من مستوى الجهلاء الى مستوى العلماء الذين قد شرفهم الله والناس ، كما أنه يجب عليكم أن تحترموا الأساتذة جميعا فقد صرفوا كل عنايتهم في تثقيف عقولكم وتربية أفكاركم وسعوا كل السعى في تقدمكم ونجاحكم واتعبوا الآن في تحصيل العلوم وأنتم أهل لذاك قبل أن تمر الفرصة فتأسفوا على ما فات ولات حين مندم .

• فيما يجب أن يتبع في مطالعة الدروس

كثيرا ما نرى بعضكم معشر التلامذة يطلع الدروس لا لقصد الوقوف على حقائق الأشياء بل لتحصيل نمرة أو لنيل درجة يفخر بها اخوانه فيجتهد كل الاجتهاد في حفظ ما بالكتاب على قلبه دون أن يبحث في معناه أو يدقق في مبناه فيصير بذلك كاللبغاء بل أضل سبيلا فلو لاحظنا أغلب التلامذة في مطالعة علم التاريخ مثلا لرأيناهم تجنبوا المنهج القويم وعدلوا عن الصراط المستقيم وذلك لكونهم يحفظون مدة حكم الملوك ويعرفون أعمالهم ووقوع الحوادث حفظا قلبيا لا روية ولا تدقيق فيه ، ولو سألت أحدهم سؤالا رأيته أما أن يجاوبك بسرعة بحيث لو أوقفته في طريقه لعطل عن الاجابة أو أجابك بجواب آخر غير الجواب الحقيقي فيصير بذلك شبيها برجل مرضت رجله فلقنه الحكيم أن يضع عليها لبخة عيش ففهم أن اللبخة هي الدواء الوحيد لكل الامراض قصار في كل مرض يحيط به يضع اللبخة التي ربما أتت بمصيبة اكبر من الداء .

ليس الغرض من دراسة التاريخ مالا حفظ مدة حكم الملوك وتاريخهم ، بل التبصر في سياستهم وفي حقيقة الأعمال فنرى مثلا أن هذا كان محبا لوطنه غيورا وذلك خائنا لثينا فنقتدى بالأول ونبتغض ما شاكل الثاني هكذا تكون الدراسة الحقيقية والا فليس في قدرة أحد منكم معشر الأبناء ان خالف هذه الخطة أن يطبق العلم على العمل ويكون تعب بلا فائدة ان لم نقل قد ضيع حياته دون أن يجنى شيئا .

فعلیکم جميعا أن تطالعوا علومکم مطالعة الباحث المدقق وان تعسر علیکم فهم
شیء فاسئلوا معلمکم عنه فهم یرشدونکم الى سواء السبیل .

(محاورۃ بین الأستاذ والتلميذ)

التلميذ : أستاذی الأعظم وملاذی الاکرم .

الأستاذ : ماذا تطلب یا ولدی العزیز ؟

التلميذ : ان عندی بعض أسئلة أوقفتنی معرفتها وفي أنها تفیدنی كثيرا .

الأستاذ : سل عما تريد .

التلميذ : رأیت البارحة بیّد أحد اخوانی جريدة علمية اسمها « الفتاة » فأخذتها
منه عندما قرأت ما علی الغلاف علمت أن سيدة تديرها فتعجبت من ذلك جدا أهل
للمرأة قدرة علی الانشاء والتحریر كالرجل .

الأستاذ - اعلم یا ولدی أن المرأة مثل الرجل لها مقدرة علی الفهم والانشاء وطالما
رأینا جرائد وكتب من انشاء سيدات شرقیات عربیات .

التلميذ : اذا كان الأمر كذلك فعل یمکن أن النساء یمثلن بالمصالح مثل
الرجال ؟

الأستاذ : ان قواعد الشرع والأدب تقضى بضرب الحجاب علی النساء (بوضع البرقع
علی الوجوه) فلیس لهن أن یمثلن بالمصالح كالرجال وانما یکفی أنهن یدیرن
الشئون المنزلية ویهذبن أولادهن ، (١) .

التلميذ : لك الشکر یا سیدی تلك مسئلة علمتها وأريد السؤال عن شیء آخر .

الأستاذ : سل یا بنی رعاك الله .

التلميذ : كنت مجتمعا مرة مع بعض اخوانی نتحدث فی مسائل علمية وبیننا تلميذ
یبلغ من العمر عشر سنوات یظهر علیه أنه من بلاد الصعيد تلوح علیه علامات
النباهاة وبینما نحن بالمجلس وقد صعب علینا حل مسألة ریاضية اذ قام ذلك
الشباب وشرع فی حلها ولم یلبث أن نطق بجملته الأولى حتی أسكته
أكبرنا بقوله :

(أسكت أیها الفلاح أنت مثلنا متعبدن أما تحمد الله علی وجودك معنا) فهبت
الشباب وسكت وعند ذلك أخذتنی الشفقة علیه متعجبا من شكل احتقار الفلاح الیس

(١) هذا فی الواقع رایه مو فی تعلیم المرأة .

مصريا متلنا وعزمت في الحال على توبيخ ذلك الكبير ، الا انى استحسننت تأخير
السؤال اليك حتى أعلم الخطأ من الصواب وأعمل الخير وأجتنب السوء .

الأستاذ : خيرا ما فعلت يا ولدى وشرا ما عمل صاحبك الكبير لأنه لافرق بين الفلاح
والاسكندري والدمهوري والمنياوى والأسيوطى فالجميع مصريون ملكهم واحد
وقانونهم مشترك لا تمييز بين هذا وذاك (١) .

التلميذ : اذا كان الأمر كذلك فهل يتأتى أن أحد الفلاحين يستخدم بدواوين الحكومة .
الأستاذ : لا شك فى ذلك أما رأيت أن أعظم الأساتذة والنظار والرؤساء وأغلب الأمراء
من بلاد الفلاحين .

التلميذ : أبقاك الله لنا ، قد فهمت المقصود ولكن بما أن الجميع مصريون هل يكون
من الصواب أن يقول الانسان أن الحمار وسائق العربية والعالم والجاهل فى
درجة واحدة .

الأستاذ : هم فى المعاملة القانونية على حد سواء الا أن بين العلماء والجهلاء من جهة
الاحترام والشرف فرق كبير .

التلميذ : ولم الجهلاء جهلاء والعلماء علماء .

الأستاذ : ان سبب ذلك هو التعليم فالجهلاء أهمل أمر تربيتهم وتعليمهم والعلماء
بالعكس .

التلميذ : حفظك الله لنا سنداً قوياً وقائماً من شر الجهل آمين .

(مكارم الأخلاق)

ان مكارم الأخلاق هى جميع الصفات الجليلة التى تجعل الانسان عظيماً موقراً
محترماً محبوباً عند الخالق وعند الناس ، وقد اتصف أشرف الأمم وروح الفضائل
والكرم سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعموم مكارم الأخلاق فكان
رقيق الطبع لطيف المعاملة شديد العزم يأمر أصحابه وأمته على لسان شريعته
بالاتصاف بتلك المكرّمات التى ذكرها أحد الشعراء بقوله :

ان المكارم اخلاق مطهرة	فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحرم رابعها	والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها	والشكر تاسعها واللين عاشيها

وهاى نوردها لك على الترتيب :

(١) وهو ما سعى اليه طوال حياته فيما بعد ، فكان يهدف أن يظهر الوطن كالبنيان المرصوص في
وجه الاحتلال .

(١) العقل

أعالم أن العقل هبة (هدية) من عند الله سبحانه وتعالى وهبها للإنسان ليرتدبر أعماله وترشده الى طريق الهداية فمن الناس من خالف عقله ففخسر وندم ومنهم من اتبعه وخالف اتباع نفسه (والنفس من طبعها ميالة للشرا تأمر الانسان باتباع شهواته فمن خالفها نال خيرا ومن وافقها نال شرا) فربح وحمد ربه .

فالعقل هو الذى يهتدى المرء الى طيب الأعمال ، وما هو الا جوهر حاله كحال الفضة والمعادن النفيسة ، ان ترك وأهمل أمره ضعفت قوته وتأكدت ، وان اعتنى به بالتربية والتهذيب نما وعظمت فائدته ، وهو مصدر مكارم الأخلاق على الإطلاق ، فباتباعه يتبع الانسان دينه الذى هو أشرف المكارمات (انظر فى العدد الآتى الكلام على الدين وما تأمر به الشريعة من الصفات المطهرة) .

وللعقل أمور تؤيده وأخرى تضر به فالمؤيدة له هى مشاورة العلماء وتجربة الأمور وحسن التثبت والمضرة به هى الاستبداد والتهاون والعجلة . فالمشورة هى صفة جليلة بها يهتدى الانسان بآراء من هو أعلم منه الى الصواب ولا يخفى أن فوق كل ذى علم عليم فاذا اقتصر الانسان على رأيه يعد جاهلا . وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد الذى هو أكمل الناس جميعا لكى يعلمنا فوائد المشورة . (وشاورهم فى الأمر) وقد قال حكيم عربى . المشورة عين الهداية وقد خاطر (دفع نفسه فى الخطر) من استغنى برأيه .

و ضد المشورة الاستبداد بالرأى وهو أمر قبيح (كما يظهر من محاسن المشورة) نعوذ بالله منه .

وتجربة الأمور هى صفة حميدة تعلم الانسان ما ينبغى اتباعه فى صغير المسائل وفى كبيرها فلا يخفى أن الدهر لا يبقى على حالة ، فتارة يكون الانسان غنيا وأخرى فقيرا فمن جرب الأمور عرف دواء الفقر بعمل الاقتصاد (التدبير والتوفير) فى زمن ثروته حتى يعيش كذلك هنيئا فى زمن فقره والتهاون أمر ذميم يبعد الانسان عن طريق الخير لأن عمل الأشياء فى أوقاتها ممدوح (وهو ما يسمونه بانتهاز الفرصة) فان تأخر أحد عن أن يعمل شيئا ما فى زمنه لا يمكنه أن يتحصل على الفائدة المقصودة .

وحسن التثبيت أمر جليل لا تنجح الأهم إلا به ، ومن تركه كان معرضا لكل أذى
لأنك إذا كنت رئيسا لجيوش بلادك مثلا وقت دفاعك عنها وقد أقبل العدو بعسكره
لملاقاتك وتركت إذ ذاك التثبيت في الأمور ونفقت الخطر على نفسك فهربت وتركت
جيشك فقد سلمت بيدك تطرك وبلادك للهزك وغير ذلك من الأحوال العديدة التي
تأتي لأمره (وربما لأهله وبلده) بأعظم سوء .

وكما أن التثبيت ممدوح فالعجلة مذمومة وخير الأمور الوسط فلا يجب عليك
أن تكون متهاونا ولا عجولا بل كن دنتهزا للفرص متنبها في الأمور لتتال الخير
والسعود .

الجزء الثاني

يوم الأحد ١ رمضان سنة ١٣١٠ - ١١ برمهات سنة ١٦٠٩
الموافق ١٩ مارس سنة ١٨٩٣

المكرمة الثانية

الدين

أن الله سبحانه وتعالى خص من بين عباده رسلا يهدون الأمم الى طريق الخير وأنزل عليهم الشرائع لاتباعها في سائر الأحوال فمن صدق هؤلاء الهادين في دعوتهم فرضى الله عنه وحباه من لدنه جنة وحريرا ومنهم من خالف ذلك فكان من المغضوب عليهم وتعسست حاله .

وليس من الواجب أنه نصدق النبي في قوله دون أن نتبع أحكام شريعته بل يجب علينا وجوبا حقيقيا أن نتبع شريعته فنأتى بما أمرنا به الله على لسان نبيه . على أن في اتباع الشريعة المطهرة من الفوائد الدنيوية والأخروية ما لا يمكن حصره مطلقا كيف لا وهي التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهي التي تجلب رضا الله على العبيد ورضاء الناس على بعضهم وهي التي تأمر بمكارم الأخلاق جميعها فتأمرنا بالتقوى والتعاون والصبر والحلم والعدل . الى غير ذلك مما ستراه بأوضح بيان .

ومعلوم أن اتباع الشريعة أمر سهل حين لأن نتائجها من أشرف الأمور وأجلها لانحصار السعادات الدنيوية والأخروية في اقتنائها وهاكم معشر الأبناء شهر الصيام قد أقبل فحيوه أجل تحية بالصيام والصلاة وفعل المبرات فهو أمر في طاقتكم لأنكم ان قمتم به في الصغر تعود تموه في الكبر وصبغتم أنفسكم بصبغة الدين فتحفظون بخير الدنيا والآخرة وتناولون من لدن ربكم مكانة علياء وكونوا على وفاق تام في سائر الأمور فقد قال الخالق جل شأنه وتعاونوا على البر والتقوى وقال أيضا
انما المؤمنون أخوة .

(الجواهر السننية)

« في نظام الهيئة الاجتماعية »

ذلك اسم الكتاب عزمنا على تأليفه (لم يؤلف بعد) في النظمات العمومية للهيئات الاجتماعية تأتي هنا على خلاصته افادة للمبتدئين .

(الباب الأول) « أصول أولية »

لو تأمل الانسان قليلا الى أهله وذويه وإخلائه وأصدقائه وقومه ومن يحيط به من كل جانب ثم التفت الى الحيوانات العجم وحالها واجتماعها واتحادها وإئتلاف كل فريق منها ونظر بعد ذلك لصغار الدواب وتعصبها واتحادها فى السير وجلب الغذاء وتوحيد المسكن للكثير ، لشاهد من خلال ذلك حكمة بالغة وسرا عجيبا للخالق فى مخلوقاته ، ألا وهو الاجتماع ، ذلك الأمر الذى لايتأتى انحلال عراه أو انفصام حبل اتصاله لأن كل المخلوقات الحية فى حاجة عظيمة اليه ، وعدمه مستحيل لأن كل حى خاق ضعيفا لاسيما الانسان الذى بمفرده لايمكنه أن يقوم بعمل أى شئ ولذلك يقول أغلب الفلاسفة (الانسان مدنى بالطبع) أى أنه طبع على حب المدنية أى الاجتماع مع أبناء جنسه للتعاون والتعاقد فى المعاش .

ولكن لما كان من أصعب الأمور أن ذلك الاجتماع لا يخاو عما يكدره من النزاع والخصام والسلب والنهب والقتل الى غير ذلك دعت الحاجة الى تقسيم الناس الى قسمين : حكام ومحكومين أى هيئة حاكمة وهيئة محكومة وأعضاء الهيئة الحاكمة يجب أن يكونوا من ذوى الفضل والذكاء ، حتى يمكنهم أن يحسنوا إدارة الأعمال . ولكن ربما يقوم بالفكر فى هذا الموضع أن تكوين هيئة حاكمة وهيئة محكومة اجحاف وظلم لما أن عموم الناس متساوون ، لا فرق بينهم فى الحقيقة . لكن نقول أنه لو تركت الناس لا حاكم يحكمهم ولا رئيس يفصل بينهم عند الخصام لتلاشى البشر وانقضت دعائم الأكوان لما يقع من سفك الدماء بين الناس وحب الانتقام وتغلب القوى على الضعيف والغنى على الفقير .

من ذلك كله نرى أن وجود هيئة حاكمة ضرورى جدا والا تكون نتيجة الاجتماع خرابا بدل أن تكون عمرا .

وتلك الهيئة الحاكمة التى روعى فيها الصدق والأمانة تنقسم الى قسمين : قسم يضع القوانين والأصول التى يجب اتباعها وقسم ينفذ تلك . فالأول يسمونه

(القوة التنفيذية) (١) أى النى تنفذها وذلك القسم الثانى يشتمل على قسمين :
قسم يحكم بين الناس وهو المحاكم (أى القوة القضائية) (٢) وقسم يدير الأعمال
وينفذ أحكام تلك المحاكم وهو (القوة الادارية) (٣) .

إذا علم كل ذلك بقى عليك أن تعرف أن هذين القسمين العظيمين (القوة
التشريعية والقوة التنفيذية) وفروعهما محكومان بسلطة رجل واحد وهو أمير القوم
أى رئيس الشعب (الأمة) وهو فى حكومتنا المصرية سمو الخديو المعظم وأعلم أن
الخديوية المصرية وراثه للأكبر فالأكبر من أولاد الأمير .

محاورة بين الأستاذ والتلميذ

ملاحظة عامة - من يضع لنا من تلامذة المدارس الابتدائية المشتركين فى
جريدتنا هذه المحاورة فى قالب مقالة تقع لدينا موقع الاستحسان ترسل اليه
مكافأة نفيسة جدا وإذا تعددت الرسائل على شرط أن لا تتأخر عن الثامن عشر من
هذا الشهر يخصص ثلاث مكافئات لثلاثة من أوائل المجيدين .

أما التلامذة الذين لم يشتركوا لكنهم يودون ذلك فيكون لهم الحق فى هذه
المكافأة الجليلة ان أرسلوا طلبات الاشتراك مع القيمة قبل الخامس عشر من هذا
الشهر) .

الأستاذ - هل قرأت جريدة (المدرسة) يا أحمد .

التلميذ - قرأتها يا سيدى !

الأستاذ - هل فهمت ما بها ؟

التلميذ - فهمته جيدا الا أنه تعسر على فهم جملة مكتوبة على الغلاف .

الأستاذ - ما هذه الجملة ؟

التلميذ - هى قول الحكيم (حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك) .

الأستاذ - لم لم تفهمها ؟

التلميذ - لأنى لا أعرف لكلمة الوطن معنى .

الأستاذ - وما يظهر لك من وضع هذه الجملة على الغلاف ؟

التلميذ - يظهر لى أنها جملة مهمة .

(١) وهى السلطة التشريعية فيما بعد .

(٢) السلطة القضائية .

(٣) السلطة التنفيذية .

وهذه أولى محاولاته وهو بعد شاب صغير لطلب الحياة الديمقراطية .

الأستاذ - وإذا كانت مهمة فلماذا تأخرت عن أن تسألني عنها ؟

التلميذ - قد عاقبتني عن ذلك مرض أحد أقاربي والا فاني مولع بمعرفة كل الأشياء
لاسيما المهمة .

الأستاذ - لك العذر يا أحمد هذه المرة ولكن أوصيك أن لا تتأخر مطلقا عن أن
تسألني فيما يصعب عليك فهمه وها أنا أعرفك الآن معنى كلمة الوطن فأقول :

تعلم جيدا يا ولدي أن لك عائلته مكونة من أبيك وأمك وأخوتك وأخوانك
وأقاربك وخدمك يعيش الجميع معا كما أن لكل شخص في الدنيا عائلة مثلك غالبا
يعيش فيها فمجموع تلك العائلات على اختلافها التي في القاهرة والاسكندرية ودمياط
ورشيد والمنصورة وطنطا وأسيرط وسوهاج . الخ . وفي البلدان والقرى والى
غير ذلك يكون القطر المصرى الذى هو وطنك والذى يجب عليك أن تحبه أكثر مما تحب
عائلتك التى تعيش فيها .

التلميذ - وهل لكل شخص فى الدنيا وطن منلى ؟

الأستاذ - نعم لكل شخص وطن فيقال زيد من الناس عربى أى أن وطنه بلاد العرب
وخالد تركى أى أنه وطنه بلاد الترك وعمر سودانى أى أن وطنه بلاد
السودان . الخ .

التلميذ - وإذا كانت بلاد مصر وطنى فلماذا يجب على أن أحبه وإذا لم يكن بد من
حبه فكيف يكون ذلك ؟

الأستاذ - يجب عليك أن تحبه لأنه كأم تحنو عليك وعلى غيرك من أبنائه فجميع
العائلات المكونة له تسنشق هواه وتتجدد وتأكل غذاء واحدا تشرب ماء كذلك
واحدا وهو ماء النيل السعيد فهم كأخوة أهم الوطن ومعنى حبك له أن تسعى
فى نفعه وجلب الخير اليه .

التلميذ - وماذا يحصل لو أهمل اثنان أو ثلاثة محبته وتركوه وراء ظهورهم ؟

الأستاذ - يحصل ضرر عظيم لأنهم يكرنون بمثابة داء تنتشر عدواه الى غيرهم فضلا
عما عساه يحصل للوطن من النفع ان لم يهملوا محبته .

التلميذ - عظيم ولكن ربما نأني محبته بضرر جسيم للانسان !

الأستاذ - لا بأس بذلك الضرر فانه عند محبى الوطن الذى شيء لأنهم ينفعون آلافا
مؤلفة من الناس فى جانب ضرر شخص أو شخصين أو عائلة .

التلميذ - لقد ظهر لى ياسيدى من كلامك أن محبة الوطن من الواجبات الانسانية
وانى أعتبر من الآن من يقصر فى محبة وطنه أكبر خائن وأعظم مجرم وكيف

لا يكون أعظم مذنب وهو منكر للجميل عاص لوالدته الكبرى التى ربته فى المهد صبيا ؟ ولكن كيف يمكن الانسان ياسيدى أن يخدم وطنه خدمة صادقة جدا .

الأستاذ - أما الكبير فيجب عليه أن يقوم بما عهد اليه من الخدم بالذمة والصدق وأن يسعى فى نشر المعارف وتعميم التربية والتهذيب بين الأمة والدفاع عن الوطن بقدر ما يمكنه وأما الصغير فيجب عليه أن يعمل - بقول الحكيم - (حبك لمدرستك حبك أهلك ووطنك) .

التلميذ - أى يحب مدرسته .

الأستاذ - نعم .

التلميذ - وكيف يكون ذلك ؟

الأستاذ - يكون بالمواظبة والاجتهاد فى الدروس والطاعة والامتنان لرؤسائه ومعلميه .

التلميذ - ولم ذلك .

الأستاذ - لأنه متى كان كذلك أمكنه أن يخدم وطنه فى الكبر بمعارفه ومعاوناته التى حصل عليها فى الصغر .

التلميذ - وهل المواظبة والاجتهاد والطاعة كافية فى حب الوطن .

الأستاذ - نعم كل ذلك مع حب الفضيلة والحقيقة والسعى فى اتقان معرفة اللغة الشريفة العربية .

التلميذ - وما معنى حب الفضيلة والحقيقة ؟

الأستاذ - معناه أن يكون الانسان منزّه النفس بعيدا عن الأغراض غير الشريفة عالى الهمة يقول الحق متى وجد اليه سبيلا مراعىا فى كل ذلك الآداب .

التلميذ - وهل ياسيدى يجب على أن أتقن معرفة اللغة العربية أكثر من غيرها وإذا كان فلم ذلك ؟

الأستاذ - نعم يجب عليك اتقانها أكثر من غيرها لأنها لغتك الشريفة التى أنزل بها القرآن المعمول بها فى البلاد .

التلميذ - وإذا أتقنت معرفتها أيجب على أن أتكلم بها دائما ؟

الأستاذ - ولم لا .

التلميذ - كيف ذلك وانى أرى أغلب الناس يتكلم باللغة الدارجة ؟

الاستاذ - ان تكلم الناس باللغة الدارجة لا يمنع من تكلمك أنت ورفقاؤك باللغة العربية الصحيحة .

التلميذ - لكن اذا تكلمت باللغة الفصحى مع العوام ربما لا يفهمها أحد .

الاستاذ - كيف تقول ذلك وأنت تعلم يا ولدى أن البلاد المصرية قد انتشرت فيها الصحف والجرائد العربية انتشارا عظيما وكلها مكتوبة باللغة الفصحى وأغلب الأفراد يقرأها كل يوم وتفهم ما بها جيدا .

★ ★ ★

الجزء الثالث

يوم الثلاثاء ١ شوال سنة ١٣١٠ و ١١ برمودة سنة ١٦٠٩
الموافق ١٨ ابريل سنة ١٨٩٣

الجواهر السنية فى نظام الهيئة الاجتماعية

الباب الأول

أصول أولية - تابع ما قبله

ذكرنا لك فى العدد الماضى تقسيم الناس الى قسمين هيئة حاكمة وهيئة محكومة وقسمنا لك الهيئة الحاكمة الى قوتين قوة تشريعية وقوة تنفيذية ولعلك تسأل الآن عن انطباق هذه الحالة على جميع البقاع وسائر الجهات وتشفع ذلك بالسؤال عن تاريخ وجود هذه الحالة وهل ابتدأت من النشأة الانسانية أم ابتدأها قريب العهد بنا فتدعونا الى التكلم عن تاريخ الاجتماع والعائلات بعبارة مختصرة وما كانت عليه من قبل وما هى عليه الآن فنقول :

اعلم أيها القارئ رعاك الله أن الهيئة الاجتماعية أساسها العائلة والعائلة هى اجتماع بعض أشخاص تجمعهم جامعة القرابة أو الدلفة للتعاون على نيل المآرب فى هذه الحياة الدنيا فلو تأمل كل فرد منا فى هذا التعريف ونظر الى عائلات المجتمع الانسانى لرأى أنها تتكون فى الغالب من أب وأم وأجداد وأخوة وأخوات وأقارب وخدم ولو نظر بعد ذلك فى أساس هذه العائلة لشاهد أنه الزواج الذى هو اجتماع ذكر وأنثى على حسب قواعد الشريعة المطهرة بقصد التعاون فى المعاش والنسل لتكوين عائلة فمن ثم نرى أن الزواج أساس الاجتماع الانسانى كله ولذلك كان من أعظم العقود البشرية ووجوب على المرء أن يعتنى بأمره كل الاعتناء فيلزمه أن لا يتأهل الا بروجة شريفة أحسن أهلها تربيتها بدون مراعاة الثروة أو علو الصيت لأنه لو راعى ذلك وترك اعتبار التربية والتعليم لوقع فى أكبر المصائب وأضر بنسله ضررا فاحشا حيث يشب قليل الأدب جاهلا حسب ما عودته أمه فى الصغر أى فى مدرسته الأولية التى هى أجل مدارس الحياة .

هذا ما يجب على الزوج قبل الزواج أما ما يجب على الزوجين فى آن واحد فهو الصدق والمساعدة ولطف المعاملة بينهما فعلى الزوج أن يحمى ويساعد زوجته وعلى الزوجة الامتثال لأوامره على الاثنين أن يعتنيا أشد الاعتناء بتربية أولادهما ويكون ذلك باللين والرفق لا بالعنف والشدة عليهما أن يبعدهما عن الخسائس والردائل ويقرباهما من الفضائل والكمالات وأن يغرسا فى قلوبهم من الصغر محبة أوطانهم

والذب عنها وعليهما أن يبادرا بإدخالهما المدرسة متى جاءت السن التي فيها يتعلمون .

وخلاف تربية الأطفال يجب على الزوج أن ينظم المعيشة على قدر ما يكتسبه سواء كان ذلك الكسب يوميا أو أسبوعيا أو شهريا وعلى الزوجة أن تنظم المنزل ونستعمل التوفير والتدبير غير المضر .

وفى كل حال يلزم تعادل المصروفات المتحصلات دون أن تفوقها ولا بأس من أن تكون أقل منها :

إذا فهمت مامر وعلمت أنك ستكون يوما من الأيام رئيس عائلة ورب بيت يجب عليك أن تعرف واجبات رئيس العائلة وهي :

يجب على رئيس العائلة أن يكون دمث الأخلاق يعامل جميع أفراد عائلته بالاطف والحسنى وأن يؤدي ما عليه من الحقوق نحو أبويه وزوجته وأبنائه وأن يصرف في المنزل مكسبه (لأن الرجل الذى يصرف ما يكتسبه فى اللهو خارج بيته جبان غبى) وأن لا يسيء معاملة زوجته .

هذا ما يجب على رئيس العائلة وأما ما يجب على الولد فى العائلة فهو أن يخلص فى محبة أقاربه وأن يحترهم ويطيعهم وأن يظهر لهم فرحه وترحه ويقر لهم بغلطاته وهفواته ان وقع منه شيء من ذاك وأن يساعدهم فى كبره ان احتاجوا للمساعدة وأن يحب اخوته وإخواته وأن يحن اليهم ويلطفهم وأن يحافظ على شرف عائلته ما استطاع وأن يتجنب النزاع والخصام بينه وبين أفراد العائلة .

هذا نظام العائلة وواجباتها وحقوقها والآن بقى علينا أن نشرح لك تاريخ العائلات والاجتماع .

معاورة بين صديقين

عبد الخالق - كيف حالك أيها الصديق العزيز أمسرور أنت من المدرس ومعلميها .

محمود - والله يا أخى ان حالى أسوأ حال لأنه لا يمر على يوم أو يومان الا وأوبخ وأزجر من الأساتذة امام جميع التلامذة .

عبد الخالق - وما السبب فى ذلك .

محمود - ان السبب كما يدعون هو عدم حفظى للدرس .

عبد الخالق - ولم لم تحفظ دروسك وأنت كما أرى ذكى نبه .

محمود - انى أحفظها جيدا ولكن المعلمين والضباط يكرهوننى وبودهم أن ألقى
فى سحر المصائب .

عبد الخالق - ياللعجب أتبعضك يا أخى الأساتذة والضباط بلا سبب ؟ لا بد
أنك سيىء الأدب معهم أو مقصر فى حفظ دروسك .

محمود - وهل تصدق اننى سيىء الأدب أو مقصر فى حفظ الدروس .

عبد الخالق - وإذا كان يصعب عليك أن أصدق أنك سيىء الأدب أو مقصر فى
واجباتك أفلا نستعظم انى أنسب للأساتذة والضباط الظلم والاحجاف .

محمود - أن من البيان لسحرا لقد أوقفتنى بحجتك القوية عن أن أجيب .

عبد الخالق - ان من المقرر فى الأذهان ان الذى يلفق القول ويطلو الأمور بطلاء
الخداع والبهتان لابد أن يكون كاذبا غير صادق محتالا على بلوغ أمر وأنت قد نوعت
الكلام ونسبت المعلمين والضباط للظلم وهذا أمر خطير فقل لى بالله عليك ماذا
تقصد وما تنوى ؟

محمود - لقد أجبرتني يا صديقى بما نطقت به على أن أظهر لك ما يكنه
ضميرى وما ينطوى عليه فؤادى فاعلم انى أود الخروج من المدرسة والانضمام الى أحد
مكاتب المحامين لأتمرن على الأعمال وبعد ذلك أفتح لى مكتبا مستقلا وأكون مدرها
(محاميا) واحتال على ضعفاء العقول فأسلب أموالهم وأضبح من كبار الأغنياء .

عبد الخالق - أعوذ بالله مما نويت عليه لعمري انى لم أسمع من مجنون أحق
فى حياته قولا مثل قولك لأنه كله مبنى على الغش والدناءة وانى أخشى عليك من
تفنيذ أفكارك فتصبح أسوأ الناس حالا مع أنك لو اتبعت نصائحي أيها الصديق
لبلغت المرام ولكن أخاف أن أجهد نفسى فى القول ولا أجده منك أذا صاغية
وقلبا واعيا .

محمود - قل تجدنى لك مطيعا .

عبد الخالق - أقسم .

محمود - بمن أقسم .

عبد الخالق - أقسم بالوطن العزيز فالقسم به عظيم .

محمود - أقسم بوطنى العزيز وبلادى التى لها على أجل فضل انى متبع نصيحتك
يا أخى .

عبد الخالق - اعلم أن الطريق السهل يوصل الى المرام بسهولة كالطريق الوعر
فانه يوصل بعد تعب شديد بصعوبة وأنت قصدت طريقا يضر بك أكثر مما ينفعك

وهو أنك أردت أن تستعمل في الحصول على المعيشة طرق الاحتيال والخداع (وهي
لعمرى أقبح الطرق) عوضا عن أن تستعمل طرق الشرف والذمة على أنك عازمت أن
تكون محاميا وهي مهنة شريفة جليئة لا يقرع بابها الا كل فاضل أديب طاهر الذمة
شريف المقاصد لأنه يناضل عن الحق لا عن ضده . هذا واني على ما أرى أن التلميذ
الذي يتم دروسه في المدارس ثم يتجه الى أي مهنة شاءها ينال الخير ويبلغ أقصى
المراتب العلية .

محمود - كلامك كله حكم ودرر ولكن قل لي يا عزيزي لقد عزرتني بأقول
وشددت علي في ذم استعمال الاحتيال بدل الشرف أليس القصد هو الحصول على
المعيشة بأية طريقة كانت .

عبد الخالق - كيف ذلك يا أخي أترضى نفسك أن تحصل على معاشك بطرق
الاحتيال بحيث أنك ترى غيرك يحصل على معيشته بطرق الشرف أيتساوى عندك
سارق محتال وقاض جليل .

محمود - كلا .

عبد الخالق - اذا كنت تقول كلا فما بالك بعدت عن الحق وزغت عن الصدق .

محمود - دعني من التأنيب وقل لي نصيحتك التي تحتتم على سماعها
والعمل بها .

عبد الخالق - أن من رأيي أن تعمل وتجد وتستمر في المدرسة وتداوم على طاعة
الرؤساء والمعلمين . ومتى تمت الدراسة ونلت شهادة الحذاقة الثانوية (أي شهادة
البكالوريا (١) تدخل في أي مدرسة عالية ترغب فيها .

محمود - لك الشكر يا أخي على ما أبديت من النصائح الجليلة الصادرة عن
عقل وحكمة . وكن على ثقة من أني سأتبعها وعن قريب تراني التلميذ الأول من فرقتي
إن شاء الله تعالى .

صغائر الأمور تولد كبائرها

لو تأمل الانسان في المخلوقات وحالتها وأصلها بل وفي سائر الأمور وكنهها
وأسبابها علم أن للخالق في الكون أسراراً وحكماً يبعد فكر المرء عن أن يحيط بها
وتقتصر المذكرة (٢) الانسانية عن أن تدركها بأسرها منها أن صغائر الأشياء تولد

(١) كان يحصل عليها التلميذ بعد دراسة أربع سنوات بعد حصوله على شهادة اتمام الدراسة
الابتدائية التي كانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات كذلك .

(٢) يقصد ذاكرة الانسان أي عقله .

كباثرها ودليل ذلك كل ما فى العالم ، ألا ترى أن الإنسان كسائر الحيوانات كان فى المبدأ نقطة ثم علقة والنبات كان بذرا صغيرا والجماذ منشأ ذرة حقيرة . ذلك ابن آدم الذى يعمل الأعمال الجسيمة ويشيد المباني العظيمة ويتسلط على سائر الحيوانات والدواب ، فيستخدمها انى شاء الله . متى أراد بل ويكون طوع يديه كل ما خلقه الله من غير جنسه الانسانى : أصله نقطة . وتلك الثمار اللذيذة والفواكه الجليلة والخضر أنواعها الأصل فيها بذرة حقيقية لا قيمة لها . وهذه القصور الهائلة والدور الشاهقة التى يقطن بها ابن جواء وقومه أصداها حجر واحد بل ذرة واحدة . ومع هذا لو نظر الإنسان الى الأشياء الخارجية لراى ذلك السر وتلك السنينة فيها جارية على محول الانتظام بلا اختلال . فرب رجل واحد كان سببا فى حقن دماء ألوف مؤلفة من أكابر الفرسان ورب نزاع بين صغيرين يسبب قتالا بين قبيلتين ورب قطعة من الصوفان تسبب حريقا هائلا تقومه آلاف من الدراهم ورب باب مفتوح ينشأ عنه سرقة منازل شتى الى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر وعد . والعاقل العاقل من يعتبر بتلك الحكم الباهزة ولا يجعل التوانى له خليلا ولا التقصير زميلا لثلا يقع فى مهاوى الخسران ويندم حين لا ينفع الندم .

الجزء الرابع

يوم الأربعاء ١ ذى القعدة سنة ١٣١٠

و ١٠ شمس سنة ١٦٠٩ الموافق ١٧ مايو سنة ١٨٩٣

أدوار الحياة

للحياة البشرية أدوار مختلفة يقضيها الانسان بأشكال متنوعة وأعمال متميزة يمكن حصرها تحت أربع وهي الطفولية والشبيبة والرجولية والكهولة .

فدور الطفولة هو الدور الأول الذي يبتدىء من يوم ولادة الانسان وينتهى فى السنة الرابعة عشرة من عمره فيكون فيه صبيا غلاما ثم يافعا حتى اذا صار حزورا (١) انتقل من هذا الدور الى تاليه .

ودور الطفولية هذا هو الدور الذى عليه تدور سعادة المرء أو شقاؤه ففيه التهذيب المبدئى والتعليم الأولى الذى متى أتقن وأحسن نشأ الطفل وقد تأهل لتلقى العلوم السامية ودرس الأخلاق الكاملة . وهو دور ليس على الطفل فيه واجب بل كل الواجبات على والديه فهما المنوط بهما تربيته أكمل التربية الجسمية والعقلية فالجسمية بمراعاة الصحة والنظام فى الغذاء، والعقلية بعدم مخالطة الأوباش (٢) الذين يعودونه التقاؤى والقبائح كأن يوحوا اليه أن سبب هذا ولا حرج عليك اليوم فأنت صغير فينشأ الطفل قليل الأدب عديم التربية يسب كل من قابله ويقوه بأسفل الأقوال وأهله ضاحكون مرتاحون حتى اذا حان وقت ادخاله المدرسة تهاملوا فى الأمر تحت حجة صغر سنه فيشت ويشيب جاهلا قليل الحظ سييء الحال لا يجد من نفسه رادعا ويسرى الداء منه الأولاده فيكون رئيسا لعائلة أعضاؤها فى الجهل يرتعون .

هذا اذا تهامل الأهل فى تربية الولد . ذلك الأمر الذى هو قوام سعادته ودعامة حسن مستقبله . وأما ان اهتموا به وأعاروه جانب الالتفات فقد أعدوا لنسلهم بذلك مستقبلا حسنا وحظا وافرا بل ولنسل نسلهم وسائر الذرية .

وغاية القول أن هذا الدور هو أهم الأدوار وأجلها لما له من عظيم الأهمية وجليل المزية .

(١) رجلا .

(٢) غير المؤمنين من البشر

ودور الشببية يبتدىء من غاية الدور الأول وينتهى فى ما بين الثلاثين والأربعين وهو الدور الذى فيه يتعلم ما أعد له من فن أو صناعة أو حرفة تخدمه لمعاشه ولمنفعة أهله وبلاده والشباب منوط به فيه الطاعة والامتثال لأوامر أولياء أمره الذين عليهم نجاحه وفلاحه كما أنه يجب عليه أن لا يقصد فيه إلا العلم والعمل والكد والجد فى تحصيل نفائس المعارف وذخائر العلوم والآداب وقد يتم التلميذ فى الغالب دراسته فى منتصف هذا الدور الزاهر ويقضى النصف الآخر فى تحصيل معاشه بنفسه فيهمل بما تعلم فى مدارس التهذيب . وأغلب الشباب تتم هذا الدور بالزواج ولا يفوتك ما ذكرناه فى العدد الماضى من وجوب الاعتناء بذلك الأمر وحسن انتقاء الزوجة .

أما دور الرجولية فيبتدىء من غاية السلف وينتهى بين الخمسين والستين وهو دور الشغل والعمل الذى يعيش فيه الإنسان أما هنيئاً ان كان قضى الدورين الأولين خير قضاء وأما شقياً ان كان قد قام بضد ما يجب وفى هذا الدور يوهب الإنسان غالباً التسبل والذرية وتقصد بذكر ذلك أنه ملزم فيه بمزيد تربيتهم كما قدمنا .

وهذا الدور هو الذى يتسنى للإنسان أن يقدم فيه أجل الخدم ولوطنه العزيز ولانقصد بذلك أن غيره من الأدوار خال عن هذه الغاية بل انه دون غيره أكثر استعداداً لتأدية هذه الخدم .

وآخر الأدوار دور الكهولة (١) وهو الدور الذى يبلغ فيه المرء من الكبر عتياً فيستريح فيه من الأعمال ويقضيه فى معالجة أمراض الشيخوخة حتى تأتية المنية فينتقل الى الدار الآخرة هنيئاً بما فعل ان كان خيراً وعليه غضب من الرحمن ان كان شراً والسلام .

(١) هذا تقسيم مصطلقى كامل وان كان يخالف الآن التقاسيم التى تقوم على مقاييس ومعايير وضعها علماء النفس والتربية .

الجواهر السنية فى نظام الهيئة الاجتماعية

الباب الأول

اصول أولية - تابع ما قبله

وقد استمرت كل عائلة منفصلة عما سواها عائشة بنفسها زمنا مديدا قضته فى الصيد أولا ثم فى حفظ الحيوانات النافعة والقيام بخدمتها ثانيا حتى اذا دعتها الضرورة للانضمام وتكوين قبائل لكل واحدة منها رئيس مخصوص . وكان ذلك الانضمام عنوانا على تشكيل الحكومات الذى ابتداء بعد هذا الحين بقليل . والمعاملة فى ذلك العهد كانت عبارة عن مبادلة الحاصلات الموجودة عند بعض القبائل والمفقودة عند البعض الآخر ببعضها وتشكيل الحكومات استغرق أجيالا طويلة لا يهمننا الآن تاريخها بل غاية ما نعلمه أن الحكومات تنقسم فى هذه الأيام الى ثلاثة أقسام جمهورية وملكىة مقيدة وملكىة مطلقة . فالجمهورية هى ما كانت الهيئة المحكومة فيها منتخبة للهيئة الحاكمة من أولها لآخرها وفيها القوتان التشريعية والتنفيذية .

والملكىة المقيدة هى ما كانت القوتان التشريعية والتنفيذية فيها خاضعتين لسلطة الملك ومنصبه فى الغالب وراثى أى ينتقل الملك من الأب الى الابن ومن الابن الى ابن الابن وهكذا .

والملكىة المطلقة هى ما كان الملك فيها مطلق التصرف مصدرا للتشريع والتنفيذ . ولكل نوع من هذه الأنواع أحزاب وأنصار يميلون اليه ويفضلونه عن غيره وأكثر الأنواع انتشارا وأحزابا هو الثانى منها وهو الذى جرى عليه نظام حكوماتنا الاسلامية بمقتضى شريعتنا المحمدية من يوم ما أنزلت الى الآن . وحقيقة أن الانسان لو تأمل فى الحكومة الجمهورية لرآها عرضة للاخطار أن تقدمت خطوة تأخرت خطوات وان ارتفعت بصعوبة انخفضت بسهولة كما أن الحكومة التى فيها السلطة مطلقة للملك تكون مركزا للظلم ومحطا للاجحاف بخلاف التى استحسناها فانها مجلبة للعدل وموضع التقدم والنجاح .

واعلم أن حكومتنا المصرية هى من الحكومات التى منحت الشورى (١) .

(١) كان قد صدر الأمر من الخديو فى أول مايو ١٨٨٣ بتشكيل الهيئات النيابية الآتية : مجالس المديرىات - مجلس شورى القوانين - الجمعية العمومية وهى وان كان لها شكل الشورى الا انها كانت استشارية فقط .

ويرأسها أمير جليل هو خديويها وسيدها • تتبع دولة اسلامية عظيمة الجاه قوية
حصينة الا وهي الدولة العلية الخافق على نواحيها العلم العثماني الجليل •
(الى هنا انتهى الباب الاول من الكتاب وسنبتدىء بالباب الثانى فى العدد
الآتى وينحصر الكلام فيه على القوة التشريعية) •

محاورة بين صديقين

اولهما صغير وثانيهما كبير

حسن (بعد السلام) - قد مضت مدة طويلة لم أتمتع فيها بمشاهدة سيدي
وصديقي الأجل •

عبد الفتاح - لقد كنت مسافرا بالبلد لقضاء بعض مصالح خصوصية •
حسن - الحمد لله على سلامتك يا أخى • أيسمح لك الزمن أن تتجاذى معى قليلا •
عبد الفتاح - انى فى خدمتك مدى الأيام •

حسن - حفظك الله وحرسك • لقد سمعت بالأمس بعض الناس يقول (لقد فتح
معرض شيكاغو يوم الاثنين أول شهر مايو الجارى ولا بد أنه سيكون فى غاية
الحسن والجلال مزدحما بالأفاضل من كل جانب) فاندعشت من سماع هذه
الجملة لشدة غرابتها على سمعى فقل لى رعاك الله ما هى شيكاغو وما هو المعرض
ولماذا سيكون مزدحما بالناس • انى غاية ما أظن أنه مولد كمولد بلدتنا •

عبد الفتاح - ان المعرض هو عبارة عن محل تعرض فيه الأشياء فمعرض شيكاغو هذا
هو معرض إقامته الحكومة هناك فى هذا العام تعرض فيه أغلب مصنوعات
الدنيا وتشاهد فيها عجائبها ولذلك ذهب الكثير من أعظم الأمراء لمشاهدته •

حسن - اذا هو عبارة عن سوق عظيمة تعرض فيها الأشياء •

عبد الفتاح - نعم انها سوق عظيمة كثيرة الشوارع والنواحي تعرض فى كل ناحية
من نواحيها مصنوعات مملكة وفيها مندوبون من كل حكومة تنوب عنها •

حسن - وما هى شيكاغو •

عبد الفتاح - ان شيكاغو هى احدى مدن أمريكا الشمالية •

حسن - انى لا أعرف أمريكا الشمالية أ يوجد غير مصر وبلاد العرب والتركية (تلك
البلاد التى درسناها فى المدرسة) بلاد أخرى •

عبد الفتاح - نعم يا أخى يوجد بلاد أخرى كثيرة •

فضلا عن أنها تظهر للعالم بأسره تقدمها وعلو شأنها فيسمو قدرها بين الدول وترتفع كلمتها .

حسن - لله ما أقدرك على خدمة اخوانك وما أحبك لنفعهم .

عبد الفتاح - انى رهين اشارتك لا أتأخر ولا أستقدم متى دعوتنى لآى أمرهم .

حسن - جزاك الله عنى الجزاء الحسن .

زينة الباطن خير من زينة الظاهر

لله قائل هذا القول الحق فانه حكيم متبصر نطق بالصواب وفاء بحكمة لو عمل بها الانسان فى هذه الحياة الدنيا هى الصراط المستقيم وسلك الطريق القويم وقليل من يعمل بها من بنى آدم . فالعدد العديد منهم يغتر بالظواهر وهو لا يدري ماتطويه السرائر . فكم من رجل لبس الحرير وتقمش بأفخر القماش وأثمن الملابس فاغترت الناس بزيه وأضحت طوع اشارته وهو مع ذلك على جانب من الضلالة عظيم . وحبا فى بلوغ أوطاره وهو لا يصدق يربه ونبيه . وكم من فاضل العلم شعاره والأدب وشاحه أضاع الناس قدره لقله ماله وعدم بهائه . والشواهد على ذلك كثيرة ينقلها لنا التاريخ وتقصها القصص وتحكيها حكاية الطفل الذى كان يتنزع على شاطئ البحر صحنه والداه فشاهد من بعد شراع مركب وقد راقه شدة بياضه وأعجبه حسن منظره فأظهر لوالده عظيم ارتياحه من هذا الشراع فتبسم الوالد دون ان يجيبه بشئ حتى اذا اقتربت الباخرة منهما اندهش الطفل من استمرار لون الشراع الذى شاهده من بعد فى أبهى أثواب البياض . فلما رأى منه والده هذه الدهشة قال له : لا تغتر يا بنى بظواهر الأمور واعلم أن زينة الباطن خير من زينة الظاهر والله من قال :

أسبع سبع ولو كلت مغالبه

والكلب كلب ولو بين السباع ربي

وهكذا الذهب الابريز خالطه

صفر النحاس فكان الفضل للذهب

لا تنظرون لأثواب على أحد

ان رمت تعرفه فانظروا الى الأدب

فالعود لو لم تفج منه روائحه

لم يفرق الناس بين العود والخطيب

فخير الناس معاملة من اعتبر أن شرف العلم والفضل فوق كل شرف وأن ثوب التقى أشرف الملابس وراعى أن السعادة الحقيقية فى ظهارة السريرة وحسن الطوية لافى كثرة الأموال وعلو المقام بين الرجال .

الانشاء والتحرير

لا يقصد بالانشاء تنميق العبارة وتحليتها بالنثر والنظم بل القصد الأصلي هو وضع عبارة عربية صحيحة سليمة يفهما القارىء ويقف بها على قصد الكاتب ، ولما كانت موضوعات الكتابة شتى كان من الواجب على الكاتب أن يستعمل فى كل موضوع طريقة مخصوصة فى الموضوعات العلمية يجب عليه أن لا يراعى غير سلامة العبارة من التعقيد وفاسد التركيب لا السجع والتنميق وفى الرسائل والخطابات لا بأس من استعمال السجع وغيره من المحسنات بشرط أن يكون بدون تكلف فى العبارة . نقول ذلك لأننا طالما شاهدنا الكثير من التلامذة وغيرهم من حاملي القلم يدعون أن الاجادة استعمال السجع لوضع ألفاظ لا لزوم ولا معنى لها . ولذلك تصير عبارته ساقطة خلوا من الذوق السليم وفى كل الأحوال فالكتابة الطبيعية أى الخالية من التكلف أعظم الكتابات مقاما عند أرباب الأقلام .

وللكتابة آداب يجب على الكاتب مراعاتها بمعنى أنه لو كتب لأمر يلزمه استعمال العبارات اللازمة لنوى المقامات الغالية وإن كتب لصديق يلزمه استعمال عبارات النظم وإن كتب لمن هو أقل منه مقاما فإن كانت الكتابة على مر يلزمه أن يستعمل ما يلزم من كتابات الرؤساء للمرؤسين وإن كانت بصورة ودية لزمه أن يكتب له ما يكتبه الى صديقه .

من أعظم ما يلزم مراعاته فى التحرير الاجابة على خطاب المرسل اذا دعت الحاجة لذلك أى أنه لو خاطبك شخص « ولو كان أقل منك مقاما » فى مر يدعو للاجابة أو طلب منك ذلك المرسل الاجابة لزمك أن تجيبه فى كل الأحوال وألا تعد قليل الأدب خارجا عن دائرة المدنية وأهلها فإن المرء الذى يظن فى نفسه أنه عظيم وما عداه حقير يكون فى الحقيقة جاهلا لثيما قليل التربية وإن كان فى أعلى المناصب وأجلها لأن الادب والتواضع يجعلان الانسان يعتقد فى نفسه أنه أقل الناس مقاما وأصغرهم قدرا .

ومما يلزمنا أن ننبه عليه هنا افادة لأخواننا التلامذة أن بعضهم وإن كان نزرا يسيرا (يستعين فى الكتابة بغيره وهو أمر قبيح وفعل ردىء يحط من قدر الانسان وينقص من معلوماته ويسبب له التقهقر على حين تقدم غيره وما أحسن قول القائل :

وانما رجل الدنيا وواحد

من لا يعول فى الدنيا على رجل

الجزء الخامس

يوم الخميس ١ ذى الحجة سنة ١٣١٠
و ٩ يؤونة سنة ١٦٠٩ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٩٣

بأى كتاب نقتدى وبأى دستور نهتدى

نقتدى بكتاب مجيد ودستور فريد شرعه لنا فاطر السموات والأرض وما فرط فيه من شيء . كتاب شريف وقرآن منيف . الحق يقدمه والنور يحيط به من كل جانب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . كتاب يكفل لنا السعادة الدنيوية والأخروية ويحقق لنا ان اتبعناه رضاء الخالق والناس والسريرة الانسانية علينا . كتاب آياته بينات وبالحق ناطقات . تشرح لقراءتها الصدور وينتقل بتلاوتها من فى الظلمات الى النور ، كتاب انواره ساطعة وأحكامه باهرة تأخذ بلب من رآها حتى ان أعداء الكافرين وحساده الخاسرين أقروا بأنفسهم أنه الدستور الجدير بأن يتبع القانون الكافل للمعاش والمعاد ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين .

ألا ترى أيها القارئ النبيل كيف أن فئة قليلة من العرب تحت قدوة الطاهر الشريف سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام غلبت فئات قوية وأدخلتها فى ذلك الدين الحنيف القويم .

ألا ترى كيف أن المسلمين فى صدر الاسلام ملكوا الأرض من مشارقها الى مغاربها وتفردوا بالكلمة ونوحدوا بالسلطة حتى علا مجدهم الفرقدين وغدت أنوار الشمس لا تغيب عن أملاكهم تلك الأملاك الشاسعة والأراضى الواسعة والقصور الشاهقة والمباني العالية والحصون القوية والقلاع الحصينة مما لم تستطع أية دولة من أعظم الدول قوة واقتدارا أن تجارى دولة الاسلام فيه .

كل ذلك باتباع القرآن الشريف الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فما بالنا معشر المسلمين لا نتبعه وقد علمنا أنه عنوان سعادتنا وقائدنا الى طريق مجدنا فلنجعل له نبراسا فى أعمالنا وسراجا وهاجا فى حركاتنا وسكناتنا ولانكن كمن غره السراب فهو يفتتر بأقوال الحسرة الموهين والكفرة الخاسرين الذين يقولون ان القرآن أنزل لعصر لا لكل الأعصار ولقوم لا لكل الأقوام بل لنعلم حق العلم أن فى اتباع القرآن الوصول الى أعلى المناثر الحضارة والمدنية كيف لا ونحن لو نظرنا لآى

أمر من أوامره أو نهى من نواهيه لرأينا منه حكما جليلة وفوائده جمة عظيمة .
ولو أمعنا النظر في تحريم الخمر مثلا لرأينا في ذلك من المنافع ما لا يتكره الا كل عدو
للحق عتيد فالخمر تسلب الشرف والصحة والمال تلك الأشياء التي تدور عليها رحي
حياة الانسان .

وكذلك الزنا فان في تحريمه حفظا للشرف والعرض والآداب العمومية
ومحافظة على عدم اختلاط الأنساب وفساد الأخلاق الى غير ذلك .

وفى جانب هذا لو نظرنا الى الفرائض لشاهدنا فيها من المنافع الدنيوية
والآخروية ما يعجز اليراع (١) عن حصره . فى الصلاة مثلا التى طالما يتأخر الكثيرون
عن القيام بها فوائده جسمية دنيوية وآخروية فهى التى تجعل للانسان مخلصا فى
مجلة الخالق (٢) ومتواضعا لكل اخوانه يفرح لفرحهم ويتكدر لكدرهم طاهر الجسد
والثياب فضلا عن أنها تنشط الجسم وتقوى العضلات مما يعلمه كل من واطب عليها
هذا ما أدركه اليوم فى هذه النبذة الصغيرة حتى لا يفتر (٣) الناس عن عبادة
الله واتباع كتابه الكريم وسنة نبيه الهادى . والله يهدى من يشاء الى ما يشاء .

المحاولات التهذيبية

ان المحاورات التهذيبية فضلا عن كونها شديدة التأثير على النفس قوية المفعول .
ينشرح القواد لقراءتها . والقارىء لا يميل لها أكثر من ميله لغيرها ولذلك كانت
طريقا سهلا يسلكه أعظم الواعظين والنصحاء حبا فى الوصول الى بث الفضائل فى
النفوس ورغبة فى نشر الحقائق بين الأمم علمنا ذلك حق العلم فاتبعنا طريقة هؤلاء
القوم الأفاضل وتشبهنا بهم طمعا فى الحصول على ضالتنا المنشودة فلأنا أعداد
جريدتنا بالمحاورات التهذيبية وقد رأينا بأنفسنا شدة ميل القراء اليها وانكبابهم على
مطالعتها . فبذلنا الجهد فى الاعتناء بها أكثر من سواها واليوم نهديهم محاورا
جليلة عثرنا عليها فى بعض الكتب النفيسة الأجنبية فعربناها مع بعض التصرف
حتى غدت ملائمة لمشرينا المصرى الوطنى .

محاورة بين الجد والحفيد

وقعت هذه المحاور فى يوم جمعة عقب الصلاة بقاعة الجد حيث كان فى راحة
وقد رأى حفيده لوحة مكتوبا عليها (حب الوطن من الايمان) فابتدأ بالقول :

الحفيد - ما معنى كلمة الوطن يا جدى الجليل

(١) اليراع = القلم

(٢) مجلة = اجلال واحترام

(٣) يفتر = يتكاسل

- الجد - هل تريد أن أفهمك معنى الوطن ؟
- الحفيد - نعم أريد ذلك .
- الجد - اذا كنت تريد ذلك فقل لى أولا من ذا الذى خدشك فى وجهك .
- الحفيد - هو هو .
- الجد - قل الحق انى لا أظن ذلك .
- الحفيد - انى تشاجرت بالأمس مع حسن .
- الجد - لماذا ؟
- الحفيد - لأنه سب والدى .
- الجد - اذا أنت تحب والدك وتدافع عنه .
- الحفيد - لاشك فى ذلك .
- الجد - أظنك لاتحب غيره .
- الحفيد - كلا بل أحب أيضا والدتى وجدتى وأنت يا جدى العزيز وشقيقى الأكبر على
- الجد - أنت تحبنا حينئذ .
- الحفيد - كيف لا وأنتم أهلى .
- الجد - اذا كان الأمر كذلك فاظنك كنت مسرورا عندما تعينت قاضيا .
- الحفيد - أجل وقد كنت بك معجبا ومن شدة فرحى فى هذا اليوم حفظت دروسى جيدا وأديت ما على من الواجبات بكل همة ونشاط .
- الجد - ولما تعين أخوك ضابطا هل نالك من الحبور (١) ما نالك يوم تعيينى قاضيا .
- الحفيد - نعم انى كنت منشراح الخاطر يوم ما ترقى ووددت أن أكون مثله لألبس تلك الملابس البهجة .
- الجد - قد ظهر يا ولدى العزيز من أجوبتك أنك تفرح لفرحنا ولكن هل لو أملت بنا مصيبة تشاؤكنا فى الكدر .
- الحفيد - أما نظرت يا ولدى الأكبر ما كنت عليه من الكدر وسوء الحال يوم مرض والدتى ؟
- الجد - اذا أنت تحبنا وتفضل أن تعيش معنا عن أن تعيش مع غيرنا .
- الحفيد - لاشك فى ذلك .
- الجد - اعلم يا ولدى العزيز أن اجتماع أناس متحابين يفرح الواحد منهم لفرح الآخرين ويتكدر لكدرهم ويدافع عنهم اذا هاجمهم العدو ويفضل أن يعيش

(١) الحبور = السرور .

سوء الحظ عن أن يراهم يتألمون من مصاب ومتحدا معهم قلبا وقالبا يكون ما يسمى بالعائلة .

الحفيد - نعم يا والدى الأعز ولكنك لم تعرفنى للآن معنى كلمة الوطن .

الجد - أصبر قليلا لا تعجل ولنقرأ خطابا أتى من أخيك قبل كل شيء .

« سيدى وجدى الأجل :

انى أتأسف كثيرا لمفارقة عائلتى التى نشأت فيها ولكنى لحسن الحظ وجدت مع زمرة من الأوفياء الذين لا قصد لهم الا خدمة الوطن العزيز تلك الأم الشفيقة التى ربنتنا وعلمتنا صغارا وهذبتنا حتى صرنا أهلا لخدمتها كبارا وأنا فى موضع نهاجم فيه الأعداء وندافع عن الوطن والأهل والأحباء . الضباط رفقاى هم كاخوتى وقائد الجيش كوالدى وخدمة أوطانى نبراسى وإخلاصى لأمرى قدوتى فقل معى « لتعش مصر » .

الحفيد - لتعش مصر .

الجد - ان مشاهدتى يا ولدى العزيز لمصرى نبيل تبهج ناظرى ورؤيتى لوطنى نشيط تأخذ بمجامع القلب والفؤاد كما أن مشاهدتى لآثار آبائى وأجدادى العظماء تجعل فى قلبى محلا للفرح ومحلا للترح (١) فافرح لأن تلك الأعمال أعظم من أن يأتى المعاصرون بمثلها وأتكدر لما أرى أننا معشر المصريين الحاليين لم تتبع خطواتهم ولم تجر على منوالهم فانا والحق يقال قد قصرنا فى واجباتنا فيجب عليكم أنتم معشر الناشئين أن تقوموا بأجل الخدم لبلاككم التى ربيتكم أنتم وآباؤكم وأسلافكم فيها وتمتعتم بخيراتها .

الحفيد - حقا ما تقول ياسيدى المكرم .

الجد - الآن بما أنك فهمت قولى وعلمت أنك مدين لبلاك بأشياء كثيرة ينبغى أن تكون التلميذ الأول من فرقتك .

الحفيد - لايمكننى ذلك لأنه يوجد من أعلم منى .

الجد - ومن أسبوع الى أسبوع تصير التلميذ الأخير حتى ثبت فى ذهنك أنه يوجد من هو أهم منك أما تدري أن لا شيء على الانسان بعسير .

الحفيد - ولكنى لو اجتهدت وصرت الأول أخاف أن الذين هم قلبى الآن يعادوننى ويكرهوننى .

الجد - لم ذلك أأنت تكره من يتقدم عليك .

(١) الترح = الحزن

الحفيد - نعم .

الجد - ان هذه صفة قبيحة يجب عليك أن تتركها وأن تحب للناس ما تحب لنفسك
واذا تقدم عليك أحد فكن مسرورا مادام مصرية واجعل محبة الوطن نصب
عينيك آناء الليل وأطراف النهار وثبتها في فكر من لم يعلمها حتى تنجح على
أيدي أمثالك البلاد وتعيش في هناء واسعاد .

الاقتصاد

الاقتصاد أو التدبير هو تنظيم المعيشة وجعلها مناسبة لحالة الانسان وهي
صفة جليلة حميدة العواقب تحمى المرء من نكبات الدهر وملمانه (١) ولا يقصد بها
التضييق في المعاش كما يفهمه البعض بل ترتيبها ترتيبا منتظما به تفوق الحاصلات
المصروفات بمعنى أنك لو كنت رب بيت مثلا وتكتسب في شهرك مبلغ كذا فلزمك
أن توفر منه الثلث على الأقل حتى ترجع اليه عند الحاجة لأن الدهر خوان (٢)
ان سالم يوما عادى أياما وان أقبل وقتا أدبر أوقاتا فهو سلاب للنعمة لا يعلم وقت
غدره ولا ساعة جفائه . لا يردعه عن بغيه الا الاقتصاد الذي هو سلاح يقاتل حادثات
ذاك الزمان الخؤون والا فان حسبته بخلا ونبذته ظهريا كنت العوبة في يد أيامك .

★ ★ ★

(١) الملل = الكوارث والمصائب

(٢) خوان = خائن

الجزء السادس

ربيع الأول سنة ١٣١١

العود أحمد

عادت الجريدة الى الظهور بعد أن غابت شهرين قضينا جزءاً عظيماً منها ومن سابقهما في فرنسا (١) بقصد تمضية الامتحان ومشاهدة عجائبها وتمدينها وما عليه أهلها من الأخلاق والعوائد وأحوال المعيشة العمومية وخصوصاً حالة الصانع والمزارع والتاجر الذين عليهم حياة أوروبا الحقيقية الى غير ذلك من المسائل الأدبية التي هي أسمى في الحقيقة من الماديات بكثير . وبعد ذلك عرجنا على إيطاليا مارين بأهم مدائنهم مروراً وقتياً لم نعدم فيه جنى بعض الفوائد كحالة الأهالي والحكومة المالية التي علمنا بالمشاهدة أنها متقهرة من جميع الوجوه . ثم عدنا بالسلامة الى الأوطان بعد أن أخذ منا الشوق إليها أكبر مأخذ ولذلك رأينا أن نجعل أول كتابة لنا على ما شاهدناه الاحساسات والتأثيرات التي تستولى على المسافر عند مبارحته الوطن خصوصاً لأول مرة ثم نعقب ذلك في الأعداد الآتية ببعض ما يفيد القراء من المسائل الأدبية المهمة .

فراق الوطن لأول مرة

ما ابتعدنا عن ميناء الاسكندرية حتى خيل لنا أننا فصلنا من الوجود وفارقنا الحياة لما استشعرنا به من احساسات الأسف وشدة التعلق بالوطن وعظيم الحنين الى المعاهد فما أشبه المبتعد عن وطنه بطفل فصل من أمه . وقد كادت شدة الأسف تجعل البكاء مدراراً رغماً عنا ولكننا تجلدنا خشية من ضحك الافرنج علينا وهم الذين يترقبون صغيرة لنا فيعظموها رغبة في النيل مآربهم . وما ابتدأت احساسات الأسف تقلل بارشاد العقل بأن الغاية حميدة والقصد شريف والعود سريع حتى ابتدأت البأخرة تلعب ذات اليمين وذات الشمال وأحشاؤنا تلعب معها بالتبع (٢) كما ينحرك الرضيع

(١) كان سفره الى باريس لأول مرة يوم الجمعة ٢٣ يونيه ١٨٩٣ ليؤدي امتحان السنة الأولى بكلية الحقوق هناك (عبد الرحمن الرافعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ط ٤ القاهرة ١٩٦٢ . ص ٢٨) .
(٢) يقصد بالتبعية .

فى أرجوحة اهتزازية • ولم نزل كذلك مدة عانينا فيها مرضين كلاهما عظيم : مرض فراق الوطن ومرض البحر الا أن الأول منها أقوى وأعظم اذ أن آلامه فى القلب وحده وأما الثانى ففي الأحشاء •

وقد بقى البحر على هذه الحال مدة ست ساعات حتى وصلت الشمس الى الربع الرابع من دائرة الأفق فعدنا الى الوجود بعد أن قاسينا أهوالا لم نر لها شكلا من قبل ، ولما استشعرت برجوع القوة والنشاط الى أن علوت سطح المركب وهى تحت السماء وفوق الماء لأستنشق الهواء فرأيت من الركاب عددا عديدا بين الفرنسيين والانكليز والطياليين والسوريين وغيرهم ولم أر منهم الا ستة من المصريين الذين لا قصد لهم الا تمضية الامتحان بفرنسا والعود ثانية وهنا ظهرت لى حكمة النيل العجيبة وخاصيته التى ليست فى غيره وهى أن جودة أرضه تمنع أهله من التغرب عن الأوطان ولذلك ترى أكثرهم لا يغير مقره وان ضرب عليه الذل وخيمت على منازلهم المسكنة ولعمر الحق لتلك مسألة كادت تكون على أن كثيرا من سكان المعصرة ينتقل ليرى أحوال غيره فيتعلم حيل التعيش •

ولقد رأيت أن فى وجودى مع هذه الأجناس المختلفة فرصة عظيمة للوقوف على بعض أخلاقهم ولذلك قد خالطتهم فعلمت أن الفرنسي منهم رقيق الطبع لين المعاشرة حسن التكلم يراعى فى خطابه كل الأدب الا أنه قليل الثبات فتراه اذا مررنا بجزيرة كان يكثر من الاشارات والانتقال والتكلم عن تاريخ هذه الجزيرة كأنه يلقي درسا ما • وأما الانكليزى فهو غليظ الطبع مبتعد عن الناس كثير العزلة ولذلك كان لا يرى للانكليز وجها فى أغلب الأحيان الا وقت الأكل (١) وأما الطليان فهم قوم لا رشاقة لهم كثيرا الوساخة يوافقهم مرض البحر كل الموافقة •

وأما السوريون فأغلبهم كان من ركاب الدرجة الرابعة التى ينام أهلها على سطح البحر وهم يتكبدون المصاعب ويتجشمون المشاق لنيل المعاش وجل ما يبغى السوري منهم نيل الدرهم وشرب النبيذ وأما أخلاقهم فعنوانها الحماقة الشديدة وأغلب الذين كانوا معنا كانت غايتهم الذهاب الى معرض شيكاغو •

قلنا ان البكر سكن روعه بعد الغضب وقد استمر كذلك ليلته ونهاره ثم أخذ يرينا بطشه وقوته تارة ولطفه وترحيبه بنا تارة أخرى ولا غرو اذا كانت تنطق أمواجه بأنه رب البطش والقسوة وصاحب العظمة فهو ذلك البحر الذى وهب العالم بأسره التمدن وتقلب السعادة على سواحله وهو هو البحر الأبيض المتوسط ولم نزل كذلك بين عشاء وهناك مدة أربعة أيام حتى وصلنا مساء الخميس ٢٢ يونيه الماضى ميناء مرسيليا ولا تسلم عما لحق العموم من السرور وخصوصا الفرنسيين منهم فانهم كادوا أن يطيروا

(١) واضح هنا من تعليقه على الجنسين الفرنسي والانكليزى ، كراهيته للانكليز حتى فى الرحلة والحديث ، بينما ينتهى ناحية الفرنسي ، وهو ما ستراه جليا فيما بعد كفاحه وأحاديثه ومقالاته ...

فرحا وبعد وصولنا بساعتين ركبنا قطار الاكسبريس الى باريس مباشرة حيث وصلناها مساء اليوم التالي . وقد يرى المسافر من المناظر الجميلة وحسن الترتيب وكمال النظام في جميع الأعمال وما يسر كثيرا .

أما ما كنا نستشعر به في باريس فاحساسات مختلفة فتارة نسر لوجود قبائح لم توجد في وطننا العزيز وتارة نأسف على بلدنا عندما نرى شدة نشاط القوم وجدهم وسعادة الأمة والحكومة وشرف الصنائع وغير ذلك من الأمور التي امتازوا بها .

ولا تسئل عما كان يحيط بنا من السرور عندما نقرأ في الجرائد الفرنسية ذكر الاجلال الذي قوبل به أميرنا المحبوب (١) عند سيدنا وهولانا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين (٢) .

بل ولا تسئل عن فرحتنا (بالمؤيد (٣) الأغر) عندما تأتي أعداده كل يوم جمعة متحلية بحقائق الزيارة العباسية .

ولا تسئل أخيرا عن كبير حبورنا عندما غادرنا فرنسا وإيطاليا وركبنا البحر عائدين الى الوطن العزيز عندما سالمتنا أمواجه وحيانا النسيم وأهدانا القمر طيب ضوئه في ليال كان فيها مستكملا ثم جئنا الاسكندرية فجرا فرأينا أمامنا زينة العباس ونورها رأينا نوره في البحر أسطع من ضوء القمر حيث لبثنا نتمتع بمنظر المدينة وهي تتلألأ كأنها عروس الحى كل ذلك والباخرة لا يهدأ لها قرار فتراها تذهب حيناً للأمام وآونة للخلف كأنها تظهر علامات اشتياقها لدخول البوغاز .

ولم نلبث بهذه الحالة الا قليلا حتى جاء رئيس البوغاز وقاد الباخرة بمهارة حيث وصلنا الميناء ودخلنا المدينة فرأينا مجامع الزينة الباهرة فكان الفرح والسرور سرورين اللهم احفظ لنا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وناصر الدين والأوطان ومتع اللهم مصر بالعباس أميرها المحبوب انك على ما تشاء قدير .

نور الاسلام في الآفاق

الدين الإسلامي هو أشرف الأديان على الإطلاق وأجلها مقاما وأعظمهم قدرا لأنه مكون من حقائق يقبلها العقل بكل سهولة وملائم لكل زمان ومكان ما عملت به أمة من الأمم الا وأصلحت أحوالها وانتظمت أمورها وتم لها الفوز والنصر وعلت لها الكلمة بين سائر الأمم .

(١) يقصد الخديو عباس حلمي الثاني .

(٢) يقصد السلطان الميثمي في الاستانة .

(٣) يقصد جريدة المؤيد التي كان صاحبها الشيخ علي يوسف وكانت في هذه الفترة تحت على الوطنية وكان يجد فيها مصطفى كامل ضالته في حب الوطن - كما رحب به علي يوسف في تلك الفترة لان يكون أحد من يكتبون فيها .

وأعظم شاهد على قوة نور هذا الدين الحنيف أنه ما ظهر بين الأمة العربية الا وملاً
نوره الآفاق وانتقلت تلك الأمة البدوية من الجهالة التامة الى درجة من العلم لن ترى
ولا ترى • ذلك أمر عجيب وسر غريب وتلك حكمة عالية ومعجزة تدهش الألباب •

أمر سهل ليس بالمشكل ولا بالمظلم فهم تلك الحكمة العالية وادراك ذلك الفهم
العجيب ، فقليل من التبصر يوصلنا الى الحقيقة : ان فهم القرآن وادراك معانيه الخطيرة
يوصل • الى معرفة علوم شتى ، فالعرب بفهم هذه المعاني الرفيعة وصلوا الى الوقوف
على علوم عديدة جعلتهم أعلم الناس طرا وأشرف الخلق جميعا •

وقد أخذ ذلك الدين الاسلامي من يوم وجوده يبعث أنواره في الآفاق حتى اهتدت
أغلب الناس اليه وما ترك اعتناقه الا من عميت بصيرته وعشق عقاب الآخرة •

وقد يخطيء أعداء هذا الدين الخطأ الجم عندما يقولون انه اذا كانت مبادئه حقيقية
فلم لم ترتفع للمسلمين في هذه الايام كلمة ولم سبقهم الا فرنج الى التقدم ويضيفون
على ذلك أن العرب لم تصل الى ما وصلت اليه الا بقوتهم وشجعانهم لا بتور دينهم
وعظيم علومهم •

فنجيبهم على هذا القول الفاسد والادعاء الباطل بأن العرب قبل الاسلام وبعده
هم العرب ولم يتغيروا وقوتهم ثابتة لم تتحول فلم لم يصلوا الى الرفعة وعلو الشأن ،
قبل الاسلام لا شك أن بلوغ هذه المكانة التي بلغوها ينسب الى تأثير هذا الدين الجليل
وأما السبب في عدم ارتفاع كلمتنا في هذه الايام فهو لأن أكثرنا ترك قواعد الدين
الجليل فعلا لا اعتقادا وأهمل أمر التربية الاسلامية •

ومهما بلغ الضغط على المسلمين في البلاد فان نور الاسلام منتشر لا يمنعه مانع
أما ترى نور الاسلام في ليفربول تلك البلدة التي كانت من عهد قريب محط رؤساء
الديانات المفايرة • أما ترى الاسلام في أمريكا وما تأسس هناك من الجمعيات الاسلامية
المعظمة من أغنياء مسلمي الهند الذين سيتركون بلادهم ويرحلون الى هذه البلاد
ليهدوا الناس وينيروا العقول ولا يبعد أن نرى أغلب اخواننا الموترين الذين لا غرض
لهم في الوجود الا رفعة الاسلام يقتدرون باخوانهم أهل الهند • نسأل الله أن يصلح
الأحوال ويهدي الضالين من أبناء آدم وأن يعيد عزة المسلمين انه بالاجابة قدير •

والمرء عالم تفسد نفعا اقامته

غير حمى الشمس لم يمطر ولم يسر

من يتأمل في معنى هذا البيت وما حواه من الحكمة الباهرة يرى أن ناظمه
الفيلسوف أبا العلاء المعري قد وهب الهيئات الحاكمة في هذه المجتمعات هي القائمة
وحدها بالأعمال وهي الساعية دون غيرها في تقدم الشعوب ومن النادر أن نرى بين
أفراد الأمة من يقوم فيعمل عملا جليلا يعود على المجتمع بفائدة أو نفع •

وغير خاف أن الأمة في كل هيئة اجتماعية هي التي عليها مدار العمران وهي أصل التقدم وروح السعادة وبيان ذلك أنه إذا كانت الهيئة المحكومة جاهلة والهيئة الحاكمة عالمة واقفة على واجباتها فانه لا تقوم للمجتمع قائمة اذ يصعب على الهيئة الحاكمة قيادة الهيئة المحكومة لأن ما تراه هذه صوابا تراه تلك خطأ نظرا لانغماسها في الجهل فضلا عن أن الهيئة المحكومة تفضل أن ترى من بين أفرادها الجهلاء هيئة حاكمة غير الموجودة فتسقطها وترفع غيرها ولو نظرنا الى عكس ذلك أعنى إذا كانت الهيئة المحكومة جاهلة والهيئة الحاكمة عالمة واقفة على واجباتها فانه لا تقوم للمجتمع قائمة اذ يصعب على الهيئة الحاكمة قيادة الهيئة المحكومة لأن ما تراه هذه صوابا تراه تلك خطأ نظرا لانغماسها في الجهل فضلا عن أن الهيئة المحكومة تفضل أن ترى من بين أفرادها الجهلاء هيئة حاكمة غير الموجودة فتسقطها وترفع غيرها ولو نظرنا الى عكس ذلك أعنى إذا كانت الهيئة المحكومة عالمة مستنيرة بالأفكار الصائبة والهيئة الحاكمة جاهلة لرأينا أن المجتمع يعيش سعيدا ويبقى عيشه رغدا وذلك لأن الهيئة المحكومة لا تتأخر عن إسقاط تلك الهيئة الحاكمة الجاهلة وتعويضها بهيئة عالمة تنتخبها من بين أفرادها ومصادقا لقولنا هذا قال أحد كبار العقلاء الذين رسخت عندهم هذه الحقيقة كل الرسوخ (أن الهيئة المحكومة هي سيدة الهيئة الحاكمة ولا عكس) إذا علم هذا القول ونظرنا الى حالة بلادنا المصرية التي هي واد عزيز عقيم الخيرات كثير البركات قد خصه الله بمزايا لهم يختص بها غيره حتى أصبح مأوى للغرباء ومقرا للنزلاء الذين قد نضبت بحار خيرات بلادهم عن أن تسد حاجاتهم الضرورية ونظرنا الى ما اكتسبناه منه من الخيرات للجزيل والبر الجليل والى ما أدبناه له من النفع نرى أننا لم نأثمه بذرة مما آتانا هو به فانه قد أصابته الأمراض وحاقت به الأدواء واشتد آنيته وبكاؤه ونحن عن كل ذلك لاهون لا نسمع أقواله ولا نلبي ندائه وليس بيننا الا نفر قليل يقوم بخدمة .

أليس من الواجب علينا عموم المصريين أن نتحد قلبا وقالبا في الاخلاص الوطنى وأن نترك الحقد والحسد من بيننا وأن نعمل جميعا على تقدم البلاد وراحة العباد ؟ .

أليس من الواجب على أغنيائنا خصوصا الذين قد أفادهم ذلك المجتمع السعيد أكثر مما أفاد غيرهم بكثير أن يؤسسوا المدارس التهذيبية ويشكلوا الجمعيات المفيدة ويصرفوا أموالهم فى خدمة وطن قد خدمهم أكبر خدمة وأنا لهم أكبر منة ؟

لا شك أننا اذا جعلنا الائتلاف والاتحاد وخدمة الوطن خدمة صداقة مبدأ لنا وصلنا الى أسمى مقصدنا وادراكنا ضالتنا المنشودة .

فيجب علينا عموما أن نقتدى بأعمال أميرنا الجليل الذى قد غبطتنا أحبابنا وحسدتنا أعداؤنا عليه وأن تجعل الكبار فى مقدمة مبادئهم الائتلاف والمحبة وتهذيب الأبناء وأن تنشأ الأحداث على هذه المبادئ الشريفة وليعلموا علم اليقين أن عليهم حياة البلاد وأنهم رجال المستقبل وأن زمنهم نفيس فلا يصرفون الا فيما يجديهم نفعا والسلام .

تلميذ مقدام

نعنى بذلك « جول واكير » ابن أحد الصناع الفرنسيين المولود فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ بمدينة لنداس وأحد تلامذة مدرستها العمومية الآن .

نشأ هذا التلميذ على الشهامة والاقدام وحب النفع العام فانه قد خاطر بنفسه مرتين متواليتين لنجاة شخصين كادت المنية أن تغتال حياتهما لولاه ولذلك قد أتت إحدى الجرائد الفرنسية الفخورة بشهامة أبناء جلدتها على صورته متقلدا النياشين اللذين أهدتهما اليها حكومته جزاء طيب أعماله محيطة تلك الصورة بذكر هاته الأفعال الحسان واليك ملخص ما جاء بها بعد الترجمة :

« منذ كان واكير فى العاشرة من عمره « أى منذ سنتين » ذهب مع أربعة من أقرانه الى محل كثيف الثلج بقصد اللعب فيه ومذ كانوا فى بحر اللعب غارقين اذ وقعت قطعة عظيمة من الثلج من تحت قدم أحدهم فى هاوية كانت تغطيها ولم يلبث الشاب أن هوى معها حيث كان يهدده الموت من كل جانب لولا أن واكير المقدام ألقى بنفسه بسرعة عجيبة فى الحفرة وأخرج رأس خليفه من الماء حتى أتت جماعه من المارة وانتشلتها من هاوية الهلاك .

وفى الثالث من شهر مايو الماضى رأى عند خروجه من المدرسة عربية سريعة العدو كادت أن تدهس أحد أقرانه الذى كان يسرع السير بقصد مقابلة قريب له فأنجاء من الموت بخفة لا مثيل لها بعد أن اعتقد الجمهور كمال الاعتقاد أن تلك اللحظة هى آخر دقيقة فى حياة الاثنين .

هذان العمالان الجليلان قد صاغتها يد تلميذ لم يبرح مشغولا بالدراسة الابتدائية ولم يتجاوز السنة الثانية عشرة من عمره فهو جدير بأن يكون قدوة حسنة لأمثاله فانه يرى فى عمله هذا خيرا كبيرا فان نجح فيه فقد حفظ حياة وان خاب فقد مات شهيد الشفقة والرحمة والانسانية ولذلك فان الحكومة الفرنسية قد كافأته بأهدائه : نيشانى الانقاذ الخطيرين .

الأناشيد الوطنية والتهديبية

لقد أصبح من الأمور البديهية المسلم بها عند جميع العقلاء أنه لا بد أن يكون التعليم مخلوطا بالتهديب بل يلزم تفضيل هذا عن ذاك لأنه عليه قوام الأمور واصلاح الأحوال . والتاريخ أعظم شاهد على ذلك فان العالم اذا كان غير مهذب يكون ضرره عظيما جدا على الأمة التى يشغل بين أفرادها محلا فى ادارة الأمور ولذلك اتفق جميع الحكماء والفلاسفة على أن ضرر الجاهل أقل بكثير من ضرر العالم العديم التهديب ولما كان أسمى غرض لنا هو تهذيب الأحداث فقد عزمنا على أن ندرج فى كل عدد من أعداد جريدتنا نشيدا أو نشيدين على نمط السلاسة والتهديب التام حتى أنه بعد مضى

نخمنته أو ستة أشهر يمكننا أن نجعلها في كتاب نظم اليه بعض الشذرات والمحاورات
المفيدة يكون قاعدة أساسية لتهديب الأبناء وأنا لا نعدم في ذلك العمل مساعدة
الفضلاء والأدباء والشعراء .

والى القراء نشيدا جادت به القريحة نعمة باكورة لهذا العمل :

هلموا يا بني الأوطان طرا	لنرجع مجلدنا ونعز مصرنا
هلموا كي نوفى القطر حقا	نسيناه فضاع بذاك قدرا
هلموا وادركوا العليا حتى	تنال بلادنا عزا وفخرا
هلموا وأتركوا الشحنا منكم	وكونوا أوفياء فذاك أحسرى
اليس يشيننا ترك المعالي	تباع بغير واديننا وتشرى
ونحن رجالها وبما لديها	من الاسعاد والخيرات أدرى
نسينا البر للنيل المفدى	وخلنا أننا جئناه خيرا
فعار أن نسمى الذل عزا	وعار أن نسمى الشح برا
وعار أن نعيش بغير مجد	ونبصر فى السما شمسا وبدرا
وعار أن يكون لنا وجود	ويحظى غيرنا فوزا ونصرا
فقوموا واطلبوا للنيل عزا	ولا تبقوا بذل كي يسرا
وسيرا نحو هذا القصد حتى	تنادوا أجمعين بعز مصرنا

★ ★ ★

الجزء السابع

ربيع الثاني سنة ١٣١١

اتحاد الوطنيين فى الاغتراب

أجارتنا انا غريبان ها هنا ، وكل غريب للغريب نسيب

ما كان أشدنا تمتلا وتمسكا بهذا البيت مذ كنا فى بلاد الغربه فانا كنا جميعا كأعضاء عائلة واحدة تم بين أفرادها الاخلاص والوفاء فكل فرد منا كان لا يدع ساعة من زمنه دون أن يقابل اخوانه فيها ولو ألم بأحدنا شيء مكدر وان يكن خفيفا كنت ترى الجميع قائمين فى خدمته لا يألون جهدا فى تأدية كل ما يحتاج اليه الا أنه مهما تقوت عرا الائتلاف والاتحاد بيننا ومهما اشتدت روابط الاخلاص فلا يعد ذلك فى تلك البلاد أمرا مستغربا ولا شيئا مدهشا كما يقع فى بلادنا اذ أن اتحاد الغرباء هنا أمر ظاهر مجسم لأنه واقع فى وسط التنافر فيه متغلب على الاتحاد أما فى البلاد الأجنبية فما كنا نرى فى الاتحاد فرقا بيننا وبين من يحيط بنا من الأجانب فانهم أجمع كرجل واحد ومهما اختلفت مشاربهم وتباينت آراؤهم فانهم فى خدمة الوطن متحدون قلبا وقالبا ولا يختلف فى ذلك اثنان .

ومن ينظر الى هذا الأمر لابد أن يستشعر باسنغراب عظيم وبدهشة كبيرة اذ أن الوطنيين هنالك والأجانب لا يختلفون فى اتحادهم وأما هنا فالفرق ظاهر والبون بعيد .

ولا شك أن من يبحث فى سبب التباين بين البلاد الشرقية والبلاد الغربية فى هذا الأمر يدخل فى دائرة الحيرة من حيث أنه يعلم أن الاتحاد لازم ضرورى فكل جماعة يقيمون فى بلد اما أن يكونوا وطنيين أو أجانب فان كانوا وطنيين وجب عليهم كل الوجوب والاتحاد والائتلاف فى خدمة بلادهم وان كانوا أجانب لزمهم ذلك أيضا لوجوب عملهم بقول الشاعر :

أجارتنا انا غريبان ها هنا ، وكل غريب للغريب نسيب

وعليه فكل شخص أهمل خدمة وطنه الذى أنشقه طيب هوائه وغذاه لذيذ غذائه وسقاه حلو مائه يعد عديم الوطنية بعيدا عن أن يسمى وطنيا أو أجنبيا ومثل هذا يعيش كئيبا حزينا عليه غضب من الرحمن ولعنة .

الصناعة والصناع

كل من له اطلاع على تواريخ الأمم وسيرهم وماجريات الأحوال في البلاد يعلم أن الصناعة والزراعة والتجارة هي أهم عناصر التقدم وأول أسباب السعادة وأن كل أمة قطعت سبيل الحضارة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بهذه العناصر الشريفة فهي من أهم الأسباب التي أوصلت الأمة الإسلامية في الأزمان السالفة إلى التقدم وعلو الشأن فقد كان لها بين أفرادها اعظم مقام واسمى احترام وتلك آثارهم قائمة في كل البلاد التي سكنوها تدل على ما كان لهم من عظيم الاعتناء بالصناعة ، والتاريخ يمل على مطالعته تقدم الأمة الإسلامية فيها وفي الزراعة والتجارة .

ولم يزل للآن هذا الناموس عاما وشاهدنا على ذلك تقدم هذه العناصر الثلاث في البلاد المتقدمة فلها بين الناس تلك البلاد اهتمام عظيم وعناية كبرى ولم تضع الناس قدرها إلا في البلاد الشرقية على أنها أولى من غيرها بالاعتناء بها .

يظهر مما سبق أن مجد الصناعة والزراعة والتجارة ملازم لتقدم الأمة متعلق بارتفاعها أو علو شأنها .

أما الزراعة فمعتنى بها في بلادنا اعتناء شديدا نظرا لأن القيام بها أقل تعباً من القيام بأحد العنصرين الآخرين ولأن البلاد زراعية بطبعها .

أما الصناعة والتجارة فغير معتنى بهما وإن كنا نرى لهما وجودا فهو ضعيف جدا في جانب من الجوانب .

ولما كانت الصناعة في مقدمة هذه العناصر أحببنا أن نخصص للكلام عليها في جريدتنا بعض الأسطر فنقول :

الصناعة التي لها في الوجود فضل ظاهر ومجد واضح لا ينكره إلا كل غر جاهل فضروريات الحياة التي هي المأكل والمشرب والملبس والمسكن قد صاغت أكثرها يد الصناعة فلها إذا على كل موجود فضل بين يحمله على اعلاء شأنها واحترامها واحترام كل من قام بها والا فكل من خالف ذلك يكون قد نسي واجبا نعهده سامي القدر خطير المقام وحقيقة فإن الصناع الذين هم رافعو لواء الصناعة جديرون بالاحترام حقيقيون بالتجلة والاعتبار وقد علم أهل البلاد المتقدمة علما حقا فاحترمو الصناع وأعلوا من شأنهم حتى أصبحوا في مقدمة المبدجلين وطلبة المحترمين وأما سكان البلاد المتأخرة فقد طرخوا احترام الصناع خلف ظهورهم ولم يكفهم ذلك بل أنهم أهانوه واحتقروه وعدوه أقل الناس شرفا وأحطهم مجدا وقدرنا والسبب في ذلك ظاهر كما قدمنا وهو أن احترام العناصر الشريفة ملازم للتقدم والتمدن .

ففي البلاد المتقدمة وعلى الخصوص في الولايات المتحدة للصناع شرف باذخ ومقام خطير فقد بلغ الاعتناء بهم أن أسست هنالك جمعية مؤلفة من أعضاء عديدين الغرض

الأصل منها وضع الحوادث اليومية المهمة الواقعة في العالم في قالب روايات صغيرة تباع بأبخس الأثمان حتى تكفي الصانع مؤونة البحث والمطالعة في الجرائد وكيفية ذلك أن أعضاء الجمعية تنقسم الى عدة أقسام : قسم ينتقى الحوادث الواقعة أمس يوم العمل التي يمكن وضعها في قالب روايات وقسم ثان يختار الأهم ويترك المهم منها وثالث يضع الحوادث في قالب روايات ورابع ينقحها وخامس يجمعها وسادس يصحح مسوداتها وسابع يطبعها وثامن يجلدها وتاسع يفرقها على المكتبات والباعة الخ .

ولا يزيد ثمن الرواية الواحدة عن سان واحد أى مليمين وبذلك يشتريها الصانع بثمن بخس ويتلاوتها يقف على ما وقع أمس يومه في بلاده وفي غيرها من الحوادث المهمة . هذا مثل من أمثال الاعتناء بالصناع يدلنا على غيره .

ومن يتأمل في هذا الاعتناء يرى أن احترام الصناع واجب على كل فرد صغيرا كان أو كبيرا .

محاورة بين صديقين

شوقي : عم صباحا أيها الخل الوفي والصديق العزيز .

فهمي : أنعم الله صباحك سيدي ومحبي الكريم .

شوقي : قد مضت الأجازة ولم نعلم أحوالك وما أنت مشغول به وقد كان يمنعني عن مكاتبتك عدم وقوفي على حقيقة عنوانك فما السبب في عدم مخاطبتك إياي .

فهمي : ان السبب الحقيقي الذي منعني عن مخاطبتك هو السبب الذي منعك عن مخاطبتني .

شوقي : ولعلك تكون اشتغلت بشيء مفيد في هذه المدة الطويلة .

فهمي - نعم اشتغلت بمطالعة بعض الكتب السيميائية وتعلمت منها كيف يحول الانسان النحاس الى فضة والفضة الى ذهب والى غير ذلك مما سيجعلني من أكبر الناس ثروة وأكثرهم مالا .

شوقي - وأظنك تعلمت أيضا تحويل الذهب الى ماس .

فهمي - ان طرق تحويل الذهب الى ماس موجودة في كتاب آخر غير الموجود عندي ، وان شاء الله سأشتريه عن قريب لكي أقف على كل أسرار العلم .

شوقي - وهل حولت شيئا من النحاس الى فضة أو من الفضة الى ذهب ؟

فهمي - انى لم أشتغل الا بالعلم وأما العمل فأشتغل به في مدة الدراسة .

شوقي - اعلم يا أخى هداك الله أن قولك مملوء بالغرور خالي من الحقيقة والدليل على

ذلك أن النحاس والفضة والذهب وغيرها هي معادن طبيعية وليست صناعية ولو أمكن عملها لكان سبقك الى تطبيق قواعد علم السيميا كثير من أمثالك الذين أولعوا بحب الدنانير .

فهمى - انى لفى غاية الاستغراب من قولك هذا فان قواعد علم السيميا معقولة مقبولة .

شوقى - ليس فى الأمر ما يحير الفكر أو يدهش البال فان كل مسألة سهلة كانت أو معضلة يحكم فيها العقل الذى وهبه الخالق لنا ليهدينا الى أقوم سبيل فاذا حكمنا العقل فى هذه المسئلة وصلنا الى النتيجة التى قدمتها لك وهى أنه لو كانت قواعد علم السيميا صادقة لاستعملتها الكثير طمعا فى جمع المال فضلا عن أنه لو صدقت هذه القواعد السيمياوية لأختير غير معدنى الذهب والفضة للتعامل بين الناس إذ أن هذين المعدنين لم يختارا للتعامل بهما الا لندارتهمما .

فهمى - لقد أجبررتنى بقوة برهانك وصحيح دليلك على تصديق قولك وان كان فى نفسى بعض الاعتقاد بالقواعد السيمياوية .

شوقى - لا يجب عليك أن تعتقد بقواعد السيميا إذ أنها محض تلفيق وآخر دليل أذكره لك على قولى أنه الى الآن لم يحصل أحد من الذين اغتروا بهذا العلم واشتغلوا به على درهم واحد بل أن أغلبهم فقد القناطير المقنطرة من المال .

فهمى - حقا لقد صدقت يا أيها العزيز .
شوقى - اذا كنت صدقت قولى وتركت اعتقادك بالسيميا وخرافاتنا لزمنى اتماما للفحص أن أسألك سؤالا واحدا فهل لك أن تسمعه وتجيبنى عنه .

فهمى - سل عما تريد تجدنى لك مجيبا بقدر ما أعلم .

شوقى - وما بغيتك فى أن تكون ذا ثروة .

فهمى - لكى أعيش عيشة راضية .

شوقى - وهل تظن أن العيشة الراضية فى الثروة .

فهمى - نعم .

شوقى - وماذا تريد أن تعمل لتكون ذا ثروة .

فهمى - بما انك قفلت أمامى باب السيميا فليس لى حيلة الا أن أختلس متى توظفت .

شوقى - انه لا يسعنى الا أن أظهر لك أنى آسف على أفكارك هذه التى أبديتها فانها أسوأ الأفكار وأدناها وقد توصلك الى حضيض الذل ان قمت بتنفيذها .

فهمى - انى لا أرى فى أفكارى الا صوابا فان كنت ترى أنها خطأ فأرجعنى عنها بدلائلك القاطعة كما أرجعتنى عن اعتقادى السابق وأظهر لى الطريق المستقيم .

شوقي - اعلم يا أخى أن السعادة الحقيقية ليست فى جمع الأموال ولا كنز الدنانير بل هى فى راحة الخطر وارتياح الضمير قرب ذى مال كثير لا ينام من الليل ساعة لاشتغال أفكاره بأمر أمواله وأملكه وما عليه وما له ورب فقير ذى خُصاصة ينام الليل مرتاح البال ساكن الخاطر لا شاغل يشغله عن عبادة الله والقيام بواجباته .

إذا علمت ذلك وأضفت الى علمك هذا ان راحة الضمير وسكون السريرة لا يكونان الا بطاعة الخالق والعمل بأوامره وترك نواهيه ومعاملة الناس بالرفق واللين والقيام نحو الأهل والوطن بالواجب كل هذه الأمور التى أرشدنا اليها الدين القويم رأيت أنك مخطئ أولاً فى قولك أن السعيد هو من جمع الدنانير وثانياً فى عزمك على الاختلاس ذلك الأمر الذى لا يقبله الا كل من فسدت أخلاقه وخلع شعار الدين والشرف .

فهمى - لقد تبين لى من قولك هذا يا أخى أن أعظم هاد للإنسان فى حياته هو الدين الشريف الذى جمع من الحكم فأوعى فهل لك أن ترشدنى الى مبادئه الشريفة حتى يمكننى أن أعمل به حقيقة وبذلك تنال الأجر العظيم وأنال سعادة الدارين دار الدنيا ودار الآخرة .

شوقي - بما أنك قد اهتمت الى طريق الصواب فسأوقفك فى كل مقابلة على بعض ما يهكم من المبادئ الشريفة وعلى الله التوكل فى كل الأمور .

المطالعة فى الطريق

قد رأينا الكثير من تلامذة المدارس الابتدائية يطالعون دروسهم حال ذهابهم صباحاً للمدارس ولما كان فى هذا الأمر ضرر عليهم أردنا سياق النصيح لهم حتى يعلموا أضراره فيرجعوا عنه .

تعلمون جميعاً معشر التلامذة أن ساعة ذهابكم للمدرسة صباحاً هى الساعة التى يهرع فيها أغلب الناس بحثاً على معاشهم ويكثر فيها سير العربات والمارين زيادة عن غيرها ولذلك وجب على كل مار أن ينتبه فى سيره خوفاً من لحاق الضرر به .

وكلكم يعلم أن للعقل هو سلطان الجسم ورئيس الحرية ومدبر الأفعال الانسانية التى لا يمكنه القيام بها كلها مرة واحدة بل يدبر الأمور أمراً أمراً ولذلك فهو عاجز عن أن يفهم الدروس ويتنبه للطريق مرة واحدة فينتج عن ذلك أن الاشتغال بالمطالعة فى الطريق أمر يضر كثيراً ويلزم تجنبه .

وزيادة على ما ذكرنا فأننا لو نظرنا الى السبب الذى يحمل التلميذ منكم معشر الأبناء على المطالعة فى الطريق لعلمنا أنه عدم مذاكرته ليلاً وكسله واشتغاله باللهو واللعب وهذا ما لا يصح وقوعه من امرئ رغب المعالى وطلب شرفاً رفيعاً وقصارى القول أنه يجب عليكم أن ترجعوا عن هذه العادة وأن تعلموا بقول الشاعر :

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
يفوص البحر من قصد الآلئ ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلا من غير جد أضاع العمر في طلب المحال

باب الأناشيد الوطنية

(النشيد الثاني)

أهل المودة والسنن	هيا لكي نعلي الوطن
ونعيد مجدا قد دفن	ونفوز بالنصر المبين
هيا بجد واجتهاد	نسعى لنذكر ذا المراد
هيا ولا تبغوا العناد	فالقوت جاء ولا معين
انتم بنو النيل السعيد	ذى العز والخير المديد
فاحموه بالجد المزيد	فيكم بنيه يستعين
انتم بنوه فما لكم	لا ترفعوا ما قد هدم
وعزيز (مصر) أمامكم	(عباسنا) الحصن الحصين
هنا الأمير بجده	وبجبه بلاده
قد نال كل مراده	وغدا على (مصر) الأمين
فتشبهوا يا قومنا	بفعال روح بلادنا
كما تكون جميعنا	لثياب عز لا بسين
فالحجر لا يرضي المقام	بمكانة فيها يضام
والذل تاباه الكرام	والعز للعليا رهين
فاسسموا بمصر الى العلا	لئنال ما قد أملا
ونسود من بن الملا	ونفوز بالنصر المبين

الجزء الثامن

حمادى الأولى سنة ١٣١١

الجواهر السنية فى نظام الهيئة الاجتماعية

سبق لنا أن نشرنا بالعدد الثانى والثالث والرابع ملخص الباب الأول من كتاب (الجواهر السنية) تأليفنا وبعد ذلك لم نكتب منه شيئا فى العدد الخامس والسادس والسابع فظن الكثير أننا عزمنا على عدم كتابة ملخصه فى الجريدة كما وعدنا بذلك فى العدد الثانى الا أنه اجابة لطلب العدد العديد من الأفاضل ونظرا لكوننا لم نفكر أبدا فى عدم نشره بالجريدة قد شرعنا فى درج بقيته شيئا فشيئا ولذلك فانا نخصص الكلام فى هذا العدد وتاليه على القوة التشريعية فنقول :

الباب الثانى القوة التشريعية(١)

علم القراء مما ذكرناه سالفا أن الهيئة الحاكمة تنقسم الى قوتين : قوة تشريعية وقوة تنفيذية وأن القوة التشريعية هى أهم القوتين لأنها هى التى تسن القوانين واللوائح وهى التى تضع نظمات الحكومة وبمعنى آخر نقول أن القوة التشريعية تعد كآمر والقوة التنفيذية كماأمر يجب عليه اطاعة أوامر أمره .

وليس للقوة التشريعية فى البلاد شكل واحد فهى تختلف باختلاف الممالك وعلى كل حال فهى تابعة لدرجة حضارة الأمة فمتى فازت الأمة من الحضارة بالقدح المعلى كانت قوتها التشريعية مستقلة كمال الاستقلال متمتعة بقوة التشريع الحقيقية ولا راد لما تسن وتضع وبعبكس هذه الأمة التى عم الجهل أبناءها وتحكم الفشل بين أفرادها ترى حكومتها حكومة مستبدة طاغية وملكها ملك بيديه كامل التشريع والتنفيذ فهى بالطبع أمة محرومة من قوة تشريعية مكونة كغيرها من بعض أفراد تنتخبهم الأمة بأسرها . ولقد قال فى ذلك أحد فلاسفة اليونان ما معناه (ليس لأمة من الأمم تعد نفسها أمة الا أن كان لها مجلس ينوب عنها فى وضع اللوائح والقوانين التى تحكمها) .

(١) هى ما يقصد بها الآن السلطة التشريعية .

ولما كانت الأمة المصرية أمة لم تبلغ من الحضارة ما بلغته الأمم الأخرى الأوروبية والأمريكية كانت قوتها التشريعية أقل في الاختصاص من قوى هاته الأمم التي عمت الحرية فيها جميع الأفراد فلها الحق كبقية القوى التشريعية في وضع لوائح ومشروعات انما لا تكون تنفيذية الا بتصديق مجلس النظار وسمو الخديوى عليها .

والقوة التشريعية عندنا شرعت بالقانون النظامى المصرى الصادر بسرائى عابدين فى ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٠٠ هجرية الموافق أول مايو سنة ١٨٨٣ افرنجية وهو يشتمل على تشكيل ثلاثة مجالس .

أولا : مجالس المديرىات .

ثانيا : مجالس شورى القوانين .

ثالثا : الجمعية العمومية .

وستتكلّم على كل مجلس من هذه المجالس على الترتيب حتى اذا ما تم الكلام عليها توجناه بكيفية انتخاب أعضاء كل منها :

الفصل الأول

فى مجالس المديرىات

(اختصاص مجالس المديرىات) : يختص كل مجلس من مجالس المديرىات بالنظر فى جميع الأمور التى يكون من ورائها فائدة للمديرية التى هو مجلسها .

فلمجلس المديرية أن يقرر رسوما فوق العادة لصرفها فى أشياء تعود على المديرية بالفائدة انما لا يكون قراره تنفيذيا الا بعد تصديق الحكومة عليه .

ويجب أخذ رأى مجلس المديرية فى المسائل التى تتعلق باتجاه طرق المواصلات برا وبحرا والأعمال المتعلقة بالرى وبأحداث أو تغيير أو ابطال الموالد والأسواق فى المديرية وما أشبه ذلك .

ويجوز لمجلس المديرية أن يبدى رأيه فى عمليات الطرق والملاحة والرى وفى مشترى أو بيع أو ابدال أو انشاء أو ترميم المباني والأماكن المخصصة للمديرية أو للمجالس أو للنسجون أو لمصالح أخرى خاصة بالمديرية وفى تغيير استعمال تلك المباني أو الأماكن وله أيضا أن يبدى رأيه فى جميع المسائل التى تتعلق بتقديم المعارف العمومية والزراعة .

وأخيرا يجب على مجالس المديرىات أن تنتخب أعضاء مجلس شورى القوانين كما سيبين فيما بعد .

(التثام مجالس المديرىات) لا يلتئم أى مجلس من مجالس المديرىات الا بمقتضى

أمر من الحضرة الفخيمة الخديوية يصدر بناء على طلب المدير ، ويتعين فيه ميعاد الاجتماع ومدته ، ويجب انعقاد مجلس المديرية مرة في كل سنة بالأقل ، وفي اليوم المحدد لاجتماع مجلس المديرية يتلو المديرية عليه أمر الانعقاد ، ويحلف أعضاء المجلس المستجدون أمام المدير يمين الصداقة للحضرة الفخيمة الخديوية والطاعة للقوانين .

والمدير هو رئيس المجلس وله رأى محدود في مداولاته ويجب على باشمهندس المديرية الحضور في جلسات المجلس وله رأى ممدود أيضا .

وجلسان المجلس غير علنية أى سرية ولا تعتبر المداولة فيه قانونية الا حضره أكثر من نصف أعضائه ، ولا يجوز لأى مجلس مخاطبة غيره من المجالس فى تحرير أو نشر محاضر أو منشورات .

(فض المجلس) لا يكون فض أى مجلس الا بأمر من سمو الخديوى ومتى فض يشرع فى انتخاب جديد يكون فى الثلاثة شهور التالية لفض المجلس .

(تشكيل مجالس المديريات) : تتشكل مجالس المديريات من عدد من الأعضاء يختلف بين ثمانية وثلاثة حسب كبر المديرية .

فمجلس مديرية الغربية يتشكل وحده من ثمانية أعضاء ومجلس مديرية أسبوط من سبعة وكل من مجلس مديرية المتوفية والدقهلية والشرقية من ستة والبحيرة وجرجا من خمسة والجيزة والقليوبية وبنى سويف والمنيا وقنا واسنا من أربعة ومجلس مديرية الفيوم يتشكل من ثلاثة أعضاء فقط .

(شروط عضوية مجالس المديريات) : لا يجوز انتخاب أحد لعضوية مجلس المديرية ما لم يكن بالغاً من العمر ثلاثين عاماً كاملة على الأقل وله معرفة بالقراءة وممن يدفعون مالا مقرراً على عقارات أو أطيان فى نفس المديرية قدره خمسة آلاف قرش سنوياً على الأقل ويكون دفعه لهذا المثل من سنتين بالأقل ويلزم زيادة عن ذلك أن يكون اسمه مندرجاً فى دفتر الانتخابات منذ خمس سنوات بالأقل موظفاً بالحكومة ملكياً كان و عسكرياً وأن يكون عضواً فى مجلس مديرية آخر .

(مدة العضوية) : تعيين أعضاء مجالس المديريات هو لمدة ست سنوات ويصير تغيير نصفهم كل ثلاث سنوات ويجوز تكرار انتخابهم ويكون تغييرهم بالقرعة .

الى هنا انتهى ما يتعلق بمجالس المديريات وموعدنا بمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية العدد الآتى .



الجزء التاسع

جمادى الثانية سنة ١٣٢٢

منابع النيل

اطلعنا فى العدد الثامن من جريدة « المهندس » الغراء على نبذة تحت هذا العنوان للعلامة المفضل سعادة على باشا ابراهيم ناظر المعارف العمومية سابقا نأتى بها هنا افادة للقراء الكرام واثباتا لما يقوله كل مواطن صادق من أن مصر والسودان توأمان حقيقيان فى انفصالهما ضياع لمصرنا العزيزة قال حفظه الله :

ان نهر النيل يتكون من نهرين آتين من أقصى بلاد السودان وبلاد الحبشة وهما النيل الأبيض والنيل الأزرق ويجتمعان عند مدينة الخرطوم ويصيران نهرا واحدا يجرى من الخرطوم فى بلاد النوبة الى مصر فالبحر الأبيض المتوسط ويصب فيه .

وينقسم نهر النيل الى ثلاثة أقسام أحدها يسمى بالنيل الأعلى أو نيل السودان والحبشة وهو من منبعه الى الخرطوم . ثانيهما : يسمى بالنيل الأوسط أو نيل بلاد النوبة وهو من الخرطوم الى جزيرة بلق المسماة جزيرة فيله وقصر أنس الوجود وهى جزيرة فى النيل قبلى شلال أسوان بنحو ١٠ دقائق - ثالثها يسمى بالنيل الأدنى أو نيل مصر وهو من الجزيرة المذكورة الى البحر الأبيض المتوسط . أما النيل الأعلى فيتكون من نهرين كبيرين يجتمعان عند الخرطوم ويقال لأحدهما النهر الأبيض وثانيهما النهر الأزرق ويسمى كلا منهما بحرا عند أهالى الجهات المارين بها . فالنهر الأبيض يعتبر كأنه الأصل الحقيقى للنيل وهو يخرج من بحيرة كبيرة فى جنوبى بلاد السودان تسمى بحيرة (أو كيرفى) على حسب ما تحقق من الاكتشافات الحديثة . وهذه البحيرة تسمى نيانزا أيضا أى الماء العظيم عند أهالى البلاد المارة بها وسميت فيكتوريا نيانزا باسم ملكة الانكليز عند اكتشافها بمعرفة القبودان سبيك الانكليزى ١٨٥٨ م . وحدها الجنوبى فى ٣١ درجة من الطول الشرقى و ٧ درجات من العرض الجنوبى ويصب منها فى هذا الحد فرع متكون من السيول كثير الأوحال . وعرضها فى الجزء الجنوبى منها من ١٢٠ الى ١٤٠ كيلومترا وطولها يمتد الى شمال خط الاستواء .

ويتضح من الاكتشافات الحديثة أن النهر الأبيض يخرج من البحيرة المذكورة بثلاثة فروع ثم تجتمع فى فرع واحد يتجه نحو الشمال الغربى ويتكون شلال (جاربو) ويروى

بلاد « بارى » ويمر بعد ذلك بغابات وأجمات يتفرع فيها جملة فروع ويصب فيه جملة فروع آخر متكونة فيها السيول وأهمها (كيلاك) الآتى من غرب السودان الوسطى بعد انصباب بحر الغزال فيه و (صوبات) الآتى من شرقى بلاد الحبشة وطول مجرى النهر الأبيض من منبعه الى الخرطوم حيث يجتمع مع النهر الأزرق يبلغ أكثر من ٢٣٠٠ كيلومترا .

وأما النهر الأزرق فمنبعه بين الثلوج المحيطة بجبال القمر ببلاد الحبشة ويتجه نحو الشمال الشرقى ويختلط بجملة نهيرات متكونة من السيول فيزيد حجمه ثم يدخل بحيرة دفيقة من جنوبها ويخترقها ولسرعة جريانه لا تختلط مياهها بها وبعد خروجه منها يكون شلال (الأطه) ويمر غربى بلاد (سنغالا) ويقطع ثلاث شلالات حتى يصل الى جهة ستار فيروى بها سهولا واسعة وهناك تنصب فيه عدة مجارى ، وهذا النهر مع ما ينصب فيه من المياه لو لم يتصل به النهر الأبيض لكان ضعيف وربما كان لا يصل الى أرض مصر بل يضيع فى الرمال . فان مياه النيل الأبيض تبلغ ثلاثة أضعاف الأزرق .

وأما النيل الأوسط فيجربى مستقيما من الخرطوم مخترقا معظم بلاد النوبة الى قرية (جبرى) ثم يرسم قوس دائرة وينتهى الى جزيرة (مقراط) وفى شاطئه الشرقى بالقرب من قرية (ضامر) أو (دامر) ينصب فيه نهر (اطيرة) أو (عطبرة) ثم يجربى من جزيرة مقراط الى الجنوب ثم ينعطف الى الشمال الشرقى راسما قوس دائرة الى جزيرة (بلاق) أو (فيلة) المتقدم ذكرها مخترقا دنقلة وبلاد النوبة تكثر فيها الشلالات المعطلة لسير السفن الجارية فى النيل المتوسط فمن (رشيدى) الى (أم دراس) ثلاثة شلالات ومن (أم دراس) الى ناحية (ضال) سبعة شلالات ومن (ضال) الى (وادى حلفا) تسعة شلالات وأكبر هذه الشلالات شلالات (وادى حلفا) .

وأما النيل الأدنى أو نيل مصر فيبتدىء من جزيرة (فيلة) المذكورة سابقا حيث مبدأ مصر الأصلية . وعلى بعد ثلاثة آلاف متر تقريبا من هذه الجزيرة جهة الشمال شلالات أسوان وهو آخر الشلالات ومن أسوان يجربى النيل عموديا تقريبا من مجراه الأصلى حتى يصل الى دندرة ثم منها الى القاهرة وينعطف انعطافات كثيرة ويمر بمدن متعددة وقرى جمّة ويروى جميع أراضي مديريات الوجه القبلى الى نهاية مديرية الجيزة مباشرة أو بواسطة الترعة الخارجة منه وينقسم عند القناطر الخيرية الواقعة فى شمال القاهرة على بعد خمسة فراسخ الى فرعين أحدهما وهو الغربى يصب فى البحر المتوسط تحت مدينة رشيد والآخر الشرقى وهو الأكبر يصب فى البحر المتوسط تحت مدينة دمياط ويخرج من هذين الفرعين ترع كثيرة لرى جميع أراضي الوجه البحرى .

ويتكون بين الفرعين المذكورين مع ساحل البحر الأبيض المتوسط بسن رشيد ودمياط مثلث متسع قاعدته ستون فرسخا وارتفاعه خمسون فرسخا ، وهذا المثلث يسمى باسم دلتا الأوربيين . وأول من سماه بهذا الاسم اليونان لمشابهة شكله

لحرف دلتا اليونانى وهو حرف الدال • وهو مكون من مديرتى المنوفية والغربية
الآن •

وأما سبب فيضان النيل وزيادته فنزول أمطار دورية ببلاد الحبشة والسودان
فاذا لم تنزل الأمطار فى سنة من السنين بكثرة نقص فيضان النيل فيها بالنسبة لما
نقص من الأمطار • وتبتدى الأمطار الدورية المذكورة من شهر مارث لكن لا يظهر أثرها
فى نيل مصر الا فى شهر يونيه الافرنجي وهو شهر بؤونة القبطى • ومنشأ هذا التأخر
طول المسافة التى يقطعها الماء وما تبتلعه الرمال بحافته التى يمر فيها الى أن يصل
مصر • ويرى المصريون أن النيل يأخذ فى الزيادة عند نزول النقطة ليلة ١١ من شهر
بؤونة القبطى • ويبلغ النيل بحسب العادة الى نصف زيادته فى نحو ١٥ من أغسطس
و ١٠ مسرى ويستمر فى الزيادة الى نحو ٢٠ سبتمبر و ١١ توت وتنتهى عادة فى
يوم ١٧ توت وهو يوم الصليب ويستقر على ذلك نحو سبعة عشر يوما تقريبا ، ثم
ينقص بالتدريج وينحصر فى مجراه الأصلى مدة شهر نوفمبر الموافق بابه ثم يستمر
فى النقص الى شهر مايو من السنة التالية ثم يبقى على الحالة التى هو عليها تقريبا الى
الانقلاب الصيفى •

وأحسن زيادة للنيل فى العادة نحو ٧ أمتار و ٥٥ سنتيمترا تقريبا فوق عادة
انحطاط الماء ، فاذا كانت الزيادة كثيرة جدا تسبب عنها الغرق واذا كانت ضعيفة جدا
حصل منها الشرق • وقد نتج من تحليل ماء النيل بالطرق الكيماوية فى وقت نقصانه
أنه يشتمل على مقدار يسير من موريات الصودا وهو خفيف جدا وطعمه لذيذ ولذلك
فهو أنقى من ماء نهر السين بباريز خمس مرات •

باب الأناشيد الوطنية

مظهر الأوطان مجد	وعلاء وفخار
وزمان النيل سعد	ورخاء ويسار
رفعت مصر محالا	هو للمشرق منسار
وتحلت وتجلي	لعالها نهار
قامت الآثار فينا	بعد أن طال السرا
كشف مجدا دفيننا	ليس يعلنون غبار
يابنى الأوطان فخرا	فمعاليكم كبار
وتلقوا العصر حرا	لكم فيه اشتها
جازت النجم الاريك	وعلا التاج ازدهار
أنت عباس المليك	كيف لا ترقى الديار
لك مصر يا عزيز	ولك النيل مسار
أنت بالله عزيز	لك بالله انتصار

نشيد الحدود

وهو نشيد وضعناه قبل سفر الجناح العالى الى الحدود ولحنته الموسيقى هنا
وضربته وأنشدته العساكر فى كروسكو عندما سرفها ركابه السعيد :

السعد أقبل والمنا	مذ زارنا عباسنا
والبشر قد وافى لنا	بركابه السامى المقام
شرفت يا بدر السعود	فاستبشر أهل الحدود
وبدا على وجه الجنود	فرح يادوم لدى الدوام
فاكرم بجندك يا امير	فلأمرك السامى أسير
ولقطره أسمى نصير	واهنا به يابن الكرام
واحكم عبيدك والبلاد	بالعدل دوما والرشاد
واسلم ودم يا ذا السداد	واسعد بمصرك فى سلام

مقالات
مصطفى كامل

نصيحة وطني

(ايه يا سماسرة السوء ايه يا اعداء الانسانية ايه يا جرائيم الفساد لقد والله تماديتهم في البغى وقد تدانيتهم من كل أثم قصى تسعون في الأرض بالفساد وحتام تعظمون الصغير دون الكبير وكم هذا الارعاد والتهويل وما هي الغاية التي تسعون اليها من زرع بذور الفساد واضرام نار الفتنة بالاختلاقات الواهية والاشاعات الكاذبة والمصرى أعظم مكانه من ان تؤثر فيه عوامل المفسدين وارزل من ان تحركه يد الغايات المصرى مشهور بالصبر معروف بالسكينة موصوف بالثبات فردوا سهام أذاكم في نحوركم وانفخوا في رماد الفساد ما شئتم أن تنفخوا فلا والله لن تروا منه حركة الا بالسكون ولن تنالوا غرضاً ولو بعد العناء . (١)

(١) أكثر مصطفى كامل من كتابة المقالات ونشرها في جريدة الأهرام ونشرت أول مقالة له في العدد ٤٥٤٥ في يوم السبت ١١ فبراير ١٨٩٣ .

تعتبر هذه المقالة هي التالية للمظاهرة التي قام بها طلاب المدارس المصرية وفي مقدمتهم طلاب مدرسة الحقوق في ٢٠ يناير ١٨٩٣ مهاجمين مبنى جريدة المقطم وهي الجريدة الموالية لسلطات الاحتلال لما أظهرته من عداء للحركة الوطنية في أعقاب تولية الحديو عباس حلمي الثاني . وقد قاد هذه المظاهرة مصطفى كامل لما كان له من مقدرة وسيطرة على تحريك الطلاب . ويتناول فيها تصرفات أصحاب جريدة المقطم حيث وصفهم في البداية بأنهم سماسرة السوء وأعداء الانسانية وجرائم الفساد .

وأصحاب جريدة المقطم هم فارس نمر ، يعقوب صروف ، شاهين مكاريوس ، وقد اهتم كرومر بطلب فارس نمر لإصدار الجريدة ويعتبر هذا الإصدار الحلقة الثالثة من حلقات احكام الحصار حول الرأي العام المصرى فقد أصدر أصحاب المقطم منذ عام ١٨٨٥ مجلة المقتطف وهي مجلة علمية ثم أصدر شاهين مكاريوس مجلة اللطائف الأدبية عام ١٨٨٦ وتلاه المقطم الذي اختص بالنواحي السياسية .

وقد تزوج فارس نمر من ابنة قنصل إنجلترا بالاسكندرية عام ١٨٨٨ ثم سافر الى إنجلترا وهناك اجتمع بكبار الساسة الانجليز . لذلك فلا غرابة أن يصف نمر وجود الانجليز في مصر بأنه « أكبر نعمة لهما » .

وبذلك توفر للمحتلين - بوجود هؤلاء الشوام الثلاثة وجريدتهم - أن يقوموا يومياً بتنفيذ الأمانة المصرية والنلويح بسوء مقاصد الحديو وتكرار الاعتراف بسلطات الاحتلال . ويعترف كرومر بمحاولة المقطم لسلطات الاحتلال أثناء خلافه مع الحديو عباس حول الوزارة المصرية ، وقد كان الانجليز يدفعون أموالاً =

ورحماك أيها المصري ما أشدك على حمل النوائب وما أصعبك على فساد
المفسدين ، وطوباك ما أكثر حذرک من العواقب واطهرک على المغترين !! ، هذا العالم
ينظر اليك الان بمنظار الانتقاد فيرى المفسدين يجوسون خلال ديارك وسماصرة
السوء يدرسون عليك الدسائس ويعملون على ضررك ، وأنت مع ذلك ثابت الجأش
قوى الجنان غير مصغ الا لنداء الثبات ولا ملتفت الا الى مصلحة وطنك لكن مع
السكينة والحزم ، وبذلك يعلم العالم أنك انما اتهمت بما أنت براء منه ورميت بما
أنت بعيد عنه فيعود بالملامة والتأنيب على من رام اغتصاب حَقك بحجة ليس عليها
دليل الا الباطل ، وينصفك ممن حاول سلب استقلالك لمجرد تعلقك بحب أميرك
العزیز ووطنيتك الصادقة (١) .

= ضخمة للمقطم لاستخدامه في مصر كوسيلة لافساد الرأى العام ، ولذلك فالمقطم وأصحابه هم أول وأكبر
المدافعين عن مصالح انجلترا في مصر .

وقد كلف كرومر أصحاب المقطم يطبع تقاريره السنوية باللغة الانجليزية ثم ترجمتها للعربية والفرنسية
وتوزيعها على المشتركين بجانب نشر التقارير بكاملها في أعداد متتالية من المقطم بالصفحة الأولى .
(سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى فى القاهرة ١٩٦٨ ص ٩٦ وما بعدها)

(١) بعد انتقال السلطة من يد الخديو توفيق الى الاحتلال فى أعقاب فشل الثورة العربية أصبحت
للانجليز اليد العليا المتصرفة بكامل حريتها فى أحوال البلاد . وبعد وفاة الخديو توفيق فى ٧ يناير
١٨٩٢ وتولية ابنه الأكبر الأمير عباس - الذى استدعى من فينا حيث كان يتعلم - السلطة فى ١٦ يناير
١٨٩٢ كان أول ما صرح به الخديو عباس عند وصوله مصر أنه يفضل الموت على التنازل عن أصغر حق
من حقوقه ، بجانب أنه انتقد سياسة والده والوزارات فى عهده ، التى استكانت وسلمت مقاليد البلاد
لسلطات الاحتلال . وقد أدرك كرومر فى أولى تصريحات الخديو الجديد أنه سيكون مصرى فى تصرفاته
مختلفا عن والده ، فكانت بادرة طيبة منه ، استبشر بها المصريون ، حتى أنه فى أول صلاة جمعة له
بالمسجد الحسينى يوم ٢٢ يناير ١٨٩٥ تراحم الناس على عربته وحلوا وفاق خيولها وقاموا بجرحها بأنفسهم
حتى باب المسجد ، وذلك دليل على تطلع جماهير الشعب المصرى الى من يجاهر بحقوق مصر ولا يتنازل عن
حقوقه أمام المعتمد البريطانى .

وقد كانت الفترة الأولى من حكم عباس الثانى فترة شعور حماسى واستقلال فى الرأى ، كذلك كان
الموقف الدولى السائد فى تلك الفترة عاملا مساعدا لعباس الثانى على مناوأة سلطات الاحتلال ، فكانت
تركيا قلقة من وجود سلطات الاحتلال على أرض مصر وفرنسا تحاول استرداد ما فقدته من نفوذ فى مصر
عن طريق الخديو الشاب ، بجانب الدول صاحبة الامتيازات المالية التى كانت تخشى سيطرة بريطانيا على
مقاليد الأمور ، مما يعرضها ويعرض امتيازاتها للخطر .

الا أن الصعاب التى اعتزضت عباس الثانى فى بداية حكمه جعلته يشعر بشئ من الخوف ، وأتاحت
لنفذ السياسة البريطانية فى مصر - لورد كرومر - أن يعمل على تقليص أظافر الخديو عباس تدريجيا
حتى تم لبريطانيا ما أرادت من السيطرة عليه فيما بعد .

- أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن (القسم الأول) ج ٢ ، من ١٨٩٢ : ١٩٠٢ القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١٧ .

- جولييت آدم ، انجلترا فى مصر ، ترجمة على فهمى كامل القاهرة ، ص ١٤١ .

- عبد المنعم الجيمى ، د. الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى ١٨٩٢ - ١٩١٤ دار الكتاب
الجامعى ط ١ / القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٥١ : ٥٨ .

فاصبر أيها المصري فان الصبر من عزم الامور ، واياك والتهور مع دسائس
المفسدين ، يقول أو يفعل ، بعدما ظهر منك من الوطنية والثبات ، فوالله لسكوتك
في مثل هذه الظروف أشد على أعدائك من ضرب الحسام ، وانكى من كل نكايه وهم
انما يتذرعون بك اليك ، فصددهم لكن بالحزم وردهم لكن بالتأني وكن مع مواطنيك
من الغربيين الذين يقاسمونك السراء والضراء كما أنت عليه من الحب الدائم والالفة
النايبة (١) . فانما مواطنك وطنيا ومشاطرك الخير والضر صصفيك ، واعلم ان
سماسرة السوء يتربصون بك الشر والمحتلين ينظرون الى وطنيتك بعين الغدر ، حتى
اذا رأوا منك شررا جعلوه نارا يوقدون بها مصابيح التهويل في ظلمات الباطل ،
ليجعلوك فريسة الأعراض فتأبر على الثبات والانقياد لأميرك لكل حركة وسكون ،
وكن منه ومن رجال حكومته الظاهرين محل الثقة والأمان فلا والله لن ينالك سوء بعد
ماظهر منك ومن أميرك من الوطنية والحزم ماجعل العالم الأوربي ينظر اليك بنظر التبجيل
ويتق منك بكفاءة تخولك حرية الاستقلال (٢) والانسانية تنادى قاتل الله القسوة

(١) عمدت السياسة البريطانية في تلك الفترة الى اثاره الخلافات الدينية والقومية في كل البلاد
التي وقعت تحت استعمارها ولكنها لم تجد في مصر من خلافات طائفية تساعد على تطبيق سياستها
التقليدية ، لذلك عمدت الى استخدام أساليب جديدة لتحقيق أهدافها بالصاق تهمة التنصب الديني
بالمصريين ضد الأقليات الدينية والأجنبية . وقد دافع مصطفى كامل عن المصريين بما ينفي عنهم تلك التهم
المفرضة خاصة ما سعت اليه بريطانيا من اثاره الدول الأجنبية على مصر ، بحجة تنصب المصريين ضد
الرعايا الأجانب .

ويقول في خطبته - بتاريخ ١٣ ابريل ١٨٩٦ - « ان أعداء مصر يريدون أن يمثلونا أمام أوربا
في صورة قوم متوحشون وقد تطرقوا في هذا الادعاء بأن الأمة المصرية متعصبة ، ان الكثيرين من الأوربيين
يعيشون في القرى المصرية مختلطين مع الفلاحين ٠٠٠٠ »

« ٠٠٠٠٠٠ ان لأعدائنا مقصدين من القول بأننا معصبون في الدين وهو اهاجة غضب الأمة والقاء
بنور الشقاق بين الأوربيين والمصريين ، ولكن الأمة المصرية محافظة على السكينة عارفة بعيم الاعتدال
الديني ٠٠٠ »

وقد قامت سياسة مصطفى كامل الوطنية على الاقتناع لا على الثورة والغضب .

- ذكرى سليمان بيومي . د ، الحزب الوطني ودوره في السياسة المصرية ١٩٠٧ - ١٩٥٣ القاهرة .

ص ٤٤ .

- طارق البشري ، المسلمون والاقباط في اطار الجماعة الوطنية القاهرة - ص ٤١ : ٤٥ .

- فتحي رضوان ، مصطفى كامل ، مجموعة أقرأ دار المعارف ، ص ٢٥٤ : ٢٦٣ .

- جولييت آدم ، مرجع سابق ص ٢٤٥ - ٢٤٨ .

(٢) رأى مصطفى كامل في كفاحه الوطني ضد الاحتلال البريطاني الذي فرض نفسه كآمر واقع - أن
الحركة الوطنية لا بد لها من أن تساندتها قوة سواء من داخل أو خارج مصر لذلك رأى في الخديو
الجديد الشاب عباس حلمي الثاني قوة يتحدى بها كرومر . كذلك لمس الخديو عباس الثاني في زعامه
مصطفى كامل الوطنية والتفاف الجماهير حوله وفصاحته الخطابية سنداً له في مواجهة تعسف كرومر
ومحاولاته لسلب سلطاته ، وبذلك نرى أن كلا منهما وجد في الآخر ما يبتغيه من مساندة خاصة وأن =

والاستبداد ما أمسهما بشرف أمة الحرية وما أشر عاقبتهما من عاقبة على نابذى
العهود ، وهم قيودها وناكسوا لوعودهم معزوها فلقد كشفوا عن غايتهم الغطاء ،
وأظهروا للعالم المتمدين ما تكنه ضمائرهم من السوء ، فجلبوا على أنفسهم الضرر من
حيث ارادوا النفع ، فهيئات هيئات أن تقاد لهم بعد ذلك الرجال أو ينطلى لهم
ولأنصارهم على العقول محال .

ومهما يكن عند امرئ من خليفه وان خالها تخفى على الناس تعلم
فما علينا بعد هذا الا المثابرة والاجتهاد على دفع غاية المغرضين لكن مع
السكينة والثبات والمؤازرة لأمرنا المحبوب الذى نرجو الله تعالى أن يوفقه لكل ما
فيه خير الوطن وبنيه ان الله كريم مجيب .

= مصطفى كامل كان يسعى لتمويل حركته ماليا ، ومن هذا المنطلق أخذ مصطفى كامل يدعو المصريين
للاتفاف حول الخديو الشاب صاحب السلطة الشرعية ونائب السلطان دينيا وسياسيا .
- عبد المنعم الجميى . د - مرجع سابق ، ص ٧٣ : ٧٥ ، ١٢٩ : ١٣٥ ، ١٣٧ : ١٣٨ .

الحق يعلو ولا يعلى عليه

« لما كانت افعال الانسان غير مرنبطة بقوانين طبيعية وقواعد ثابتة ، تتمشى بها على وتيرة واحدة فانها لا تسلم من التغيير والتبديل حسب ارادة الفاعل وغايته ، كما أنها أفعال ارادية صادرة عن قصد ، وكلما صدر عن قصد فهو بالطبع قابل للتغيير ، فانك بينما ترى زيدا كريما حسن الخلق محبوبا من الناس ، اذ تراه أصبح ضنينا فاسد الخلق مذموما من الناس ، والعكس بالعكس ، وليست الغرابة فى ذلك بل الغرابة فى كيف أن الانسان مع اتصافه بالعقل والارادة وتمييزه بين الحسن والقبيح يقبل على نفسه الاتصاف بالبخل بعد الكرم ، والذم بعد الكرامة !! ذلك ما نريد معرفته والوقوف على سبيله فان قيل نه مرفوع الى ذلك بحركة اضطرارية بدون قصد ولا ارادة فيقال هذا ينافى اتصافه بالارادة وأفعاله عن قصد و ارادة كما مر والا لكانت خالية عن كل تمييز والواقع بخلاف لما أن قوة التمييز حاصلة لديه وهو قادر على ان يميز بها بين المتضادين ، فكيف اذن يقبل التحول من الحسن الى القبيح ، ومن النافع الى الضار وهو يعلم انه كذلك . هذا ما نسأل بيانه خصوصا ممن كان بالأمس ينتفع الوطن والاسلام بقلمه ولسانه فأصبح على الضد من ذلك (١) قائما بترويج المقاصد الانكليزية شاحذا غرار قلمه بنشر الفصول

(*) نشرت فى جريدة الاحرام فى العدد رقم ٤٥٥٠ بتاريخ ١٦ فبراير ١٨٩٣ .

(١) يرجح أن يكون المقصود بذلك هو الشيخ محمد عبده .

نجد أن الشيخ محمد عبده والخديو وكرومر وجد كل فى الآخر ما يستغله لتحقيق هدفه ضد الطرف الآخر . فقد استغل كرومر فى الشيخ محمد عبده وما ينادى به من حركات اصلاحية - سواء للازهر أو التعليم والادارة - ما يشغل الراى العام عن متابعة المخططات الاستعمارية فى مصر وتدليلا للدول الاوربية على وجود حجة جديدة للبقاء وإطالة أمد الاحتلال . أما الشيخ محمد عبده فرأى فى كرومر وسيلة لغرب سلطة الخديو خاصة بعد سوء العلاقات بينهما بسبب حادث الأوقاف - الذى دمر العلاقة بين الشيخ والخديو وعلى أثرها أيد الخديو موقف مشايخ الازهر المعارضين لاصلاحات الشيخ بل ودفعهم لكتابة الشكاوى ضده مما دفع الشيخ الى الاستقالة من مجلس الازهر ، خاصة وان الخديو نفسه بدأ فى الاعتماد عن الحركة الوطنية واتجه لاستغلال منصبه لجمع المال . لذلك التقى كل من الشيخ محمد عبده وكرومر على هدف ضرب سلطة الخديو . الا أننا نرى أن الاسنفادة التى حققها كرومر من صداقته للشيخ تفوق =

الطوال المزخرفة بعرض الكلام وطويلة مملوءة بألف دليل مجسم يقالب الغرض يظهر لدى ادنى تأمل أنه صورة مجردة الباطن عن روح الحقيقة وجوهر الصدق مغمى به بسفاسف من القول يقصد بها الاستدلال على حسن مقاصد المحتلين وسلامة نيتهم على المصريين خلافا لما قام عليه البرهان الحسى لدى العالم أجمع ، من أنها مقاصد ليست من السلامة على شيء بدليل ما هو مشاهد من حركات الحكومة الانكليزية وأعمال رجالها في هذا القطر واحاطتهم بدوائر الحكومات الملكية والعسكرية احاطة السوار بالمعتصم واستئثارهم بمصالح الأهلى استئثار من غلب على طبعه الطمع وتولاه الغرور ثم اجتهدهم فى اماتة كل عنصر حى مصرى وتويعه بعنصر انكليزى تطلعا للسلطة المحلية التى كادوا يتوصلون لجعلها سلطة انكليزية فعلا مصرية اسما كل ذلك بحجة الاصلاح وتسترا باسم المحافظة على الأمن والحقوق ولنا بحادثة الوزارة الأخيرة وتناولهم لسلب حقوق الحضرة الحديوية (١) • لو لم يحل

= تماما ما حققه الشيخ من صداقته لكرومر ، فقد وجد فى الشيخ أداة جيدة تكره طبقة الباشوات ولكن فى نفس الوقت وطنيا صادقا يسعى بجهد للاصلاحات الجادة وهو ما تحاشاه كرومر أى أنه أخذ ولم يعط بقدر ما أخذ •

وقد كان من الاجدى أن يلتقى اتجاه الشيخ محمد عبده مع اتجاه مصطفى كامل فى اثارة الشعور الوطنى ضد الاحتلال مستخدمين ركيزة احياء التقاليد الاسلامية دون الاتجاه للغرب • الا أن كرومر عمل على الا يلتقى الهدفان المصريان بقدر ما سعى لتشجيع الهجوم على الحديو الذى لم يكن يملك من الصلاحيات الدستورية الا فى نطاق ما تسمح به سلطات الاحتلال • لذلك وجد الشيخ محمد عبده أن فى أسلوبه هذا اضاءة للوقت مع استبداد الحديو وقبضة سلطات الاحتلال وجود مشايخ الأزهر الذين رفضوا اصلاحاته • ورأى أن الصدام وشيك مع الحديو اذا ما استمر فى خطواته الاصلاحية فاتجه للوجهة الأخرى وهى كرومر فى محاولة لاتقاء بطش الحديو • وقد رأى الشيخ فى موازنته تلك بين سلطة الاحتلال والسلطة الشرعية سبيلا للاطاحة بهما معا حتى وان بدا ذلك فى نظر الاتجاه الوطنى - خاصة مصطفى كامل الذى ملا الساحة الوطنية بتحريضه الجماهير ومطالبته العلنية بالجلاء - خيانة للحركة الوطنية المصرية وهجوما على الشيخ محمد عبده •

ـ د • زكريا سليمان بيومى ، النيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين دراسة تاريخية فى فكر الشيخ محمد عبده ، مصر النهضة ، مطبوعات مركز تاريخ مصر القاهرة - ١٩٨٣ ، ص ٨١ - ٨٥ •
ـ عبد المنعم الجميلى . مرجع سابق ، ص ١٠٤ - ١١٣ •

ـ وشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ، ط ١ ١٣٢٤ هـ ، ص ٥٦٩ : ٥٧٤ •

ص ٤٩٧ و ٤٩٨ - ٥٦٩ : ٥٧٤ و ص ٥٨٠ : ٥٨٨ •

ـ أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، ق ٢ مطبعة مصر القاهرة ١٩٣٦ ، ص ٣٥ - ٣٩ •

(١) انتهز الحديو عباس أن صحة مصطفى فهمى - الذى كان معروفا بميله الانكليزية - لانتناسب مع المهام الوطنية فارسل اليه مع محمود شكرى باشا رسالة يطالبه بالاستقالة نظرا لظروفه تلك ، ولكن مصطفى فهمى رفض هذا الطلب وارسل للحديو عباس ردا غاية فى الاستخفاف ؟ وهو أن عليه استشارة اللورد كرومر فى طلب الاستعفاء هذا • وكان رد مصطفى فهمى هذا كفيلا باثارة غضب الحديو الذى أصدر قرار اقالة مصطفى فهمى وتكليف حسين فخرى ناظر الحفانية بتأليف وزارة جديدة • ورأى كرومر فى تصرف الحديو هذا محاولة لضرب النفوذ البريطانى ، لذلك ذهب كرومر لمقابلة الحديو واعترض على

دونهم حزمها العظيم شاهد عدل يؤيد ما هم عليه من فساد المقاصد وسوء النية ودخض ما يابيه أنصارهم من الترهات الأمر الذى أيقظ المصرى من غفلة طول الأمل ، وفيه فيه عواطف الوطنية بعد الذبول ، فتحركه فيه روح الشهامة تحت على الرزانة والسكون. لتعضيد أمره العزيز الذى أحيا فى قلوب المصريين عنصر الأمل ، وأوقف تيار الغايات الانكليزية بنهضته الشريفة ودرايته العظيمة حتى قامت بين الانكليز قيامة الإبهام والتعزيز وسلخوا فى هذه المسألة من تلوين الأفعال والاقوال ، كل مذهب كى لا يفتضح بين الدول أمرهم ولا ينكشف لعالم الانسانية على مرسح القسوة والاستبداد ، سترهم وهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ، اذ ظهرت لدى جميع الدول نتائج ما تكنه السياسة الانكليزية لوادى النيل واتضح الحق لقوم يبصرون والحق يعلو ولا يعلى عليه . فأقامت الدول ذات الشأن على حكومة انكلترا النكير وارسلت عليها من أفواه الحق أعظم نذير فأخذها من ذلك المقيم المقعد حتى قام رجالها فى مصر يطالبون جرائدهم المصرية اسما والانكليزية صبغة بحق المدافعة المبتاعة منهم بالأصفر ذى الوجهين (١) فتقدموا اليها بان تطلع فى الظلمه شمساً وتلبس الحق بالباطل لكى يسندوا حجتهم من مصرية تلك الجرائد الى برهان يقررون به الاقهام ويبنون عليه صروح الاوهام ولكن هيهات هيهات فقد عرف المصرى بعد طول التجارب عدوه من صديقه فلا ينطلى عليه

= ما حدث معلنا أن من حق بريطانيا - طبقاً لنشور جرافيل ١٨٨٣ - اختيار الوزراء ، ولكن الخديو رد عليه بحقه الشرعى طبقاً للفرمانات السلطانية بحريته فى اختيار وزرائه . وأدى ذلك الى حدوث أزمة وتمسك عباس بموقفه . ولكن على وعد منه لكرومر بعدم نشر التشكيل الوزارى الجديد فى الجريدة الرسمية للتشاور مع الخارجية البريطانية التى أرسلت ردها بتأييد موقف كرومر ، قرأت السلطات البريطانية أن فى تصرف الخديو هذا بدون استشارتها اعتزازاً لمركزها سيتبعه تمكن الخديو من الحصول على مكاسب أخرى ، وبالتالي ضياع نفوذ انكلترا . لذلك عاد كرومر وقابل الخديو يوم ١٧ يناير وأبلغه بالبرقية التى وصلته من حكومته ولكن عباس رفض رد الحكومة البريطانية واعتراضها على تغيير مصطفى فهمى ، وبذلك زادت الأزمة حدة وحاول حسين فخرى تقديم استقالته انقاذاً لعرش الخديو ، وفى نفس الوقت رأى كرومر بعد زيارة بطرس باشا غالى وتيجران باشا ملتصمين التساهل فى حل الأزمة - أنه من الممكن عدم التمسك بمودة مصطفى فهمى للوزارة على أن يعزل حسين فخرى ويتم تعيين رياض باشا ويقدم الخديو بلاغاً رسمياً - مكتوبة صيغته بعرفة كرومر - يبدى فيه رغبته فى أفضل العلاقات الودية مع الحكومة البريطانية وان يتبع فى المستقبل تصانحها .

- د عبد المنعم الجيمى ، مرجع سابق ، ص ٦٥ : ٧٥ .

(١) المفضود بها جريدة المقطم وأصحابها الشوام فارس نمر ، يعقوب صروف ، وشاهين مكاريوس ، حيث اتخذ المحتلون من جريدتهم المقطم بوقاً للدعاية البريطانية ، والخط من مدر الحركة الوطنية وقادتها وحكام مصر والدولة العثمانية ، أى احداث بلبلة وارباك للرأى العام المصرى ليصبح فريسة سهلة يمكن تطويقها لرغبات ومؤثرات الاحتلال . والاصغر المراد هنا هو الجنية الذهبى أى المال .

- د سامى عزيز المرجع السابق القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٩٦ : ١٠٦ .

- الياس زاخورة ، مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر مصر القاهرة ١٨٩٧ ، ج ٣ ، ص ٥٣٣ ،

٥٣٤

محال المدلسين ولا تغريه سفساف الاقلام وسبرت دول أوزبا حقيقة المسئلة فهي في غنى عن أخذها من مصادر الباطل وتلقيها من سماسرة السوء .

وعسى أن يكون ذلك كله عبرة لأولئك المدلسين الذين يعلمون أن الحق حق وأن الباطل كان زهوقا فيسلكون السبيل الأحاط للذمة والشرف ويخدموا الوطن خدمة صادقة نغنيهم عن التطفل على موائد الانكليز والتسول من أيدي الغريب ولكن رحم الله من قال وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء .

مع أنه وأيم الله لا يضيع عند المصرى جميل وهو حفظ الناس على من حفظه واحبهم لمن أحسن لوطنه كما أنه أبعدهم عن اراده بسوء .

وبالاجمال فلا يفيد الحكومة الانكليزية بعد هذا كله الا العدول عن سياسة العنف وسلوك سبيل الانسانية بقيائها بحق الوعود المتكررة بالجلاء عن مصر (١)،

(١) منذ ظهور ما يسمى المسألة المصرية ١٨٧٥ لم يوجد ما يبرر الاعتداء البريطاني على مصر سوى المصلحة الاستعمارية ويقول « المستر ادوارد ديسى » فى بداية العلاقات المصرية البريطانية « ٠٠٠ اذا قدر لنا أن يتزعزع مركزنا فى مصر فاننا لا نستطيع أن نورد أمام محكمة دولية أى مسوغ قانونى لعملنا ، فعلىنا أن نكتب تاريخنا من جديد .

إذا كنت تاجرا وكنت لا تريد الافلاس فلا تسر فى عملك على تعاليم المسيحية الأولى . وإن انجلترا لا تتجر فحسب ٠٠٠ الخ ، وفى هذا القول ما يوضح الأسلوب البريطانى تجاه مصر منذ بداية العلاقات المصرية البريطانية الذى لم تراع فيه مصلحة قط سوى مصلحتها الاستعمارية .

وفى بداية احتلال انجلترا لمصر وجد الساسة الانجليز ان موقفهم هذا غير ثابت أمام الرأى العام الأوربى والرأى العام البريطانى نفسه فآخذوا يمطرون العالم تأكيدات وتصريحات مؤداها ان وجود الانجليز بمصر وجود مؤقت ، وقد نفى جلادستون فى إحدى خطبه بالبرلمان البريطانى وجود نية البقاء طويلا فى مصر ثم تبعه تصريح لورد جرانفيل للسفير الايطالى ينفى نية انجلترا بسط حيازتها على مصر . وفى نوفمبر من نفس العام ١٨٨٢ أكد جلادستون أن الحكومة الانجليزية ستحدد منذ الاحتلال بشروط سيتفق عليها مع الحكومة المصرية . وفى يناير ١٨٨٣ أعاد لورد جرانفيل هذه التأكيدات فى رسالة بعث بها للدول الكبرى وصرح « ٠٠ إذا كان بمصر فى الوقت الحاضر قوة بريطانية تحافظ على السكينة والأمن العام فإن حكومة جلالة الملكة ترغب فى سحب هذه القوة بمجرد أن تسمح حالة البلاد ، وبمجرد وضع الأساليب والطرق التى نضمن المحافظة على سلطة الخديوى ٠٠ » وفى سنة ١٨٨٤ صرح السير بارتج « ان حكومة جلالة الملكة لا تريد أن تأخذ بزمام الحكم فى مصر لا بصفة دائمة بمعنى ضم البلاد لأملاكها ولا بصفة مؤقتة بمعنى بسط الحماية ٠٠٠) وفى نفس الوقت صرح لورد جرانفيل الى مسيو ودنجنون السفير الفرنسى « ٠٠ ان حكومة جلالة الملكة تريد سحب جنودها أوائل ١٨٨٨ بشرط أن ترى الدول أنه لا يخشى من ذلك على السلم والنظام ٠٠٠٠ » وفى عام ١٨٨٦ صرح لورد سالسبرى « ٠٠ انه يجدر بإنجلترا أن تفي بوعودها المقدسة وتجلو عن الأراضي المصرية » .

وقد يعتقد بعض المؤرخين أن تصريحات انجلترا هذه فى بداية احتلالها لمصر لم تكن على بينة من أمرها أو حسمت موقفها من مصر ، وإنما يعتقد أن انجلترا كانت تعرف تماما ما تريد وتضع مصر نصب عينها ، فمصر هى الطريق بين الشرق - حيث مستعمراتها فى الهند والغرب حيث مصالحها فى البحر المتوسط وأعلى البحار وكذلك ما يضيفه وضع مصر الجغرافى بالنسبة لأنها مدخل لمعق القارة الافريقية =

لكى يندمل جرح المصريين فيكونوا جميعهم لها من الشاكرين فقد رأت من النهضة
المصرية والحزم العباسى ما يدحض القول بأن لا رجال فى مصر ويقطع دون اهتمام
كل رجاء فلا سبيل بعد ذلك لغير معاملتهم بالجميل والله الموفق فى كل حال .

= الفنية بمواردها الطبيعية وهو ما كانت تسعى اليه انجلترا . أما كثرة ما قيل من صريحات فهو حتما
، مجرد تهديئة للخواطر والأمر سواء بالنسبة للرأى العام العالمى أو المصرى أو البريطانى الشعبى حيث
نتمكن من فرض الأمر الواقع سواء باللين أو بالقوة أو بالتقادم .
- تيودور روزشتين ، تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥ - ١٩١٠ ، ترجمة عبد الحميد المبادئ ومحمد
بدراى ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣٢ .

اوراق مصطفى كامل - ٨١

المدنية وتعميم التعليم *

مهما بحثنا في تواريخ الامم ، ونظرنا في آثار الانسان ، لا نجد أمة عظيمة قامت على الأرض وتوفرت لديها وسائل القوة والنجاح الا بالعلم (١) ، ولا نرى أثرا جليلا الا وينبئنا عما لصاحبه من القدر ، وما كان عليه من علو الهمم . هذا المشرق لقد مضى عليه في عهد شببيته وزمان زهرة ونضرتة أجيال تدرجت في مهدها المدنية حتى بلغت أشدها من الكمال وقامت فيها للمعارف والعلوم سوق تزاحم فيها الشعوب الشرقية تزاحم الورود على الماء الزلال ، فاستكملوا أسباب الترقى ومهدوا سبل العمران فتوفرت لديهم وسائل القوة والنجاح ، فشيدوا الممالك وعمرؤا الأمصار وأقاموا للتمدن بقوة الحياة الأدبية دعائم ما كانت لتقوى على هدمها عادات السنين والأيام ، لو لم يكن النقص مقارنا للكمال والدهر لا يستقيم على حال .

— اذا تم شيء بدا نقصه — — — — —
ترقب زوالا اذا قيل تم

(*) نشرت بجريدة الاهرام يوم الجمعة ٢٤ فبراير ١٨٩٣ .

(١) كانت حالة التعليم في مصر سيئة للغاية ، اذ عمد الانجليز منذ دخولهم مصر الى سياسة اضعاف التعليم ، وقصر نشاط المدارس على مجرد تخريج كتبة للدواوين الحكومية ، أما التعليم في حد ذاته فلم يكن هدفا لانجلترا في مصر ، حتى لا تكون هناك أصوات متملة تنادى بمصلحة البلاد دون مصلحتها ، وأصبح التعليم مجرد « نجلزة » للمصريين ، بل لقد وصل الأمر الى إلغاء التعليم المجاني في مدارس الأوقاف ، وأصبح برنامج التدريس لا يزيد عن القراءة والكتابة والحساب البسيط ، لذلك اتجهت دعوة مصطفى كامل لحث الأمة على نشر التعليم القومي في أرجاء البلاد ، حتى تقوى الروح الوطنية في نفوس الشباب ، ودعا الاغنياء الى انشاء واقامة المدارس الأهلية على نفقتهم . وأول من لبى تلك الدعوة هو حسين بك القرشولي أحد أعيان القاهرة الذي أسس مدرسة على نفقته بالعلمية . ثم تلاه كل من محمد أفندي سعيد التومي وأحمد أفندي صادق ، اللذان أسسا مدرسة في باب الشعرية في يناير ١٨٩٩ .

— تيودور روزشتين ، تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده ، تعريب على أحمد شكرى ص ٤٦٩ : ٤٨٤ .

— عبد الرحمن الرافعي ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

— المجلة التاريخية ، مصطفى كامل ، بحوث القيت في الندوة بمناسبة مرور مائة عام على مولده ،

القاهرة ١٩٧٦ ، صلاح عيسى ، مصطفى كامل وقضايا الإصلاح الاجتماعي ص ١٧٩ — ١٨٧ .

حيث عبتت بهم بعد ذلك يد الاسنغراق في نعيم الرفاهة والتلهى عن المعارف والعلوم ، بالنحاسد الذميم فتطرق الى نظامهم الخلل ، وأخذت عوامل الانقسام والتقهقر تتولى على الشرق ومازال يضعف نوره وتتراخى قواه حتى ظهور الاسلام وقيام الأمة العربية بخدمة المدنية والعلم خير قيام . اذ عاد مظهر المشرق وقتئذ بمظهر جديد ودبت في عناصره روح الحياة ، فاستقامت له الأحوال وتحلى من المدنية بحل البهاء والكمال ، اذا لم يترك الخلفاء فى عصرهم وسيلة من وسائل تعميم التعليم الا اتخدوها ، ولا طريقة لبث انوار المعارف الا سلكوها فشيّدوا المدارس ورتّبوا لها المرتبات وتقدّموا لأهل الفضل بترجمة الكتب العلمية من جميع اللغات ورغبوا الناس فى الاقبال عليها والاقتباس من فوائدها ، فراجت سوق العلوم ، واينعت رياض الفنون ، وكثرت التآليف والتصانيف ، فعمت الرغبة فى العلم وتوفرت بذلك مواد القوة للخلفاء فدوخوا الممالك وعمرّوا المسالك ، وأصبحت الأمة العربية فى أقل من جيل وقد ملأت الخافقين ديناً ولغة وعلماً وأدباً وسياسة وغير ذلك من الأمور التى هى نتيجة تعميم التعليم ، ومثابرة الخلفاء على بث روح المعارف والعلوم بين الناس ، وانقائهم لترويج مقاصدهم وإدارة مهام الأعمال خيرة الرجال وأفاضل الناس ومشاركهم فى كل عمل لفظاحل العلماء ومشاهير الفضلاء حتى كانت الممالك العربية فى أيام زهوها محفوفة بأهل العلم مشيدة على دعائم النجاح مشرقة بأنوار الفضيلة والفضل .

نعم ذلك لم يدم للشرق ، لكن لما طرأ عليه من العوارض الكثيرة حينما تغيرت الأعمال وساءت نيات الرجال فتقلص ظل العلم الا لدى الخاصة الذين استعملوه لغير وجهته وحملوه على غير محمله ، فشوهوا وجه الفضيلة ، وكانوا سبباً لتداعى أركان العلم ، وزوال صولة الملة فتلاعبت بالأهم الشرقية من ذلك الحين أيدى التفريق وعم بينهم الجهل وما زالت بهم الحال بين ادبار واقبال حتى قضى على بقية ما لديهم أو كاد ، بقبام الأمم الغربية وظهور المدنية الأوروبية التى تأسست على قواعد حفظ لثباتها ، وأضمن لاستمرارها وأهم تلك القواعد تعميم التعليم بطرق سهلة ووسائل مقبولة كافلة لحسن مستقبل الشعوب الغربية حتى كان من نتائجها التدريجية ما نراه الآن من انتشار المبادئ العلمية بين جميع طبقات الناس من أولئك الشعوب ومشاركتهم للهيئة الحاكمة فى كل عمل (١) مقتضاه جر المنفعة للوطن أو دفع الضرر عنه

(١) كان مصطفى كامل فى رفضه لسياسة الاحتلال يسعى دائماً لفكرة تكوين حكومة وطنية معيدة ، فكما أن التقدم الحضارى فى ظل الاستعباد والاستعمار مرفوض من الجهة الوطنية بقيادة مصطفى كامل فإن الاستبداد الوطنى كذلك مرفوض ، لذلك كان مصطفى كامل ينادى بحكومة ديمقراطية كالحكومات الأوروبية التى ننسب لها على عادتنا من واجبات أمام شعوبها . بجانب أن الهيئة الحاكمة فى كل بلد إنما هى جزء لا يتجزأ من الهيئة المحكومة لا فارق بينهما ولا امتيازات للأخرى على حساب الأمة فالهيئة فى نظر مصطفى كامل - الحاكمة والمحكومة - إنما هما هيئتان متبادلان للمصالح والخدمات متبادلة النتيجة فهما بينهما فالمحكومة خادمة للسعب ، أما الاستبداد فهو قابل للنوغ والروح الوطنية ويطالب بأن =

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الاهمية التى أقلها مراقبة أعمال الهيئة الحاكمة ، والزامها بالسير على طريق السلامة فى جميع الاحوال ، لئلا يحدو بها استئثارها بالعلم الى جعل الهيئة المحكومة آلة صماء تضعها يد الأغراض حيث شاءت .

اذ من المقرر أن كل هيئة حاكمة لابد أن تكون عالمة ، والعلم اذا لم يكن مقرونا بالفضيلة أو العمل يؤدي بصاحبه الى استعماله فى غير وجهته فى كثير من الأحيان ، فاذا استأثرت الهيئة الحاكمة بالعلم دون الهيئة المحكومة وكان علم أفرادها غير مقرون بالفضيلة وهو الأغلب يتصرفون بمصالح الرعية تصرفا لا يحتمل اتيانه بنتيجة حسنة قط .

وأما اذا كانت مبادئ العلوم عامة بين أفراد الهيئة كما هى لدى الهيئة الحاكمة ، فلا يمكن للأول أن تستعمل علمها بأية وجهة يتأتى عنها ضرر الثانية مادامت مشاركة لها فى العلم ، ورقبية عليها فى كل عمل لا فى بعض احوال خفية ربما يتعذر وقوف العامة عليها .

ولا يستغرب قولنا (وهو الاغلب) اذ قل أن تجتمع الفضيلة والعلم الا بما استثنى منه افراد يعدون على الأنامل فى كل هيئة حاكمة مهما تنوعت أشكالها ، ولا حاجة بنا الى أن نستدل على صحة ذلك بأكثر المسائل الاختلاسية الراهنة كالمسألة البانامية فى فرنسا ومسألة مصارف التوزيع فى إيطاليا ومسألة السلاح فى ألمانيا (١) . فانها جميعا لم تصدر الا عن اعظم رجال تلك الأمم المتصدرين فى

= تكون الأمة هى صاحبة الكلمة العليا فان رضيت الأمة عن عمال الحكومة طسولوا فى مراكزهم يؤدون واجباتهم أما ان حادوا عن ذلك فتنزلهم أمهم . وبذلك ترى أن رؤية مصطفى كامل للمسألة المصرية ككل ليست فى وجود الاحتلال البريطانى فقط بل أيضا تأخر الشعب المصرى فى ادراك حقوقه الشرعية وذلك لا يتحقق الا عن طريق تطوير التعليم خاصة الذى يؤدى الى بناء الاقتصاد المصرى وتعنى به التعليم الفنى صناعى وزراعى وتجارى .

— مجلة الجمعية التاريخية ، مجموعة بحوث ألعبت فى الندوة بمناسبة مرور مائة عام على مولد مصطفى كامل ، صلاح عيسى ، مصطفى كامل وقضايا الإصلاح الاجتماعى ص ١٨٢ — ١٩١ .

(١) تعرضت حركة النهضة التى تولاهما مصطفى كامل لكثير من عوامل الاحباط ، منها عدم أمانة من حوله ، فساق بعض الأدلة على قيام السلبيات فى الدول الأوربية نفسها ، فبعد نجاح حفر واقتراح قناة السويس فى مصر دعا فرديناند ديلسبس الشعب الفرنسى للاكتتاب لفتح قناة بناما فى أمريكا الوسطى للوصل بين المحيطين الهادى والأطلنطى ، إلا أن الشركة المكلفة بأعمال الحفر توقفت عن المشروع وأعلنت إفلاسها عام ١٨٩٢ ، وذلك بسبب التلاعب فى حسابات وأموال المشروع مما أدى الى فضيحة مالية وهياح 'رأى العام الفرنسى' .

— أنور الرفاعى وشاكر مصطفى ، العالم الحديث القاهرة ، ص ٢٠٠ .

كما نحد أنه بالسببة لقطاعات الحياة الاقتصادية الإيطالية الرئيسية كانت يد ألمانيا تسيطر عليها تماما فكانت مشروعات المصارف الإيطالية فى أيدي عدد من المصارف الألمانية وأشهرها « المصرف التجارى » =

اليهية الحاكمة الذين لم يتوصلوا الى المناصب العالية التى وسدت اليهم الا بشهرتهم بالعلم وكفاءتهم للرئاسة ومع ذلك فحيث تحرر علمهم عن الفضيلة فعلمهم كان مخالفا لها أيضا الا أنهم لما كانوا فى هيئة حاكمة لن تستأثر بالعلم دونه اليهية المحكومة فقد افتضح أمرهم وكشف الحق سترهم فجوزوا بعملهم حين لم ينفعهم علمهم ولو صدر عنهم ذلك فى شعب عم فيه الجهل وانفردت حكامه بالسلطة والعلم فاستعملوها فى سبيل الغاية لما أصابهم شيء من ذلك مهما تماردوا فى سلب الأمة وخراب البلاد .

ومما اعتبر من أركان المدنية الغربية وأهم أسباب انتشار المعارف لدى الشعوب الأوروبية حرية المطبوعات (١) ، وأخصها الجرائد سياسية كانت أو علمية فانها قامت بخدمة المدنية والعلم خير قيام وكانت هى الوصلة الحقيقية بين الحاكم والمحكوم لبث الأولى لأنوار الفضيلة والعلم بين الناس ومراقبة الثانية لأعمال العمال فى اليهية الحاكمة ، لا يقاومهم عند حد الواجب وتطهيرهم من درن الغرور ، فتراهم محاسبين بسببها على كل ما يصدر عنهم من الأعمال ، متوخين طرق الحكمة فى كل حركة وسكون ، فلا يتجرأ أحدهم على أى عمل يخالف مبدأ الاستقامة ، ويضر بصالح الشعب والمملكة ، مادامت الجرائد الصادقة معدة صفحاتها لقيده أعماله ونقد أفعاله ، خدمة للحق وقياما بالواجب حتى تبودلت الثقة لذلك بين الهيئتين الحاكمة والمحكومة فتساعدتا على كل ما من شأنه جلب المنافع العمومية والاستمسك بواجب الحقوق الوطنية وأصبحت الجرائد لدى الشعوب المتمدنة من أهم ما تدعو اليه الحاجة وتقوم به حياة الشعب الأدبية ، وتدور عليه رعى السياسة

= الذى أنشئ عام ١٨٩٤ بإشراف بليشرودر Bleichroeder رجل مصارف بسمارك ، وكان هذا المصرف هو الذى يساعد المشروعات الألمانية الكبرى الخاصة بالكهرباء وكان له نفوذ على مصانع صناعة الاسلحة يدك يمتلك أغلب الاسهم فى الشركة العامة الإيطالية للملاحة مما ساعد على تزايد النفوذ الاقتصادى الألماني فى إيطاليا .

— بيير رنوفان ، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ — ١٩١٤ ، نعيب جلال يحيى ط ٢ القاهرة ١٩٧١ ص ٨٦٣ ، ٨٦٤ .

(١) ضرب مصطفى كامل على هذا الوتر كرد فعل لموقف الاحتلال من الصحافة فى مصر وتكبيها بالمصادرة تارة وبالفوانين الجائرة تارة أخرى ، فمعد وضع الاحتلال قدمه فى مصر عطل الصحف الوطنية الموالية للعرايين وصدر أمر ناظر الداخلية فى ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢ بالغاء جريدتى (الزمان والسفير) . بل وتمقي السلطة للصحف العربية المصرية التى كانت تطبع فى الخارج أيضا كمجلة (أبو نضاره بالعروة الوثقى) .

ولقد كان المحتلون متشددون فى تعرضهم للصحافة المصرية رغم توصية لورد دفرين لهم بمنحها (حرية تامة) معتمدين على جدول الضغط القديمة التى بذرها الخديو توفيق بسنه فانوا المطبوعات ١٨٨١ .

(ولزيد من المعلومات فى هذا الموقف يمكن الرجوع الى : سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى) ص ص ٧٥ : ٨٧ .

فهى مجرى أقلام الكتاب ، ومطمع نظر الساسة ؛ ومنعكس أشعة أفكار العلماء ؛ وبها تعلن جلائل الأعمال ، وتشتهر مناقب الرجال كما أن فيها تعدد الحسنات وتحصر السيئات ، فهى لذلك مصباح الاسترشاد وهرة الأفكار وداعية الرهبه والتهديب والباعثة على الرغبة والنشاط .

ربالاجمال فما ذكرناه هو أقل ما ترتب على تعميم التعليم وحرية الجرائد فى أوروبا فضلا عما نتج عن ذلك من توسع الشعوب الأوربيه فى جميع الفنون العلمية وترقيتهم من المدنية الى درجة جعلت الشرق يند ذك المجد الباذح فى حاجة للغرب حتى بالضروريات الحيوية وهذا لعمر الحق انذار كان لنا .

وأنا ليسرنا معاشر العثمانيين (١) ما نراه من جلالة مولانا أمير المؤمنين الذى أحيا فى قلوب الأمة الضعيفة الأمل وأعاد للشرقين أيام الخلفاء الأول من الاهتمام بهذين الأمرين العظيمين وخصصهما ، تعميم التعليم وتوجيهه العناية الفائقة بإنشاء المدارس ونشر العلوم والمعارف فى جميع أنحاء السلطنة السنية ، حتى أننا لذى (٢) المدارس التى أنشئت فى عهده السعيد على مصرف الحكومة لا تقل مادة التعليم فيها عن مثلها من مدارس أوروبا وذلك ما يبشرنا بكل مستقبل حسن ان شاء الله تعالى ، لا أنه يعوزنا لتدارك خطر المدنية الأوروبية والوصول الى الغاية المطلوبة سلوك طريق لتعميم التعليم أقرب سرعة واستعمال وسائل أعم فائدة ان الوسائل المتخذة لذلك الآن سواء كانت جبرية أو نرغيبية غير وافية بغرض أمير المؤمنين الذى من

(١) بدأت الحركة السياسية فى مصر آنئذ مصرية صرفة ولكن سقطت مصر تحت وطأة الاحتلال البريطانى وققدانها حريتها حولها الى حركة مستقلة بالحركة الاسلامية (الجامعة الاسلامية) وهذا التحول طبيعى اذ أنه بالضرورة أن ينحول المصريون الذين ففدوا حريتهم واستقلالهم تحت وطأة الاحتلال المختلف عنهم فى الدين والعادات الى الدولة العثمانية باعتبارها متماثلة معهم فى الدين ومتقاربة فى التقاليد وقد استقبلت الدولة العثمانية ذلك التقارب بكل تضيق بل وساندت فكرة الجامعة الاسلامية .

وقد رأى مصطفى كامل فى الدين الاسلامى داعما ومحركا للقومية المصرية فى مواجهة التيار الغربى الذى اندفع مع المحتلين والذين حاولوا هم فرضه على المجتمع المصرى بشتى الأساليب ومن هذا المنطلق دعا وعمل على تأصيل ودعم الحركة الوطنية المصرية باندولة العثمانية داخل اطار فكره الجامعة الاسلامية التى دعا اليها جمال الافغانى والشيخ محمد عبده وعبد الله الديم وعبد الرحمن الكواكبي . ولقيب دعوة مصطفى كامل بصورتها هذه استجابة كبرى من الشعوب والدول الاسلامية ، وقد رأى مصطفى كامل فى تشييعه للدولة العثمانية الخطوة الأولى التى يجب أن تتخذها مصر فى طريقها نحو التخلص من الاحتلال ثم بعد ذلك تصبغ الأمور أكثر يسرا للتخلص من التبعية العثمانية .

الا أن دعوته بتلك الصورة وجدت من يعارضها ورأوا فى ذلك استبدال التبعية لانتجترا بالتبعية العثمانية وأن ما يطالب به مصطفى كامل هو استقلال ناقص التكوين ومن ثم باتت مأخذا عليه .

— الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مصطفى كامل ، بحوث القيت بمناسبة مرور مائة عام على مولده ١٨٧٤ — ١٩٧٤ ، الفكر السياسى لمصطفى كامل ، محمد محمود السروجى ص ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) جاءت فى الأمل هكذا وصحتها « لئى » .

مقتضى ارادته السامية نعيم التعليم بين جميع طبقات الرعية بدون استثناء
والواسطه لذلك سهله ستبسطها برسالة تاليه ان شاء الله ، واملنا بالله وبعنايه
الخليفه الاعظم آدم الله مله ان نرى قريبا من نتائج حكمته ومزيد سهره على
مصلحه رعيته ما يجعل المملكة العثمانية فى مقدمة الممالك الشرقيه فى مسابقه الامم
الأوروبية بدليل ما هو مشاهد فى جميع العثمانيين من ترقى الافكار وعظيم الانتباه
وما رزقوه من صفاء الخواطر وقوة الضمير ، ولا سيما وهم فى مركز هام من الشرق
يساعدهم على نيل الغايه اولا بسبب قرب اتصاله بالغرب ، وتيسر تلقيه لمسود
المدنية مباشرة بدون كثير عناء ، وثانيا لتوسطه بين بقية الممالك الشرقيه والقارة
الأوروبية وكونه بهذه المزية نقطة الاتصال التجارى بين الجهتين وهو لذلك مركز
كان له من الأهمية فى كل جيل من الاجيال ما جعله منبت الرسل ومهبط الشرائع
والوحى ومظهر المدنية ومطمح انظار الفاتحين ومقرا لاعظم الامم قوة واسماها علما
ومدنية حتى توالى عليه من عصور الشدة والرخاء ، ما لم يتوال على مركز فى
القسم المعمور .

ولا شبهة فى أن الله تعالى سخر فى هذا العصر لبقاء أهمية هذا المركز وسلامة
عناصره ، واحياء شعوبه من وهب قوة العلم والحكمة وعظيم السياسة والقوة ما
جعل الألبصار شاخصة اليه والقلوب والآمال متعلقة عليه ، الا وهو فخر آل عثمان
وفريدة عقد السلاطين العظام ومولانا السلطان الغازى عبد الحميد خان أيده الله
بأيده الاسنى وأمدته بعونه العظيم ومتع الامة والبلاد بطول بقائه واجرى على يديه
من الخبر ما به رفعتها ان الله كريم مجيب (١) .

(١) قدم مصطفى كامل بهذا الأسلوب - دليلا لمن أخذوا عليه هذا التصرف ، فهو وان كان
مضطرا للسفر فى ركاب السلطان العثماني لضرب قوى الاحتلال البريطانى الا أنه كان يمكن أن يكون
بشكل أكثر احتراما لكرامة المصرى .

الأعمال بمقاصدها *

« لست والله ممن يقول كلمة يريد بها جزاء من زيد أو تقرباً من عمرو ، بل هو الحق يضيق به الصدر ، فيعلنه اللسان ، وهو لئن سر قوماً فإنه يسئ آخرين ، لكن لا سكوت مع الحجة ، ولا عي مع البرهان ، فاننا معاشر المصريين قد مضى علينا سنون عشر لم نسمع فيها سوى كلمة الصبر ، ولم نستفد من المحتلين الا المن علينا بالاصلاح ، وهو وان حصل فى بعض الشؤون فانما ضرورة لا يوازى ما يستفيد منه المصلحون ، فاننا لو نظرنا الى نتائج أعمالهم التى أجروها فى هذا القطر منذ بدأ الاحتلال الى الآن لا نرى نتيجة أتت بفائدة على القطر خاصة ما لم تكن أفيد لهم وأعم لمصلحتهم ، هذا اذا لم يقابلها من الضرر ما يوازى النفع أو يزيد عنه أضعافاً ولنكتف الآن بذكر ما ابتليت به جنديتنا والبوليس من ذلك الاصلاح ، وما نشأ عن تداخل المصلحين فى شؤونها من الضرر أو النفع لنرى ما هى النتيجة التى عادت على القطر من هذا التداخل والاصلاح فنقول فاما البوليس (١) فانهم رأوا أن ادخال الاصلاح عليه وتنظيمه لدرجة أحسن من ذى قبل لا يتم الا بتدخلهم الكلى فى أموره واستبدال نظامه الماضى بنظام جديد موافق للغرض لا لمصلحة البلاد التى لا تتأتى

(*) نشرت فى ٨ مارس ١٨٩٣ فى الاهرام .

(١) عمل لورد دفرين للمحافظة على الأمن العام فى المدن الكبرى - على انشاء قوات بوليسية يبلغ مقدارها ١٦٠٠ جندي وينضم اليهم بعض الأوربيين لتعيينهم فى الاحياء السكنية التى يقيم فيها الأوربيون بالقاهرة والاسكندرية مع الاستثناء عن معظم العناصر المسيحية والاناضولية والالبانية وتوضع قيادة البوليس تحت قيادة قائد « الجندرية » وهيئة تفتيش هيئة مشتركة وتوضع قوة البوليس فى القاهرة والاسكندرية تحت رئاسة قائدين أوروبيين .

وفى ٩ يناير ١٨٨٣ أصدر الخديو توفيق أمراً بتعيين الفريق فانتين بيكر Valantine Baker مفتشاً عاماً « للجندرية » والبوليس وفومندانا عليهما وتعيين السير اقلين وود سردارا للجيش المصرى ورئيس أركان حرب . وقد عمل الجنرال بيكر على تنفيذ مخطط لورد دفرين على أن تكون الجندرية قوة وازية للجيش .

- د . عبد العظيم رمضان ، الجيش المصرى ودوره فى السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٣٧ - ٣٩ .

الا بواسطة رجالها الخبيرين بأحوالها وعوائده سكانها ، فسنوا له اللوائح المتعددة ، ورتبوا النظمات المتباينة ، وساعدتهم الظروف فى التداخل ، فشرعوا فى عزل من أرادوا من ضباطه الوطنيين واستبدلهم بضباط انكليز يجهلون أحوال البلاد وعوائد الأهلى ، وأخذوا ينازعونه السلطة مع النيابة العمومية تارة والمديرين أخرى ، أخيراً تدرجوا من ذلك الى جعله ادارة مستقلة خارجة عن سلطة المديرين وضمها لادارة الضبط والربط التى أصبحت فى أيديهم آلة صماء تديرها يد الأغراض كيف تشاء فنشأ عن عملهم هذا ثلاثة أمور • أولها حصر سلطة المديرين فى جباية الأموال ونزع ما كان لهم من النفوذ بواسطة تسلطهم على البوليس وناهيك بما ترتب على ذلك من زياده جراه الاشقياء على انتهاك حرمة القانون ، وعدم تهيب الحكام بسبب ضعف نفوذ المديرين • وثانيها استحواذهم على قوة البوليس المتوقف عليها تقرير الأمن العام وما ظنك بعد هذا بالأمن وما هى حجة الاحتلال ؟ وثالثها زيادة الارتباك فى الأعمال وعدم استقرار البوليس على حال من الاحوال لجهل رؤسائه بأمور البلاد ومخالفة نظامه لعوائد الأهلى ، حتى تسبب عن ذلك جميعه من الخلل العام فى ادارة البوليس وفقدان الأمن الداخلى من القطر بزيادة اللصوصية والجنايات ما لا يحتاج الى بيان لوقوعه تحت العس ومشاهدته بالعيان •

واما (١) الجندي فانه منذ الاحتلال أخذوا على انفسهم اصلاحها اصلاً موافقاً للنظام والانتظام ، واشتروا ادخال بعض الضباط الانكليز فيها ، ليتم

(١) بدأت انجلترا تنظر الى الجيش المصرى فى أعقاب احتلال مصر مباشرة نظرة خاصة • فصدرت الأوامر بتجريد الضباط الذين اشتركوا فى الثورة العربية وحكم على القادة بالفى المؤبد خارج مصر ، أو تحديد اقامتهم فى بلادهم تحت مراقبة البوليس ، وفى نفس الوقت الذى كانت تجرى فيه عملية هدم وتصفية الجيش - وذلك طبعا بموافقة الخديو حيث أن تصفية الجيش المصرى يخدم كليهما - كان التفكير والدراسة على قدم وساق لاحلال قوة عسكرية بديلة بحيث يقضى على احتمال قيام أى ثورة عسكرية أخرى مستقبلاً بل وحماية المصالح الأجنبية بصفة عامة والبريطانية بصفة خاصة لذلك أرسلت الحكومة البريطانية لورد دفرين الى مصر لاعادة بناء النظام الادارى بما يكفل توطيد سلطة الخديو وسلطة الاحتلال ، وقد أكدت حكومة جلادستون على أهمية دراسة تعديل نظم الجيش والبوليس •

وقد رأى دفرين أن يقوم جيش قوامه ستة آلاف جندي مع استبعاد العناصر الانكشارية والأجنبية مع استثناء الأتراك المصريين أو المتصرين من أصل تركى ، أما من حيث الاشراف فيكون مبدئياً تحت اشراف مباشر لجنرال انجليزى ومساعديه من الضباط الانجليز • ويقول دفرين ان هذه هى رغبة الخديو ووزرائه وهى رغبة تلقائية بدون أى ضغط • ويمضى دفرين فى تنظيم وتقسيم الجيش مع مراعاة ابعاد الضباط المصريين عن الأماكن والرتب الحساسة ، حتى لا يعوق وجود الضباط الانجليز ترقية الضباط المصريين للرتب الأعلى •

لذلك قسم سلاح المشاة قسمين الأول يتولاها ويخدم فيه الضباط الانجليز والقسم الثانى يكون لضباط المصريين وكذلك الوضع بالنسبة للسلاح المدفعية يكون قائده ونائبه بريطانيان ثم وضح دفرين المكونين النهائى للجيش المصرى من ٥٦٠ فرسان وآلى واحد ، ٤٦٤ مدفعية (٤ بطاريات) ٤٧١٢ مشاة (٨ أوترة) • ٢٥٠ حاجاة ، ١٠٤ مهندسون ، ١٠٢ مدفعية سواحل ، أما الضباط الانجليز فسيمبلغ عددهم ٢٧ ضابطاً •

بواسطة طريقتهم المرغوب كما هو المعلوم ، الا أنهم تعدوا مع الاستمرار قاعدة الانصاف في هذا الأمر حيث رأوا انه مع وجود احتلالهم العسكري في القطر ، ولا لزوم لوجود عسكري مصري يقوده ضباط وطنيون صادقون لوجه عدة نضرب صفحا عن ذكرها الان فجعلوا يولون على قيادة الفرق من أبناء جلدتهم الضباط الكبار لتكون الجندية طوع أمرهم .

ثم رأوا ان من الاحوط للمصلحة جعل الضباط الصغار أيضا ان لم يكونوا منهم فممن تربوا على المبادئ الانكليزية أو ترقوا بواسطة الانكليز ، لكي لا يخدموا الحكومة والوطن بل يخدموا الأغراض فالاول تيسر لهم بواسطة المدرسة الحربية فالتلميذ الذي لا يحصل على الشهادة في غير مصر باقل من عشر سنين يحصل عليها من مدرسة الحربية المصرية في سنة واحدة أو سنتين . والثاني حصلوا عليه أيضا بتحويل مئات من الضباط الخبيرين على المعاش وترقية سواهم ممن لا خبرة لهم بأمور الجندية قط حتى اني لأعرف في مصر ثلاثة اخوة لأب واحد حتى كانوا قبل الاحتلال في حالة الخمول لا يعرفون الجندية فاصبحوا الآن وهم فيها من أهم أركان الانكليز .

ثم لم يكفهم ذلك حتى اشرأبوا الى الحربية فاتاحت لهم الظروف ان تولوا امرها (١) وجعلوها انكليزية محضة ثم ناطوا القيادة العامة (السردارية) ومعاونيها برجال منهم فتصبحت الجندية المصرية آلة في يديها تديرها كيف تريد وتمحو من

وبذلك نرى أن لورد دمرين قد وضع ضمانات تكفل عدم قيام الجيش المصري بأي ثورات أو حركات تمرد أخرى ، فقد عمل على التخلص من العناصر التركية والشركسية التي أدت لقيام الثورة العربية وأبقى على العناصر المنصهرة من أصل تركي . أما قيادته الجيش فهي تحت إمرة قائد عام انكليزي في حين انه وضع نصف أسلحة الجيش لترقي الضباط المصريين حتى يتفادى احداث الجيش العربي . وقد عمل دفرين على تكوين قوة مدنية موازية للجيش تستخدم لقمع بوادر أية ثورات للجيش وهي قوة « الجندرية » مهمتها المحافظة على حدود مصر الصحراوية من غارات البدو ومهمتها داخل المدن مقصورة على الاعراض المدنية وقد وزعت قوات الجندرية على جميع أنحاء القطر وتسكر أكبر الوحدات في نقاط مرور القوافل من وإلى مصر . بجانب أورطتي احتياط كل منهما تتكون من ٥٠٠ جندي احدهما مشاة والأخرى سوارى ومركزهما القاهرة والخدمة فيها عن طريق التطوع . وقد وضعت قوة الجندرية تحت قيادة مفتش أوربي وثلاثين وأربعة ضباط أوربيين وذلك بالنسبة للاورطتين الأخيرتين أما باقي قوة الجندرية فقد تركت المناصب العليا متاحة للضباط المصريين .

وقد تبعت الجندرية الوزارة الداخلية والغرض من ذلك هو فصل الجندرية عن الجيش حتى لا تتأثر بنفس روح الجيش وعوامله بحيث لا تصبح فرعا له ولا تنقل اليها روح أي تمرد قد تنشأ في الجيش لتكون قادرة على قمع هذا التمرد .

— د . عبد العظيم رمضان مرجع سابق ص ٣٠ ، ص ٣٦ .

(١) كان المتولى أمر نظارة الحربية في تلك الفترة يوسف شهدي باشا الذي كانت له مساعيه

الخاصة بالتحركات العسكرية المصرية في السودان منذ عام ١٨٨٦ .

راجع محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٩٣ وما بعدها .

دفاعاتها ما نشاء وثبتت وتلقف بها تارة الى الحدود واخرى تفرقها في اطراف السودان بحجة صد الهجمات السودانية واطفاء شعلة المهدوية التي لا تخمد مرة الا أثرت اخرى .

ومن الغريب استيلاء الانكليز بشراذم قليلة على الأوغنده وما والاها من الاقطار الافريقية وتوغلهم في تلك المجاهل لاختضاع برابرتها الأسود لراية الحرية والتمدن ، وتمكنهم من ذلك بأقل كلفة سواء كان بالقوة أو بالحيلة وعدم اقتدارهم مع توالي سنين عشر على اخضاع شراذم متقطعة قد جعلت القارة والسلب دأبها . على أطراف الحدود المصرية ، ولديهم جيش منظم عظيم من شبان المصريين الذين جعلت دماؤهم الزكية فداء للأغراض بالسودان ، وهم مع ما هم عليه من الشجاعة والاستعداد لا يخرجون عن حد قول القائل :

وليس بمأسور فنرجو فكاة وليس بمطلوق العنان فيرسل

ولعمري الانسانية والحق لو ترك الأمر في السودان لحكومتنا المصرية لأصبح الآن لها أطوع من البنان ، فلتمهدت فيه سبيل التجارة والامن وانتعشت مصر بانداد عضوها المقصود عن جسدها (١) الذي لاتزال ولن تزال تتألم له ، اذ والله لو لم يكن للانكليز سيئة في هذا القطر الافصل السودان عنه لكفاهها ذلك مسودا لبيض اعمالها ودليلا على نتائج مقاصدها ، وافعالها ، وهي كبيرة لا تغتفر في جانب الانسانية وجريرة لأظهر عيبا من صدورها من أمة الحرية فان السودان (٢) لم

(١) واضح هنا موقف مصطفى كامل من السودان باعتباره جزء مكمل لمصر .

(٢) منذ نشوب التنافس والصراع الفرنسي الانجليزي في نهاية القرن ١٩ على استثمار حوض النيل الأعلى أخذت بريطانيا تعمل على الفوز بما لم تحصل عليه فرنسا ، لذلك أثار فكرة حملة استرجاع السودان وحاجة مصر للأموال لتجهيز الجيش لهذا الغرض واثارة تحدي مستقبل السودان بعد حادث فاشودة وتصريح انجلترا بأن وجود القوات الفرنسية خرق لحقوق المصريين وبريطانيا العظمى وبذلك اوضحت بريطانيا عن نواياها في السودان ، وكانت أولى خطواتها في تنفيذ مخططاتها هذا عام ١٨٨٤ ، بإبداء النصح لمصر باخلاء السودان ، ثم عادت واتخذت خطواتها الثانية بإعادة النصح باسترجاعه ، ولكن بمساعدتها حتى يكون لها حق المشاركة في ادارته ، خاصة وأن السودان أصبح أرضا « بلا ملك » بعد مغادرة الجيش والادارة المصرية . وحقيقة الأمر أن انجلترا لم تدخل معارك استرداد السودان الا اعتمادا على اسم مصر وحققا السري في السودان ، ولما تم إعادة الفتح انخلوا من هذا الحق رمزا للسيادة كلما اضطروا لذلك وقد عمل المستشار القضائي البريطاني مالكولم ماكيلرث Malcolm McLuraith مترجمة الفكرة السياسية البعيدة عن المطلق الى لغة قانونية تدل على مدى المهارة وتنفيذا للصالح الانجليزي أولا وأخيرا ، وقد أقرها ساليسوري الذي وافق على انشاء دولة مولدة Hybrid State في شكل حكم ثنائي Condominium لادارة السودان وقد وقعت اتفاقية السودان عام ١٨٩٩ في ١٦ يناير ، والتي على أساسها منحت بريطانيا حق الوصاية الفعلية على أساس حق الفتح .

- يواقيم روى مرقص ، تطور نظام الادارة في السودان في عهد الحكم الثنائي الأول ، ١٨٩٩ - ١٩٢٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٣٩ : ٤٥ .

تلتحم بهذا القطر الا بدماء رجاله ولم تخضع للراية العثمانية الا بهمة أبطاله وبذل أمواله وهي هي تلك الأقطار الشابة التي هدرت فيها دماء الشهداء ، لا لتكون غنيمة باردة الفئكير بل لتكون مدخرا للمصريين ، وملجأ واسعا لراحة الاهلين ومصدرا لشروبتهم ومحطا لتجارتهم وموردا لأموالهم خصوصا في مثل هذه الأوقات التي عم فيها ضنك الفلاح وقلت مصادر الرزق على الضعفاء فاتخذوا السلب والنهب حرفتهم ، فعاثوا فسادا في القطر ، الذي أصبح مهدد الأمن داخلا منهم وخارجا من السودان :

فأينما سرت منهم ركبت مركبا خطيرا وان قعدت فلا انجس من الخطر

كل ذلك نتيجة أعمال الانكليز التي لم تكن الا بمقاصدها ولا يسرهم وأشياهم المترددين برداء الخيانة والرقاء ، الا ان يروا مصر في حالة الضعف والتأخر والمصريين في وهدة الفقر والخمول ، حتى أننا لنراهم بعد ذلك الاطناب في مدح أعمال ساداتهم (١) التي زيفها دورنا الحديث قد حولوا مجرى أقلامهم الآن لتغريز المصري بالاسنسلاام الى عوامل اليأس والقنوط فجددوا لطنبور الغايات نغمة واختلقوا لتضليل الأوهام فكرا جديدا وكأنهم غفلوا عن ان للمصري عضدا لا توهن معه قواه ونصيرا لا يفعل عن مصلحته طرفة عين ألا وهو أميره العباس المعظم ورجال حكومته الكرام الذين هم أدري بمصالح الأمة وأحرص على حقوق البلاد من أن تمسها يد بسوء خصوصا ولهم من دولتنا العلية أعظم نصير بدليل ما هو مشاهد من توثيق روابط الاخلاص بين أميرنا المحبوب والخليفة الأعظم وما ناله سموه من جلالته السامية من الالتفات الدال على حرصه ايده الله على المصالح المصرية وصيانة حقوق الأمة والمملكة اعانهما الله جميعا على ما به رفعة شأن البلاد انه كريم مجيب .



(١) يقصد بهم أصحاب جريدة المقطم فارس نس ، يعقوب صروف ، شاهين مكاريس وهي جريدة موالية لسلطات الاحتلال وبتشجيع من كرومر حيث كانوا يقومون بتغيير الأمة والتلويح بسوء مقاصد الخديو وتكرار الاعتراف بسلطة الاحتلال ، بل ويعترف كرومر نفسه بدوالة المقطم لسلطات الاحتلال أثناء خلافه مع عباس حول الوزارة المصرية والتشكيك في الحركة الوطنية .

— سامي عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي ، ص ص ٩٦ : ٩٩ حتى ١٠٦ .
— الياس زاهره ، مرآة العصر : ج ٣ ، ص ص ٥٢٣ و ٥٣٩ .

الجامعة ★

من تأمل في المجتمع الانساني وما اشتمل عليه من الأجناس المتباينة والاجزاء المتفرقة ، وما بينها من التقابل والتضاد ، والتجاذب والتنافر ، ثم نظر الى حركته الدائمة ، وتلاطمه المستمر رآه كالجسم المركب من أجزاء متعددة ، وعناصر مختلفة هي مع بعضها عن المشاركة وشدوذاها عن التآلف ، متحدة الحركة متفقة العمل بما يؤول لبقاء الجسم وصيانة حياته ، حتى انا لنرى تلك الجرائم المنتشرة بالجسم الممزجة منه باللحم والدم مع ما هي عليه من الحرب الدائمة ، والنزال المستمر الذي لا ينتهى بينها الا بظهور القوى منها ، ودثور الضعيف لم تكن بذلك الا خادما للجسم من حيث هي مخدمة منه . أيضا بما أعد لها فيه من المستقر الهنيء والغذاء المرى ، الا ان المجتمع الانساني وان اتحد حركة باعتبار المبدأ الذي يقصد به جر المنفعة المشتركة وهي ما به قوام الحياة الأدبية وبقاء النوع فقد افترق غاية ، ففرق باعتبار ذلك الى شعوب عدة لكل منهم وجهة خاصة ، هو موليا حتى استلزم ذلك تعدد عناصره ووقوع التباين بين أجزائه ، وعدم اتفاقها غاية كما هي عليه مبدأ مما جعل كل جزء منها قائما بذاته ، منفصلا عن نوعيته ولما كانت الغاية التي هي داعية التجزؤ النوعي تختلف باختلاف الشعوب والقبائل كما تقدم ، فقد استحال التوفيق بين مقاصد أصناف الانسان فأدى ذلك الى حصول التنافر ووقوع التشاجر فكان من هذا أن رجحت الكثرة على القلة وغلبت القوة على الضعف .

وهذا ما دعا الشعوب الى أن تطلب المنعة بقوة التضام والالتزام ، بالتجاهم الى جامعة عامة تتحد بها الكلمة وتشهد العزيمة فتقوى على دفع بعضها البعض ، وكلما اتسع نطاق الجامعة فتضامت بها حلقات الشعوب المتفرقة كان ذلك أدعى لحفظ نظامهم الاجتماعى وأمنع جانبا من أن تمسه يد المتغلبين بسوء لهذا السبب

(★) لا يقصد مصطلحى كامل فى مقاله تلك بالجامعة كمكان تعليمى وانما يقصد تجمع الشعوب تحت راية الدولة العثمانية وهذا ما اتضح من سياق المقالة ، فهي دعوة الى فكرة الجامعة الاسلامية تحت راية الدولة العثمانية .

قد يكون من الأمم من تتألف من شعوب مختلفي المذاهب والاجناس ، وقد دعتهم ضرورة الاحتماء بقوة الجامعة الى الانقياد لحكم واحد والارتباط بكلمة جامعة تمسكها بوحدة المصلحة العامة التي من مقتضاها صيانة الحقوق الشعبية والاستئثار بالاختصاصات الوطنية التي انما تصان في جانب القوة وتعدم في جانب الضعف .

وفي هذه الحال يمكن اعتبار الأمم كل منها كجسم واحد أيضا مستقل في نفسه ، هما تباينت أجزاؤه وتعددت أعضاؤه فانه سليم بسلامة تلك الأعضاء ما لم يتعطل عضو منه وينفصل جزء منه كاليد اذا شلت والعين اذا أغمضت فان لكل منهما اعتبارا عظيما بالجسم لقيامهما بأهم الوظائف التي يترتب عليها جلب المنفعة له ودفع الضرر عنه فاذا فقدتا أضرتا به ضررا يكون به الى جانب العجز أقرب منه الى جانب القوة فيقف بإزاء غيره موقف الساكن حركة الناقص عملا الواهن قوة ولا أدنى من الخطر على أمة حاول بعض أعضائها الانفصال منها أو احتيل بانفكك بعض أجزائها عنها بداعي تباعد الجنسية القائلة بتفريق المختلف وجمع المتشاكل (١) فان المصلحة العامة القائمة بقوة الجامعة مقدمة على المصلحة الخاصة التي هي في جانب الضعف أقرب الى العدم منها الى البقاء وكلما اتسعت سلسلة الجامعة بما ينضم اليها من حلقات الشعوب كان ذلك أحفظ لمصلحتهم الخاصة ولاتباطها بالمصلحة العامة التي انما بصيانتها تصان الأولى اذ سلامة الكل سلامة الجزء ومن نظر في تاريخ البشر لا يجد أمة عظيمة قامت على الأرض ثم تطرق اليها الضعف والاضمحلال الا بعلة تفريق أجزائها الملتزمة وانفصال أعضائها الملتحمة مما تهن معه قواها ، وتنقسم عروة اجتماعها ، فتقع في الخسران وتعلو بها كفة الميزان فتخفض من سطوتها وتحط من قوتها فتتجم عن التقدم في مضمار المسابقة لمن عداها من أمم الأرض فيمكن منها الوهن ، حيث يتمكن منها الدخيل (٢) وهناك يعز الدوء وتسوء المغبة وليس من باعث على ذلك كله الا تفريق الوحدة الجامعة ، وتمزيق السلطة الواعية والعقل من نظر الى ذلك بعين الاعتبار ، فطرح التعصب الجنسي وتحاشى الاندفاع مع قوة التجاذب الشعبي ماثلا بكليته الى حيث تصان المصلحة الوطنية المضمونة بقوة الجامعة التي لا فريق لديها بين تباين الاجناس وتعدد المشارب في جانب اتحاد الغرض الذي يسعى اليه الجميع ، الا وهو جر النفع ودفع الضرر .

(١) يقصد مصطفى كامل بذلك شعوب البلقان التي أصبحت في ثورات دائمة ، محاولة التخلص من سيطرة الدولة العثمانية ، بحجة الاختلاف العنصري (ديني و جنسي) ، وذلك بمساعدة انجلترا وروسيا .

فمنذ ١٨٠٥ - ١٨١٣ أخذت بلاد البلقان طريقها الى الاستقلال عن الدولة العثمانية واحدة وراء الأخرى ، فاستقلت بلاد اليونان عام ١٨٣٢ ، ورومانيا عام ١٨٥٦ - ١٨٧٨ والصرب ١٨٣٤ - ١٨٧٨ والحبيل الأسود ١٨٨٧ ، وبلغاريا ١٨٧٨ - ١٩٠٨ . وكان لروسيا أكبر الأثر في هذا .

— د . محمد أنيس ، الدولة العثمانية والمنطق العربي ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٦٨ : ١٧٠ .

(٢) المقصود بذلك انحلتا وروسيا وتحريضهما لدول البلقان ضد الدولة العثمانية .

المعلمون والتعليم فى مصر *

ان تعميم التعليم من أهم الاسباب الداعية لنمو العمران القائمة به حياة الممالك والبلدان ، خصوصا فى هذا العصر الذى أصبح التعليم فيه من الحاجيات بعد اذ مرت عليه عصورا اعتبر فيها من الكماليات ، حتى انا لنرى الممالك المتقدمة تنسابق فى ميادين المعارف الآن تسابقا لم نعهد له نظيرا بين الأمم فيما غير من الازمان لما عاد عليها بسبب ذلك من المنافع الأدبية والمادية التى تعجز عن حصرها العقول ، وتبهرت عند النظر اليها الابصار وهو ما دعا حكومات الشعوب المتقدمة الى الا يتركوا واسطة من وسائل اتقان التعليم الا اتخذوها ولا وسيلة ناجحة لبث روح المعارف الا استعملوها ولما كُن حسن مستقبل البلاد متوقفا على أبنائها المتعلمين ونجاح هؤلاء معقودا بنواصى المعلمين ، وكلما توافرت فى المعلم شروط اللياقة التى تؤهله لان يقوم بتعليم المثين من أبناء بلاده ازدادت بذلك فوائد التعليم وانتشر بين الأمة نفعه العظيم ، فقد رأت تلك الحكومات أن الواجبات الأولية جعل المعلمين من أفاضل الرجال الذين حنكتهم التجارب ، وهذبتهم التربية فاستكملوا أسباب الفضائل ، وأهلوا لنيل هذه الوظيفة المهمة التى يتوقف على استيفاء شروطها فى المعلم الحياة الأدبية لألوف من الاحداث حتى اعتنوا لهذه الغاية بانشاء المدارس الخاصة لصنف المعلمين ، ليمارسوا فيها الأصول التى تؤهلهم الى تولى التعليم ، وتجعل بهم الكفاية للقيام بواجب التربية والتفهم وكان من نتائج ذلك ما نشاهده الآن من نجاح الممالك المتقدمة فى أصول التعليم ، ورقى أهلها فى المعارف والعلوم الى درجة لم تتلها الامم من قبل .

ولسوء الحظ أن ديارنا المصرية مع كونها فى مقدمة الممالك الشرقية التى ادخل اليها التعليم من عهد المغفور له محمد على باشا ، بطلها المشهور ، وكان من المنتظر أن نرى نتائجه التدريبية وأصله فى هذه السنين الى أحد الكمال مشمولة بعناية الدولة المحتلة ، التى لم تبخل دعائم احتلالها الا على كلمة الاصلاح ، نرى الحالة

(*) نشرت فى جريدة الاهرام بتاريخ ٢٠ أبريل ١٨٩٣ .

فيها بالعكس لما هو ملم من الخلل الظاهر بنظام المدارس ، مما حرم المصريين من الوصول الى الغرض المقصود منها ، والتمتع بفائدتها الحقيقية اللهم الا ما يتلقاه ابناءؤهم من بعض اللغات الأجنبية التي أصبحت بها المدارس المصرية دارا للمناظرات السياسية لاسناد أمر التعليم في جلها ان لم نقل في كلها الى معلمين يخالفون التلامذة لغة ومثربا وقد جعلوا عنايتهم بث مبادئ جنسيتهم بين الأولاد واجتهادهم في تعليمهم اللغة التي ينتمون (أى المعلمون) الهادون النظر الى لزوم اتقان بقية العلوم والفنون(١) ، فكانت المدارس المصرية لهذا السبب بمثابة مدارس لغات لا مدارس علوم وفنون وهو أمر قد نشأ عنه المضار ما يضيق دون ذكره وتعداده المحال الآن وسنفرد له كلاما خاصا ان شاء الله .

(١) ان اعمال التعليم من اظهر وجوه حكم الاحتلال البريطاني خاصة أيام كرومر وقد اسفاد الانجليز كثيرا عندما احتلوا البلاد ما زعموه من عدم استعداد المصريين للحكم الذاتي ووعده اللورد دفرين في تقريره المشهور بأن ترفيه التعليم سيكون من أهم ما يحرص عليه الحكام الجدد حتى لا تكون صيحة « مصر للمصريين » صيحة جوقاء وقد كان اعمال التعليم في مصر من جانب الانجليز أكثر منه في أى دائره أخرى يقول روزشتين : « ٠٠٠ في عهد اسماعيل حتى عندما أرهقه الدائنون كان يستطيع أن يتفق على التعليم سنويا ٨٧٠٠٠ جنيه ٢٣٠٠٠ منها من ماله الخاص ٠٠٠ وبعد مضي خمسة وعشرون عاما أى في عام ١٨٨٨ كانت ميزانية التعليم تبلغ ٧٠٠٠٠ جنيه فقط ، ويقول اللورد كرومر « ان الحاجة الى المال كانت هي العقبة الأولى في طريق الترقى السريع » أو في طريق كل رقى كما ينبغي ان يقال ان الانجليز بمجرد أن أخذوا بزمام الحركة الادارية في مصر قد ضحوا بكل شيء من أجل حملة السندات وقد مضى السادة البريطانيون على سنتهم هذه في عام ١٨٧٧ والتي تلتها خفضت نفقة التعليم الى ٢٩٠٠٠ جنيه وفي عهد المراقبة الثنائية بلغت ٧٠٠٠٠ جنيه فقط وقد بقيت كذلك مدة العقد الثانى كله ، ثم بدأت نزداد بعد عام ١٨٩٠ في حين أن انجلترا تنفق على التعليم أكثر من ٧٪ من ميزانيتها عدا الضرائب المحلية الخاصة بالتعليم ٠٠ « ويتابع روزشتين « ٠٠ ان سكان مصر الذين يزيدون عن ١١ مليون نسمة ليس فيهم من يستطيع القراءة والكتابة غير ٦٠٠٠٠٠ نسمة ، يزيدون قليلا وهي نسبة لا يسوغها أى برهان ولا أية حجة خاصة اذا لاحظنا القناطر القنطرة من الذهب التي كانت تصب صبا على السودان والسكك الحديدية والجسور وغيرها من الأمور التي تعود بالربح . ولم يكن يخلو مركز من مدرسة ابتدائية ولا عاصمة مديرية من مدرسة ثانوية وكان الى جانب هذه المدارس الابتدائية والثانوية ستة مدارس عالية فضلا عن أربع مدارس حربية فانحط أكثر المدارس الابتدائية الى مستوى الكنايب وأغلقت المدارس الثانوية غير ثلاث ولم تنشأ مدرسة عالية واحدة حتى زمننا هذا ٠٠ «

ويتابع روزشتين قائلا « ٠٠٠٠ نقرأ في آخر تقرير كتبه اللورد جورست « ان الأحداث الذين يحضرون بالمدارس الابتدائية يبلغون ٧٩٤١ حدثا بنقص ٢٨٣ حدثا عن السنة الماضية ٠٠٠ وقد رفض ٨٠ طالبا بالقاهرة لعدم وجود مجال لهم » ، « ٠٠ ان عدد الطلبة بالمدارس الثانوية ينمو بسرعة رهيبية وقد أصبح من المسحيل أن تزداد الفصول عن الحد المقبول ولاملال هذه المتاعب قد حدد عدد المستجدين ، « ٠٠ ان مدرسة المعلمين قاهرة على الشيوخ وبها تسعة فصول يشغلها ٢٧٥ طالب مقابل عشرة فصول كانت يشغلها ٣٠٣ طالب وقد نقص عدد طلبة المدرسة حتى لا يتخرج من المدرسين غير العدد المطلوب ٠٠ « وبذلك نرى أن سلطات الاحتلال عمدت الى التقص والتحديد وعدم إيجاد الأماكن اللازمة لاستيعاب المتقدمين الجدد .

ولوسائل المصلحون الذين ينظرون لانتشار لغتهم الانكليزية بين المصريين بعين السرور والابتهاج عن الأسباب الداعية لوجود معلمين من غير أبناء البلاد بعدم كفاءة المصرى لتولى أمر التعليم وعدم أهليته له ، وهو قول مجرد عن كل عدالة وانصاف اذ الحقيقة تخالف ذلك ، وهى أن من ترشح لحاجة المدارس الوطنية التى تفتح أبوابها اضطرارا لقبول معلمين من الانكليز وغيرهم مع أنه يمكن تدارك هذا الخلل بزيادة مدرسة أو مدرستين على مدرستى المعلمين الحاليين وهما دار العلوم الخاصة بمعلمى الفنون العربية ومدرسة المعلمين التوفيقية الخاصة بمعلمى العلوم والفنون الرياضية أو توسيع نطاق المدرستين المذكورتين لدرجة تخرجان بها من المعلمين سنويا من به الكفاية للقطر والأهلية التامة لتولى التعليم وانما ذلك يخالف رغبة المصلحين الذين لو سلمت نياتهم لما كانوا هم الباعث على اطراد هذا الخلل العظيم بما يلقونه من العثرات فى سبيل تقدم المعارف فى هذا القطر ، فضلا عما تقدم فان هناك طامة كبرى على المعلمين الوطنيين ، وهى جعل رواتبهم قليلة جدا بالنسبة لرواتب المعلمين من الانكليز الذين امتازوا بهذه النعم المصرية ، فقضوا على الوطنيين باليأس من اجتهادهم والفنوط من مستقبلهم فضعفت فيهم الآمال وتثبطت الهمم وسرى اليأس لغيرهم فأقعدهم عن الاهتمام بتضييع الوقت العقيم للاستحصال على وظيفة التعليم والانخراط فى سلك المعلمين كما هى الحال فى المتعلمين أيضا الذين يفنون زهرة العمر فى سبيل تحصيل العلوم التى تؤهلهم لخدمة الحكومة ونفع الوطن العزيز وعندما يقصدون لها بابا يجيدون دونه من الموانع سدا قد أحكمت وضعه يد الغايات

= على أن التقهقر فى التعليم لم يكن قاصرا على عدد المدارس وحسب ، بل انقلب التعليم والمدارس لمجرد معامل تعمل على تخريج موظفى الحكومة وأصبحت المدارس أداة « نجلزة » للمصريين ، بجانب أنه ليس فى البلاد بأسرها غير ست مدارس عالية أشهر ما يدرس بها علم الحقوق والهندسة ومع ذلك فبرامجها الدراسية لا يتعدى مستواها المدارس الثانوية أى أنه يكفى لمجرد تخريج من يشغلون الوظائف الثانوية والسبب فى ذلك أن المرتبات الضئيلة التى ينقدها أهل الوظائف الصغرى • تحول دون استخدام الاوربيين ، لذلك أصبح من الضروري بقاء المدارس العالية القديمة حتى يؤخذ العدد المطلوب للوظائف المذكورة من أبناء البلاد •

ولم يكن التاريخ المصرى وتاريخ العرب داخلا فى برامج التدريس الثانوى بحجة أنه غير ضرورى لامتحان ما يسمى بالشهادة الثانوية وهى الشهادة الوحيدة التى تفتح لحاملها باب الوظائف الحكومية والتدريس • أما التعليم الابتدائى فلم يكن اجباريا ولا مجانيا • وقد ألغى التعليم المجانى فى مدارس الإوقاف ولم يكن البرنامج فيها يزيد عن القراءة والكتابة والحساب •

أما أكبر آفات التعليم فى مصر فهى استناد وظائف التدريس الى الانجليز وذلك حتى يتم فرض اللغة الانجليزية واسلوب تفكيرها وهو ما كان يسمى اليه لورد كرومر تنفيذا لمخططات سياسة الاحتلال

— تيودور روزشتين ، مرجع سابق ص ٤٦٩ : ٤٨٢ •

— الرافعى ، عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ١٣٩ ، ١٤٠ •

— المجلة لتاريخية ، نفسه ، صلاح عيسى ، نفس المقال ص ١٧٩ : ١٨٧ •

فيتولاهم اليأس ويستولى عليهم الخمول (١) وهذا مما ليس لتلافى ضرورة المحسوس الالهة مولانا العباس ، الذى أرانا من حبه لصالح أمته ورغبته فى ترقية شأن المعارف فى البلاد ، ما لابد معه وصولنا ان شاء الله الى الغاية المطلوبة فاننا فى عصر نحن فيه أحوج الناس الى أمير مثله ، قد وهبه الله من الحزم والنبات ما تتحقق به آمالنا وتنجح مقاصدنا بمن الله وكرمه .

لا تجد من المواضيع التى تجرى على أسننه أقلام الكتاب وأطراف ألسن الخطباء وفى خواطر المفكرين موضوعا أجدر من هذا الموضوع بالعناية وأحق الالتفاتات . فانه يكاد يكون الجوهرى بين سائر المواضيع .

فانه من الواجب على كل هيئة من الهيئات الاجتماعية أن تعنى ببث أشعة العلم فى الأفهام كل العناية . ونحن اذا نظرنا نظرة عامة فى هذا الشأن عندنا وجدنا ما يضحك ويبكى وشر البلية ما يضحك .

فلماذا لا تستاء كل نفس لما هو مشاهد محسوس من النظام التعليمى الحاضر ؟ اننا نقول ولا نخشى لومة لائم انه لولا ما فطر عليه المصرى من الذكاء المفرط بشهادة

(١) بدأت سياسة الاستعانة بالأجانب لشغل المناصب العليا فى الادارة المصرية منذ نظام المراقبة على المالية مصر ، بحجة رعاية المصالح الأجنبية وكانت الغلبة فى ذلك الوقت للحانب الفرنسى ، حيث أن الحديو اسماعيل كان أميل لفرنسا منه لانجلترا ، فكانت تنم معظم الأعمال الادارية باللغة الفرنسية ، ووجد الحديو تلك المواصفات متوفرة فى العناصر السورية التى تتقن اللغتين العربية والفرنسية بجانب درايتهم بفنون الادارة وطموحهم الغير محدود فى العمل .

أما بعد وقوع الاحتلال الانجليزى لمصر فقد رأى كرومر أنه « لا أمل من قيام المصريين - مسلمين وأقباط - بذلك » ومن ثم فقد كانت هناك رغبة بريطانية قوية فى احلال عناصر غير مصرية فى ادارة شئون مصر حتى يتم لانجلترا حرمان المصريين من أن يكون لأى منهم حظ فى ادارته بلادهم ، وحتى تستمر خطة بريطانيا وحجتها فى عدم مقدرة المصريين على ادارة البلاد ، وبالتالي وجود سبب لامتداد بقاء انجلترا فى مصر .

وقد راعت بريطانيا أن تكون المناصب العليا ذات الحساسية من نصيب الانجليز الذين يراعون تماما مصلحة بريطانيا ومآربها فى مصر . أما المناصب الأقل أهمية ومرتبة فهي أيضا للأجانب غير المصريين من العناصر السورية الذين وجدت فيهم انجلترا شغفا بالعمل وطموحا غير محدود بجانب توافر معرفة اللغتين العربية والفرنسية ، واللذان لم يكن الانجليز على دراية بهما وكانت السائدة فى ذلك الوقت قبل تمام عملية « النجزة » ، خاصة وأن انجلترا اصطدمت بعدم تعاون المصريين من مسلمين وأنباط وقد اعبرت انجلترا العنصر السورى أرقى من المصرى وأكثر تمدينا وأخذوا بالحضارة الغربية . وقد أدى ذلك لحدوث احتكاكات وصراعات بين المصريين والسوريين وعدم استقرار اتخذه انجلترا مبررا - عن عمد - ونفثه لزيادة تدخلها فى شئون مصر .

- سامى عزيز ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ و ١٠٧ .

- تيودور روزشتين ، تاريخ المسألة المصرية ، القاهرة ١٩٨١ ص ٢٢٤ : ٢٢٦ .

- تيودور روزشتين ، تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده ترجمة علي أحمد شكرى القاهرة - ١٩٢٧ ص ص ٤٦٩ : ٤٨٢ .

التاريخ والخصوم أنفسهم (قال اللورد كرومر) « فطر المصري ذكى الفؤاد » لما سمع ان النشء المتخرجين من هذه المدارس نابغة واحدا أو متعلما ذا مواهب عالية ومدارك سامية .

ونحن لا نريد أن نطيل في بيان ما في هذا النظام من الخلل والاضطراب الذى لا ينشئ ملكه ولا يعين على ظهور موهبة فهذا كله ظاهر معروف . ولو جمع ما كتب فى هذا الموضوع أمس واليوم فى هذا الصدد لبلغ أن يكون مجلدات ضخمة ولكن نريد أن نقول ان هذه الحكومة ستذوق من فوضى هذا النظام مرارة لا تساغ فاذا شئت الأمة أن تحسن صنعا فلتضاعف همتها فى تكثير دور العلم ومعاهد المعارف فوق المهمة الحالية ، فان الأمة التى لا تخدم نفسها لا يخدمها أحد (١) ، وهذه الحكومة التى يقلبها الاحتلال بين يديه ذات اليمين وذات الشمال محال أن تقترب ارادتها بالخير والحسنى واذا اقترنت وهذا بعيد لم تجد من نفسها انبعاثا على تحقيق الآمال . ولا عجب فانه لا تأثر مشترك بيننا وبينها وانما هى قطعة شلاء لا تحس بما به نحس ولا تتأثر بما به نتأثر .

(١) من الأهداف الرئيسية التى سعى اليها مصطفى كامل دائما فى خطبه ومقالاته : دعوة أثرياء مصر لإقامة المدارس الأهلية لتعليم النشء المصرى وما يتناسب وقيمنا ولفتنا ، وما يتناسب والنظور الحضارى لمحاربة السياسة الانجليزية فى تحطيم الفكر والتعليم المصرى ، والاكتفاء بخرير مجموعات من الكتبة والموظفين ذوى الأفق المحدود ، حتى يقبلوا العمل فى الوظائف الدنيا ذات المرتبات الضئيلة ، ويتسنى للاحتلال افساد الفكر المصرى والناشئة المصرية بحيث يخبو بعد فترة أى صوت يستطيع التفكير فى المناداة باخراج بريطانيا من مصر . وقد فطن مصطفى كامل لحطة الاحتلال تلك لذلك نراه فى معظم خطبه يكثر من دعوة الأغنياء المدارس الأهلية .

- تيودور روزشتين ، تاريخ المسألة المصرية ، ص ٤٦٩ : ٤٨٢ .
- عبد الرحمن الرافعى ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ و ١٤٠ .
- المجلة التاريخية ، صلاح عيسى ، نفس المقال ص ١٧٩ : ١٨٧ .
- خطبة مصطفى كامل فى الاحتفال بافتتاح مدرسة حسين بك قره جولى ١٨٩٩
- خطبة مصطفى كامل بالاسكندرية ١٣ يونيو ١٨٩٧ .

الرسالة الأولى (١)

البحر

أودع أوطانا يسوء وداعها
وأركب بحرا بره موطن النسي
يذكرني منه الصفاء مراتعا
ألا أيها البحر العظيم بنا اتسد
تمهل فمصر موطن العز والنسي
بلادى حماك الله من كل غادر
أغادر منك الثغر والقلب شيق
فرقنا بمن فى البر والبحر مخلص
عليك سلامى ياديار تحية

وأترك أمصارا يسر لقاءها
وأمتة عم البلاد سخاؤها
بها نفس ذى الآمال تم صفاؤها
فمصر تجلى للعيون بهاؤها
ومصر (أخا النعماء) جم هناؤها
وأبقاك للندى فأنت سناؤها
وعينى يجارى هائل الغيث ماؤها
يرى مصر شمسا لا يحاكى ضياؤها
تدوم وأشواقى اليك انتهاؤها

لابدع اذا كانت الاسكندرية بجميل منظرها وجليل مظهرها تستوقف الأبصار
عند مغادرتها وتخطف الأنظار ساعة الخروج من بوغازها لا سيما أنظارنا أثناء النيل
حيث نسلب عقولنا وتخلب مداركنا عند مشاهدة ديارنا الزاهية وربوعنا الباهية
تغيب عن أعيننا شيئا فشيئا حتى تختفى تحت حجاب من الماء سميك وينعدم وجودها
من بين الصور العينية بعد أن كانت واقعة تحت المرأى لا يحجبها عن العيون حجاب
لعمري ان اختفاءها مما يدعو لسكب الدمع وضياع الرشيد واختفائها تختفى عنا
أوطان يعز علينا فراقها فيها نشأنا ومنها ظهرنا وبخيرها تمتعنا واليه ترجع آمالنا
فهمى محط رجالنا ومقصدنا طول الحياة بها أعز أنواع البشر لدينا وأحبهم اليها هي
بلادنا بلاد الخيرات التى لا تعادلها بلاد ولا تحاكبها ديار عذب ماؤها عزيز برها نقر
هراؤها طيب مناخها تركناها والحنين عام والحسرة شاملة وودعناها حيث أودعناها

(١) كتبت هذه المقالة وهو على متن الناقرة « الجيوند » فى ٥ يولي ١٨٩٤ ونشرت بحريدة الأهرام
فى العدد ٤٩٦٧ الصادر فى ١٤ يولي ١٨٩٤ . وهذه الرسالة وما تلاها أرسلها لنشرها وهو فى سفرته
الأولى الى أوروبا فى ذلك العام .

فؤادا مخلصا وقلبا صادقا وسألناها أن نبقى دائما كما عهدناها شفقة علينا ذاكرة لنا سالمين كما غادرتها بنعمة منها وافية .

احتجبت عنا هذه المواطن العزيزة بعد ساعتين من خروج السفينة من البوغاز بأجلنا الطرف في أنحاء هذه الباخرة التي تقلنا فاذا هي كما عهدنا مثيلاتها في السنة الماضية بلده متسع يبلغ سكانه نصف ألف فيه كل ما يحتاج اليه الانسان من رقيق موافق وجلبيس أنيس وكتاب يشفى الهموم ويطرد الأحزان ومأكل ومشرب كما تهوى الأنفس الأكليلين والشاربين ومبيت لا يتعب كثيرا فهي أشبه شيء بجزيرة متحركة يصح أن يطلق عليها اسم جزيرة الجيرونند وعلى من يسكنها أمة الجيرونند (باسم الباخرة) الا أنها أمة مختلطة يستحيل أن تربطها من الروابط غير رابطة دوار البحر ولعب الأحشاء ولكن الباخرة على كمال استعدادها بها عيب عظيم وأظنه عاما في كل الجوارى المنشآت وهو أنها متى توسطت هذا البحر المتلاطم بالأمواج لعبت ذات اليمين وذات الشمال كما تلعب الأرجوحة بالأطفال وبلعبها تلعب أمهاء من أقلته من ذكر أو أنثى .

وليعذرني القارئ الكريم اذا لم أستطع تمثيل حالة البحر في اليوم الأول وفى نصف اليوم الثانى فقد كان شديد الموج عظيم الريح مضطرب الحركة قوى السلطان لم يصف لحظة من اللحظات بل دام يصعد بالباخرة نحو السماء فلا نرى الا ماء وينزل بها نحو الماء فلا نرى الا سماء حتى أذعن كل السكان الى دواره وناموا متفرقين بعضهم على السطح والبعض الآخر فى غرف النوم ان رأيتهم حسبتهم سكارى وما هم بسكارى ولكنهم فى بحار الدوار تائهون لا حراك بهم ولا هم يفقهون .

تلك حالة أغلب السياح فى اليوم الأول وفى شطر من الثانى والجارية لا يراها من عوالم الوجود الا عالم الماء والسماء .

وما انتصف يوم الاثنين وأخذت الغزاة تبعث أشعتها العمودية حتى ظهرت جزيرة كريد بجبالها الشامخة المتوجة بالثلج المستديم الذى يراه السائح وقت الظهر وقد انعكست عليه أشعة الشمس الذهبية كأنه جبل من التبر الخالص .

وقد دنت لنا هذه الجزيرة الغنية بشهرتها وثروتها عن الذكر فسرشنا فبها الطرف وأجلنا النظر والبحر بجوارها على أتم سكينه ونحن فى حماها على أكمل نعمة .

وما احتجبت عن النواظر حتى غربت الشمس بعد تردددها المعهود واحمرارها المشهود وقد استمر ليل هذا اليوم الثانى مخلصا فى وداده رؤوفا فى معاملته ولم يكفه رعاه الله لطفه الذى حمدناه عليه الحمد الجزيل بل أوصى علينا اليوم الثالث فظهر كريم السجايا جميع العواطف رخاء ريحه صحو جوه ساكن ماؤه يكاد ينسينا ما لا قيناه من شديد التعب وعظيم النصب .

وفى هذا اليوم الذى نعدده نعمة كبرى علينا ظهرت خلائق كان أخفاها الدوار فى غرف النوم وكلها آنسة مستبشرة آمنة مطمئنة لا شيء يكدرها سوى ذكر اليوم

الأول صبيحة الثاني ولهذا نرى معنى جواب كل فرد منهم ان سألته عما لقي من
النصب .

هول شديد مضى ما عدت أذكره طول الحياة لئلا يرجع الكدر

دليل على ما كان من الهول الهائل ولكنه والحمد لله قد فات ولا شك أن ما فات
يدخل فى عداد الرفاة لا بعثه الله ولا أحياء . وهنا يرى الانسان حقيقة جلال هذا
البحر المتسع الأرجاء البعيد الأنحاء الحقيق بأن يسمى صحارى الماء (كما يسميه
أفاضل الشعراء) .

وإذا كان شاعر فرنسا الشهير (لامارتين) يسمي البحار مقلة الطبيعة لأنها من
وجهها كالعين من وجه الانسان فلا شك أن البحر الأبيض أحق من سواء بأن يكون
سواد هذه المقلة العظمى لأنه أعظم البحار أهمية وأكبرها فائدة ونفعاً لما له من الأيادى
البيضاء على بنى الانسان فهو رائد التجارة وقائد الأمم لطرق الحضارة وأصل شجرة
التملح الذى يتكرم باهداء ثمرتها النضرة للبلدان التى يختارها حسب ما يرى عند
أفراد الأمم من نشاط وغيره .

أذكر ذلك وآسف شديد الأسف من أن هذا البحر العزيز الخيرات صاحب
القوة والملك الكبير غضب على وطننا العزيز غضبا طويلا فلم يعترف لابنائنا بغضب
ولم يشهد لهم بكمال حتى يهينا الحرية الحقيقية والمدنية الصادقة وبعيد لنا ما فات
فى سالف الأوقات من المجده الكبير والمقام الخطير ولعلنا ننظر لهذا الداء بعين الاعتبار
فندأويه باتحادنا ولا شك أن الاتحاد مصدر القوة وعنوان الاستقلال .

وقد دام البحر هكذا ساكنا هادئا يرينا من أنواع السرور ما لم نكن نظن
رؤيته قبل هذا . اليوم السعيد وقد توج ليلة البهى بعد أن أرانا شواطئ ايطاليا
الجميلة بمرورنا من بوغاز (مسينا) حيث لقينا منه منظرا بحريا جميلا وبوغازا خلق
على أبداع مثال حليته مدينتان متقابلتان مدينة مسينا ومدينة (ريجيو) يراهما المار
ليلا كأنهما عروسا عليهما من الحلل والجلى ما يبهج الناظرين ويبهز الرائيين وقد ظهرت
تنشاطران الحلال وتنافسان فى الحسن والجمال تسطع منهما الأنوار وهى كالدر
المرصع أو كالنجوم الزاهرة فى السماء تركناهما بعد أن متعنا النظر برؤيتهما ساعة
كاملة كانتا فيها موضوع الإعجاب بجمالها الفريد وحسنيهما البديع .

وأما اليوم الرابع فكانه قام ينافس أمسه ويعاهدنا على حال أكثر اعتدالا وأعظم
جمالا فأصبح لجة من الماء ساكنة يشقها البخار شقا ويقطعها قطعا دون أن تبدى
حراكا ولكنه مهما بالغ فى الاكرام وأحسن فى الضيافة فالفضل للمتقدم ولولا الثلاثاء
ما رأينا الأربعاء .

وأما يومنا هذا خاتمة أيام البحر فمعتدل الهواء صحو الجو والسماء عديم الموج

سكان الماء ليس بأقل من سابقه لطفنا وحسنا مررنا في صبيحته من بوعاز
(بونيفاسيو) وشاهدنا شواطئ قورصا (١) وسردينيا .

وها نحن الآن أمام شواطئ فرنسا البديعة الجمال ولم يبق الا القليل حتى
نهاجر من هذه الجزيرة المتحركة الى تلك الأرض الثابتة التي عرفناها أرض الجمال
والبهاء ذات الهياكل الطبيعية الجملة والمحاسن العديدة .

هذه جملة نقدمها للقراء الكرام على البحر وما رأينا فيه من بؤس وأنس ولم
يكن يسلينا فيه شيء آخر سوى قراءة بعض الكتب ومشاهدة الجزر المختلفة والسفن
التي كانت تمر على مقربة منا .

أما منظر شروق الشمس وغروبها فقد كان من أجمل المناظر التي بهرت الصبح
في أيام الصفاء .

وأما اشتياق الجميع لقراءة الجرائد فهو يفوق كل اشتياق مما يدل على أنها
أصبحت لازمة من أهم لوازم الوجود التي لا مندوحة عنها وياليت للبأخرة جريدة
(ولو هزلية) تسلينا عن مطالعة الجرائد السياسية وقد ابتعدنا خمسة أيام كائنات
عن أخبار المعمورة بأسرها فلا ندرى منها شيئا ما .

(١) يقصد بها جزيرة كورسيكا .

الرسالة الثانية ★

معرض ليون (١)

بلغت هذه العاصمة البديعة مساء السبت بعد أن تركت البحر فى منتصف ليلة الجمعة ، حيث تركت فيه العناء والنصب ، وطلبت الراحة فى نزل بلغ من جمال الرونق وحسن الوضع مبلغا كبيرا ، فقضيت فيه الليلة حتى اذا ما أشرق وجه الأرض قسدت المحطة ومنها سافرت على القطار السريع قاصدا مدينة ليون ، مركز المعرض الدولى الاستعمارى الذى ذهب من أجله أطيب الفرنسيين عنصرا .

وقد وصلتها فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة ولبثت فيها يوما كاملا ، لازمنى فيه ماجد من أفاضل المصريين تمكنت معه من زيارة المعرض زيارة تامة كشفت القناع عن بعض أسرارهِ العديدة التى تطلب الوقوف عليها كلها أياما معدودات .

وقد أعجبنى من هذا المعرض الفريد كل شئ فيه ، فلم يلح لى انتقاد ما ، بل رأيتهُ كله محكما فى صنعه مرتبا فى وضعه يسر الناظرين ويرضى المعارضين .

وبما أنى فرضت على نفسى الكتابة فى سياحتى وتصوير ما يراه العيان الى القراء الكرام تصويرا يظهر لهم حالة المدنية الأوروبية والحضارة الغربية رأيت أن أخصص رسالتى هذه للكلام على المعرض بغاية الإيجاز لأن المقام لا يدعو الى الاطناب .

معرض ليون هذا موضوع فى حديقة مجاورة للمدينة هى عادة متنزة سكان ليون وفى وسطها بحيرة جميلة يسمونها بحيرة « التيت دور (رأس الذهب) » ، فيها جزر صغيرة غاية فى البهجة والحسن ، وقد وضع المعرض بكيفية بها جاءت هذه البحيرة فى وسطه ، فصارت بهجته كما أنها بهجة الحديقة .

فمتى وقف الانسان أمامه رأى بابه ضخما عظيما مكونا من عمودين اتقن صنعهما ، بحيث أن الرأى لهما يحكم قبل دخول المعرض أنه من الأهمية بمكان ،

(★) نشرت هذه الرسالة فى الأهرام فى يومى ٢٠ ، ٢١ يوليه ١٨٩٤ .

(١) مدينة فرنسية تقع على نهر الرون شرق فرنسا .

وبجوار الباب يرى تمثالا أقيم لأبناء نهر الرون (الذى عليه مدينة ليون) ، الذين أحسنوا الدفاع عن الأوطان فى حرب السبعين .

ومتى دخل الزائر من هذا الباب العظيم يرى أمامه البحيرة ، وعلى يمينه سبلا عديدة وعلى يساره شارعاً متسعاً ، أما جهة اليمين ففيها المعرض الصناعى التجارى الدولى وأما جهة الشمال ففيها المعرض الاستعماري .

ولنزرأ ولا معرض اليمين ثم نتبع زيارته معرض الشمال ، متى جعل الانسان أمامه البحيرة وخلفه الباب ، رأى على يمينه كما قلنا جملة سبل بينها طريق متسع عظيم ، هو طريق معرض اليمين ، ولا يلبث الزائر ماشياً فيه حتى يرى من الجانبين أبنية مرتفعة ، ومساكن مختلفة ، أما الوسط فيرى فيه فسقية فى غاية الظرف ، بها تماثيل مصنوعة ، تخرج من أفواها المياه بشكل بديع ومنظر جميل ، وهنا ترى أمامك قبة عالية هى بيت القصيد ، بل هى الغرض المقصود بالذات ، وأما ما بقى فزوائد أضيفت كحلية .

وننظر نبل الوصول إليها فيما على يميننا وما على يسارنا ، أما اليمين فأهم ما به معرض صينى ويابانى صغير ، به مصنوعات الصين واليابان ما تعودنا رؤيته فى بلادنا من الأقمشة البهية ذات النقوش البديعة المصورة . لأهلها آكلين متخاطبين متنزهين وما يشابه ذلك من بدائع الشرق الأقصى .

وبجانبه معرض الفنون الدينية وبه من الكتب والصور والتماثيل ما يضيق العد عن حصره وخلفه قبة طيارة تصعد الى السماء بمن يريد من الزوار رؤية المعرض كله . مرة واحدة ، ومشاهدة منظره من أعلى . وأما جهة الشمال فأجدر شئ بالذكر فيها قسم مدينة باريز ومدينة ليون ونهر الرون .

أما قسم مدينة باريز ففيه معرض المصنوعات المدرسية والأشغال الدراسية ومن جملة العدد والآلات الطيبة التى بجوارها رجل من الشمع جالس على كرسى وأمامه امرأة يحسبه الزائر حياً وهو فى الحقيقة ميت محنط . وقد زرت هذا المعرض فى الصباح وكنت وحدي داخل القاعة فحسبت هذا الرجل حارساً للمكان ولكنى بعد ان زرت كلما بالقاعات رأيت كما هو لا يبدى حراكاً فأخذت أتقدم منه شيئاً فشيئاً وهو لا يتحرك مطلقاً حتى صرت بجواره فسألته بالفرنساوية عن متوسط عدد الزوار فى اليوم فلم يجب فلمسته ببدى فلم يتحرك فعلمت عندئذ انه ليس بحى وإنما هو شبه حى فتركته وخرجت معجبا بقوة التحنيط التى جعلتنى أحسب الميت حياً مدة من الزمان .

وأما قسم مدينة ليون ونهر الرون (١) فأحسن ما بهما المعرض التاريخى للمدينة

(١) ينبع من غرب جبال الألب فى شرق فرنسا ثم يتجه جنوباً ليمر بمدينة ليون ويصب فى البحر المتوسط .

ومعرض مدرسة الفنون الجميلة المشتمل على مدرسة العمى والخرس بما فيه من كتب تعليمهم والواهم التي يقرأون فيها ، وهنا نرى تمثال شاب أعمى يكتب وآخر واضعا يده على البيانو .

ويلى معرض العمى والخرس معرض الحديقة النباتية المدرسى لمدينة ليون ، فمعرض مدرسة الزراعة ومدرسة الطب فمعرض مدرسة التجارة العليا ، وتنتهى هذه المعارض مدرسة المارتنينيز البالغ من الجمال أحسن مبلغ فترى باحدى جهاته تلامذة من الخشب فى غاية التناسب ، جالسين على كراسيهم ويبدى الكراسيات بيكتبون عليها . ما يلقى عليهم الأستاذ ، وفى جهة أخرى ترى تلامذة يحضرون الأحماض والغازات أو مدرس الكيمياء . يلاحظهم الى غير ذلك مما يسر الزائرين عموما والمشتغلين بالتعليم والعلم خصوصا .

وبجوار هذا المعرض ترى محلا لأصحاب الجرائد ، به صور المشاهير منهم وخلفه مكتبا للبريد والتلغراف .

متى زرت كل هذه المعارض وأتممت زيارة مدينة ليون ونهر الرون ترى نفسك واقفا أمام القبة الكبيرة المشتملة فى باطنها على المعروضات الحقيقية المختلفة الأنواع والأجناس وحتى جعلها الزائر وجهته ، يرى منها صنعا بديعا يشهد المصنعة بالخطوة البعيدة والشأو الكبير . فما هذا الرتاج الكبير المحكم البرقع المتقن الصنع الذى من وراء رؤيته الحيرة العظمى بل ما هذه القبة العالية البنيان المشيدة الأركان الدالة بأظهر بيان على مقدرة يد الانسان قبة فريدة فى جمالها ، وحيدة فى جلالها ، حوت من المعروضات البدائع والفرائب ، واشتملت على المعجزات والعجائب فلتفتخر مدينة ليون بقبتها التى أصبحت تنافس من باريز برج ايفل .

ولعمري انها لآية من الآيات التى يعجز قلمي عن توفيتها وتقديرها حق قدرها . وهذه القبة دائرة محيطها واسع ، داخلها خمس دوائر متوازنة متناسبة مع بعضها ، كل التناسب فى وسطها فسقية جميلة يرتفع فى مركزها عمود أحسن تشييده ، يصل الى نصف فراغ القبة .

وهى تنقسم الى ستة عشر قسما ، فى كل قسم منها معرض قائم بذاته ، نكتفى هنا بذكر هذه المعارض تاركين التفصيل لوقت آخر .

أول المعارض الجزئية معرض الحرير ولا يخفى على القارئ السبب أن مدينة ليون هى أشهر مدن الدنيا ، بمنسوجاتها الحريرية فلذلك لا يلزمنى أن أقول أن هذا المعرض هو أجمل شئ فى مجموعة المعرض الليونى ، أو أن وجود نظيره فى معرض آخر من المستحيلات ، ويليه معرض الملابس ومتعلقاتها ، فمعرض الأوراق والطباعة فمعرض الفوتوغرافية والموسيقى فمعرض العجلات والفولوسيبيد ، فمعرض الكيمياء

والآلات المتنوعة فمعرض العدد والآلات فمعرض المعادن الميكانيكية العامة فمعرض الأواني فمعرض الأثاث فمعرض الأغذية فمعرض التقطير فمعرض الانسجة .

هذه هي المعارض الجزئية المشتملة عليها القبة الفريدة ولا شك أن الزائر يندهش من جسامه هذه المعارض كلها ، ولا سيما عند زيارته لمعرض الحرير فإنه يرى حقيقة أهمية مدينة ليون وكيف أنها تفوق مدن إيطاليا والنمسا وغيرها في صناعة الحرير بصناعها المنفردين بهذه الصنعة الجميلة وآلاتها المتعددة التي لا توجد في غيرها من المدن وخارج القبة محل للموسيقى وجملة قهوات ومطاعم معدة للزائرين .

وخلف القبة رأيت أشياء جمة أهمها معرض (جاكار) ، وجاكار هذا هو مخترع آلة نسيج الحرير فهو صاحب اليد البيضاء على مدينة ليون ، بل على العالم أجمع براه الزائر في أول منظر وهو يشتغل بتحسين آلة النسيج اختراعه ، ويروى في منظر ثان جالسا على كرسيه يندب ابنه الذي قتل مدافعا عن وطنه ، وفي منظر ثالث يراه واقفا والصناعات تريد قتله والقائه في نهر الرون لأنه باختراعه آلة النسيج حرمهم من كسب معاشهم ، فبعضهم قابض عليه والبعض الآخر يضربه بالحجارة وبينهم بنت تريد طعنه بخنجرها ، وخلف الجميع صديق له يريد تخليصه من بين أيديهم مما يثبت قول علماء الاقتصاد السياسي من أن في الاختراع تقليل عدد الصناع وإن الصناع أعداء الاختراع .

وفي منظر آخر ترى جاكار واقفا في حجرته الصغيرة الحقيبة يستقبل لزار كارنو الشهير (١) (جد فقيد فرنسا سدى كارنو أحد رؤساء الجمهورية) مما يبرهن على أن رجال الصناعة والاختراع هم دائما موضوع التمجلة والاحترام .

في كل هذه المناظر الأربعة الصور مصنوعة من الشمع المضاء بالكهرباء وغير هذا المعرض معرض المساعدة العمومية والاقتصاد الاجتماعي ومعرض الآلات الزراعية التي ترى بجواره مليئا ، به ثور من غرائب المخلوقات يزن وحده ٣٥٠٠ كيلو جرام .
ومما يحاكي هذه المعارض الصغيرة من الأهمية السبك الحديدية والقطارات المختلفة .

وكذلك معرض الفحم الحجري ملك شركة (لالوار) فإنه في غاية الأهمية ويسر النزول في باطنه ولكنه يتعب النفس .

ويوجد غير هذه المعارض معارض أخرى متفرقة حول القبة الجامعة لم أزرها لضيق الوقت ولعدم أهميتها .

(١) من زعماء الثورة الفرنسية ولقب بصانع النصر ، نظم جيوش الجمهورية في حروب الثورة الفرنسية وعين عضوا بحكومة الإدارة ثم تقلب في مناصب هامة في عهد نابليون وفي عام ١٨١٥ محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٤٣٣ .

ولننتقل الآن الى المعرض الاستعماري ، لا شك أنه يحق لأبناء فرنسا عند زيارة هذا المعرض الاستعماري أن يظهروا فيخارهم بأوطانهم ولا غرو أن ازدادت محبتهم لبلادهم برؤية أملاكهم ومستعمراتهم فهم يرون فيه حقيقة قوتهم وكبير فتوحاتهم وعظيم تصرفاتهم كما أنه يحق للشرقي عند زيارة هذا المعرض أن يبكي بلاده وأوطانه ويندب قومه وعشيرته ويأسف على بلاد ضاعت من يد أبنائها بالحقد والحسد وذهبت غنيمة الغريب بسبب الفشل وحب الذات المستحكم بين أهلها القائم بقيام الليل والنهار بين أفرادها أقول ذلك ولا أنكر على القاري الكريم أسفى وحزنى عند رؤية هذا المعرض الاستعماري ، وان كنت رأيت منه معرضا جميلا قليلا حقيقيا بالرؤية والزيارة .

وكما أن أبناء فرنسا يفرحون برؤيته وأبناء الشرق يحزنون لرؤيته ، فلا عجب اذا اشتركت الفلاسفة مع أبناء الشرق فى حزنهم وأسفهم ، فهم يرون دائما فى القترح جريمة لا تغتفر ، وفى الاستعمار اثما يبقى ما بقيت الساعات والأيام .

معرض الاستعمار الذى وقفنا أمام جسامته وفخامته موضوع على شارع واحد بحيث يسهل على الزائر رؤيته بدون تعب وانتقال كبير وأول ما يرى فيه سراى الجزائر وهى بشكلها العربى الجميل وهيئتها الشرقية البديعة تشتمل على أنواع الصوف والرخام والجلود والأبسطة والثمار والحبوب الجزائرية وعلى ما فى هذه البلاد من الأخشاب المتنوعة النفيسة وتحتوى على الأسلحة العربية والطيور الشرقية المصبرة والأقمشة البهية . وهذه السراى بنيت على مثال سراى (مصطفى باشا) أحد حكام الجزائر السالفين والحاكم العام يقيم بها الآن فى زمن الصيف .

وعلى باب السراى رأيت الحرس من الجزائر وقد تكلمت معهم بالعربية فأول شئ سألوني عنه تقليدنا للفرنج فى الملابس فأجبتهم جوابا فى الحقيقة غير مقنع وتركتمهم وخرجت .

وبجوار السراى سوق يبيع فيها بعض الجزائريين أقمشة وأشياء متنوعة جزائرية .

ويل هذه السراى سراى المستعمرات الصغيرة ، وهى تشتمل على معروضات السودان والكونغو وغينا والجنود لوب ، وليس لها شئ مهم يستحق الذكر بل كل ما فيها أمتعة سودانية كالمعهودة لدينا .

وتأتى بعدها سراى تونس وهى عربية الشكل جميلة الوضع بجوار بابها مأذنة فى غاية الظرف ومعروضاتها لا تختلف كثيرا عن معروضات سراى الجزائر .

وبجوارها خيام عربية بها العرب جالسون وبجانبيهم الجمال كأنهم فى الصحراء .

وأمام سراى تونس ترى قهوة رقص تونسية زرتها فى الليل فلم أر فيها الا كل قبيح مستهجن .

ويلي السراى التونسية سراى الانام التونكين (١) وهى سراى حمراء جديدة جدا
مرسوم عليها صور القبيلة الضخمة وحراسها من الاناميين (وهم يختلفون كثيرا فى
تقطيع الخلقة عن الصينيين) ويشاهد الزائر لهذه السراى فى جهة اليمين المنسوجات
والحبوب وأنواع العاج معروضة بترتيب حسن وفى الوسط المكتبة الاستعمارية
الجامعة لكل المؤلفات والتقارير المتعلقة بالمستعمرات .

وقد استفدت من زيارتها جملة فوائد . وفى جهة الشمال يرى معرض الكمبونج
وبه من أنواع الحرير والدخان وخشب الصباغة والأسلحة والعاج وأجلة القبيلة
ما يدهش الأنظار ويؤيد فى تيار الأفكار .

وبجوار سراى الانام التونكين يوجد محل اتحاد نساء فرنسا العام وبه ترى
الخيام مضروبة والأسرة موضوعة فى عربات المرضى المختلفة وعلى جانبه يرى الزائر
ثلاث قناطر فى غاية الرونق والبهاء .

أولها منظر (٢) حرب الليل بين الألمان والفرنساويين سنة السبعين وبه يرى
الانسان القتلى والجرحى مصورين وهم عديدون والقوم يقتلون كالوحوش وربما قتل
الجندي أخاه الذى من جنسه ظانا انه عدوه مما تمجبه نفس كل امرئ عرف ماهية
الانسانية .

وثانيها منظر واقعة دجبا وهى الواقعة الشهيرة التى سالت فيها الدماء أنهارا
بين الفرنسيين والداهوميين (٣) وقتل فيها القائد الطائر الصيت (فوراكس) وبها

(١) وتقع هذه المنطقة جنوب شرق آسيا - جنوب الصين - ضمن اقاليم الهند الصينية وقد اعتبرت
الدول الأوربية هذه المنطقة نقطة الانطلاق نحو اقاليم جنوب الصين ، وقد كانت مملكة « آنام » إحدى
الممالك الأربع المكونة لشبه جزيرة الهند الصينية - كمبوديا ، سيام ، بورما - وكان المبشرون الفرنسيون
دوى نشاط فى تلك المنطقة ، وقد اتجهت أنظار فرنسا أول الامر نحو مملكة آنام لدوافع اقتصادية ودينية
الا أن السبب الرئيسى هو الدوافع الاستراتيجية خاصة رغبتها فى اقامة قاعدة بحرية وقد تمت السيطرة
الفرنسية على ثلاث موانئ آنامية عام ١٨٦٢ . وامتدت سيطرتها حتى اقليم الميكونج الذى يمتد الى
الاقليم الجنوبية الصينية وقد تمت عدة تسويات بين فرنسا وانجلترا عام ٢٥ يناير ١٨٩٦ بخصوص هذه
المنطقة التى تحاور مصالح انجلترا فى الهند . وقد احتلت فرنسا اقليم تونكن وحاولت التوغل فى
لاوس عام ١٨٩٣ .

بيير رنوفان ، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩١٤ ، ط ٢ ص ص ٣٥٧ : ٣٦٠ و ٥٨٠ : ٥٨٢ .
(٢) المصود بها حرب السبعين (فرنسا / ألمانيا) وهى أكبر الحروب الثلاثة التى خرجت من
خلالها وحدة الأمة الألمانية فالجرب الأولى كانت مع الدانمارك ثم مع النمسا والثالثة والأخيرة مع فرنسا (-
هذه - ١٠ فشر ، تاريخ أوروبا فى العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠) تعريب أحمد نجيب هاشم
رودج الضبع ، ط ٤ دار المعارف ١٩٦٤ ، ص ٣٨٦ - ٣٩٩ .
Encyclopaedia Britannica V. 3, p.p. 663.

(٣) هم أهل مملكة داهومي على خليج غينيا شمال غرب القارة الافريقية ويحدها من الغرب والجنوب
المحيط الاطلنطى ، أما حدودها السياسية - الحالية - فهى من الغرب توجو ومن الشرق نيجيريا ومن
الشمال النيجر والجنوب خليج غينيا .

تري العبيد وهم كالوحوش بل أضل منها يهجمون على كل شئ أمامهم حتى على المدافع .
لا يرهبون النار ولا يخافون الموت والفرنساويون أمامهم لا ييأسون بل يطعنونهم الطعن
البليغ في كل جزء من الجسم والدم يسيل من كل الجهات بحيث ان المشاهد لهذا
المنظر لا بد ان يعترف في الحال بأن لا مدنية في الوجود ولا حضارة في المجتمع
البشرى مادام الناس هكذا يفترس بعضهم البعض الآخر .

وفي أسفل هذا المنظر ترى بيهنزن (١) مصورا في جهة جالسا على كرسيه
ورجاله وأتباعه من حوله وفي جهة أخرى تراه يقتل أمه لتذهب الى الجحيم وتخبر
أباه بأنه سيسلم نفسه للفرنساويين .

وثالثها منظر تنويج قيصر روسيا وهو منظر جميل جدا ترى فيه القيصر واقفا
والتاج على رأسه وخلفه أعضاء عائلته الملوكية وأمامه القسيس الأكبر وبحواره عظماء
رجال الدولة والخلق مزدحم والجند مصطف بكثرة على أتم نظام مما يمثل هذا التنويج
كمال التمثيل .

وبعد رؤية هذه المناظر البهية المنارة كلها بالنور الكهربائي يحسب الانسان
نفسه انه انتقل الى الشرق حيث يرى أمامه قرية عربية وملعبا تركيا يشبه ملعب
عبد العزيز كمال الشبه ويرى بجوارهما مكانا أشبه بسكة تمبكتو وهي عبارة عن
شريط من الحديد على شكل دائرة وعليه عربات كبيرة تجرها أفيال من الخشب
يحسبها الزائر أفيالا حقيقية تجر العربات ولكنها تسير بفعل الكهرباء .

ويلى هذه السكة الحديدية قرية سودانية متى دخلتها حسبت انك فى وسط
السودان والأطفال (السود طبعاً) تأتيك وتسلم عليك بكل لطف وبشاشة ولكنك
لا تلبث قليلا حتى تندعش عندما ترى الكثير منهم يكلمك بالفرنساوية وينطقها بمنطق
لطيف يستوجب الغرابة لا سيما متى علمت أنهم لم يتعلموا كل ذلك الا فى زمن
المعرض وعلى حين هذه القرية قرى أخرى داهومية وسنغالية وأمامها قرية أنامية
وملعب أنامى لم أسعد برؤيته لانى زرتة وقت الظهر أى قبيل سفرى الى باريس
بساعتين حيث كان الاهلون يأكلون وقد شاهدت أكلهم العجيب لا سيما أكل الأرز
وهو ان الغرابة بمكان .

— د شوقي الجمل ، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ط ٢ ،
١٩٨٠ ، ص ٥١٠ .

(٢) هو ملك داهومى Behanzin وكانت الأقاويل كثيرة حول هذه الملكة وملوكها الذين
يقدمون القرايين البشرية لالهتهم وقد استمرت تقاليدهم هذه حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر
وكانوا يلزمون زوارهم الأجانب بمشاهدة تقديم القرايين البشرية ، وقد نلى الملك Behanzin
الى جزر الهند الغربية بعد هزيمة جيوشه على يد الجنرال دودس Doods الذى كان يقود حملة
فرنسية هدفها فرض سيطرة فرنسا على تلك الجهات .
— د شوقي الجمل ، المرجع السابق ص ٥١٠ .

الى هنا يقف القلم عن التحرير لأن ما ذكره وحده يكفى لمعرفة قدر هذا المعرض
الفريد الفاضل بالعجائب والغرائب .

ولست بذاكر جماله فى الليل وهو مضاء بالكهرباء من أوله الى آخره ولا عربات
الترمواي الجيلة التى تقطعه من مشرقه الى مغربه ومن شماله لجنوبه ولا أزهاره
وأشجاره البديعة المتعددة فان كل ذلك وما يشابهه يدل على فخامته وعظمته المعروضة
للقراء الكرام .

ولم أستطع فى اليوم الذى أقمته بهذه المدينة التى تعد ثانية باريس رؤية
شيء آخر غير المعرض الا مقتل (١) رئيس الجمهورية فقد شاهدته ساعة سفرى
ووقفت به لحظة تخيلت فيها الرجل البرىء المحبوب راكبا عربته والشقى كازيريو
هاجما عليه بخنجره والدم يسيل منه دم اخلاص الوطن ومحبة الشعب الطاهرة وهنا
سنحت لى فكرة وهى أنه ان دام الحال على هذا المنوال فلا شك ان القرن العشرين
سيكون مرسحا لفظائع الفوضويين ومجالا لاعمالهم التى رأينا مقلداتها ولسمنا ندرى
ماذا تكون نتائجها والسلام .

ليون فى ١٢ يوليو سنة ١٨٩٤ .

(١) كارنو سادى (١٨٨٧ - ١٨٩٤) هو سياسى فرنسى ، ثالث رؤساء الجمهورية الثالثة
(٨٨٧ - ٨٩٤) تولى وزارة الأشغال (١٨٨٠ - ١٨٨٥) واضطربت الأمور فى عهد رئاسته بسبب حركة
الجنرال بولنجيه وفضيحة قناة بنما .
قد اغتاله فوضوى ايطالى هو كازيريو هذا .
- مهبد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٤٢٣ .

الرسالة الثالثة ★

« بلجيكا وعاصمتها »

« بلاد البلجيكا هي من البلاد الصغيرة التي اشتهرت في الوجود بموقعها الجغرافي الجميل ، الذي جعلها ميدانا تتسابق فيه رجال التجارة والصناعة فلذا كانت أول بلاد في العالم مزدهمة بالحلائق ، حيث فيها مع صغر مساحتها ستة ملايين من الأنفس أى ما يقرب من سكان القطر المصرى ولتجارتها وصناعاتها شهرة ذائعة وصيت بعيد ، وبها من معامل الحديد والفحم الحجري والورق مالا يعد ولا يحصى وبها من أشياء الزخرف ما ازدحمت به سفن التجارة البحرية السابحة بين شواطئها وشواطئ هولاندة والدنمرك وانكلترا . »

وبالجملة فداخلها مجال المجارة والتسابق في التجارة والصناعة ، وشواطئها مرسى السفن العديدة التي تنقل منها الى البلاد الأخرى ما اشتهر من بضائعها بالحسن والاتقان .

وهي كسائر البلاد البحرية ذات حمامات جميلة بل تمتاز عن جميعها بحمامات أوستند التي ينزل بها في فصل الصيف أعظم الملوك والأمراء وأكابر الموسرين والأغنياء طلبا للتمتع بمياهها ومشاهدة مناظرها الجميلة وحبا في استنشاق هوائها والترويض في رياضها الفيحاء فهي سلاية لللب من زارها ، خلاية لعقل من حل وأقام بربوعها ، وقد عشقها ليوبولد الاول ملك بلجيكا السابق فبنى فيها قصرا بالغ الكتاب في وصفه وتبيان وضعه وحسنه .

وقد بلغ أهل هذه البلاد البلجيكية من دماثة الأخلاق ووداعة الطباع مبلغا ميزهم عن سائر الأمم الاوربية ، وجعلهم محبوبين مكرمين بين الجميع فتراهم يعززون الزائد لديارهم ويبالغون في اكرامه حتى يدفعه حسن الاستقبال الى طول الاقامة في بلادهم ، والاستئناس بهم وبمعاشرتهم وهم يتكلم أكثرهم اللغة الفرنسية ويحبون الفرنسيين حبا يضعهم في مقدمة المخلصين لحكومة الجمهورية المعترفين بخدمتها للعلم والاختراع .

(★) كتبت وهو في بروكسل ٢٢ يولية ١٨٩٤ ونشرت بالاهرام بتاريخ ٣١ يولية ١٨٩٤ .

وانى أرى أن حبه للفرنسيين يعد واجبا من أقدم واجباتهم فلطالما نصرتهم فرنسا وأعلنت من شأنهم وخلعت بلادهم فى القرون الخالية ، وفى هذا القرن الحاضر الذى لم تتم السنة الثلاثون فيه حتى كانت بلجيكا دولة مستقلة ومملكة منظمة قائمة بذاتها بعد أن رأت من الهولانديين أنواع العذاب .

عاشت بلاد بلجيكا دحرا طويلا تحت سلطة الرومانيين والفرنساويين والاسبانيين ، وتجرات مقاطعات صغيرة حينما من الزمن ، ثم عادت لفرنسا بعد ثورة ١٧٨٩ ، ودامت خاضعة لسلطانها الى أن فصلتها عنها معاهدة فينا سنة ١٨١٥ وضممتها لهولاندة ، يحكمها أميرها وتسوسها قوانينها ونواميسها الى أن قامت عام ١٨٣٠ كما يقوم الأسيد بعد طويل نومه وعميق رقاده ، وثارت على الظلمة حكاهما مطالبة بحريتها وحقوقها التى سنّها لها ناموس الوجود وقانون المعيشة والحياة .

وقد رأت عندهن من فرنسا العنصر القوى والسند المتين فهى التى سعت لها عند الدول حتى وهبتها الاستقلال التام والحرية الكاملة وذلك بمقتضى مؤتمر عقد بمدينة لندن عام ١٨٣٠ ، ومن هذا الحين ظهرت الدولة البلجيكية بين الدول الأوروبية دستورية حيث أصبحت كآتم الدول نظاما لها مجلس شيوخ ومجلس نواب ومحاكم منتظمة نبراسها العدالة ووجهتها الحق والانصاف .

ومن يوم أن تم لها هذا الظفر العظيم ابتداء البلجيكيون فى تنظيم بلادهم كما تهوى نفوسهم ، وقد تم لهم ذلك حتى أصبحت كل مدينة من مدائنهم قرة النواظر ومسرة الخواطر وأخصها بالذكر بروكسل عاصمتهم ومحط رحالهم فلقد بلغت من النظافة وحسن الرونق مبلغ باريس على عظمها وكبرها وتفردا بين مثيلاتها بالحسن والجمال ولذلك يسميها أهلها وأغلب زائريها « باريس الصغرى » أو بنت باريس .

وصلتها بعد أن تركت العاصمة الكبرى بسبب ساعات ومعى فاضل من كرام الشبان فرأينا منها عاصمة حقيقية بالزيارة فسيحة شوارعها ، متوسطة الارتفاع ، مساكنها جميلة آثارها شماء تناطح فى علوها السماء بها من الرياض والحدائق من الشمال الى الجنوب . ومن الشرق الى الغرب خطوط السكة الحديدية وعربات الترامواى وبالجملة فهى مدينة بديعة فى جمالها رشيق فى حسنها واعتدالها ، لا يرتاب السائح ان رآها فى انها قطعة من باريز لولا هدوء حركتها وسكون تجارتها فى أهم أقسامها .

وهى تنقسم الى قسمين كبيرين أو الى مدينتين متميزتين الأولى المدينة المنخفضة أو القديمة وفيها مركز التجارة والصناعة والثانية العالية أو الحديثة وبها مساكن العائلات الشريفة ومنازل كبار الموظفين وسائر الأغنياء وفى منتصفها منتزه جميل به فسقتان وخلفه مجلس الشيوخ والنواب وجميع النظارات وأمامه سراى الملك

أوراق مصطفى كامل - ١١٣

(وهي محكمة البناء متقنة الصناعة) وسراى مجمع العلوم والفنون المشيدتان خلف الساحة الملكية والمقام فى وسطها تمثال (جود وفرواد وبويون) الشهير بنصراته فى الحروب الصليبية وأمام هذا التمثال فندق (البدفو) الذى اخترناه منزلا لنا مدة اقامتنا لحسن موقعه من المدينة .

وبالبلد آثار قديمة كثيرة العدد أهمها سراى الملك القديمة ودار المحافظة وهما متقابلتان يدل بناءؤهما على حالة البناء والصناعة فى العصور الوسطى ، ودار المحافظة قاعة عامة من بناء القوط وأخرى للزواج من الجسامة بمكان والآثار الحديثة أجدرها بالذكر البورصة وسراى العدالة ومعرض عام ١٨٨٠ .

أما البورصة فيميزها عن سواها من الآثار أنها فى أحسن موقع وأكبر شارع من المدينة تتواردعليها من كل صقع الألوف من التجار والسماسة .

وأما سراى العدالة فإن قلمى عاجز عن وصفها وشرح جمالها وجلالها فهي سراى ضخمة عالية بها من العمد الشاهقة والمسالك الفسيحة والقاعات العديدة مالا يعلم عدده الا من أعطى الانسان هذه اليد القادرة على خلق مثل هاتيك الآثار التى تسلب الانظار وتحير الافكار ، وماذا أكتب لك عن سراى هى مظهر الجلال والاحترام وموضع هيبة العدالة ومكان الانصاف مساحتها ٢٦٠٠٠ متر مربع وارتفاع قبعتها وحدها ٩٧ مترا ، وثمنها قدره ٤٥ مليوناً من الفرنكات ، بابها فريد فى احكام بنائه وعظيم ارتفاعه يرى الداخل منه اليمين سلما بأوله تمثال ليكورغا الشاعر اليونانى ودبمستون خطيبها وعلى الشمال سلم آخر يبدأ بتمثال أولبيان الشاعر الرومانى وشيشرون خطيبها وفيلسوفها ، يصعد الصاعد من السلمين الى ساحة السراى المشتملة على سبع وعشرين قاعة مخصصة للجلسات ، ومائتين وخمس وأربعين لموظفى المحاكم . وأرفع قاعات الجلسات مقاما وبناء وأعظمها اتساعا وارتفاع قاعة الاستئناف الاولى والثانية وقاعة النقض والابرار وقصارى القول أن هذه السراى فريدة عقد آثار بلجيكا اذ أنها آية من أكبر آيات الصناعة فى القرن التاسع عشر .

وأما معرض عام ١٨٨٠ فموضوع خارج المدينة أمام ساحة الحسين ، وهو لا يختلف فى الاتقان عن أعظم الآثار الجسيمة اقامته الحكومة عام ١٨٨٠ دليلا على اتمامها نصف القرن الأول من استقلالها ونيل حريتها .

وبالمدن تمائيل جمة أقيم أغلبها لعظماء الرجال الذين خدموا استقلال البلاد البلجيكية ، سواء كانوا من أبنائها أو من غير أبنائها ، وأشهر هذه التمائيل عمود المؤتمر وهو عمود مرتفع على قاعدته أربع تمائيل ، وداخله سلم حلزوني قبلج درجاته ١٨٤ درجة توصل الى قمته التى يرى منها الانسان المدينة كلها ، وقد شيد هذا التمثال تذكارا للمؤتمر الذى عقده أكابر رجال الثورة البلجيكية عام ١٨٣٠ وأعلنوا فيه استقلالهم وإنفصال بلادهم عن هولندا .

ولهذه العاصمة الزاهرة كما لغيرها مكتبة بها من الكتب المطبوعة ٣٠٠٠٠٠ كتاب
ومن المكتوبة ٢٠ ألف .

وبها من المتاحف العدد العديد نذكر منها متحف التصوير والنقش القديم
والحديث ، والجامع لغرائب الصور العتيقة والحديثة ولكن أغلبها صور دينية متقنة
أحسن اتقان .

ومتحف التاريخ الطبيعي وبه عدد كبير من الحيوانات المصبرة بين كبيرة وصغيرة
ومفترسة وداجنة وكلها تحسبها حية وبها غير ذلك من الأحجار المختلفة والمعادن
المتنوعة ما تستلزم رؤيته أياما عديدة .

ومتحف الأسلحة وبه من المدافع والرماح وآلات الحرب المختلفة ما يقف منه
المدقق على ناموس القتال وعدده فى كل زمان ومكان .

وأما كنائس المدينة فكثيرة العدد جدا وكلها شاهقة جيدة البناء . ولا عجب اذا
كانت كنائس البلاد البلجيكية أرفع وأعظم من كنائس سواها ، فقد اشتهرت بين الأمم
المعاصرة المجاورة لها بتمسك أهلها بالدين تمسكا زائدا .

وللمدينة متنزهان شهيران متنزه (لاكن) ومتنزه (غابة الكمبر) أما متنزه لاكن
فموقعه وحيد فى المدينة وهو معتدل الهواء جميل الوضع عليه سراى للملك يقيم بها
فى فصل الصيف ولكنه لم يسكنها منذ أربع سنوات لأنها حُرقت بأكملها ولم يبق
منها الا أثر صغير يدل عليها وأمام هذه السراى تمثال ليوبولد الأول أبو الملك الحاكم
وخلف هذا التمثال غيط الملك ومتى وقف الانسان أمام التمثال فانه يرى من هذا المتنزه
بقعة من الأرض خضراء بها الأشجار الجميلة الزاهرة من كل جانب فيحسب أنه قد
فصل عن هذا العالم وانتقل الى عالم آخر كلة جمال وبهاء ولست بقادر على وصف
هذه البقعة السندسية كمال الوصف فانها هى الاتقان أو فوق الاتقان وأنى لى بلوغ
هذا المبلغ من البيان ولست فى بديع الانشاء بسبحان .

وأما غابة الكمبر فلا تختلف فى صفاتها وحسن نظامها عن غابة بولونيا بل ان
شئت فقل انها غابة بولونيا البلجيكية .

وغاية القول ان هذه العاصمة على صغرها تفوق بنظافتها وجمالها جميع العواصم
أوروبية وغرب أوربية والسلام .

الرسالة الرابعة ★

معرض انفرس

« اهتدت أوروبا في العصر الحاضر الى المعارض اهتمامها لاعلاء شأن التجارة والصناعة ، وزيادة البحث والتنقيب في وسائل الارتقاء ، وازدانة الأفكار بأنوار العلوم والمعارف فأنشأتها في كل صقع وواد وأقامتها في كل بلد وناد وظهرت كل دولة من الدول تنافس اخواتها بصناعاتها المتفردة بها تجارتها المميزة لها عن غيرها فازدحمت المعارض بالزوار وضائق الفسحات على رحبها حتى فازت بالشرف الرفيع والفخر الكبير . فسرت الأمم بباوغها مرامها من الكسب وعلو الصيت ونال المعارضون مطالبهم من الشهرة والارباح ونزه الزائرون منهم النواظر في هاتيك المناظر العديدة الأنواع المتسابقة نحو الأحكام والابداع الناطقة بدقة الصناعة ومهارة الصانع فنشأ عن ذلك حب الدأب على العمل والورع بالتسابق والمجادة مما زاد أوروبا ارتقاء وتقدما وعلاء وجعل أهلها يؤملون دوام الحال ، بل ازدياد الفخر والمال ماداموا أصدقاء العلم أوفياء للعمل . »

كل ذلك في هذا العصر المضيء عصر ازدهار العلم وثمو الاختراع ولم نتعد نحن ما نحن عليه من الحمول والسكون ، ولم تعد حركة التقدم والفلاح الى قوم العز السالف والذل الحاضر ، بل دام النشاط في بنيه يحافظون عليه ، ويحافظ عليهم ودامت الدعة في أهلها يرحبون بها وترحب بهم ؛ والشرق يبكي الديار والأوطان حتى هب من مصر الرخاء وبالد الهناء حب الجنوح الى العمل فقامت الأفكار بانشاء معرض وطني انشرفت له الصدور وان لم يكن بالمعرض المذكور الا أنه بداية الخير وعنوان الرجاء .

فليهنأ المصري به وليجتهد في اقامه معرض تفتح له ابواب المدح والثناء وترتل فيه آيات الحمد والاستحسان حتى تنشط « مصر » من عقالها وهي غسادة الشرق والغرب وتقوم من رقادها ، وهي عروس العلم والأدب فتتم اذ ذلك الحيرات والبركات ويقول الشرق لأيام الهناء عدت وعاد الرجاء فليعيش الارتقاء ولتحيي العلوم والعلماء .

(★) كتبت وهو (أنفرس) بتاريخ ٣ أغسطس ١٨٩٤ ثم نشرت في جريدة الأهرام بعددي ٤٩٩٨ ، ٥٠٠٠ .

تلك نوطثة للكلام عن معرض أنفرس الذى سارت من أجله الركبان وطبق ذكره الممالك والبلدان . فزاره من داني المواطن وقاصيها عدد يفوق عدد سكان أنفرس على كثرتهم وتزاحمهم مما جعله أسمى مركزا من معرض ليون الذى لم يعبه الا قلة القصاد وأن كان يماثل معرض أنفرس فى اتقانه بل فاقه فى بعض أجزائه .

وكلا المعرضين كبير الأهمية عظيم الشأن جم الفوائد والمنافع لا يكاد يختلف احدهما عن الآخر فى المكانة لولا وجود مميزات تميز كل واحد منهما فلقد امتاز معرض ليون بقبه السماء الجامعه لشتات المعروضات وأنواع المصنوعات وبمعرضه الاستعماري الذى فى زيارته دراسة ثابتة لأحوال الشرق وصنائه وتجارته مما يتعسر رؤيته فى معرض اخر .

ومما جعل المعرض الليونى أكثر بهاء من معرض أنفرس البحيرة الجميلة التى جاءت فى وسطه تسير فيها المراكب بالزوار فتتزههم فى هذه اللجة البيضاء ، بعد أن نزهتهم بحسنتها وجمالها .

وأما معرض أنفرس فيمتاز بالحركة الدائمة فيه وكونه فى الحقيقة معرضا دوليا ، تنقسم مخازنه (التى تشابه من معرض ليون القبة الجامعة لاحتوائها على أهم الأشياء المعروضة الى جملة أقسام ، فى كل قسم منها معروضات دولة من الدول ، حتى صارت ككتاب يقرأ الزائر فيه مكان كل دولة أوروبية ، من التقدم فى التجارة والصناعة فهى تعتبر المعرض نفسه وما تعداها يعتبر زوائد كزوائد المعرض الليونى .

ولهذا المعرض الدولى البلجيكي جملة أبواب منها باب متسع هو أهمها متى دخل منه الانسان رأى أمامه قبة صغيرة جميلة الشكل مختلفة الألوان ، بها باب المخازن الموضوعة بجوار بعضها تحت سقف من الزجاج ؛ محكم الرقع المكونة جميعها لزواية منفرجة عرضت فى انفراجها زوائد العرض ذات اليمين وذات اليسار .

وأول شيء يراه الزائر على يساره من هذه الزوائد ، حى الترك وحى السوريين وبهما بعض المحصولات التركية والسورية يبيعهاجماعة من أصحابها وبجوارهما ملعب (سوري) كملاعبنا المصرية ؛ يليه منظر خلوات أفريقيا الوسطى وبها ترى السائح الشهير (ستانلى (١) جالسا بين الأعشاب الجملة والأشجار المختلفة يتحدث مع أمين باشا الالمانى فى شأن العودة الى مصر والأهلون منتشرون رجالا ونساء .

(١) استانلى Henry M. Stanley (١٨٤١ - ١٩٠٤)

ولد فى ويلز وتربى يتيما ، تلقى تعليمه فى ظروف معقدة ، عمل بالتجارة ثم التحق بالاسطول الأمريكى وقام بجولات فى شرق أفريقيا حيث أصبح من المستكشفين لمناطق هامة فيها وقام برحلات جاب فيها القارة من شرقها الى غربها ، وكان من أكبر أعماله هناك اشتراكه فى حملة انقاذ أمين باشا Amin Pacha Relief Expedition سنة ١٨٨٦ حيث تقابل معه فى مديريةية خط الاستواء لينقله من مصاره الذى فرغه عليه (أتباع المهدي) وهو ما يشار اليه هنا .

وعلى يمين هذا المنظر الأفريقي ترى ملعباً أمامياً كالملعب المقام في معرض ليون زرتة في الليل مع رفيقى وحضرنا فيه تمثيل رواية لا أضن على القراء بذكر ملخصها الذى وزع علينا بالفرنساوية وهو (رزق أحد ملوك بلاد الأناضول بنتاً جميلة أرادها زوجاً لـاحد أبناء الملوك المجاورين له وكان لهذه البنت أخ يبغض هذا الملك وابنه فدبر لهما مكيدة ودعاها لوليمة اختتمها بسجنهما والاستعداد لاعداهما لولا أن جاءت أمه واستغفرت لهما عنده وطلبت العفو عنهما فعفا وأقيم مهرجان الزواج كما أراد زوجها) هذه هى رواية لديهم يعتبرونها مثالا للبلاغة وحضرنا تشخيصها وسمعنا كلامهم المقطع الذى يجتمع مع لغة الحيوانات العجم فى أغلب الحركات والسكنات .

وبعد المعرض الأمامى يأتى الشارع المصرى وبه الباعة المصريون وسائقوا الحمار ، الذين يتعاطون الحشيش فى كل وقت حتى فى هذه البلاد الغربية وبه غير ذلك قهوة رقص مصرية رحب بنا أهلها كل الترحيب وان تكن زادتنا الحسرة من زيارتها ورؤية بناتها .

هذه هى مشتملات الشارع المصرى وأما هيئته العمومية فمصرية لا تختلف عن هيئة أكثر شوارعنا القديمة .

ولا شك ان الزائر لهذا الشارع يهزأ بنا ويسخر منا حيث لا يرى أمامه الا نقيصه تنطق بتأخرنا ، وتعلقنا بدنايا الأمور مما يجعلنا نستنهض همم كبار تجارنا لتشريف هذه المعارض المهمة وعرض مصنوعات البلاد وانسجتها عوضاً عن هذه النقائص الظاهرة للعيان .

وأمام الشارع المصرى معرض للزجاج وبجواره سراى شرقية بها قهوة رقص عربية (كأن الشرق لم يشتهر الا بالرقص) أقيم أمامها محل بدوى به بنات عربيات لا يأتين شيئاً آخر غير الرقص والغناء .

وبجوار الشارع المصرى قهوة رقص مراكشية أمامها حى الجزائريين والتونسيين وبه ملعب جزائرى وباعة تونسيون وجزائريون ، وفى وسط هذا الحى أقيمت فسقية كهربائية تضاء كل ليلة .

= أما أمين باشا هذا فهو الدكتور الألمانى ادوارد شنيترز ، وأسلم وسمى نفسه بهذا الاسم وقد التحق بخدمة الحكومة المصرية كحاكم لمديرية خط الاستواء من قبل الخديو عام ١٨٧٨ وبعد قتل غوردون فى ٢٦ يناير ١٨٨٥ قطع المهديون عليه خط العودة الى الشمال وقد استغل الاستعمار هذا الموقف وصدرت صرخات فى دوائر السياسة الأوروبية لاتقاذه ، وسلطت الأضواء أكثر من اللازم على وجوده ولكن كان الهدف هو ابعاد النفوذ المصرى من هناك وفعلوا ثم لهم ذلك بعد حملة الانقاذ المشار اليها .

ولزيد من المعلومات يرجع الى

- Gray, R. : A history of the Southern Sudan, 1839-1899, Oxford, 1961.
- Fox, Bourne : The Other Side of Amin Pasha Relief Expedition, London, 1891.

ويأتى بعد حى الجزائر المعرض التاريخى للبلاد البلجيكية ، وبه اثنا عشر منظرا يرى منها الزائر أن البلجيكين يعتبرون مبدأ تاريخهم ثورة عام ١٨٣٠ التى نشأ عنها استقلال بلادهم وتمتعهم بحريتهم ، وأهم هذه الصور هياج الناس من مبدأ الثورة بملعب (المسكوكات) ، وصورة دخول ليوبولد ملك البلجيكا السابق الى مدينة بروكسل من باب (لاكن) وصورة تحليفه تلك اليمين ، وصورة الاحتفال بالسنة الخامسة والعشرين من حكمة ، الى غير ذلك من المناظر التى تمثل أعظم حوادثهم وأكبر أيامهم .

هذا أهم ما يراه الزائر فى جهة اليسار وأما جهة اليمين فأحق شئ بالذكر فيها سراى الأعياد (الموضوعة فى تجويف رأس زاوية المخازن ، وهى سراى كبيرة جميلة بها قاعة متسعة معدة للاحتفالات الرسمية التى تقام فى المعارض (أقيم فيها أخيرا احتفال الجرائد) وهى تسع ستة آلاف شخص بجوارها مطعم (أو مقضم أو مقشم كما تشاء) هو أكبر مطعم فى المعرض .

وأمام هذه السراى ترى عمودا مرتفعا تخفق عليه الراية البلجيكية كتب عليها بالفرنساوية (كمريخ) أقامته الشركة المسماة بهذا الاسم اعلانا للعموم بأنها أول شركة بلجيكية تستخرج عصارة اللحوم وهذا العمود يبلغ ارتفاعه فوق الستين مترا وقد علمت أن ما انفق عليه يكفى لأن يكون رأس مال لشركة مهمة ؛ مما يدل على ثروة شركة (كمريخ) وأنه لا يضرها انفاق مبلغ طائل كالذى صرفته على اقامة هذا العمود لتوقف الناس على قدرها وأهميتها .

وقد سميت الشركة بهذا الاسم نسبة لطبيب بلجيكى شهير اشتغل زمنا طويلا فى البحث عن وسائل تحسين عصارة اللحوم .

وعلى يمين هذا العمود الشاهق الارتفاع ترى مكانا فسيحا تباع فيه مصنوعات أمريكية من أدق مصنوعات العالم الجديد وعلى مقربة منه ترى حى مدينة أنفرس القديمة المعتبر عند البلجيكين أكبر آية فى المعرض لكونه يمثل لهم هيئة مساكنهم وأسواقهم ومطاعمهم وشكلهم فى القرن السادس عشر .

والداخل فى هذا الحى يرى شكل مدينة أنفرس القديمة وأبنيتها المنخفضة الغير المنتظمة ، وكنائسها العتيقة ومدافنها ومثاباتها (وبرصها) وأسواقها وما يشابه ذلك مما يمثل الأيام الغابرة وأهلها أحسن تمثيل ، لاسيما عندما يرى الزائر كل ما بالحى من رجال ونساء زيهم الزى القديم وخطابهم اللغة الفلمنكية المهجورة .

وخلف هذا الحى ترى منظر جبال الالباب وعلى قممها الثلج المستديم ونحتها الرياض النضرة . والحقول المزدهرة مما يستميل فكر السائح لزيارة هذه الجبال التى يسجد لها ماتها السحاب .

وبعد هذا المنظر البهيج ترى قنطرة نصيف مستديرة تحتها قرية الكونغو وهي قرية سوداء تشتمل على أكواخ مختلفة ومساكن سودانية عديدة وبحيرة جميلة وأعشاب كثيرة وكهوف من النقش كبيرة .

وعلى يسار هذه القرية بنيت سراى الكونغو وهي لم تفتح للآن .
وعلى يمين القرية ترى متحفا للفنون الجميلة خلفه متحف آخر لا يمتاز عنه الا بكثرة نقوشه ورسومه المعروضة من قبل أهم الدول الأوروبية .
وتحت المتحف الأول معرض الحيوانات البحرية المختلفة والاسماك المتنوعة السباحة فى المياه كسباحتها فى البحار .

وخلف هذه المناظر الجميلة ترى قبة طائرة كقبة المعرض الليونى ، بجوارها مكان متسع الأرجاء والانحاء أقامه أحد الضباط الأمريكان المسمى بويتون وجعله أشبه بالجبال الروسية من حيث ارتفاع بعض نقطه وانخفاض البعض الآخر الا أن هناك بركة تسير فيها السفن صاعدة نازلة كأنها العجلات فى جبال الروس .

وكل هذه المعروضات والمناظر موضوعة كمعروضات اليسار بين أشجار دانية ظلالها متبدلية أزهارها تراها فى الليل وقد انتشرت الأضواء بين أغصانها وتوزعت على فروعها ، كأنها عرائس رصعت صدورهن بالدر والمرجان وزينت بزينة المهرجان فخطفت الأبصار وسلبت العقول بدلها وجمالها .

متى زرت كل المعارض الصغيرة (أو المعارضات على رأى بعضهم) تجد أمامك آخر ضلع اليمين فى زاوية المخازن وبه قسم الآلات والكهرباء وهو أكبر الأقسام اتساعا قدرت مساحته بـ ٢٢٠٠٠ متر مربع ومتى دخلت من بابه سمعت دوى أكثر من دوى المدافع وشاهدت نورا ونارا يظهران من كل جانب ويبرقان من كل ناحية ولا عجب ان كان هذا القسم أهم اقسام المخازن واكبرها فانما هو أول قسم تمثل الصناعة البنجيكية ورجحانها على غيرها وخصوصا فى سبك الحديد وصناعة الآلات الضخمة .

ويلى هذا القسم قسم هولاندا ومستعمراتها وبه عرضت الشيكولاتة وأنواعها واللوز الهندى والهندباء والقهوة والسكر وما يحاكى ذلك من الأشياء التى تفردت بها البلاد المنخفضة ثم قسم المستعمرات الفرنسية وبه معروضات الجزائر وبعض بلاد الشرق الأقصى .

ويأتى بعد هذا قسم أمريكا وبه من لوازم الاثاث وادوات الكتابة والطبيع شئ كثير .

وعلى يمينه معروضات لسيبيريا والعجم وبلغاريا وعلى يساره معروضات اليابان ومقاطعة الكسبوج وأسوج ونورج ويلى كل هذه المعارض التى يضيق المقام عن

شرح معروضاتها ، قسم السياحة وبه العدد العديد من الخرائط والرسوم والاعلانات المتعددة من قبل كافة الشركات البحرية وبه منظر يشتمل على عشرين صورة تقريبا تمثل صور المراكب والسياح فيها وقاعات النوم والاكل وصور السفائن الكبيرة والصغيرة وهي فى وسط البحر تلعب بها الامواج وصورها وهي داخله الميناء وخارجه منه وما يشابه ذلك مما يلذ البصر ويغرب الفكر .

وعلى يمين هذا القسم البحرى ترى قسم اسبانيا والبرتغال وعلى يساره سويسرا ورومانيا .

وعلى كل هذه الأقسام من جهة اليمين قسم النمسا والمجر وبه غير رسم (فيوم وتريسنا وبحيرة بلاطون) كافة أنواع الملابس النمساوية (التى نلبس منها) والحلل والجواهر النفيسة .

ومن جهة اليسار قسم الدولة العلية وبه الطباق الاسلامبولية الجيدة والمنسوجات التركية الثمينة وبعض المصنوعات الشرقية .

ثم قسم ايطاليا وأفخر ما به التماثيل الصغيرة التى من الرخام الابيض والحجر المختلف الأنواع ، ثم قسم روسيا ويشتمل على أجناس الفراء الثمينة التى يعتبرها الروسين أنفسهم مصنوعاتهم .

وبجوار هذا القسم قسم فرنسا وبه أعظم مصنوعات مدائننا المشهورة فهو يشتمل على أمتعة المنازل والأشياء الزخرف والزينة وأنواع التماثيل ولعب الاطفال وبالجملة كل شيء امتازت به فرنسا عن غيرها ولا تنسى الحرير الليونى فانه زينة القسم وحليته .

ويليه قسم بلجيكا وهو موضوع أمام القبة التى بها الباب العام . لكل المخازن ولا يرتاب القارىء من أن معروضات هذا القسم أكبر وأعظم من معروضات غيره ، فهو حقا المقصود بالذات فلقد تقدم فيه وحده ٤٠٠٠ عارض وعرضت فيه أنواع الفحم الحجري (ولا يخفى على القراء ان بلجيكا تعد فى مقدمة البلاد التى يستخرج منها الفحم الحجري) والمعادن المتنوعة والعربات الجملة وامتعة الزينة التى تفوق الحصر والعد والروائح المقطرة أحسن تقطير وقصارى القول أن فيه أجمل المصنوعات البلجيكية وأدقها .

وفى آخر هذا القسم أمام الباب العام للمخازن أقيم القصر الهوائى الذى طالما حدثتني نفسى برويته والتمتع بالاقامة فيه ولو بعض دقائق ولكننى عندما وصلت اليه تنفست الصعداء وعلتني حسرة وكآبة لعدم فتح أبوابه للآن فتركته متمثلا بقول القائل « ما كل ما يتمنى المرء يدركه » وسرت فى هذه المخازن الهائلة متنقلا من بلجيكا الى ألمانيا حيث رأيت فيها مجموعة ما رأيت فى غيرها من أفخر المصنوعات وأخطرهما مما يدل على اجتهد أهل هذه البلاد وشدة غرامهم بالصناعة .

وأمام قسم ألمانيا قسم انكلترا وهو فائض بالمصنوعات الحديدية والمعدنية التي نذكر منها أنواع العجلات والفولسبييه التي لا توجد في غيرها والتي لا يستعملها في الغالب الا أهلها ، وآلات الكتابة ومطابع اليد ، التي تصدرها لأغلب البلاد وبه غير ذلك المشروبات الروحية بأنواعها ، ونخص بالذكر منها الوسكى المملوء به قسمها وهي مشتهرة بصناعته من عهد بعيد .

ويلى هذا القسم البريطاني قسم كندا وكل ما به من محاصيل زراعية عديدة الانواع .

وتنتهى المخازن كلها بقسم الفنون الحربية الذى يأتى بعد قسم كندا ويشتمل باطنه على المنافع القديمة والحديثة والاسلحة والالات الحربية التي لم تخترع الا للجمع بين حماية الانسان وسفك دمه . وفي وسطه ترى عمودا من الاسلحة القديمة على جوانبه تماثيل أربعة فرسان من فرسان العصور الحالية .

وبجوار هذا القسم العسكرى ترى منظرا حربيا به صور الجنود فى جميع حركاتهم وسكناتهم .

هذه رسالتى عى معرض أنفوس كتبتها ليقف القراء على ما بهنا المعرض الخطير من المعارضات ولم استطع الشرح والتفصيل لضيق الوقت ولأن كل شئ فى المعرض يحتاج وحده لرسالة كاملة ، ولست أقصده فى رسائل شيتا آخر غير ما يراه العيان على قدر الامكان حتى تكون الرسائل كصور المصور تظهر للرأى من الاشياء مظهرها الصادق قياما بواجب السياحة الذى يفرض على السائح (كما يقول العلامة بسكال) أن يقرن واجب الرؤية بواجب الكتابة والاخبار .

والقارى لهذه الرسالة الرابعة يرى أن أوروبا تمثل فى هذه المعارض الخطيرة أكبر الاعمال وأشرف الخصال الدالة اوضح دلالة على مقام الانسان وأما الشرق (ويا للأسف وطول الحجل) فلا تمثل الا قهوات للرقص جمعه فى باطنها أسفل الناس وأوضاع المخلوقات والسلام .

الرسالة الخامسة ★

واترلو والمذبحة البشرية

« حبيب الى واترلو أن أحدثك اليوم بحديث الأولين ، وانبيئك بنياً السالفين ، وأقص عليك أحسن قصص التاريخ ، فأذكر لك حوادث الرجال مع الأيام وحوادث الأيام مع الرجال ، وأشبهك هذه الأعمال الغراء ، وتلك المآثر الشماء • التى فاخرت الشهب والسماء ، وحفظت لذويها لدى التاريخ ما يحفظ مجد هذه الايادى البيضاء من أن يراق عليه دم الحسد ، وانكار العلاء ، وأطرد معك الحديث الى ذكر نابليون ذلك الرجل الكبير والطود الخطير الذى اهتزت له الأرض من مشارقها الى مغاربها ولهجت بذكره الألسنة أصغرها وأكبرها فانثقت الحروب فارسها والنصرات نائلها ، والأوطان حامياها وناصرها ، وجرت الأيام طوع بسانه والحوادث رهين مراده فلم تستطع مخالفة ، ولم تقدر على معاكسة ، بل دام رب السيف والقلم ، وأمير الممالك والعواصم ، أمره الأمر واراדתه الفعل والنهي ، وجرت مشيئته كمشيئة الاقدار وبغيته كبغية الأيام والأمصار حتى ظهرت له (واترلو) بوجهها العبوس وميادانها المشئوم المنحوس تعلنه بأقول بدر سعوده ، وتندره بغروب شمس علائه فيجندت له الجنود والجيوش وجمعت الأسنة والرماح ، وقابلته مقابلة العدو الألد الابطال الأشد ونظرتة نظرة الدهر لعظماء الرجال وكبار الابطال ، واحتقرته احتقار الفيلسوف لرجال الحرب أمثاله ، ومهرقى الدماء أشباهه ، فهزمت منه أقوى الرجال قلبا وأشد الفرسان مراسا ، وأعظم العظماء فكرا ورأيا فظاًطاً تلك الساعة رأسه ، وعلم أنها ساعة الانقلاب وأن الزمن زمان متناقضان زمن السعود والاسعاد وزمن الشقاء والاعداد ، واستغفر لربه من دم اسالته الأطماع وأهرقته محبة الفخار ، فسمع اذ ذاك من دوى المدافع وصوت المواقع انه أراد من الشقاء هناء ، وطلب من الدماء علاء فاعتدى على الانسان في كل بقعة ومكان ، حتى شكته لربها صم الكائنات وصوامت الموجودات فبعث وهو الرحيم على عباده الى (واترلو) رجالا أسعدوا الأمم

(★) كتبت وهو بباريس ٢٧ اغسطس ١٨٩٤ ثم نشرت في جريدة الاحرام اول سبتمبر ١٨٩٤ •

بانهرام مشقيها ، وأراحوا العباد بالتغلب على متعبها ومبليها ، فهرب من الفرنسيين رجال طالما هرب الدهر أمامهم ، وفر من وجوههم خيفة الايقاع به والاعتداء عليه ، على أنه مجرى الأيام وممر الحوادث .

فخسف هذا البدر العالي والكوكب المتلالي في يوم مشهور كان من أكبر أيام التاريخ وأعظمها ، فيه فازت أوروبا المتحزبة القيدح المعلى ، على حين انخزال فرنسا على يد رجلها الخطير ، وفارسها الشهير ، الذي طالما نصرها وأعلى شأنها ولولا واترلو لباتت به فرنسا سيده أوروبا المستعمرة لها ، النافذة الأمر فيها ، المتصرفه في أقسامها تصرف المالك الحرفى أملاكه ولقد صدق من قال وأحسن المقال (لم تعرف أوروبا مركزها الصحيح ولم تدر حقيقة وجودها الا مساء يوم واترلو فان تلك الساعة الحمراء (ويسمىها الحمراء لاحمرار الأفق بها) أوقفت كل دولة أوروبية على انها كفرنسا مستقلة لايجسر ذو أمل نابليون على مهاجمتها) .

وبديهي أن أوروبا بعد انهزام نابليون لم تعد تهاب القتال أو تخاف المذابح البشرية فلقد ختمت جمعاء بمذبحة واترلو التى سالت فيها الدماء مختلطة ببعضها اختلاط الماء بالماء .

ومن ثم اكتسبت واترلو شهرة لاتجارى على أنها أرض جرداء وان كانت اليوم خضراء فلقد أصبحت ملتقى السياح ، يأتونها من كل صقع وبلد بقصد رؤيتها ونظر ساحتها وقد زاد تواتر الزوار اليها من يوم وصفها الكاتب الطائر الصيت (فيكتور هوجو) فى مؤلفه الميزيرابل (البؤساء) ولذا عدت زيارتها واجبا ، لاسيما وبينها وبين بروكسل مسافة يقطعها البخار (١) فى نحو أربعين دقيقة .

وصلتها بعد الظهر بساعتين صعبة رفيقى العزيز ، وقصدنا ميدانها فاذا هو ساحة كبيرة خضراء فى وسطها تمثال ليث أقامته الحكومة البلجيكية تخليدا للواقعة وتذكارا (لولنجتون) ، يصعد اليها بسلم كثير الدرجات ، صعدنا وشاهدنا الساحة زمنا مديدا فلم يكن ليدهشنا فيها شيء ، لأنها لا فرق بينها وبين سائر الغيطان الا أننا تذكرنا غابر الأيام وسالف العصور وتلونا فى عالم الاقطار صحف التاريخ ، فبدت لنا الحرب بأبشع صورها ، وأقبح مناظرها ووددنا كما ود قبلنا من طلب للانسان غايات النعيم لو هلكت الحرب وعدم التباغض وأصبح التاريخ يقص أنباءها كما يقص نبا ثمود وعاد ، ولكنها أمنية بعيدة التحقيق فلقد أمسى هذا البلاء الدائم والشقاء القائم ذا قانون مسطور وناموس مشهور يقرأه القارىء فى علاقات الدول ، وروابط الممالك فى القانون الدولى فهو قسم ليس بالشئ اليسير .

ولقد لبثنا بهذا الميدان الجدير بأن يسمى 'خزان الدماء' مدة ساعتين ونحن
نعيره نظرة ، ونعير الليث نظرات ثم عدنا الى المحطة والأطفال تجرى خلف العرببة
تطلب الاحسان (كالمسحاذين في طريق الأهرام) ، حتى اذا ما بلغناها سافرنا الى
بروكسل ومنها عدنا الى باريز والسلام .

الرسالة السادسة ★

الاحتفال بعيد جلالة السلطان

« قد جئت هذه العاصمة الزاهرة وعلمت اقتراب موسم عيد الجلوس المانوس وأنا افتكر في اقامة حفلة خاصة بالمصريين ، يحتفلون فيها بهذا العيد السعيد ، الذى يذكرنا بجلوس خليفة ملك بعدله الرقاب وجمع اليه الأئمة ألا وهو جلالة السلطان الغازى « عبد الحميد خان » ، اذ لاشك أن المصريين هم أصدق الأمم جميعا للحضرة السلطانية ، وأول المخلصين المقدرين لحب جلالة الخليفة لوطننا العزيز ، وخدويونا المحبوب ، وقد ازداد تعلقى بهذا الفكر من يوم الى يوم حتى أراد الله اظهاره من القوة الى الفعل فشاورت جميع المصريين فاستحسنوه كل الاستحسان وأقروا جميعا بأن هذا العمل واجب وأنه لايلقى من المخلصين عموما والمصريين خصوصا الا رضاه فشرعت منوكلًا على الله وقلت فى نفسى : لاشك أن حبنا لجلالة الخليفة أمر مشهور ، وان احتفالنا سيثبت لكل انسان أن فى المصريين احساسا صادقا يستطيعون اظهاره للوجود ، واعلانه للعالم أجمع دون أن يهابوا عدوا أو حسودا غائرا .

ولذا أرسلت لكل اخوانى المصريين ، أدعوهم لمشاركتى فى هذا الاحتفال السعيد فلبوا الدعوة جميعا بكل سرور وانشرح ، مظهرين لى فى اجابتهم عن الغيرة الوطنية والحمية المللية ماملاً فؤدى سرورا ، وجعلنى أقضى الليل والنهار فى تقبيل كتابتهم ، وأتضرع لله سبحانه وتعالى أن يكثر فى مصر من أمثالهم ، ويبقى روح هذه النهضة الوطنية سمو خديونا المحبوب .

ولما كنا نود أن يحضر هذه الحفلة رجل من كرام الفرنساويين المخلصين لمصر ، المدافعين عنها حتى يعلم كل انسان أننا لانسى الجميل أبدا ، وأننا نعتز لمن يحترمنا لمزيد الفضل ، دعوت النائب الشهير والمستشرق الفاضل الكريم الموسيو فرنسو دبلونكل أشهر مشاهير أعضاء مجلس النواب المعروف عند الجميع بحبه لمصر وأهلها ، وشدة دفاعه عن مصالحها وقد كنت تشرفت بمعرفته من قبل فقبل الدعوة حفظه الله بكل سرور وامتنان .

(★) نشرت فى جريدة الاهرام فى ٨ سبتمبر ١٨٩٤ .

وقد كان زائرنى (صاحب جريدة الشرق) عند حضورى الى باريس وأخبرنى أنه سيحتفل فى مساء الخميس ٣٠ أغسطس سنة ١٨٩٤ بعيدة الجلوس المائوس كجارى عادته السنوية وانه سيدعو كل المصريين فحيدته أطييب الحمد ، ووددت لو دام اخلاصه لدولتنا العلية فلم يمض الا قليل حتى دعا مواطنى الذين لم يتأخروا عن الذهاب فى الميعاد المحدود فما جاءت الساعة السابعة الأفرنكية من مساء الخميس حتى أقبلت على محل الاحتفال العربات من كل جانب ، والمصريون فيها كالبدور يتألفون نورا وبهاء وهم بملابسهم الشرقية الرسمية زيتة الحفلة وزهرة الاجتماع ولم نمكث قليلا بعد دخولنا حتى دعينا للعشاء فدخل النساء ثم الرجال لقاعة متسعة نصبت فيها الموائد العديدة جلس عليها نحو الثلثمائة شخص كل فى مكانه المخصص له وقد كنت تأخرت عن الدخول قليلا لاشتغالى بالتكلم مع أحد رجال المطبوعات فجاء حضرة الكاتب الشهير المسيو شينيل أحد محررى (الجرنال) وأجلسنى أمامه وكان على مقربة من يمينى (نورى بك) أحد كبار رجال الدولة العلية وعلى يسارى جملة من أصحاب الجرائد الخطيرة وقد بدى بالاكل فى الساعة الثامنة واستمر نحو العاشرة والقوم يتحادثون حديث الحب والوداد وقد شنت الموسيقى أسماعنا بالسلام العثمانى والدعاء المرضى الشاهانى مرات عديدة نالت فيها الاستحسان التام والتصفيق العام .

وما بدىء بالفاكهة حتى ابتدأت الخطابات والخطباء والبلغاء من كل جهة يذكرون محامد الحضرة السلطانية ومكانتها فى الشرق والغرب وما لها من بعد النظر فى السياسة متخلصين من ذلك روابط مصر الحالية الوثيقة العرا مع الدولة العثمانية مادحين سمو العباس مثنين عليه أجمل الثناء وقد كان فى مقدمه الجميع المسيو « ميل فو » أحد النواب السابقين فقام وحمد الحاضرين ، وشكر الداعين ، وذكر السلطان ذكرا جميلا وتكلم على مصر طويلا مما كان له حسن الوقع عند العموم .

ثم أعقبته الواحد بعد الواحد حتى وصلت نوبة الكلام الى ، وقد كنت أخبرت بذلك من قبل فقام أحد الكتساب الفرنساويين المجاورين لى وقال « ليصغ الحاضرون لخطابة صاحب جريدة (المدرسة) المصرى » فوقف كل من بالمكان وصفق تشجيعا للخطيب ولقد سعدت على كرسى والقيت خطابا بالفرنساوية كنت كتبت من قبل واليك ترجمته حرفيا .

« ليسمح الحضور لصاحب جريدة مصرى جاء باريس زائرا أن يظهر بالأصالة عن نفسه بالنيابة عن كافة مواطنيه احساسات الحب والاحترام المتبادلة التى تربط المصريين بالفرنساويين وأن يؤكد لكم كل التأكيد أن المصريين لايتسبون جميلا ، بل يذكرون كل ما يؤديه لهم الغير من الخير . »

وأن معشر المصريين نعد سعادة الطالع لرؤية الفرنسيين يحتفلون بمزيد
الانشراح بعيد خليفتنا المحبوب السلطان الجليل القدر « عبد الحميد خان الثانى » .
وانى باسم جميع المصريين الذين علقوا بجلالته كل آمالهم اسألکم ان تشربوا
على صحته وانى واثق من أنکم توافقننى كل الموافقة اذا سألتکم ثانية أن تعقبوا
الشرب على صحة الخليفة بالشرب على صحة أميرنا الهمام « عباس حلمى باشا » .

حتام تجاهرون *

بعكس ما تضمرون

أبدا كتاباتى فى الأهرام برسالة عامة على مناقضة الأنكليز لأقوالهم بأفعالهم واستشهد فيها ببعض الأدلة التى يتحدث بها الناس كافة جاعلا إياها مقدمة رسائل آتية ندرجها على التتابع والله الموفق .

ثبت للفلاسفة والحكماء فى سائر الأعصر والازمان أن النقيضين لا يجتمعان والضدين لا يتحدان ، مما رسخ فى الأذهان رسوخ الأهرام ولم يستطع أحد مخالفة هذا القول الصحيح لأبناء التاميز الذين تلقوا الحكمة والفلسفة على مكيافل فليسوف المظليان فانهم ارادوا بما آتوه فى مصرنا اثبات اتحاد الضدين واجتماع النقيضين فلقد قالوا وملأوا الأرض قولا « انا دعاة الصدق ، نصراء الشرف ، دخلنا مصر لتأييد سلطة بنائنا واصلاح شؤونها واعادتها الى ما كانت عليه قبل الاضطراب (١) ، تم اثبتوا فى تاريخ احتلالهم أكبر اثبات على أنهم عاملون على تقويض أركان السلطة الحديوية وتقليل نفوذها وخراب البلاد وافقار العباد ، مما يدل من افئدتنا حيننا لهم بسخطنا عليهم ، وولائنا لبلادهم بكرهنا لجنسهم ، والا اذا كنتم معشر الأنكليز لا تزالون تسمون أنفسكم دعاة الصدق نصراء الشرف فقولوا لنا بحق مجدكم ما معنى تأييد السلطة الحديوية عندكم أتؤيد سلطة العزيز بتقويض دعائهما وهدم أركانها ومخالفة صاحبها الساعى فى كل رغباته ومناقضته فى كل آمياله وتهديده عند الحاجة بعزله (كأن الدولة العلية أصبحت مقاطعة من مقاطعات اسكتلندا أو ايرلندا . هذا أميرنا أبو اميرنا عليه من الرحمن الرحمة والرضوان ظن بكم خيرا وسالمكم فى اكثر الأمور فقابلتم بعد موته ثقته بكم ومسالمة لكم بقولكم عنه « ان اللورد كرومر تنازل له عن الامضاء على الاوامر العليا فكان يضع امضاء بدل امضاء حضرة اللورد ، مما كان له أسوأ تأثير فى النفوس وعرف الناس حقيقة ماتكنه ضمائرهم وتخفيه سرائرهم وقد بلغ منكم جبكم للتعدي على سلطة الأميران تظاهرتهم مرارا ضد العباس وخالفتمهم رغبته ، وعملتكم (على انكم لم تفلحوا عملا) على قتل النفوس الشريفة المشربة بحبه والاخلاص له .

(*) نشرت فى الأهرام بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٩٤ .

(١) يقصد الثورة المرابية .

بل قولوا لنا بحق مجدكم يا أديعاء الحرية وزعماء المدنية هل أعدتم الوطن العزيز الى ما كان عليه قبل النورة بسلخ السودان عنه وتركه غنيمة باردة لكم ولصدة نعلم من بعدكم فلا تركتمونا نسترجعه ولا صنتم حياتكم كنتم أول الطامعين فيه المتقدرين عليه (١)

وكان ساكن الجنان شريف باشا (٢) فقه كنه مقاصدكم وسوء نواياكم يوم اكبرت الناس عمله وصفقت له استحسانا حيث فض طلبكم واستعفى مفضلا اجتنب الأعمال عن خدمة مآربكم وترككم تحتالون على محبكم نوبار باشا (ومحب غورست على الخصوص) الذى قبل الوزارة وسلخ معكم السودان وما أدراكم أرض هى من مصر بمنزلة الروح من الجسد .

وماذا كان منكم بعد أن أجبتم الى طلبكم ، وسلخ السودان كان منكم اذ كنتم أول المنتهكين لحرمته ، باستيلائكم على اوغندا وادلاى (التى هى من املاك الحكومة المصرية) وأخيرا بالهدية الثمينة التى قدمتموها فى الصيف الماضى الى صديقتكم ايطاليا (يعنى بها كسلا) وكان ما كان من هياج رأى العام ومظاهرة مجلس الشورى الوطنية التى قوبلت بالفرح والاستحسان (٣) .

(١) يسير هنا الى عمله اخلاء السودان أيام وزارة نوبار بعد أن رفض شريف باشا ذلك واستقال ١٨٨٤ احتجاجا على هذا العمل .

يرجع الى : د . يواقيم رزق مرقص ، مرجع سابق ، ص ٣٩ - ٤٥ .

(٢) هو محمد محمد شريف الشركس ولد بالقاهرة ١٨٢٦ ، وتلقى تعليمه فى مصر ثم فى فرنسا بمدرستها العسكرية . وعين ياورا لسليمان باشا الفرنساوى ووصل الى رتبة فريق فى عهد سعيد باشا وظل يترقى فى المناصب الادارية حتى عين فى منصب رئيس مجلس النظارة للمرة الأولى فى أبريل ١٨٧٩ ، وقد تولى هذا المنصب أربعة مرات (٧ أبريل - ٥ يولية ١٨٧٩) ، (٥ يولية - أغسطس ١٨٧٩) ، (١٨٨٤ سبتمبر - ٤ فبراير ١٨٨٢) . (٢١ أغسطس ١٨٨٢ - ١٠ يناير ١٨٨٤) هذه النظارة التى استقال بسبب رفضها « نصيحة انجلترا » باخلاء السودان ، تلك التى كانت بداية سياسة انجلترا لاقتطاع السودان من مصر . وقد وجدت ضالتها فى موافقة نوبار باشا الذى عين رئيسا لمجلس النظارة للمرة الثانية فى ١٠ يناير ١٨٨٤ - ٩ يوتيه ١٨٨٨ ووافق على هذا الطلب لانجلترا .

(٣) يونان ليب : تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ - ١٩٥٣ ، القاهرة ١٩٧٥ من ص ٦٦ . ٧٤ . ١٧٧) .

(٣) تدخل هذه المسألة ضمن مؤامرة الدول الكبرى لتقسيم أملاك مصر فى السودان الجنوبى والشرفى مستغلة ديام الثورة المهدية وعجز حكومة عبد الله التعايشى عن المحافظة عليها . وقد ضمت هذه المؤامرة انجلترا وايطاليا والحشة وفرنسا .

فبالنسبة لاوغندا فقد سال لعاب انجلترا عليها وارادت أن تحصل عليها بثمن قليل فقد وصلب املاك مصر فى مصر اسماعيل الى منطقة خط الاستواء التى شملت أجزاء واسعة من اوغندا وجعلت عليها حاكما هو أمين باشا الذى انقطعت اخباره عن مصر بفعل المهديين الذين هددوه فاستغلت الدول الكبرى هذا الحصار وضخموا موقفه وطالبوا بإرسال حملة لاقتاذه وتدخلت فى ارسالها قوى أخرى مثل الملك ليو ولد بميله الانجليزى الرحالة ستانلى وألمانيا بعميلها كارل بيترز Karl Peters =

هذه نقطنكم السوداء فى تاريخ الاحتلال لم تحثف لكم الا تيقظ الناس لأعمالكم والتفاتهم لحقيقة أفعالكم فلا تحسبوا اننا امه حمقاء لانهم اسرار سياستكم بل تيقنوا أن ما يكتبه كل كاتب صادق يكرره الأهليون عن بكرة أبيهم يوما بعد يوم .

ادعينم انكم دخلتم البلاد لشرقية أهلها وجعلهم أهلا لأن ينولوا شئونهم بأنفسهم فهل كان ذلك منكم باغتيالكم الوظائف السامية وقبض الرواتب الفادحة والتبذير المستمر الذى أوصل الفلاح الى سوء الحال الذى لم ير له فى تاريخ مصر مثال .

وهل رقيتم البلاد يا ممدنى الهند والهنود بتضييق دائرة التعليم فى المدارس ومعاقبة الذين لا ينشرون لغتكم ولا يستحسنون أعمالكم واستعمال الجرائد المتهكمة على الأمير والوطن (١) كتبنا للمطالعة وتدریس علم التاريخ فى مؤلفات اتيتم بها من بلادكم بلاد الحرية والاعتدال (صديقه الاسلام وحبيبه الدولة العلية) مملوءة بالظلم على الدين الشريف والنبي الكريم

ليس فيما ذكرناه من بعض المسائل الشائقة الرائعة المعروفة عند كل قراء الأهرام

= ثم انجلترا أخيرا عن طريق عملها فى زنجبار كابن فردريك لوجارد F. Lugard ممثل شركة افريقيا الشرقية البريطانية الذى بدأ تدخله بعد أن خلت الحبله له فى مايو ١٨٩٠ وبدأ يحصل على موافقات من ملوك أوغندا القبليين على أن يكونوا تحت حماية انجلترا ورفع علم الشركة على كل منطقة تدخل تحت هذه الحماية ثم ما لبث العلم ان أصبح علم بريطانيا العظمى بعد أن أكمل سعيه وعاد الى لندن ليعرض جهده الناجح فى أكتوبر ١٨٩٢ وبعد أخذ ورد فى دهاير السياسة البريطانية أعلنت انجلترا حمايتها على أوغندا فى ٨ يونيه ١٨٩٤ أما بالنسبة لكسلا فقد بدأت علاقة إيطاليا بها عندما ابتاعت شركة روباطينو Rubattino الإيطالية للملاحة منطقة بجوار الميناء عصب على ناب المندب من أحد السيوخ المحليين وكانت المنطقة كلها تحت حكم مصر الذى بدأ ينسج فى تلك الأيام هناك ١٨٧٩ ، ٨٨٠ ورغم احتياج السلطات المصرية على هذا الصنف تعيين مقيم إيطالى فى عصب وفى ١٨٨٢ انتقلت ملكية عصب الى الحكومة الإيطالية ثم توالى مسألة إبرام المعاهدات بين مندوبى الحكومة الإيطالية ورؤساء القبائل هناك بسماع من السلطات الانجليزية التى أرادت أن تكسب ود إيطاليا المنطقة ولتضمها درء، للمد المهدى لى تلك المنطقة .

ثم ما لبث الايطاليون أن دخلوا فى حرب مع الاحباش المجاورين ، كما وقع خلاف فى نفس الوقت بين الرؤوس الاحباش مما سهل عملية الضغط البريطانى لصالح إيطاليا .

ولقد تدخل الدراويش فى العراق ١٨٩٣ ولكنهم هزموا فى ٢١ ديسمبر ١٨٩٤ وسقطت كلها فى يد إيطاليا تماما فى ١٧ يوليه ١٨٩٤ وبدأت انجلترا بعد ذلك تصرف فى المنطقة المألقة لها لتمطيها لإيطاليا بمقتضى عدة بروتوكولات ومعاهدات دون ما نظر لالكتها الأصلية مصر . (لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى : محمد فؤاد شكرى ص ص ٤٠٠ - ٤٢٤ ، د السيد رجب حراز ، افريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبى القاهرة ١٩٦٨ ص ٤٧٣ - ٤٧٥ .

ود شوفى الجبل - تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٣٩٧ .

(١) يقصد صحيفة المقطم .

والجرائد الصادقة برهان صحيح على انكم لا تريدون الا البقاء ولا تقصدون قرع باب الانجلاء .

لنسلم لكم انكم اصلحتم الشؤون و يدم السلطة الخديوية فمالككم لا تخرجون .

أظنكم تجيبوننا على ذلك بانكم لم تتموا للآن ما تكلفتم به وانه باق عليكم بعض الشيء - اذا كان قولكم حقا فلتضربوا لنا ميعادا للانجلاء وهو يسر عليكم فقد خيرتم الأمور وأصلحتم الكثير من الشؤون وبذلك تبرهنون للعالم أجمع انكم حريصون أكمل الحرص على مجدكم وشرفكم والا فيؤخذ عليكم أن تكونوا أبناء التاميز دعاة الصدق ونصراء الشرف وتجاهرون بضد ما تضمرون .

الوعود الصريحة ★

ذكرت الانكليز في رسالتى الأولى بأشهر سيئاتهم الاحتلالية ، وأذكركم اليوم بشرف الوعود وأئمن العهود التى قالوها ضمانا للانجلاء آتيا بها وعد بعد وعد ، وعهدا بعد عهد ، عسى تنفع الذكرى ويعلم السادة الأحرار أنهم بمحافظتهم على هذا الاحتلال الثقيل ، قد وطأوا بأقدامهم ، وداسوا بأرجلهم أعز شئ يتباهون به ، ويفتخرون . أعنى بذلك الشرف البريطانى الجليل-الشأن الرفيع البنيان .

ولئن ذكرتكم بهذه الموائيق الجليلة التى أخذوها على أنفسهم بعد أن ذكرهم ببعضها المخلصون من الكتاب فذلك لأنى أراها أمضى سلاح لنا ضدهم ، وأصلح درع نلأقيهم بها فى كل احتجاج وجدال .

وما هى فى الحقيقة الا ضمانات قوية يقيمها كل مصرى حجبجا دامغة على من أوصلوا مصر بسوء سياستهم الى هذا الدمار وجعلوا الشرف البريطانى على شفيع هار (١) .

فمن هذه التصريحات الشريفة المملوءة بسلامة النية وحسن الضمير ، خطاب اللورد غرانفيل (٢) ، الشهير الذى أرسله وهو رئيس الوزارة الانكليزية فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ الى السير ماليت معتمد الدولة البريطانية فى مصر حين ذاك ، أى قبل

(★) نشرت بجريده الاهرام اليومية ، العدد ٥١١١ ، بتاريخ ٤ يناير ١٨٩٥ . ووقعها بامضاء ،
« مصرى أمين » -

(١) أى جسر منهار .

(٢) لورد ، جورج ، جرانفيل (١٨١٥ - ١٨٩١) ، سياسى بريطانى ، دخل البرلمان عضوا حرا فى سنة ١٨٣٦ . وعين وكيلا للخارجية ، ثم اختير وزيرا للخارجية (١٨٥١ - ١٨٥٢) ، ثم عينه جلادستون وزيرا لها ١٨٧٠ - ١٨٧٤ ، ١٨٨٠ - ١٨٨٥ ، كما شغل منصب وزير المستعمرات (١٨٦٨ - ١٨٧٠) أثناء احتلال بريطانيا لمصر عقب اخماد الثورة العربية ، وأعلن - حين لم تشترك فرنسا - أنه ندبر حربى مؤقت . (محمد شفيق غرنال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٦١٩) .

أن تظهر للتورة نار (١) ، ويقام للاحتلال شعار ، فان ذلك الخطاب أوضح بأجل بيان أن انكلترا تضم لمصر كل خير ، وتود من أصدق قواد ، أن تراها في ثوب العز والرخاء ، كما يفهم هذا من قوله في بعض المواضع : « ان الغرض الوحيد الذي تسعى اليه انكلترا هو أن تحقق لمصر سعادتها واستمتاعها التام بالحرية التي فررتهاا الفرمانات الملوكية المتتالية » . وفي موضع آخر « ومن المهم أن أؤكد لكم أن غرضنا هو أن تبقى مصر متمتعة باستقلالها الادارى الذى منحتة لها الفرمانات السلطانية » .

ومنها أن اللورد ليون سفيراً انكلترا فى باريز رفع فى ٢٨ يناير سنة ١٨٨٢ ، مذكرة الى ناظر خارجية فرنسا بناء على أمر صادر له من رئيس الوزارة الانكليزية جاء فيها « وان حكومة جلالة الملكة لا تطمح مطلقاً فى أن يكون لها بمصر نفوذ خاص » .

ومنها أن هذا اللورد نفسه قال لأمسيو فراسينه ناظر خارجية فرنسا فى بلاغ رفعه له فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ ، أن ضرب الاسكندرية لا يعتبر من قبلنا إلا دفاعاً قضيت به الظروف ، وليس وراءه أدنى غاية .

ومنها تصديق دول انكلترا وفرنسا وألمانيا وبنمسا والمجر وإيطاليا والروسيا (أى الست دول العظام) فى ترابيا يوم ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٦ فى البلاغ الشهير (٢) . الذى تعهدت فيه الدول جميعاً « على أن لا تستولى أى دولة منها على أرض من الأرض المصرية ولا تبحث عن امتياز خاص ، ولا فائدة تجارية لرعاياها فى كل اتفاق يقع بشأن تسوية مسألة مصر » . ونزيد على ذلك أن المصدق على هذا البلاغ (البروتوكول) من قبل انجلترا هو اللورد دوفرين (٣) المشهور بحذقه ومهارته .

ومنها ما قاله اللورد غرانفيل فى مجلس العموم يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٢ فى خطابه المتعلق بمصر ، الذى جاء فيه ما يأتى : « ان سائر الوزراء الانكليز متفقون على أن لا طمع لنا فى مصر ، وان الجنود البريطانية لم ترسل الا لتؤيد النظام وتزد الى الخديوى سلطنته التى نزلت منه . وأخيراً فالوزارة عازمة عزماً أكيداً على أن تعرض للدول الأوروبية التسوية النهائية للمسألة المصرية » .

(١) الثورة العربية

(٢) ورد ذكره فى كتابات مصطفى كامل - بعد - باسم بلاغ ترابيا أو (طرابية) ، وترابيا هذه تعج على البسفور حيث أبرم هذا البلاغ .

(٣) دوفرين . فردريك تمبل (١٨٢٦ - ١٩٠٢) : دبلوماسى بريطانى ، شغل عدة مناصب دبلوماسية ، كان سفيراً لدى تركيا (١٨٨١ - ١٨٨٢) ، انتدبته حكومته - بعد اخلاء ثورة عرابى فى سبتمبر ١٨٨٢ - لدراسة الحالة فى مصر ، وقدم تقريراً عما يرى ادخاله من اصلاحات ، ففضى بمصر عدة أشهر ١٨٨٢ - ١٨٨٣ ، وضمن تقريره التاء مجلس النواب ليحل محله مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وانشاء جيش مصرى جديد بقياده ضباط انكليز وقوة شرطة ، أشرف على محاكمة عرابى .

(للمزيد من التفاصيل : الموسوعة العربية الميسرة . ج ١ ، ص ٨١٧ - ٨١٨) .

ومنها قول المستر غلادستون (٣) في مجلس العموم يوم ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ : « انى أؤكد بأن انكلترا لا تقصد احتلال مصر احتلالاً نهائياً ، ان ذلك بضاد مبادئ حكومة جلالة الملكة ، ويخالف معنى الوعود التى وعدنا بها أوروبا » .

ومنها قول هذا المستر نفسه في مجلس العموم يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٢ جواباً على سؤال وجهه اليه الميسر نورثكوت بشأن مصر « ان احتلال مصر ليس الا مؤقتاً وسيحصلد الوزارة الانكليزية شروطه مع الحكومة المصرية . وهو يشابه احتلال الدول الأربع انكلترا وألمانيا والروسيا وانمسا لفرنسا عام ١٨١٥ الذى انتهى بسرعة وعلى أحسن حال » .

ومنها المنشور الذى أرسل من لندن يوم ٣ يناير سنة ١٨٨٣ لكل الدول وجاء فيه : « ان حكومة جلالة الملكة اضطرت لتقاء الحوادث الأخيرة الى تسكين الهياج العسكرى ، الذى قام فى مصر . وتأيد النظام والسلام فيها ، وقد بلغت هذه الغاية ، وترغب سحب الجنود الانكليزية التى لا تزال باقية منها ضماناً للراحة العمومية . وذلك متى سمحت حالة القطر وتأيدت سلطة الخديوى » .

ومنها قول المستر غلادستون زعيم الأحرار فى مجلس العموم يوم ٥ مارس سنة ١٨٨٣ « يلزمنا أن نعلم أننا لسنا فى مصر سيادة بل أحياء ونصحاء للحكومة المصرية ، وأنه ليس لنا فيها مصالح خصوصية ممتازة عن مصالح بقية الممالك المتمدنة » .

ومنها اجماع مجلس العموم على إستحسان ما قاله المستر غلادستون نفسه يوم ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٣ من تحقيق قرب الجلاء وسحب الجنود الانكليزية من مصر .

ومنها قول اللورد دربي (١) في مجلس العموم عام ١٨٨٥ « أنا ذهبنا الى مصر ووجدناها بعدا صريحا بأن لا نمكث فيها ، فيجب علينا احتراماً للتاج الانكليزى وشرف البرلمان أن نخرج منها » .

ومنها اعلان المستر غلادستون عند انتخابه رئيساً للوزارة الانكليزية سنة ١٨٨٥ أن من أول مشروعاته « سحب الجنود الانكليزية من مصر » .

ومنها قول اللورد سالسبورى (٢) عام ١٨٨٦ « لنحترم قداسة وعودنا ونهمل » .

نستشهد : (١) جلادستون ، وليام ايوارت Gladstone, William, E. (١٨٠٩ = ١٨٩٨) : زجل سياسة بريطاني ، من أسرة اسكتلندية عريقة ، كانت نشأته الأولى دينية ، مما أثر عليه فى أسلوبه فى البرلمان الانجليزى . ثم تغير أسلوب حياته الى السياسة ، وكان أول اشتراكه فى الادارة عام ١٨٣٤ . كان رئيس حزب الاحرار البريطانى ، وتولى رئاسة الوزارة البريطانية أربع مرات . للمزيد من المعلومات يرجع الى :

Chambers Encyclopaedia : Vol. 6, Page 361-362.

(٢) كان وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت .
لورد سالسبورى ، روبرت آرثر (١٨٣٠ - ١٩٠٣) : من أسرة سيسل Cecil الكبيرة .
أحد الساسة الاتكليز البارزين ، دخل الى مجلس العموم وعمره ثلاثة وعشرين عاماً سنة ١٨٥٣ ، وأعيد =

ومنها قول هذ اللورد للمسيو وادنجتون سفير فرنسا فى لندن يوم ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٦ : « انكم تخطئون كثيرا اذا حسبتم أننا نبغى البقاء فى مصر الى أجل غير مسمى . اذ أننا لا نبحث الا عن الخروج منها بشرف فضلا عن أن جنودنا النى فيها ننفعنا كثيرا فى الهند ، كما أشار بذلك أمهر قوادنا » .

ومنها قوله فى مجلس العموم يوم ١ أغسطس سنة ١٨٨٩ ما معناه « أن بقاءنا فى مصر الى أجل غير مسمى يقلل من احترام الوعود التى جاهرت بها حكومة جلالة الملكة . وتعهدت بالحضوع لها » .

ومنها جوابه الذى أجاب به على طلب قدمه للورد كارنارفون (١) فى مجلس العموم يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨٨٩ بشأن امتلاك مصر امتلاكاً دائماً ، وجاء فيه « أظن أن صديقى لا يحسب حساباً كبيراً للوعود المقدسة التى نتلقا بها ولا للقانون الأوروبى » .

ومنها خطابه الذى ألقاه يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩١ فى مدينة كمبردج ، وقال فيه بشأن مصر « ان احتلال مصر احتلالاً دائماً يسبب لنا أعظم المشاكل السياسية » .

ومنها تأكيد المستر مورلى لمجلس العموم يوم ٨ فبراير سنة ١٨٩٢ بأن رأيه بشأن مصر هو عين رأى أسلافه ، وأنه لا يرى غير « الانجلاء » (٢) .

وأخيراً نذكر جملة غلادستون الشهيرة التى يحق لكل مصرى أن يحفظها على قلبه ، ويجاوب بها أعداء الحق فى كل آونة وهى « ان حفظ مصر شئ جميل ، ولكن الأجل والأشرف الوفاء بالوعود » .

هذه أيها السادة المحتلون وعودكم الشريفة الصريحة التى لا تستطيعون نكرانها ، ولا تقدرون على تحويل معانيها ، لم تقولوها عبثاً ، ولم تفوها بها مصادفة ، بل قدمتموها لنا ، ولأوروبا ضماناً على الانجلاء . فهل لكم أن تحترموا شرفكم العزيز ، وتنجلوا عن الديار بسلام أم عزهتم العزم الأخير على استخدام ذلك الشرف فى اغتيال

= انتخابه حتى أصبح عضواً فى مجلس اللوردات ، ثم رئيساً لحزب المحافظين ، تولى رئاسة الوزارة البريطانية (١٨٩٥ - ١٩٠٢) .

(بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية (١٨٩٥ - ١٩١٤) ، ص ٦٥٣) .

(١) إيرل كارنارفون ، هنرى هوارد (١٨٣١ - ١٨٩٠) : سياسى بريطانى ، تولى وزارة المستعمرات (١٨٦٦ - ١٨٦٧) ، عمل على اصدار قانون الاتحاد للمستعمرات بأمريكا الشمالية ، وحاول اقامة اتحاد بجنوب أفريقيا ، وتولى ادارة إيرلندا (١٨٨٥ - ١٨٦٦) ، ولكنه اختلف مع الزعيم الايرلندى بارنل ، فاستقال .

محمد شفيق غربال وآخرون ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج٢ ، القاهرة ١٩٥٩ ص ١٤٢٢ .

(٢) يقصد الجلاء .

البلاد ، كما يشير عليكم الخونة الأشرار ، وترك التاريخ يسود لكم صفحاته بعد أن
حلاها بمعامدكم وفضائلكم . أجيبونا بحق ما تعزون ولو على ألسنة أبواقكم التي
كانت أول من كشف الستار عنكم ، وعن دسائسكم بمدحها أعمالكم المخالفة لمصلحة
البلاد . ووصفها الاحتلال بالرفعة والكمال .

حديث ذو شأن *

جمعتني والميرالاي بارنج ، (شقيق اللورد كرومر) مصادفة من أحسن مصادفات الحياة ، استطعت فيها رأيته بشأن المسألة المصرية ، وما ينويه لها الانكليز من النيات (الحسان) فأجبت 'يراد أهم ما دار عليه الحديث خدمة للقراء الكرام ، وإظهارا لرأى رجل من كبار رجال الانكليز فضلا عن أنه أقربهم الى معتمد الدولة البريطانية في مصر .

بدأنى حضرته بالكلام على خلاف عادة الانكليز فقال :

هل أنت مصرى أم عثمانى ؟

فأجبت مصرى عثمانى (١) .

فقال وسمة التعجب بادية عليه : وهل تجتمع الجنسيةتان في أحد ، فقلت : ليس الأمر جنسيتين بل في الحقيقة جنسية واحدة ، لأن مصر بلد تابع للدولة العلية والشايخ (كما لا يخفى على جنابك) لا يختلف عن المتبوع في شيء من أحكامه .

فتبسّم قليلا وقال : نعم ان مؤلفي الكتب الجغرافية وبعض الكتاب الذين لا تظلمهم سماء السياسة الحاضرة ، يقولون ان للدولة العلية بعض السلطة على مصر ، ولكن الذين وقفوا على حاضر الأمور وماضيها لا يجهلون دخول مصر تحت حكم الانكليز دحولا لم يبق معه شك لعقل من العقلاء .

فسخرت عندئذ من قوته هذا المبنى على حبه لجنسه ، وشغفه باتساع نطاق

(*) نشر هذا الحديث بجريده الأهرام يوم الاثنين ٢٨ يناير ١٨٩٥ ، بأضواء « مصرى أمين أيضا » .

(١) كان موقف مصطفى كامل هذا من العثمنة محل نقاش بين من تناولوه ، فمنهم من أنكره عليه ومنهم من التمس له عذرا واعتبره نوعا من الدفاع القانوني على أساس عدم شرعية الاحتلال البريطاني لمصر ، طالما هي تحت تبعية الدولة العثمانية .

ويمكن الرجوع في هذا الى : دكتور يواقيم رزق ، أوراق مصطفى كامل - « المطب » ، مركز وثائق وفاربخ مصر المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ ، الدراسة التحليلية .

المسنعمرات الانكليزية وقتلت له : ان وزراءكم وكبار رجالكم قالوا المرة بعد المرة أن احتلالكم مصر ليس الا احتلالا مؤقتا ينتهى بعد اصلاح الحال . وتأيد سلطة الأمير (١) ، وعاهدونا وعاهدوا أوروبا على ذلك مقدمين الموانيق الغلاظ . والعهود الشداد بأن جنودكم ستنتجلى عنا بسلام (احتراما للتاج الانكليزي وشرف البرلمان) مما يؤيد حقوق الدولة العثمانية على مصر . المؤيدة من قبل بالمصاهدات الدولية والقرمانات الشاهانية (٢) ، فكيف بك اليوم بقول عكس هذا القول ، وتجاهر بنقيض ما جاهر به عظام رجالكم وكبار وزراءكم ، وماذا يكون شأنكم اذا افتضح الأمر وبان السر ، وعلم الناس انكم كذبتهم الكذب الصراح على أوروبا ومصر ، بل ماذا تكون عاقبة أمركم اذا أجبرتم على الانجلاء خلفا لما تهمون به من امتلاك وادينا العزيز .

فضحك اذ ذاك ضحكا عاليا ، وقال : ما أسلم نياتكم معشر المصريين ، وأقربكم إلى الحالة الفطرية منكم إلى الحالة الحضرية . أتظنون أن الانكليز (وهم أحق الناس بكل نعمة وخير) ينجلون عن مصر ويتركون لكم أو لغيركم برها الغزير وخيرها العميم . أم تظنون أننا نؤاخذ بأقوالنا وأفعالنا . ناطقات بحقيقة نياتنا ، وماذا على رجالنا اذا كانوا حققوا لكم ولأوروبا (الاحتلال المؤقت) ، (الانجلاء القريب) ومبدؤهم (الكذب فى خدمة الأوطان) واستعمال الخداع فى السياسة (وما هى الا حرب سلمية) استعماله فى الحرب والطعان وهل تصدقون بأن أوروبا ننجدهم وتساعدهم ضدنا ، انها آمال بعيدة وأوهام يحق لكم أن تتركوها وتعلمو أنكم فى حماية الانكليز ، وان سيادة الترك أصبحت فى النسيان ودخلت من زمان فى خبر كان (٣) .

فثار منى الفكر عند سماع هذا القول وأجبتة أن لمصر أن تؤمل من أوروبا نجاتها

(١) يقصد الخديوى عباس حلمي الثاني (١٨٩٢ - ١٩١٤) .

(٢) لعله يقصد معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، التى عقدت بين انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا فى ١٥ يوليو ١٨٤٠ ، حيث تم الاتفاق على أن يرغم محمد على على قبول حكم مصر وراثية فى أسرته وعكا طوله حياته ، وأن تكون مصر مرتبطة بتركيا بقيود مثل دفع الجزية وتحديد عدد الجيش والأسطول . الخ . واذا لم يعبل هذه الشروط بعد عشرة أيام تنزع منه عكا ، واذا أصر على عصيانه يعطى ولاية مصر فقط ، واذا لم يخضع فى عشرة أيام أخرى نظرت الدول فى أمره . كما صدر فى سنة ١٨٤١ (١٣ فبراير) فرمان بتولية محمد على حكم مصر مع احتفاظ تركيا بحق اختيار والى مصر من أسرة محمد على واستيلاء السلطان على ربع دخل مصر . ولا رفض محمد على قبول هذه القيود ألحت الدول على الباب العالي لتغيير ذلك فى يونيو ١٨٤١ لتكون الوراثة لأكبر أعضاء الأسرة وتحديد الجزية بمقدار ٤٠٠ ألف جنيه ، ويكون للباشا حق منح الرتب العسكرية . الخ .

أما معاهدة باريس (٢٥ فبراير ١٨٥٦) ، التى أنهت حرب القرم بين تركيا وروسيا ، فقد نصت فى بندها الأول على احترام أملاك تركيا واستقلالها .

(٣) لعل هذا القول كان أقرب إلى الحقيقة والواقع ، بالنسبة لما كان يجرى على الساحة الدولية من أحداث ، والذى لم يتجاهله أو جهله مصطفى كامل ، وظل مكابرا بدافع وطنى يراى الساسة الانجليز الذين لجأوا إلى التعميه والخداع .

وخلصها ، ولكم أن نتحققوا من بطلان آمانكم وضياع أمانيتكم ، فلقد كشفت أفعالكم (الناطقات ببنياتكم) الغطاء عن هذه المقاصد الخبيثة التي أضمرها غرانفيل وسالسبري وغلاد ستون ، ومن حاكاهم في سياستهم ولم يعد سياسى من السياسيين يغتر بما نقولون بل تحقق الكل من أنكم (لا تصدقون في خدمة الأوطان) ولذا استشعر القريب والبعيد بأن الاحتلال في آخر ساعاته قضت عليه عدالة القرن التاسع عشر ومدسه بالموث الدائم فاطمئن خاطرا يا حضرة الميرالاي واعلم أن الانجلاء قريب عاجل .

فازداد ضحكك وقال : ومن لكم يا ترى من السفراء في أوروبا حتى قلتهم بقرب الانجلاء ؟

لنا أوروبا بأسرها التي نناديها مصالحها العديدة بأن ننصرنا عليكم كيما تنصر تلك المصالح التي سعيتم من يوم احتلالكم البلاد في تقويض أركانها .

فقال : اصرفوا عن أوروبا أملككم فأننا نرضيها بالأراضي الكثيرة والأموال الواسعة (١) ، « كأن انكلترا قد ملكت الأرض وما عليها » ونضمن لها في مصر مصالحها وديونها .

ولنتفق جدلا على ذلك ، ولكن هل نسيتم أن في حمايتكم لمصر ووضع يديكم عليها ضياعا للموازنة الأوروبية التي تعمل كل دولة للمحافظة عليها (٢) . ومهما قدمتم من الهدايا لبعض الدول (على أنكم لستم المتصرفين في كل أرض) فهل تحسبون أنها تقوم لديها مقام (مصر) طريق الشرق الأقصى وأعظم المستعمرات الأوروبية أم نسيتم أن من العار على أوروبا أن تساعدكم على انتهاك حرمة المعاهدات وتشريككم تستعبدونها أمة اعترفت أوروبا نفسها بكمال استعدادها ومحاسناتها لأعظم الممالك المتمتدة مدنية ونظاما . ولم تساعدت فرنسا الولايات المتحدة وظرفهتكم منها ؟ (٣) ، أكانت مصالحها

(١) كفسالة كننلا بالنسبة لايطاليا والتي سيجيء الحديث عنها ، مقال « في الحفلة الدنقلية » ١ أبريل ١٨٩٦ .

(٢) انتهجت بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - حسبما يرى بعض الباحثين - سياسة « الميزة المخبئة » على اعتبار أنها بركت الأمور دون المشاركة الفعلية ، في حروب الوحدة الإيطالية أو حروب الاتحاد الألماني ، إلى مشاركة الدولة القوية الشكيمة التي يرهبها الجميع ، وكانت تسفر بالطمانينة لعدم مقدرة أي من الدول توجيه ضربة شديدة إليها . ومع هزيمة فرنسا أمام ألمانيا سنة ١٨٧١ ، وظهور الحلف الثلاثي والحلف الثلاثي جعل استمرار انجلترا في سياسة المشاركة الفعالة في سياسة الاحلاف يشكل خطرا على مستقبلها . وكان ظهور اتحالف الثلاثي يعنى أن بريطانيا حين تصطدم بمنافستها الكبرى فرنسا تجد نفسها مضطرة إلى الصدام مع روسيا ، وربما كان هذا الوضع محتملا لبعض الوقت طالما كانت دول التحالف الثلاثي على علاقة ودية مع بريطانيا .

(د . عبد العزيز نوار : التاريخ المعاصر لأوروبا ١٨٧١ - ١٩٤٥) ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٢١ .

(٣) ربما وجدت فرنسا فرصة لتوجه ضربة إلى بريطانيا ، أو كان دافعها الأكبر الثأر لهزيمتها في حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) ، علاوة على الأهمية القصوى التي تمثلها الولايات المتحدة بترواتها الطبيعية .

هناك أكبر من مصالحها هنا ، بل لماذا قامت أوروبا مرة واحدة مساعدة لليونان على استقلالهم وانفصالهم تمام الانفصال عن الدولة العلية . ولماذا قررت بنجيبكا وإيطاليا وغيرهما وأقامت نفسها وصية على الأمم الضعيفة خاذلة للطماعين ناصرة لذوى الحقوق .

اظنك يا حضرة الميرالاي لا تقدر على ابات أن المصريين ليسو من الفرع الانساني وانهم غير أهل لأن ينالوا من أوروبا حريتهم واستقلالهم الادارى المثبت فى المعاهدات (التى كنتم أول المصدقين عليها) المؤيدة بالقرمانات .

فقال والغضب باد على وجهه : « ان أوروبا فى سغل' عنكم وفرنسا ائمتى وجهة آمالكم نحوها لها من سوء أحوالها وكثرة مستعمراتها ما يجعلها على الدوام عاجزة عن أن تخدم مصر خدمتها للولايات المتحدة وتساعد العباس مساعدتها لواشنطنون .

على أنى لو وافقتك وقلت أن أوروبا ستنصركم ونجبرنا على الانجلاء ، فذلك لا يكون الا بعد أن يبيع فلاحكم أرضه ويسوء حاله ، ونملأ جيوبنا الا فضلا عن أننا نكون ملكنا السودان وهو كما تعلم روح بلادكم .

فقلت : وكيف نملكون السودان والسودان لا يزال ملكا لنا ؟

فأجاب ضاحكا : واذا كان ملكا لكم فلم لم تستردوه ولم ضاعت وادلاى وكسلا ؟

— كان ذلك بدسائسكم ومعارضتكم لنا فى استرجاعه ولكن متى خرجتم يسهل علينا استرداد ملكنا .

— ان ملككم مضت عليه المدة ولم يعد لكم بل أصبح متاعا لمن يستولى عليه ، وجزى الله نوبار باشا كل خير فلقد سهّل فى الماضى سنخه وسيسهل لنا فريبا ملكه ملكا نهائيا . (١)

(١) برتب على نجاح الثورة المهدية وفشل حملة هكس فى ٥ نوفمبر ١٨٨٣ ، ان اخذت سياسة استبدل البريطانى فى المسألة السودانية ، صوره اسداء النصائح حيث رأت ضروره التوصل الى قرار بشأن اجلاء جميع المناطق الواقعة الى الجنوب من أسوان أو وادى حلفا ، وفى هذه الحالة تتعهد انجلترا بحفظ النظام فى مصر ، واعترض شريف باشا ، فكان رد الحكومة البريطانية الذى أبلغه اللورد جرانفيل الى كرومر فى ٤ يناير ١٨٨٤ باصرار الحكومة البريطانية على السياسة التى تراها ، ومن الضرورى ان يتخل عن منصبه كل وزير أو مدير لا يسبر وفقا لهذه السياسة . فلم تكن امامه سوى الاستقالة فى ٧ يناير ، وخلفه نوبار ، ومع تشكيل وراثته فى ١٠ يناير ١٨٨٤ تمت الموافقة على اخلاء السودان ، ووقع الاختيار على الجنرال غوردون لاختلاء السودان ، وصدر فرمان بتعيينه حكاما للسودان فى ٢٦ يناير ، ولكن سقطت الخرطوم فى أيدي القوات المهدية ولقى غوردون مصرعه فى ٢٧ باير ١٨٨٥ . وعلى أى حال فان تلك السياسة كانت مؤدية الى تنفيذ سياسة الاخلاء ولا تنم سوى عن بكن السياسة البريطانية من تنفيذ أهدافها .

للمزيد (على محمد بركات : السياسة البريطانية واسترداد السودان . القاهرة ١٩٧٧ ، ص ص ١٨ - ٢٧ ، محمد فؤاد : مرجع سابق ، ص ص ٣١٣ - ٣٣٣ .

فاستولتني دهشة عظمى ، وقلت له : ألى هذا الحد نطمعون فى نوبار باشا ؟
فأجاب : وبأكثر منه ، ان نوبار رجلاً ومحبنا وقد أطلق عليه السياسيون فى
أوروبا اسم (نوبار ستون) دليلاً على شدة إخلاصه لنا .
وما هى فائدته من خدمتكم ؟

أنه يؤمل استقلال أرمينيا (١) على أيدينا ، ولا يخفاك ما فى ذلك .
فقلت والدهشة فى ازدياد : ولكن اما تخافون بفية وزرائنا ؟

فأجاب مبتسماً : ان بقية الوزراء لا يهمهم الا قبض روائهم العظيمة وبقاؤهم
فى أعلى المناصب لا يخالفون للإنكليز رغبة ، بل يقدسونهم من صغيرهم لكبيرهم خوفاً
من السقوط والعزل .

فتنفسست عندئذ الصعداء وقلت : لا تغتر يا حضرة الميرالاي بوجود بعض الخونة (٢)
فيما واعلم أن بلداً فيه رجال يعرفون معنى الوطنية معرفة رجلكم لها لا يموت أبداً ،
بل يعيش معزواً على الذرى والمقام ، ولربما أحيا فرد واحد أمة بأسرها ، وفى تاريخ
الدول وانقلاباتها أقوى دليل على ما أقول ، ومصر فى هذا العصر غنية برجالها مباركة
بأبنائها ، لها أن تؤمل منهم الظفر القريب ان شاء الله .

(١) كان نوبار يؤمل استقلال أرمينيا التى كانت تابعة للدولة العثمانية ، لأنه أرمنى الأصل ،
وتجدر الإشارة أن الثورة التى اندلعت فيها كثرت فى أسبابها الأقوال ، وامتلات الصحف فى أوروبا بما
يثبت تهمة التحريض وقيام الدسائس من إنجلترا أو أنها هى التى شكلت عصابات الثائرين وأمدتهم
بالسلاح والمال ، وترجع صحيفة ليكودريان بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٨٩٥ رغبة إنجلترا فى ذلك لابعاد أنظار
العالم عن المسألة المصرية . رأس المشاكل الشرقية ، بل ذهبت فى عرضها للمشكلة الى نشرها خبر
استقالة وزارة نوبار وقبول الحديوى لها ، وان ما يردده الناس عن الاستقالة بسبب الضعف الذى ألم
به وتقدمه فى السن ، ولكنها نشرت فى ٤ نوفمبر ١٨٩٥ نقول : كما أن من البواعث عليها المسألة
الأرمينية ، وما نتج عنها من حرج فى كل أنحاء الدولة العثمانية .
(محمود نجيب أبو الليل : الاحلال البريطانى والصحف الفرنسية . القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٥٥)

١٥٧ - ١٥٨)

(٢) كان فى الواقع على رأس أولئك نوبار باشا المعروف بميله الإنجليزىة القوية ، وفى نفس
الوقت تم اختيار كل من مصطفى فهمى باشا وإبراهيم باشا فؤاد وهما من أكثر المعاوين مع الاحتلال ،
وكان الأول ناظراً للحربية والبحرية ، والثانى ناظراً للحقانية ، ونسلور موفى معارضة مصطفى كمال
فى الواقع يرجع الى حساسية وجوده كإرمنى على رئاسة النظارة وولائه الإنجليزى . اسان الموقف
الإنجليزى نجاح استانبول . كذلك اتخاذ نظارة نوبار موقفاً صلباً يرفض عودة اسماعيل الى مصر فى
مطلع سنة ١٨٩٥ ، بعد استداد المرض عليه ، ورغبة الخديو عباس فى عودة جده الى مصر . الى جانب عدم
ارتياح الحديوى لهذا الموقف ووفاء اسماعيل بعد ذلك بأقل من شهرين قد ملأت المشاسع نفورا نحو
نوبار . ووصلت رغبة عباس الثانى فى التخلص منه الى الحد الذى صدر معه اقتراح مصطفى فهمى
صديق الإنجليز الوفى رئيساً جديداً للنظار حتى بغرى المعتمد البريطانى على قبول استقالة الوزارة
التورارية .

(يونان ليب رزقي : مرجع سابق ، ص ١٤١ - ١٤٤)

فبهت لميرلاى وقال : انى أقف معك فى الحديث عند هذا الحد فلقد رايت ان حميتك تملى عليك القول ووطنينك بحقق لك آمالك (البعبدة) .

هذا هو الحديث الذى جاهر به انكليزى خطير بما لم يستطع المحفلون المجاهرة به من قبل ، وان كانت فعالهم أفصحت أظهر افصاح ، ولا يعدم القارىء اللبيب حكما صادقا على بيات نصراء الحرية ، وزعماء المدينة ، كما أن وزراءنا (أثابهم الله) يعلمون منه ما يقونه منه الانكليز عنهم ، وماذا أفاد تهاونهم وموافقتهم على ضياع البلاد ولكن ليس المقام الآن مقاماً ننسبهم فيه الى ما وصل اليه مركزهم واحترامهم بل لنا معهم كلام آخر فى وقت آخر والسلام » .

صديقي العزيز مدير الأهرام :(*)

لم يكن يدور في خلدي من قبل ان نصراء المحتلين في مصر على هذا الجانب العظيم من الحمق والجهالة ، وانهم يرون في السفاهة والوقاحة أحسن الرد على كل قول صحيح وفكر سليم ، فما نشرت الأهرام مقالتي الأخيرة المعنونة (حديث ذو شأن) ، حتى هاجوا وماجوا وزلزلت بهم الأرض زلزالها وجاءونا بردود يحسبون أنها تكذب قولاً صادقاً ، فجاءت على عكس ما يرون إثباتاً لحديثنا الذي لا ريب فيه . (١)

وأعجب شيء من هاتيك الردود أنهم حملوا على صاحب الأهرام الجليل (٢) حملة اللثيم على الكريم ، ولم يعلموا أنه صدق في خدمة الوطن العزيز ، فاجتمع حوله المخلصون الصادقون .

وما عساهم يكتبون ويردون والحديث لا يزال حديثنا . وشقيق اللورد كرومر أرفع وأعظم من أن ينكر اليوم قولاً قاله بالأمس .

(★) نشر بالأهرام بتاريخ الاثنين ٤ فبراير ١٨٩٥ ، وهو تعليق على ما سره المعظم زدا على مقالة « حديث ذو شأن » .

(١) يقصد جريدة المقطم عندما نشرت في عددها ١٧٨٢ مقالا بعنوان (حديث خرافة) . على حديثه مع شقيق اللورد كرومر السابق نشره .

(٢) هو سليم بك نقلا (١٨٤٩-١٨٩٢) ولد في قرية كفر شيما إحدى قرى لبنان ، حضر الى مصر ونال الامتياز من الخديو اسماعيل باصدار جريدة الاهرام الاسبوعية ، ثم صار اصداره صدى الاهرام اليومية ، ولكن صدر أمر بالغائها ، ثم أعاد اصدار جريدة الاهرام اليومية . ولما فامت الثورة العربية هجر البلاد ، ثم عاد لاصدارها من جديد ، متكررا في روح الجريده ، ولكن حالت الحكومة دون ذلك ، فاقفلتها عنوة ، الا أنها عادت بعد ذلك .

وكان أكبر برهان على اخلاصه أن ورد عليه وعلى أخيه بشارة باشا كتابان موقّع عليهما من كثير من نواب الأمة وأعيانها بشكر الجريدة ، وهما مصحوبان بساعتين ذهبيتين دليل اخلاص عليهما شعار « شعائر وطنية » . سافر في عام ١٨٩١ الى باريس ، وساح في جهاتها ، وفي يوليو ١٨٩٢ مرض بالقلب فذهب - حسب نصيحة الأطباء - الى غزير احدي قرى لبنان حيث توفي . قرية سب عمره .

على أنهم لو كانوا - كما يدعون شيعة الحق ، وأنصار الصديق - لكان الأجدد بهم أن لا يتعجلوا في الرد قبل أن يترجموا الحديث الى الانكليزية بغير ما اعتادوه من تحريف أقوال الجرائد الوطنية ، ويرفعوه الى سيدهم (١) ٠٠٠ ليوصله الى أخى اللورد كرومر حيث هو الآن ليرى فيه رأيه ، فان قال بصدقه ، وهو مالا نرتاب فيه سكتوا عن الرد ، ان لم يبروا باظهار الحق ، والا نشروا لنا جواب حضرته تكذيبا ، واذا ذلك لا نقصر عن تذكير جنابه بالمكان الذى جمعنا واليوم الذى دار فيه الحديث ، مزيلين كل ذلك باسمنا ، غير خائفين تبعة الصديق في القول والاخلاص في الوطنية ، شأن كل مصرى أمين .

= ودفن في قرية كفر شيما مسقط رأسه . وقد استدل مصطفى كامل من تعرضه للحكومة دليل على صدق وطنيته .

الياس زانورا : مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر مصر ، ج ١ ، القاهرة ١٨٩٧ ، ص ٥٤٤ .
(١) لعله كان يقصد التجريح الذى تناولته به الجرائد المعادية له كالقطم .

أوراق مصطفى كامل - ١٤٥

التهديد الباطل

ما عهدنا جرائد الاحتلال أشد حنقا وأعظم غيظا هذه الأيام ، التي قامت فيها قيامتها ضد الشبيبة والشبان ، فنسبت لهم الغرور والجنون ولأعمالهم الطيش والخفة ، ولا تعرف لهم ذنبا عندها ، الا أنهم احتفلوا مرة بعيد جلالة السلطان وزاروا مرة أخرى جناب الموسيو فور (١) رئيس جمهورية فرنسا ، كأن القيام بمثل هذه الواجبات الأدبية يعتبر في شرعة الانكليز جريمة من أكبر الجرائم . والا فتعنيف جماعة من كرام الشبان تعنيفا شديدا مثل الذي عنفتهم به جرائد الاحتلال ، لا يكون الا اذا اقترفوا ذنبا عظيما . وبعيد عن الصواب اعتبار احتفال المصريين بعيد سيدهم الأعلى أو زيارتهم دولة محبة لنا ذنبا من الذنوب ، بل العكس تدل مثل هذه المظاهرات على الاربعيات الشريفة ، والمبادئ الجليلة القائمة بنفوس هؤلاء الشبان الذين هم رجال المستقبل .

والغريب أن جريدة الحوارج (٢) التي تمتاز عن أخواتها في كل شيء بالكذب والسفاهة لم تكتف بتقبيح المظاهرات الوطنية التي تظاهر بها المصريون في باريس ، بل قالت ان الحضرة السلطانية لم تجاوب بجواب ما على الرسالة البرقية التي أرسلها اليها المحتفلون بعيدها الجليل تهنئة وتبريكا . على أن الحقيقة كما علمنا وعلم الخبيرون مخالفة لذلك كل المخالفة ، اذ أن سفير الدولة في باريس شكر للجميع شكرا عاما وللمسيو ديلونكل (٣) ، شكرا خاصا ، مما يدل على أن رجال الآستانة قدروا هذا العمل كما قدره رجال باريز .

(*) نشر هذا المقال بجريدة الأهرام ، بتاريخ ٢٣ فبراير ١٨٩٥ .

(١) تولى المسيو فيلكس فور رئاسة الجمهورية الفرنسية في ١٧ يناير ١٨٩٥ ، وتوجه الطلبة

المصريون بباريس لتهنئته يوم ٤ فبراير ١٨٩٥ .

(٢) يقصد (المقطم) لصاحبها فارس نصر .

(٣) فرانسوا ، دولونكل : نائب شهير من أعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية ، جاء إلى مصر في مارس

١٨٩٥ للاطلاع على حالة مصر لسياسية . - تعرف عليه مصطفى كامل في صيف ١٨٩٤ بباريس ، وهو

معارض لسياسة انجلترا في الشرق الأوسط .

وليس من الخفة والطيش كذلك زيارة المصريين فى باريس لرئيس الجمهورية الفرنسية فانما تعتبر هذه الزيارة عند كل عاقل بمثابة زيارة أدبية واجبة على كل من تربى وتعلم فى فرنسا مصرى كان أو غير مصرى ، اذ أن شريعة الآداب تأمر كل انسان بالاعتراف بالجميل ، فمواطنونا لم يأتوا بتوددهم للمسيو فور شيئا آخر غير القيام بهذا الواجب الأدبى الذى حق عليهم لا سيما وأن المسيو فور اشتهر بحبه لمصر والمصريين وميله لخير وطننا العزيز .

واذا قلنا ان المهنيين للمسيو فور من أبناء وادى النيل طلبوا منه المساعدة فى حل المسئلة المصرية حلا عادلا عاجلا ، فلا خلاف فى أن أحسن شيء فى خطابهم هو هذا الطلب وفضلا عن كونه من حقوق كل مصرى ، فهو يزيد انكلترا شرفا ورفعة حيث أن المطالب لها باحترام وعودها والوفاء بعهودها يعتبر حسن الاعتقاد بها ، وبشرفها بخلاف الساكت عن مطالبتها فانه اما جبان واما سىء الظن بها .

فماذا افترى اذا مصريو باريس ، حتى اهتزت الدنيا وقام الانكليز وقعدوا وأرغوا وأزبدوا طالبين من مريض الوزارة عقابهم أشد العقاب تعذيبا لهم وعبرة لغيرهم ، مما حرك الشيخ العليل (١) الى اصدار أمره الى صنيعته أرتين باشا بتحقيق هذا الأمر وتقرير العقاب الصارم .

وماذا أتى اخواننا ضد الانكليز حتى يطلب السير بالمر (الاقتصادى) الغاء الارسالية المصرية (٢) بأسرها وجعلها أثرا بعد عين ، ثم يعود فيطلب ابقاءها ومعاقبة المسيبين لزيارة المسيو فور عندما علم (وبالعجب وطول الحجل) ان حضرات الأجلاء

= حدث خلاف بينه وبين مصطفى كامل ، ونسندل من خطاب الأخير الى أحمد شفيق بتاريخ ٦ يونيو ١٨٩٥ أنه كان يعمل فى المسألة المصرية لاطهار اسمه ، ويريد الانتفاع به وكانت نظرتة لمصطفى كامل أنه السكرتير العربى الذى أرسله الخديو .

رحل عن مصر فى ١٣ أبريل ١٨٩٥ واعتقد مصطفى كامل فى النهاية أن ارتباط القضية المصرية بشخص دلوكل سيؤدى الى أن تخسر خصومه وخصوم حزبه .

(مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : أوراق مصطفى كامل (المراسلات) ، اشراف د / شوقى الحمل ، القاهرة ١٩٨٢ ، حاشية ٣ ص ٢٩ ، حاشية ١ ص ٨٣ ، حاشية ٢ ص ٨٩) .

(١) يقصد نوبار باشا رئيس النظارة التى شكلت فى ١٦ أبريل ١٨٩٤ ، وقد أصيب بتدهور صعى شديد ، اضطره الى التفتيح عن عمله فترة غير قصيرة لدرجة أنه تقدم للمعتمد البريطانى بطلب للاعتراف .

(يوفان ليبب : مرجع سابق ، ص ١٤٣) .

(٢) جاءت تفاصيل ذلك الهياج فى اعتبار نظارة المعارف تلك الزيارة من قبيل المظاهرات السياسية . وقال السير بالمر المستشار المال بصفته عضوا فى اللجنة المالية للمعارف ، بالغاء الارسالية كلية ، جزاء اقترافهم ذلك ، وأنه أخرج الوزير نوبار باشا . ولذا كتبت نظارة المعارف العمومية الى ناظر الارسالية موجيل بك برفت الشيخ محمود أبو النصر أستاذ العلوم العربية باعتباره المحرض ، وتعيين الشيخ عبد الرحيم سليم بدلا منه .

(زيكيان وشيروجيان وتجيران) (١) ، يتعلمون في الارشالية على نفقة حكومتنا
لسنية (أعزها الله) .

فأى سر مصون مستتر وراء هذه الأعمال ، اذا كان الانكليز لا يزالون يرددون
وعودهم الجميلة ويترنمون بنغمة ذكرها بل أية حرية يتكرمون علينا بها ، وهم ان
رأوا من المصرى احساسا شريفا قاموا عليه بالويل والثبور ، وطلبوا عقابه العقاب
الاليم ، وان أبصروا كاتبا يكتب الحق ويسطر الصدق ، طلبوا نفيه عن الديار وإبعاده
عن الأوطان ، كما ظهر هذا الميل (العادل الشريف) عند جناب مكاتب التيمس في
مصر ، لما كتب رده على حديثي المشهور مع الكولونيل بارنج حيث قال (لو كان ذلك
الكتاب مصريا لعاقبناه بما يستحق) كانه يريد وضع مادة جديدة في قانون العقوبات
يقول فيها (كل مصرى تقبل الى الجرائد حديثا جرى له مع سيد من الانكليز يعاقب
بالطرد أو بالأشغال الشاقة) .

وأى حكمة وراء قول المقطم لسان حال معتمد الدولة البريطانية في مصر ، أن
المصريين لو كانوا على رأى الجرائد العربية الفرنسية (يريد بذلك على ما أظن المؤيد
الأغر والأهرام الزاهرة) (٢) لاستعمل الانكليز معهم الشدة والقسوة بدل الملاطفة
واللين . مع علم السادة المحتلين جميعا بأن الأمة المصرية بأسرها على رأى هاتين
الجريدين الصادقتين .

يظهر لى أن الحكمة هي الوعيد والتهديد ودليل ذلك قوله ان نابليون كان يعامل
المصريين بالشدة ، كانه يريد المقارنة بين عنصرين يفصلهما قرن طويل ، وبين فريقين
جاء أحدهما فاتحا والآخر قاصدا الاحتلال المؤقت والجلء السريع .
ولكن ليهذا المحتلون بالا ، ويسكنوا خاطرا ، فلقد علم المصريون كل ما يضموره
لهم أبناء التاميز ، ولا يزيدهم الوعيد الا ثباتا في العمل وقوة في الوطنية .

= ولا قرأ فصل فرنسا تلك الأخبار اعتبرها امانة لقام رئاسة الجمهورية الفرنسية ، وأقام الحجة
باسم دولته ضد نظارة المعارف ، فلم يسعها الا الغاء أمرها الأول ، واصدار أمر آخر ببقاء الشيخ
محمود أيو النصر في وظيفته .
ولزيد من المعلومات ،

(المؤيد اليومية : العدد ١٥٠٦ ، بتاريخ ١٧ فبراير ١٨٩٥ ، العدد ١٥١٦ ، بتاريخ ٢٨ فبراير
١٨٩٥ .

(١) وهم من الأرمن المقيمين بمصر ، تمتعوا بالنفقة على حساب الحكومة المصرية ، فكانت أول بعثة
سافر بها موجيل بك من مصر سنة ١٨٨٥ مؤلفة من سبعة تلامذة منهم ثلاثة من الأرمن ، وكلما لاحت
فرصة قدم الأرمني على المصرى ، على سبيل المثال زيكيان ، كان والده أرمني صاحب بنك مالى فى
الاسكندرية ، تقدم لامتحان الشهادة الابتدائية فى مصر ، ولم يوفق ، فأرسله والده على نفقته الى باريس ،
ولم يمض عليه شهر حتى صدر أمر ديوان المعارف بنقله على مصاريف الحكومة بناء على طلب مسيو
موجيل فى يونيو ١٨٩٤ .

(المؤيد اليومية ، العدد ١٧١٦ ، فى ٧ نوفمبر ١٨٩٥) .
(٢) ما بين القوسين تعليق شقيقه على فهمي كامل .

وإذا كان رجال الاحتلال يعتبرون كل من تودد إلى فرنسا مذنباً ، فليعلموا من الآن أن الأمة كلها مذنبية ، وإن عقلاها أكثر الناس ذنباً ، فكلنا عارف لفرنسا اخلاصها لمصر وصداقتها للدولة العلية ، وكلنا شاكر للمسيو ديلونكل وزملائه على اهتمامهم العظيم بالمسألة المصرية ، وعنايتهم العظمى بمصر والمصريين .

ولا عجب إذا كانت آلامنا موجهة لفرنسا وهي التي تبرعت بدماء جنودها الاعزاء للامريكيين في (بوك تاون) (١) ولليونانيين في (نافارين) (٢) ، وللبلجيكين في (أنفوس) (٣) ، وللايطاليين في (ماجنتا وسولفيرينو) (٤) ، ورحبت

(١) عند نشوب الثورة الأمريكية ضد البريطانيين ، كانت فرنسا واسبانيا وهولندا تسهل للامريكيين المضي في حركتهم ، وتمدهم بالمساعدة العسكرية ، واستمر ذلك ثمانى سنوات تم الغور للانجليز في واقعتين ، الأولى وقعت في سراتوجا سنة ١٧٧٧ ، والأخرى في مدينته يورك . وكانت فرنسا قد أرسلت جيوشا لامداد الامريكيين . ثم اتحدت هولندا واسبانيا ضد بريطانيا بقصد تجديدها من ممتلكاتها ، وتجن عن ذلك أن اتفقت بريطانيا مع فرنسا سنة ١٧٧٨ على ارجاع أرض السنغال لها ، واقليم فلوريدا لاسبانيا ، ثم اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد العاشر ، بيروت ١٩٧١ ، ط ٣ ، ص ص ٨٦١ - ٨٦٢ .
(٣) أبحر الأسطول الفرنسى الى بحر الأرخييل لمساعدة اليونانيين في ثورتهم ضد الأتراك وكان الاسطول الفرنسى مكونا من سبع سفن بقيادة الاميرال رينى . وكان الفرنسيون قد اشتركوا في معاهدة لوندرة - سنة ١٨٢٧ ، التي عقدت بقصد مساعدة الثوار اليونان ، وفي ٢١ سبتمبر ١٨٢٧ قابل الاميرال رينى ابراهيم باشا ، وكرر عليه مطالب الحلفاء طبقا لمعاهدة لوندرة ، وتقضى بانسحاب الاسطول المصرى لاسكندرية ، ولكن ابراهيم لم يصغ لمطالبه ، اذ كانت خطة الحلفاء ترمى الى فرض شروطهم لتقييد حرية وحركة الجانبين المصرى والتركى وترك اليونانيين أحرارا في حركاتهم البحرية والبرية ، وقد انسحب الضباط الفرنسيون الذين كانوا يعملون في خدمة الاسطول المصرى بناء على دعوة الاميرال رينى لهم ، وأخيرا وقعت معركة نوارين البحرية في ٢١ أكتوبر ١٩٢٧ والتي انتهت بتعطيم الاسطولين التركى والمصرى .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ص ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ .
(٥) نتج عن ثورة البلجيكين سنة ١٨٣٠ على الحكم البروتستانتي الهولندى للأراضي المنخفضة ، انهيار مملكة الأراضي المنخفضة ، وكان الراى العام الفرنسى متعاطفا مع البلجيكين ، الا أن طبيعة لويس فيليب - ملك فرنسا - المسألة كانت تتأرجح بين التدخل لصالح الثوار البلجيكين تسخلا أدبيا ، وبضغط من الراى العام الفرنسى ، أرسل لويس فيليب حملة ضد الهولنديين ، استطاعت تدعيم ثورة البلجيكين ، ولكن انجلترا كانت تخشى من ذلك التدخل الفرنسى ، لذا اشتركت قوة انجليزية مع الجيش الفرنسى فى تخليص أنفرس من يد الهولنديين فى أكتوبر ١٨٣٢ ، وبذا حصلت بلجيكا على استقلالها .

(٦) للمزيد من المعلومات : بيرونوفان : تاريخ العلاقات الدولية ، ص ص ٦٦ - ٧٤ .
(٧) تدخلت فرنسا فى المعارك التي دارت بين الايطاليين والقوات النمساوية ، لصالح الجانب الايطالى ، ونجحت القوات الفرنسية فى هزيمة النمساويين فى معركة سولفيرينو ، ثم عقد نابليون الثالث مع النمسا هدنة فيلافراثكا ، وبمقتضاها فصلت لمبارديا عن النمسا وضممت الى سردينيا - بيدمت - (التى تزعمت حركة الوحدة الايطالية) ، وكانت القوات الفرنسية قبل ذلك بقليل قد أوقعت بالجيش النمساوية هزيمة فى موقعة ماجنتا ، ولم تلبث أن حققت هذه الانتصارات جانبا كبيرا من الوحدة الايطالية .

بالأيرلنديين سنة ١٦٨٨ ، وأحسنت للبولنديين بعد عام ١٨٣٠ (١) ، وبالجمله
برهنت المرة بعد الأخرى على أنها ظاهرة الحرية نصيرة الاستقلال .
وللسادة المحتلين أن يتحققوا من أن شدة حنقهم على المتظاهرين فى فرنسا
ستزيد المظاهرات ضدهم وتكثر المتظلمين لأوربا منهم ، ولا يبعد أن يأتينا الصيف
الآتى بالبراهين الجمة على ذلك ، وكل آت قريب .

٥ (١ ج . جرانپ . هارولد تمبرلى : أوربا فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ترجمة بهاء فهمى ، القاهرة
١٩٥٠ ، ص ص ٣٨٩ - ٤٥٥ ، أحمد نجيب هاشم ، محمد مأمون نجا : أطلس القرن التاسع عشر ،
القاهرة ، ١٩٢٨ ، ص ٢٧٢ .

(١) شجعت فرنسا البولنديين ضد التدخل النمساوى فى ايطاليا ، بأن أنزلت قوات عسكرية فى
انكونا فى ٢٢ فبراير ١٨٣٢ على أن تظل حتى تجلو النمسا بقواتها عنها ، مما كان له أثر ايجابى لدى
الجماعات الثورية الايطالية فى الحصول على تعضيد الدول الكبرى لها فى كفاها ضد الاحتلال الأجنبى .
٦ (ولزيد من المعلومات يرجع الى : بيير رنوفان : مرجع سابق ، من ص ٨٠) .

صواعق الاحتلال ★

لله من صواعق تصب علينا بغير حساب ، ومصائب نرمى بها بلا أسباب • وبلايا تتدارك قطرات السحاب ، ورزايا تتصدع بها القلوب والألباب • حتى أصبحنا نتقلب بين أنياب هذا الشر ، وأظفار ذلك السوء ، ولا نعرف من الأيام غير ظلماتها ولا من الحوادث الا مزعجاتها ، كل ذلك على أيدي فئة جاءت البلاد بحجة الإصلاح ، فأفسدت ما شاءت ، وغيّرت وبدلت ما استطاعت اجابة لداعى هواها ، ورغبة فى بلوغ منها ، واذا سألتها ما هذه الصواعق التى تصيبنا علينا قالت انما هى أدوية أدوائكم ومراهم جروحكم فتلقوها بالصبر والسكون ، والا وضعت لكم السم فى الشراب كأننا نحن أطفال صغار لا ينفعنا الا التهديد والارهاب ، ولا قوة لنا على تمييز الصالح من الفاسد ، والنافع من الضار • واذا ناديناها ، لبي نداء هذا الشرف البريطانى الرفيع الذى يسألك الجلاء عن الديار ، وترك البلاد لأبنائها ، يسوسون أمورهم بأنفسهم ، قالت : ما أقل اعترافكم معشر المصريين بالخير وأولاكم بالسوء ، أترغبون فى خروج الانكليز من بلادكم ، وتكفرون بنعمة وجودهم بينكم واحتلالهم أرضكم • فلا أرسلن عليكم الصواعق تأتاكم من حيث لا تشعرون ، ولأرمينكم بالمصائب تهز قلوبكم هذا وتذك وجداناتكم دكا حتى اذا علمتم بطش الانكليز وقوة البريطان اخلدتم الى السكون وجنحتن الى علم المطالبة بالجلاء لتتم علينا نعمة الحكم عليكم والسيطرة على بلادكم •

هذا شأنهم معنا ، شأن القوى مع الضعيف ، ينتهكون كل حرمة ، ويطأون كل

(★) نشر هذا المقام فى جريدة الامرام بتاريخ ٤ مارس ١٨٩٥ بمناسبة تشكيل المحاكم المخصصة ، حيث صدر امر عال فى يناير ١٨٩٥ بناء على طلب الانجليز بتشكيل محكمة خاصة لكل من يتعدى من المصريين على الانجليز ، وكانت تشكل من المستشار الانجليزى للحقانية وضابط كبير من جيش الاحتلال ، وقاض انجليزى من محكمة الاستئناف الاهلية ، ورئيس محكمة مصر أو الاسكندرية تحت رئاسة ناظر الحقانية • وقد وافق النظار المصريون على ذلك •
(صبرى أبو المجد : محمد فريد : ذكريات ومذكرات ، كتاب الهلال ، العدد ٢٢٣ . سنة ١٩٦٨ القاهرة ، ص ٦٤) •

غزير نفيس ، فلقد احتلوا البلاد بحجة الاصلاح ، وليس فى تاريخ الاحتلال الا آثار الضغط واستبداد تنطق حوادثه حادثا بعد حادث ، ان مراد الانكليز امتلاك البلاد وجعلها هندافريقية يسبح أهلها من البحر المتوسط الى منابع النيل ، بذكر أبناء التاميز ويسجد الشيخ والوليد لهم اجلالا وتعظيما .

ولسنا نستشهد على صحة هذا القول بحادث من حوادث الماضى ، بل نستشهد بحادث اليوم الذى جاء ضربة قاسية على النفوس ، وصاعقة شديدة الوقع على الرؤوس ، أعنى به حادث المحكمة العرفية الاستبدادية ، التى أنشئت لمعاقبة كل من تعدى على جنود الاحتلال عقابا لا يدخل تحت قانون ما . تأسست بعد أن أرغت جرائد لندرا وأزبدت وأرعدت سماؤها وأبرقت ، ووجهت الى سدة الأمير كل طعن وبذاء مما قابلناه تلك الساعة بقول الشاعر :

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

تأسست هذه المحكمة على شكل يكفى وحده لأن يبرهن للعالم بأسره أن الانكليز لا يعرفون للقانون اسما . وهل سمعتم ياقوم بمحكمة تحكم بما يشاء هواها . محكمة تحكم بصلم الأذن وجدع الأنف ، وسلخ الجلد وبالجلد والضرب . وهل رأيتم يا قوم فى التاريخ أن أمة تحاكم على غير قانون ودستور . أجيبونا معشر المتشرعين وأسمعونا كلمة الحق أيها المنصفون ، فقد بلغ السيل الزبى .

نعم نعم . . أنتم تريدون أيها المحتلون بهذه المحكمة عقاب كل مصرى أمين يعرف أنكم خصوم بلاده ، وتقصدون بها اهانة الوطنيين بسجنهم السنين الطوال ، ان لم نقل باعدام كثيرين منهم .

نعم نعم . . انتم تريدون بهذه المحكمة وضع الأساس الصالح لهدم المحاكم الأهلية ، وابدالها بمحاكم استبدادية تحكم بنفس القانون الذى تحكم به محكماتكم الجديدة .

نعم نعم . . أنتم تريدون ذلك ، وتبذلون الجهد الجهيد فى سبيل الوصول اليه . والا فأى تعصب دينى فى البلاد حاكم (أيها العادلون) على تأسيس هذه المحكمة التى تؤخذون على تأسيسها كل المؤاخذة بعد أن احتلتم البلاد ثمن قرن . وأى داع حاكم اليوم على المطالبة بهذا الحق ، الذى تقولون عنه بعد أن سكتكم عن المطالبة به ١٣ سنة مع ما عرف عنكم من شدة المحافظة على الحقوق ، بل بمجاورة كل حق وواجب . لا خلاف فى أنكم ترغبون قتل العواطف الشريفة الحية ، وتودون من صميم

الفؤاد اخماد أنفاس كل كاتب وكل معارض ، ولنا في الغاء مدرسة دار العلوم دليل
آخر على ذلك (١) ، فلقد أردتم أن يكون هذا الشهر شهر النصر لكم ، والخذلان لنا ،
فأرسلتم علينا من سماء عدالتكم الصواعق تباعا حتى عسر علينا احصاؤها ، بل نقول
كل البلايا (في ظل المحكمة المخصصة) ، فانا لله وانا اليه راجعون .

(١) ألغيت مدرسة دار العلوم في ٢٥ فبراير ١٨٩٥ في صورة الحافها كقسم عال . بمدرسة
المبتديان ، ويذكر محمد فريد في مذكراته أن هذا - بجوار انه نكاي في ناظرها ابراهيم بك مصطفى
آنذاك - تضيق دائرة التسليم في مصر ، لأن الغرض من انشائها كان تخريج قضاة شرعيين متشربين
بحب الوطن والدفاع عن الوطن .
(رؤوف عباس : مذكرات محمد فريد ، القسم الاول القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
أمين سامي : التعليم في مصر ، ج ٣ ص ٤٤) .

★ الشرق الاقصى

(رسالة من باريز)

لا حديث اليوم لرجال السياسة في أوروبا الا مسألة الشرق الأقصى وما أنتجته الحروب الصينية اليابانية من النتائج الخطيرة ، فلقد حولت هذه المسألة كل الأنظار من (بورأرنور) (١) الى قتال السويس ، وزادت في أهمية مصر حتى لم يبق خلاف بين سياسيين في أن حل المسألة المصرية صار أول واجب على الدول الثلاث بعد الفصل في الترضية اليابانية .

وعلى ظني أن سياسة الانكليز في هذا المشكل الخطير هي التي دعت ألمانيا وفرنسا والروسيا الى العمل بالاشتراك ضد اليابان وبتمام الانعزال عن انكلترا فان هذه الدولة المشهورة بحب الذات قد ساعدت الصين بادیء ذي بدء وطلبت من الدول المرة بعد الأخرى الاتحاد في العمل ضد الميكادو ، فلما لم تجد سميعا مطيعا لدعوتها ، وقفت في دائرة الحيرة مترددة في أمرها حتى تم الظفر لليابان ، وعندئذ رأت الانضمام أخيرا إليها لما علمت أن استيلاء اليابان « وهي اليوم الدولة البحرية القوية في الشرق الأقصى » على جزء عظيم من الأملاك الصينية يهدد روسيا تهديدا عظيما ، ويجعلها على الدوام في شغل عن الهند وانكلترا ، وبعبارة أخرى يصير اليابان العدو الالد لروسيا بعد أن كانت بريطانيا خصمها الوحيد .

(★) نشرت في المزيّد ، عدد ١٥٨١ ، بتاريخ ٢٥ مايو ١٨٩٥ .

(١) في ٢٣ أبريل ١٨٩٥ اتفقت كل من روسيا وفرنسا وألمانيا على توجيه انذار الى اليابان باسم الحفاظ على وحدة الصين ، وسحبت اليابان قواتها من شبه جزيرة (لياو تونج) ولكن هذه الدول الثلاث لم تلبث أن انقضت على الصين دون اعتبار لوحدها ، فاحتلت روسيا « بورت آرثر » وألمانيا « شانتونج » وفرنسا « كوانج تشوان » فردت بريطانيا بالاستيلاء على « وای های وای » ، وكانت بريطانيا ترى في استيلاء روسيا على « بورت آرثر » تغييرا لميزان القوى يهدد الامبراطورية البريطانية بخطر الحرب في أكثر من جهة ضد روسيا وفرنسا . ومن ثم كانت سببا في المضايقات المتتالية الفرنسية للاحتلال الانجليزي لمصر .

(المزيّد من المعلومات : عبد المزيّد نوار : مرجع سابق ، ص ١٢٣ - ١٢٥) .

ولم يكن فى حسابان رجال السياسة الانكليزية أن تعضيدهم اليابان يضر بهم فى أوروبا أعظم الضرر ، ويدعو الدول العظيمة المنافسة لهم الى عمل مشترك يحبط مساعيهم ، ويزيد الاحقاد فى القلوب ضدهم ، بم لم يكن يخطر على بال اللورد روزبرى وزملائه ان وراء خطته التى اتبعها نتائج سياسية من الأهمية بمكان .

ولقد قام اليوم السياسيون من فرنسا وألمانيا والروسيا ينادون بمبدأ جديد لا أخالهم الا عاملين به فى حل كل المشاكل الحاضرة وهو « بما أن انكلترا قد رضيت بالعزلة فى حل المشكل اليابانى ، ورأت ذلك من صالحها ، فللدول الثلاث الحق فى حل كل مشكل يكون صالحا فيه غير صالح انكلترا بدون استشارتها واعتبار رأيها » .

ولا شك أن اتحاد دولة قوية مثل روسيا مع دولتين لا ينقصان عنها قوة وعظمة مثل فرنسا وألمانيا فى حل كل المعضلات السياسية يكون أعظم خطر مهدد لانكلترا لأن مصالح هاته الدول مناقضة كل المناقضة لمصالح أبناء التاميز .

والانكليز أنفسهم شاعرون بهذا الخطر المهدد لهم ، فترى اليوم جرائدهم تخطب من الحيرة فى المسئلة الحاضرة « مسألة الشرق الأقصى » خبط عشواء فتارة تلوم فرنسا ، وطورا تعنف ألمانيا وحينما تهزأ بروسيا ، وآونة تظهر الأسف بعد السرور والسرور بعد الأسف ، وليس لكل هذه المناقضات الا معنى واحد هو الحيرة والارتباك واننى لا أقدم للقراء برهانا على ذلك أعظم من اعلان السير مكفرلين الذى قال فيه « انه نظرا لارتباك مسئلة الصين واليابان يسترد من البرلمان الانكليزى سؤاله المتعلق بالجلء عن مصر » .

فان هذا السير قد رأى من حكومته بعد أن أظهر رغبته فى سؤالها الجلء عن مصر ، وصرح بذلك رسميا أنها فى موقف حرج مضطرب تجاه مشكله اليابان ، فلم يكن فى استطاعتها حينئذ أن تجيب بكلمة واحدة عن المسئلة المصرية ، خصوصا وأنها تخشى أن تثير الخواطر ضدها ، اذا أعلنت رسميا اصرارها على خطتها السابقة مع هذا التيار القوى ، الذى تراه يتدفق فى غير مجرى مصلحتها ، ويكفى القراء مطالعة كتاب السير مكفرلين الذى بعث به الى التيمس فى معرفة حرج مركز انكلترا هذا الأيام وهذا تعريبه :

« ان الغرض من طلبى هو دعوة الحكومة لاجتتاب الاتفاق الذى أراد عقده السير درموندوولف (١) سنة ١٨٨٧ وحل هذه المسئلة التى هى خطر دائم لنا ، والتى تخلق

(١) بذلت عدة محاولات لكسب تأييد الدول المعنية للسياسة البريطانية فى مصر ، او على الأقل تحييدها ، فعقد مؤتمر لندن ١٨٨٤ للنظر فى مالية مصر ، انتهى بالفشل ، وان كان قد تم عقد قرص فدره تسعة ملايين جنيه مصرى بضمان جميع الدول صاحبة المصالح المالية فى مصر . وفى يونيو ١٨٨٥ حل سالفورى محل جلادستون فى رئاسة الوزارة ، وشرع فى ايجاد تسوية للمسئلة المصرية مع تركيا صاحبة السيادة على مصر ، فوافد لهذه الغاية هنرى درموندوولف الى الاستانة وزوده بتعليمات تقضى =

المشاكل الأبدية بيننا وبين أقرب جيراننا - يعنى فرنسا ، ولكن الحالة فى الشرق أصبحت حرجة الى حد أرى معه أننى أخدم بلدى اذا أجلت المناقشة بشأن مصر الى أجل آخر . وانى أومل أن الحكومة تنتهز أقرب الفرص لتسوية هذه المسئلة مع الدول ذات الشأن ، تسوية يمكننا معها القيام بانجاز وعود الشرف ، وليس لنا الحق فى اعتبارنا المسئلة المصرية مسالة سياسية محضة ، فان وعودنا جعلتها مسئلة لا يخرج فيها لشيء آخر غير العلم بموعد جلائنا » .

هذا ولا أرانى مخطئا اذا قلت ان مسئلة الشرق الأقصى خدمت مصر خدمة جليلة ، بأن وجهت اليها الأنظار أكثر من ذى قبل ، فليست الجرائد الفرنسية وحدها هى التى تطالب اليوم بالجلء عن وادى النيل ، ولكن الجرائد الروسية والالمانية صارت أشد لهجة وأعظم غيرة منها - وفى قراءة مقالة النوفستى (١) الأخيرة حجة ساطعة على ذلك ، فلقد قالت هذه الجريدة الخطيرة ما ملخصه :

« ان انكلترا تهددنا بأقفال قنال السويس اذا أتينا بأى عمل حربى ضد مصالحها فى الشرق الأقصى ، فعلى الدول الثلاث المتحدة حل مسالة مصر بأول فرصة ، حتى لا يصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة انكليزية » .

وبالجملة فانى أقول : كما أن اليابان سكرت فرحا بفوزها وانتصارها على خصمها الذى كان بالأمس عظيما فخما ، وهى تريد اليوم بلوغ كل أمانيتها ، فان الدول الثلاث أصبحت فرحة بفوزها وانتصارها فى سياستها تلقاء هذه المشكلة ، حتى فشلت سياسة انكلترا أمامها ، وأصبح المنتصرون طامعين فى بلوغ أمانيتهم بحل المسالة المصرية ، وفى مقدمة هاته الدول الثلاث ألمانيا التى لا تترك فرصة تمر الآن بدون أن

= بالعمل على تحديد موعد للجلء عن مصر فى القريب ، بشرط ضمان استمرار المصالح البريطانية فى مصر بأن يوافق السلطان على عودة انكلترا الى الاحتلال متى أرادت ذلك ، وكان السلطان عبد الحميد مستعدا للقبول بشروط بريطانيا ، غير أن فرنسا لم تقبل الموافقة على العودة من حيث المبدأ وظهرتها روسيا فى موقفها هذا .

وظلت الأمور بين أخذ ورد حتى عقدت المعاهدة المشار اليها التى نصت على العدول عن الجلء فى حالة احتمال قيام خطر داخلى أو خارجى ، لحين زوال الخطر ، ويكون لتركيا وبريطانيا حق ارسال قوات الى مصر واحتلالها فى حالة اضطراب الأمن ، وفى حالة وجود مانع لدى تركيا توقف مندوبا يبقى طول مدة احتلال الجيش البريطانى ، وخشى السلطان التصديق عليها ، حتى لا تكون سابقة للدول الأوروبية ، فتقدم على احتلال بعض بلاد الامبراطورية أسوة ببريطانيا ، واذا اعترض على الاتفاقية ، قد يفقد مابقى له من سيادة اسمية على مصر ، وكان لابد من التصديق حتى تصبح سارية المفعول ، فاعترض عليها سفير فرنسا وروسيا بالأستانة ، وأسفرت مساعيها عن عدم التصديق ، فأصبحت كان لم تكن ، وبذلك انتهت بالاختفاق .

(رؤوف عباس حامد : مرجع سابق ، ص ص ٢٩ - ٣١) .

(١) جريدة روسية .

نظهر بغضها للانكليز ، وحقدنا عليهم وقد وافتنا أمس الرسائل البرقية من برلين
قائلة بما نصه « ان الدوائر الرسمية فيها تؤمل اتحاد الدول الثلاث في حل المسئلة
المصرية بعد تمام الفصل في مسألة الشرق الأقصى ، والزام انكلترا بالجلء عن وادى
النيل احتراماً لوعودها وجعل القطر المصرى منطقة حرة ، تحميها أوروبا كلها » .

ولامراء فى أنه اذا دام الحال على هذا المنوال وظلت خطة الدول الثلاث بلا تغيير
نجت مصر من مخالب الأسد ، الذى يحاول افتراسها ، وتحققت أمانى محبى مصر
والمنصفين فى قولهم « مصر للمصريين » .

من أين يأتى الخطر ★

ما كنت أحسب قبل قدومى باريس أن أهلها عرفوا فى هذا العام من أحوالنا ما نعرف من أحوالهم ، وأدركوا من أسرار أمورنا ما ندرك من أسرار أمورهم . بل كنت أخال القليل منهم مشغلا بمسألة مصر ، كما شاهدت ذلك فى العام الماضى ، حتى أتيت عاصمة العواصم فى هذه الأيام ، فرأيت أغلب من لاقيت واقفا على حقيقة آلامنا عارفا بمواضيع جراحنا مما يبشرنى بانفراج قريب اللازمة المصرية ونصرة من القوى للمضعيف ، فلقد لاقيت يوم الاثنين الماضى فى وليمة تكرم بدعوتى إليها حضرة المسيو لوسيان ميلفوا صاحب جريدة الباترى (الوطن) كثيرا من رجال السياسة والأدب الذين لهم فى باريس المكانة الأولى فى التحجير والتحرير ، وتجاذبنا الحديث طويلا بشأن مصر متكلمين عن ماضيها وحالها ، وما بدأنا الكلام على حوادثها الأخيرة وما أناه الانكليز فى هذا العام من العجائب والغرائب حتى قام أديب من كرام الحاضرين وقال :

(انى لم أكن أعلم شيئا من حوادث مصر غير أن الانكليز فيها يريدون ابتلاعها وسياستهم على شواطئ النيل كسياستهم فى كل بلد آخر ، تنحصر فى الفقر والاستعباد والتخريب ، ولكن اندهشت أعظم دهشة عندما قرأت فى الجرائد خبر تأسيس محكمة مخصوصة تقبض بيدها على السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية ، وزادت دهشتى لما علمت أن الذى قرر هذه البدعة الكبرى هو مجلس النظار المصرى المركب على ما أعلم من نظار مصرى الجنسية .

ومن ذلك اليوم درست المسألة دراسة مجتهد عامل حتى وقفت على ماجريات الأحوال وعموميات الأشياء وخلاصة ما استنتجته أيها السادة هو أن مصر بلد ساء الطالع رزق فى هذا العصر المنير عصر الحرية والمدنية باحتلال أجنبى يديره رجال « لا يعرفون غير الاستبداد وحب العلو والظهور والانتقام » وقوم من مصر سواء من

(★) كتبت هذه المقالة فى باريس فى ٢٤ مايو ١٨٩٥ ، ونشرت بجريدة الأهرام بتاريخ أول يونيو

أبنائها أو من الداخلين عليها لم يأت التاريخ بذكر مثلهم ، فهم فصلوا السودان عن مصر ، ومكنوا العدو من كل شيء ، وقدموا ما يسمونه بالمصالح الخاصة (على أنهم مخطئون في التسمية) على المصالح الهامة الحقيقية . ولقد كان نابليون يقول « لو كان عدد الخونة في فرنسا نصف ما هو عليه اليوم لكانت هذه الدولة سيادة العالم » . وأنا اليوم أقول « لو كان عدد الوطنيين الصادقين في مصر يقدر عدد المارقين والدخلاء فيها ، لكانت نجت من عهد بعيد » . فالبلاء كل البلاء في تعيين الضعفاء والبسطاء في المناصب الرفيعة ، وإبعاد الصادقين الأكفاء من المصالح والإدارات . والمصيبة كل المصيبة في وجود بعض مصريين لا يفهمون معنى حب الوطن ، وآخرين لا يدرون (وهم في مصر) أن مصر بوضعها الطبيعي لا بد أن تكون حرة مستقلة .

فكيف تريدون أيها المصريون حرية بلادكم ، وخروج الانكليز من دياركم وأنتم لم تعرفوا واجباتكم الوطنية ، ولم تهدوا أوروبا الى الحقائق ، بل تركتم هذا الواجب الخطير الى الجرائد الانكليزية تقص علينا من أموركم ما يناقض الحقيقة ، ويخالف الواقع ، فهي تقول لنا يوما انكم راضون بالاحتلال ، تدخلون في بابيه أفواجا أفواجا ، وتحدثنا يوما آخر عن تعصبكم في دينكم وكرهكم لغير أبناء جنسكم ، وتذكر لنا تارة أنكم لستم أكفاء ، ولا يليق بأوروبا أن تضع ثقته بكم ، وطوروا آخر أن الانكليز لو تركوا دياركم لصيرتم كالوحوش بل أضل سبيلا ، وضاعت مصالح المالين ونزلت القرايطيس المصرية (١) ، بعد أن تحسنت وصعدت ، فهل قام منكم وقد جاء أوروبا متناديا بالحقائق طالبا العدل والانصاف . أما لكم في بعض العناصر الشرقية كالسريين والبلغاريين وغيرهم عبرة . واذكروا الآن الأرمن الذين لا يغضون لحظة عن تأسيس الجمعيات واللقاء الخطب ، على أنهم ما عرفوا من قبل معنى الاستقلال ، وما ذاقوا للآن حلاوة الوحدة في العمل وعدم تسلط اليد الأجنبية على بلادهم ، كما ذقتم أنتم حلاوة ذلك في عهد الأسرة الحديوية الكريمة ، وفضلا عن ذلك فانهم ليس لهم حق يخول لهم نيل مطالبهم أما أنتم فحقوقكم أكبر الحقوق وليس لكم سبيل الى استرجاعها غير نشر الحقائق في أوروبا والاستعانة بها .

هذا خطأؤكم في سياستكم ، وليس بالعسير عليكم اصلاحه .

أما أنت أيها الشاب المصري ، فقد أحسنت عملا اذ جئتنا اليوم تنادى باستقلال بلادك ، - فأمّن خيرا كثيرا ، وادع أبناء جلدتك الى الانضمام اليك ليكون صوتكم عاليا يسمح في كل الأرجاء .

(١) يبدأ العمل به منذ نهاية عام ١٨٧٦ من خلال نظام المراقبة الثنائية كضمان لأصحاب الأموال .

(وللمزيد من المعلومات عن هذا النظام يمكن الرجوع الى : تيسودور رودشتين : فصول من المسألة المصرية ، ترجمة عبد الحميد العبادي ومحمد بدران ، القاهرة ١٩٥٦ ، أحمد صادق سعد : تاريخ الدين المصري العام المالي والسياسي ، القاهرة ١٩٤٤ ، رؤوف عباس : مرجع سابق .

هذا مضمون ما فاه به كاتب سياسي خطير ولست محتاجا لأن أعرف القراء الكرام أن قوله لم يكن مؤلما فهو حق صدق وكلكم قائلون ذلك عند قراءة رسالتي .

وحقا أن المصيبة في مصر تقع على رؤوس الضعفاء منا والدخلاء علينا أكثر من وقوعها على الجنود التي تحتل بلادنا ، فرجال حكومتنا الموكلة اليهم الأعمال اما أجنب عن مصر ، أو ضعفاء من مصر ، أو يائسون لا يصدقون بخير لمصر .

ولو عرف أولئك الأجانب عنها أن من أشرف الحُصَال وأجل الشُمائل الاعتراف بالجميل ، ومعاملة هذه الديار بالنظر لما عاملوها هذه المعاملة ، وألقوها بين يدي أعدائها يتصرفون في أمورها كما يشاء هواهم .

ولو فهم الضعفاء من رجال حكومتنا أن الوطن فوق كل شيء وأن الشفقة عليه والاخلاص له يجب أن يكونا فوق الشفقة على الأم والأب ، لما كانوا سلموا أمور مصر إلى أعدائها وألد خصومها يخربون البلاد ويشقون العباد .

ولو علم اليائسون منا أن كثيرا من الأمم كانت آنعس منا حظا وأنكد طالعا ، فعملت وجدت حتى بلغت السعادة والعلاء ، بل لو كانوا تصفحوا التاريخ وقرأوا أن كثيرا من الأمم التي تعجب بسعدها اليوم رأت من العذاب أشد العذاب ، ومن الاجحاف أكبر الاجحاف لكانوا عملوا على سعادة مصر بالعزم والحزم مع الصبر والانتظار ، وكانوا لا محالة نجحوا في عملهم الشريف .

فهذه الولايات المتحدة التي تدهش العالم كل يوم بمحاسن أعمالها ، وأحاسن اختراعاتها ، عاشت طويلا تحت نير الظلم والاستبداد يجرعها الانكليز كؤوس العذاب ، ولم تنهض الى المطالبة بالحرية والاستقلال ، الا باتحاد أبنائها والعزم والحزم والصبر والانتظار .

وهذه ايطاليا ، صبرت طويلا وعملت كثيرا ، فنالت الجزاء أحسن الجزاء ، وأصبحت اليوم في عداد الدول الخطيرة .

وكذلك اليونان وغير اليونان من الأمم ، التي نالت الاستقلال بالجهد والثبات والاقدام .

وأنتم أيها المواطنون الأعزاء لا تحتاجون لكثير من التعب في انقاذ الوطن العزيز ، اذ أن ذلك من صالح أوروبا ولا مراة في أن الدول التي حررت سويسرا وبلجيكا لها في تحرير مصر فوائدها في هاتين الدولتين (١) .

(١) يرمى الى استنهاض فرنسا .

لبس على المصرى الأمين واجب آخر غير نشر الحقائق عن أمته ووطنه فى أوروبا ،
وبالاستعانة بها كما استعان بها غيرنا من قبل • الا فاجمعوا كلمتكم أبناء الوطن العزيز
وأخلصوا النية فى خدمة مصر وألقوا وراء ظهوركم الشقاق والنفاق ، واختاروا سبيل
الخلاص سبيلكم حتى يشهد لكم العالمون بالكفاءة والاستعداد وصب الوطن ، وترون
بعين البهجة والرضاء بعد زمن يسير (مصر للمصريين) •

مصر والسياسة الفرنسية ★

أن سؤالك لى رأى عن السياسة الفرنسية فيما يختص بالمسألة المصرية .
لسؤال خطير جدا وعظيم الأهمية .

وأن لفرنسا على ما أرى سياستين فى مسألة مصر ، سياسة فى أوروبا ، وسياسة
فى مصر نفسها .

فسياستها فى أوروبا هى سياسة صريحة حازمة ، فلقد أعلنت المرات العديدة
أنها لا تستطيع ولن تستطيع أبدا أن تترك مصر للانكليز ، فان مركز بلادنا الجغرافى
مهم جدا ، ومصالح فرنسا فيها عظيمة لحد يحملها على اعتبار المسألة المصرية من أخطر
المسائل التى تهمها مباشرة (١) .

وفضلا عن ذلك فان فرنسا بصفتها دولة حافظة على صيانة المملكة العثمانية ،
وعلى استقلالها يجب عليها أن تحقق الاستقلال المحدود لوادى النيل ، الذى هو جزء
من الدولة العلية .

أما السياسة الفرنسية فى مصر ، فلقد كانت – وأرائى مضطرا بكل أسف لأن
أجيبك هكذا لأجيبك بصدق وصراحة – ولا تزال سياسة تساهل وتسامح (٢) .

(★) حديث جرى باللغة الفرنسية ، فى ٢ يوليو ١٨٩٥ بين مصطفى كامل واحد محررى صحيفة
الجورنال التى كانت تصدر يوميا فى باريس منذ عام ١٨٤٠ .

(١) وهذا ما تبينته فرنسا منذ حملتها على مصر سنة ١٧٩٨ .

(٢) حكمت علاقة مصطفى كامل بفرنسا عوامل منها :

أولا : تربيته فى كنف الثقافة الفرنسية .

ثانيا : تلاقى أهداف السياسة الخارجية الفرنسية – ولو على مسيل المناورة – مع أهداف الحركة
لوطنية المصرية .

ولم يترك وكلاء فرنسا في مصر الانكليز يهددون فقط أعظم تهديد العمل الجليل الذي عملته فرنسا في بلادنا . هذا العمل التمدني الخيري الذي ما نسيناه ولا ننساه أبدا . بل انهم بصمتهم وسكونهم الذي لا يفهم له معنى ، شجعوا الانجليز على استعبادنا وسمحوا لهم أن يحولوا وادي النيل الجميل الى هند أفريقية أسوأ حالا من أختها الآسيوية (١) .

وانظر كيف أن انكلترا تزاخم النفوذ الحسى والمعنوى لفرنسا في مصر ، فهي فى كل يوم تحارب لغتكم (٢) التى نقبل على مطالعتها لاتقانها وجمالها ، وتعد الذين يتلقونها من التلامذة كأعداء لها فتسد فى وجوههم أبواب الوظائف ، وقد فازت بتقليل

= ثالثا : تحالف فرنسا وروسيا فى هذه الفترة ضد التوسع البريطانى : مما أدى بهما الى الضغط عليها بتحديد موعد لجلاتها عن مصر فى نطاق المحافظة على أملاك الدولة العثمانية .

ومن ثم تمسك مصطفى كامل بأهداف الفرنسيين كعامل مساعد لتحقيق اهدافه الوطنية ، الا أنه كان يقظا فى نفس الوقت للأوروبيين عموما ، فكان يشك فى نوايا فرنسا دون أن يظهر ذلك ، وذلك مما ظهر من خطابه الى عبد الرحيم أحمد فى ١٨ سبتمبر ١٨٩٥ « ... فالفرنساويون مهما تظاهروا لنا بالولاء هم كالانكليز يعملون لمنفعتهم ، وهم اذا قربنا منهم وتجنبنا اليهم فانما هى سياسة مناقضت بها الأيام تستعملها لاستخدامهم ولتغيير عداوتهم بالحب والولاء ، وإن يكن وقتيا ... » .

وهكذا بدأ تيقظه لسياسة التساهل بين فرنسا وانكلترا ، وكذلك من تخاذلها أمام الغاء الارشالية العلمية المصرية اليها . د . صلاح العقاد : مصطفى كامل ، (الجمعية التاريخية : مصطفى كامل ، ص ٦٢) .

(١) اتبع الانجليز أسلوبهم السياسى التقليدى « فرى تسد » فسموا الى تشويه حركات مقاومة المجاهدين واندست بين الوطنيين ، ونجحت فى كسب الولاء خاصة من الشيخ ، وحين ظهرت فكرة « حزب المؤتمر » لم تنشأ نتيجة قوة وطنية ، ولكن من تأليف الانجليز ، فكان يعلن الولاء التام للحكومة البريطانية مثال ذلك اجتماعه سنة ١٨٨٥ فى يرمباى وإعلان فائدة الاحتلال .

كما أن الانجليز أثاروا أحقاد الهندوس ضد المسلمين الأقلية ، بل عملوا على تقسيم المسلمين الى فرق متعددة فكان « السيد احمد خان » وجماعته ضدهم جماعة أخرى على رأسهم « جماعة ديوبند الدينية المسلمة وجماعة أخرى فى كلية « عليكرة » بتحريض مديرها الانكليزى « مستر بيك » بل اشترك الانجليز فى بعض هذه الجماعات ، وذلك لتعميق الشعور بالاحتلال ، علاوة على المساواة الأخرى من الاستقلال . (د . عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين فى تحرير الهند ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٥٢ - ٥٩) .

(٢) منذ استقر الاحتلال البريطانى لمصر ١٨٨٢ بدأ يضرب لنشر التعليم بلغته كسهم جديد فى جسد مصر ، بل وجعل يزيد عدد مدارسها التى تعلم بالانجليزية على عدد الارشاليات الفرنسية مما أضعف اللغة الفرنسية ، وظهر هذا فى منشور نظارة المعارف سنة ١٨٩٣ .

(لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى : جرجس سلامة - تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٢) .

عدد الموظفين منكم كثيرا وضعضعت الارسالية المصرية التي كانت زاهرة ، فأصبحت لا تتألف الا من عشرة شبان نصفهم أرمنيين (١) ، ومن مواطني نوبار وأرتين (٢) . ولكن الانكليز - لحسن الطالع - لم يتمكنوا من كل مساعيهم من اماتة النفوذ الفرنسوى تماما فى البلاد ، وذلك لما عندنا من الود المكين لكم .

وبرهان هذا الود أننا لما اردنا الاستعانة بأوربا على اسعافنا السياسى ، كان أول ما عرضنا أمرنا على فرنسا معتقدين كل الاعتقاد أنها لا تمتنع عن توطيد نفوذها فى الشرق ، بانقاذها شعبا يحبها كل ذلك الحب .

ولكن عندى أمر أهم من كل ما تقدم أقوله لك وهو انه قد عيل صبرنا من طول الاحتلال ، فان كانت الحكومة الفرنسوية عازمة على عمل فلتعمله سريعا .

وأظن يا حضرة المكاتب أنى أبديت لك فيما قلته رأى اخوانى المصريين ، الذى هو مثل رأى الحصوصى أيضا .

ولعل هذا القول يرشد الذين يهتمون بمسألتنا ليحسنوا المسعى فى انقاذ شعب هادىء ساكن مستجير وتوطيد حرية الطريقى الموصلة من البحر المتوسط الى المحيط الباسفيكى (٣) .

(١) صدر فى عام ١٨٨٩ قرار الحكومة بالغاء الارسالية المصرية فى أوربا ، ونقرر أن تعطى نفقة لا تزيد عن ٢٥٠٠ فرنك سنويا للطلبة المرسلين من قبلها للدراسة بالمدارس العالية و ٢٠٠٠ فرنك سنويا لكل تلميذ يتلقى الدراسة التجهيزية فى أوربا ، وان لا يرسل فى المستقبل لأوربا على نفقة الحكومة الا تلامذة يختلف عمرهم بين عشر سنوات ، ١٢ سنة ، ليكون لديهم الوقت الكافى لاثام الدراسة ، والواقع أن مضار ذلك كثيرة ، حيث عدم تمكن الدارس من انقان لفنه الأصلية فدر دراسته لغة وعادات وأخلاق الشعوب الأجنبية المتواجده بها . ويكفى للتدليل على تقليلها من أن اجمالى المبعوثين فى الفترة ١٨٨٢ - ١٩٠٧ بلغ ١٢٤ مبعوثا منهم ٧٤ مبعوثا الى انجلترا وخمسون الى فرنسا ، وكان هذا رد على ثقافة الزعماء المصريين الفرنسية ، أمثال مصطفى كامل بالذات وطعنة لجهوده .

(للمزيد يمكن الرجوع الى : حسن الفتى : التاريخ الثقافى للتعليم القهرة ١٩٦٦ ، ص ص ٤٦ ، ٤٨ . عمر عبد العزيز : دراسات فى تاريخ مصر الحديث ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، الجمعية التاريخية : مصطفى كامل ، ص ٧١) .

(٢) نوبار باشا رئيس الوزراء ، ويعقوب أرتين مستشار نظارة المعارف . (عمر عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ص ٣٠٨ ، ٣٠٩) .
(٤) أى المحيط الهادى .

حديث مع جريدة الاكسترا بلاط بفيينا *

ذكر مصطفى كامل لمراسل هذه الجريدة « أن أمته تنتظر بصبر نافذ خلاصها وتحرير وطنها وأنه من أوجب الواجبات على النمسا أن تكون في مقدمة الدول التي تهتم بشأن مصر ، لما لها من المصالح التجارية والسياسية فيها ، حتى صارت تريستا كأنها ميناء تشارك الإسكندرية في الشفعة وتلاصقها في الجوار .
وفضلا عن ذلك فإن أمير مصر قد تربى في فيينا على مبادئ المدنية والانسانية (ومصر شاكرة لفيينا على ذلك) .

وان أخطار الاحتلال هي واحدة بالنسبة لكل الدول الأوربية ، اذ ليس الاحتلال الدائم الا اضافة مصر لأملاك انكلترا وأن حكومة النمسا والمجر التي أمضت المعاهدات المتعلقة بمصر ، وضمنت المحافظة عليها ، لابد لها أن تقضى على بقاء انكلترا في بلاد الفراغة .

ولماذا لا تحرر أوروبا مصر ، وقد حررت بلغاريا وصربيا ؟ ألسنا معشر المصريين كالبulgاريين والصربيين في المدينة ؟ ان آلافا من شبابنا النبهاء الذين تثقفوا بالمعارف والعلوم ينتظرون أشد الانتظار الساعة التي ترد فيها مصر الى نفسها حيث يستطيعون خدمتها .

وأن الخطر الذي يهدد أوروبا من بقاء الانكليز في مصر عظيم جدا ، والخسائر التي تلحقها من جرائه لا تحصر ولا تقدر . فمصر هي مفتاح آسيا ، ومن ملك قنال السويس ملك مكة وبيت المقدس .

ويستحيل أن يرضى المسلمون في جميع أقطار العالم باستيلاء الدولة الانكليزية على مدينتهم المقدسة . ان ذلك اليوم يكون يوم قيام المسلمين في الأرض - وهم نحو ثلاثمائة مليون من الأنفس - ويوم اعلان حرب دينية تسيل فيها الدماء أكثر مما سالت في الحروب الصليبية .

(١) جاء هذا الحديث الصحفي في جريدة الاكسترا بلاط النمساوية ، بتاريخ ٢٨ يوليو ١٨٩٥ .

وان غاية انكلترا من امتلاك مصر هي الاستيلاء على السودان واضعاف مصالح أوروبا في افريقية وآسيا حتى تقوم مصالحها . ووظيفتها الآن اقفال المدارس المصرية لتقليل عدد المتعلمين من الأمة واستعمال الميزانية في تكوين جيش من الموظفين الانكليز .

أخطار الاحتلال الانكليزى (*)

— استهلال —

ليس غرضي من كتابة هذه الرسالة استلفات الأنظار الى مصائب أوطاني ، وان كان هو الواجب الشريف الذي أؤديه باخلاص عظيم من صميم قلبي ، بل غرضي هنا اظهار الأسباب المادية المشاهدة التي تجعل أولئك السياسيين الذين لم تستغفهم للآن بواعث الشعائر والاحساسات أنصارا لتحرير مصر لأن الموافقة على تقويض أركان هذا البلد بالسلطة الانكليزية لا تعتبر فقط انتهاكا لحرمة حقوق أمة محبة للمدنية جديرة بكل عناية ، بل هي أيضا ايقاد لنار الحرب في العالم أجمع .

وما قصدت من كتابة هذه النبذة الا التكلّم عن مسائل عامة ، أما المسائل الخاصة كفوائد حاملي القرايطيس المصرية التي يهددها الاحتلال الانكليزى أعظم تهديد ومقام أوروبا في الشرق الذي يضعه الآن وجود الانكليز في مصر ، ويقضى عليه اذا دام احتلالهم لبلادنا قسنوفيهما شرحا في أبحاث أخرى .

ويعلم القارىء مما أبينه هنا حقيقة ما يعتقده المصريون بالنسبة لحالة بلادهم ، والآراء التي يشاركني فيها كل أبناء وطني ، الدالة على اننا عالمون بأن وضع بلادنا الجغرافي يقضى علينا باكرام كل الأوروبيين النازلين عندنا ، ومعتقدون أن لا وجود لمصر بغير أوروبا ، ولذلك فاننا بطلبنا جلاء الانكليز عن وادي النيل ، وببذل مساعينا لنوال تحرير بلادنا ، لانريد شيئا آخر غير تحقيق سعادتها وتقدمها ، ولا نطلب غير السلام في أوروبا والمحافظة على حقوقها وامتيازاتها التي قررتها المعاهدات الدولية .

أما مبدؤنا فيكون دائما « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » (١) .

واننا نتحمل كل مشقة ونضحى كل ما يضحى في سبيل تنويع أعمالنا بالفلاح الأخير ، ونصرة الحق وتحرير مصر .

(*) نشرها مصطفى كامل في باريس يوم ١٤ أغسطس ١٨٩٥ باللغة الفرنسية ، ونشرت ترجمتها في كتاب « مصر والاحتلال الانكليزى » ص ٤٠ .
(١) اتخذت شعارا لجريدة اللواء اليومية .

ـ الموضوع ـ

١ ـ لما كانت مصر لا تقوم بسداد نصف دينها ، اذا بيعت في مزاد عمومي ، كان من المستغرب عند بعض الناس اهتمام فرنسا وغيرها من الدول الكبرى بأمر تحريرها من النير الانكليزي .

على أن أولئك المتعجبين الجاهلين بحقيقة المسئلة المصرية لم يلتفتوا الى أن محصولات مصر ليست هي داعى اشتغال العالم بأمرها ، بل ان وضع وادينا الجغرافى هو السبب الحقيقى لكل ذلك الاشتغال . ومن الجلى الواضح أن الدولة التى تستولى استيلاء تاما على وادى النيل تصير بذلك ملكة افريقية . هذه الأرض العذراء التى أصبحت مطمحا لأنظار كافة الدول التجارية ، ولا بد أن يكون من نتائج استيلائها على مصر ، وضع يدها على الشام وبيت المقدس ، ذلك الحرم الذى تعزه الأمم بأسرها ، والذى سبب فى الماضى حروبا امتلأت منها البحار والوديان دماء مدة قرون ، فأنتجت اضطرابا واختلالا فى أحوال الأمم التى كان لها شأن فى تلك الحروب .

وبامتلاك ثغور السويس والقصير وسواكن تصير الدولة المالكة لمصر سيده ، لا خلاف فى سيادتها على البحر الأحمر ، فتهدد مدينة جدة تهديدا مهستما من حيث كونها ثغرا ليس فيه من القسوة الدفاعية ما يحفظه ، ويكون من السهل اذ ذاك أخذ الكعبة المقدسة بكل المدافع الحديثة الطراز التى تخترق الفضاء على خط مستقيم .

فمن يتدبر هذه النتائج ويضيف اليها أن قنال السويس هو جزء من مصر ، وأنه طريق الهند والصين واستراليا يعلم داعى اهتمام الدول بأمر مصر واعتبارا المسئلة المصرية مسئلة أساسية .

وعليه فان مصر بجوارها لمكة وبيت المقدس ، وباشتمالها على قناة السويس ، صارت مركز العالم كله .

وان من الأسباب المهمة التى دفعت انكلترا الى احتلال بلادنا ، طمعا فى الاستيلاء على السودان رغبة فى الاستئثار بكل تجارة وادى النيل .

ولما كان النيل أحسن السبل الموصلة الى أجمل بلاد أفريقية كان من الضرورى بقاؤه حرا ، اذ لو فرضنا أن السياسة الانكليزية تقهر قوة السودانين ، فان استيلاء الانكليز على الخرطوم يكون مضرا جدا بتجارة أوربا فى افريقية الوسطى وهى الوادى الحبيب المأهول بالسكان والذى لا يزال مؤصد الكنوز ، والذى هو بسبب ثروته مطمح أنظار الدول .

فاذا استولت انكلترا على الخرطوم ، كانت ثروة ذلك الوادى الرحب لها وحدها ، غير تاركة الدول الأخرى الا مشاهدة آثار تقدمها الاستعمارى العظيم .

وفي الواقع فإن استيلاء فرنسا على الجزائر وتونس (١) لم يضر قط بالتجارة العامة للدول الأخرى ، كما أن ألمانيا وبلجيكا والبرتغال لم تستول وحدها على تجارة البقاع السوداء ، لأن أملاك هذه البلاد مقطوعة عن الداخل بصنخار ومهامه قفرة ، بخلاف انكلترا ، فأنها إذا استولت على مصر « التي يكون من نتائج الاستيلاء عليها على وادي النيل كله » ، تمتد سلطتها من الاسكندرية الى رأس عشم (٢) الخير ، وتضع يدها على كل مصادر الثروة الداخلية لأفريقية ، فكان أوروبا لم تحارب الأمم السوداء الا لفائدة الانكليز الدهاة ، وان في ذلك اليوم الذي تمتد فيه سلطة الانكليز من الاسكندرية الى رأس عشم الخير يذهب فخار « سيسل رود » (٣) بأنوار مجد « وارن هاستنج » (٤) ، مستعمر الهند ، حيث يكون أثر هذا الفاتح الجديد أعظم قدرا وأكبر في التاريخ ذكرا من أثر ذلك المستعمر الهندي .

(١) ينضج هنا مناورة مصطفى كامل في استمالة الدول التي أحس أنها يمكن أن تفد الى جانبه في مطالبه ، وان كان عدم الاضرار بالتجارة العامة للدول ليس مبررا لاستيلاء فرنسا على الجزائر وتونس .
(٢) يقصد بها رأس الرجاء الصالح Cape of good Hope
(٣) سيسل جون رودس (Cecil G. Rhodes) : استعماري بريطاني ، ولد في ستورفورد سنة ١٨٥٣ ، وبناء على نصيحة طبية هاجر الى جنوب أفريقية ، وبالدات منطقة « ناتال » بعهد أن طردت انجلترا الوطنيين الأفارقة منها ، فوصلها في أول أكتوبر ١٨٧٠ ، وجمع فيها ثروة طيبة ، ثم أصبح عضوا في البرلمان بمقاطعة الرأس ، وكان عمره ٢٨ عاما .
وفي عام ١٨٩٠ أصبح ذا ثروة كبيرة من حقول الماس ، ورئيسا لوزراء مستعمرة الكاب ، وكان حلمه انشاء خط حديدي يصل بين الكاب والقاهرة .

للمزيد من المعلومات : د. شوقي الجمل : قضية روديسيا بين الأمم المتحدة والمنظمة الأفريقية . القاهرة ١٩٧٧ ، ص ص ٨٥ ، ٨٦ ، جيفري برون : المدنية الأوروبية في القرن التاسع عشر ، ترجمة محمد أحمد علي ، مراجعة د. محمد أحمد أنيس ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ص ١٥٣ ، ١٥٤ .
(٤) كان هاستنج أول حاكم بريطاني نصب على الهند سنة ١٧٧٨ ، وعمل من قبل حاكما للبنغال من سنة ١٧٧٢ ، وفي سنة ١٧٧٤ أصبح حاكما عاما لجميع أملاك « شركة الهند الشرقية » وبعد أن أعلنت فرنسا الحرب على انجلترا عام ١٧٧٨ أغار على كل المستعمرات الفرنسية في الهند ، وتحقق له النصر ، كما أغار على مدراس ، ثم عقد صلحا سنة ١٧٨٢ مع المهراجا ضد حيدر علي والفرنسيين ، وظلت المناوشات العسكرية دارة بينهم حتى عقد صلح فرساي ، فأصبح القائد الفرنسي تبو اعزل من مساعدة فرنسا ، فهادن الانكليز ، وبهذا توطد الوجود البريطاني في الهند ، ومنذ سنة ١٧٨٤ آثرت الحكومة البريطانية ان تشرف بنفسها على النشاط السياسي للشركة ، فعينت حكاما عامين من غير موظفي الشركة ، وكان اللورد كورنواليس ١٧٨٦ - ١٧٩٣ قد خلف لورد هاستنج كحاكم عام للهند .
والجدير بالذكر ان وارن هاستنج بذل قصارى جهده في سبيل استنزاف ثروات الهند ، وعلى سبيل المثال جمعه المبالغ من الأمراء الوطنيين وقبول الرشاوى لقاء بعدم فرضها أكثر ، ثم العودة لها ، واستيلائه على الأراضي التي لم تدفع عنها الضرائب ، أو بيعها لأحد الأمراء الوطنيين ، علاوة على فرض « ضريبة الأراضي » التي بلغت خمسين في المائة من وحدات الانتاج بحيث فر السكان ، وباع آخرون ابناءهم لسداد ما طلب منهم من أموال .

للمزيد : عبد النعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤٦٥ ، كفاح المسلمين في تحرير الهند ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٩١ - ٢٠٧ ، ماکولي ، توماس بابنجتون : لورد كلايف . ترجمة محمد منير ، القاهرة ١٩٢٢ ، ص ص ١٠ ، ١٢ .

ولا يقبل العقل أن أوروبا تغفر لرجال سياستها حدوث خطر اقتصادى مثل هذا ، فان كان انكليز أو جنده (١) يستلمون تجارتهم الآنية من الخارج بواسطة طريق النيل البديع ، ففرنسا محتاجة لصرف الملايين لتحقيق أمنية السكة الحديدية التى تود انشاءها فى الصحراء ، وعندما يجد انكليز منشستر وبرمنجهام طريقى النيجر والكونغو حرة أمامهم لتوصيل تجارتهم الى سكان افريقية الغربية ، ويجد انكليز الهند طريق زنجبار وانكليز واستراليا طريق زامبير ليبلغوا بحيرة طانجانىكا يجد الألمانىون وزملاؤهم الفرنساويون والروسيون والنمساويون والاطاليون الآتون من البوسفور وسلافيك وترىستا وبرندزى ومرسيليا عمال الجمر ك الانكليز الواقفين فى دمياط والاسكندرية ، قد أقفلوا فى وجوههم الطريق الوحيد الصالح لهم أعنى به طريق النيل .

ومن جهة أخرى فن مسألة امتلاك البحر الأبيض المتوسط اعتبرت دائما مسألة ذات أهمية عظمى مما حمل كل دولة على أن تبحث لنفسها على فرجة من شواطئه لتطل منها عليه ، حتى تضايقت أسبانيا من وجود الانكليز فى جبل طارق وتكدرت فرنسا من احتلالهم لمالطة ، ولكن قبرص ومصر خصوصا يزيدان كثيرا من نفوذ الانكليز فى البحر المتوسط ، مما يضر على الأخص بالدولة العلية والروسية وان هذه الأخيرة تؤمل أن يرخص لها الباب العالى بالمرور من الدردانيل حتى يكون لها فى البحر الأبيض المتوسط تمام حريتها ولتبلغ بسهولة بلاد الشرق الأقصى فهى من أجل ذلك تكره مراقبة انكلترا لها ، والدولة العلية من جهة أخرى صارت تخشى كثيرا على طرابلس الغرب التى باتت نقطة الاتصال بينها وبين الممالك الاسلامية فى السودان ، وأما الفرنساويون فان فوائدهم على شواطئ الجزائر وروابطهم الدينية مع فلسطين عظيمة جدا . ويؤثر عليهم كثيرا ازدياد نفوذ دولة قوية مبارية لهم فى بحر لها فيه الآن أعظم السلطة .

٢ - اذا وجهنا الآن أنظارنا الى آسيا رأينا مصر على طريقين هما أهم طرق العالم : طريق البحر الموصل من أوروبا الى الشرق الأقصى ، وطريق البر الذى يربط الخرطوم بالآستانة والخليج العجمى عندما تتصلل يافا بالاسماعيلية بواسطة سكة حديدية .

فامتلاك انكلترا لمصر يكون اذا عبارة عن امتلاكها حرية التصرف كما يشاء هواها فى علائق الدول السياسية والتجارية والمعنوية ، وأى حكومة ترى ذلك ولا تضع حدا للاحتلال ؟ أى حكومة ترضى اهمال أمر عظيم كهذا ، وتستطيع أن تتحمل مسئوليته ؟

ان امتلاك قنال السويس فى وسط الطريق الدولى البحرى الكبير فى بلد عظيمة الثروة مثل مصر يهدد مباشرة أملاك فرنسا وألمانيا وهولانده واسبانيا .

(١) أوغندا .

ويكفى حينذاك أن هذه الدول تتظاهر بالعداء لانكلترا بسبب أى خلاف لتضييع الملايين التى صرفتها ، والضحايا التى ضحتها فى سبيل الاستعمار هباء منثورا ، وتبيت مستعمراتها ككندا والهند ، فريسة لانكلترا السعيدة الطالع الماهرة ! فأى رجال سياسة فى أوروبا يرون هذا الخطر العظيم بدون أن يهتموا به ويتحملوا مسئولية نتائجه .

أما حرية قناة السويس فلها فى اعين المسلمين أهمية عظمى ، لأن ضياعه يحول البحر الأحمر الى بحيرة انكليزية ، فيكون من الممكن وقتئذ تعطيل أداء فريضة الحج ، واقفال طريقه اذا دعت الحاجة بحشد الجنود الانكليزية فى بريم وسواكن والقصير والسويس ، كما يقفلونه الآن على السودانيين .

وان الانسان ليستولى عليه الحزن عندما يفكر فى نتيجة هذا الأمر ، وينظر الى هذا البحر العثماني الذى يصير اذا ملكت انكلترا مصر ميدانا لسفن جلالة الملكة ، وهو اليوم ملتقى للبوسنيين والمراكشيين والروسيين والجراكسة والجزائريين والتونسيين والصينيين والهنود والعرب والجاويين والزنجباريين وبقية الأمم الاسلامية . فليس استيلاء الانكليز على مصر شيئا آخر سوى استبعاد انكلترا لأمم الاسلام كلها !

ذلك كله غير الخطر الذى يهدد « جدة » و « مكة » متى رسخ قدم الانكليز فى الخليج العربى (١) .

فان امتلاك جدة بعد امتلاك « بريم » يجعل بلاد العرب الجنوبية ، وخصوصا بلاد اليمن فى حالة شبه حالة البلاد التى بعد سواكن متى احتلها الانكليز (٢) .

والناس كافة يفهمون ماذا يكون آمال الدولة العلية فى اليوم الذى تخرج فيه جدة من دائرة سلطتها ، فان هذا الأمر الذى يظهر مستحيل الحصول ما دام البحر الأحمر معتبرا بحيرة عثمانية ، يصبح حقيقة جليلة عقب وقوع أى خلاف بين الأتراك

(١) وضعت انجلترا يدها على الامارات العربية بالخليج (سلطنة عمان) ابتداء من عام ١٧٩٨ - ١٨٠٤ ، خوفا من الوجود الفرنسى فى مصر ، وتمهد سلطان عمان بالاستغناء عن خدمات الفرنسيين وطردهم ، وكررت انجلترا هذه المعاهدة مع سلطان بن أحمد أمام عمان مرة أخرى فى ١٨ يناير ١٨٠٠ . على أن يقيم سيد انجليزى فاضل فى مسقط عاصمة عمان كوكيل عن شركة الهند الشرقية البريطانية ، ولتمثيل مصالح بريطانيا فى الخليج العربى ، وبلى هذا عقد عدة اتفاقيات فى سنوات ١٨٣٨ - ١٨٣٩ . ١٨٤٧ ، ١٨٥٦ ، ١٨٧٣ ، من شأنها تأكيد سلطان بريطانيا فى منطقة الخليج .
د. محمد أنيس ، د. السيد محمد رجب حراز : مذكرات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) وقمت جزيرة بريم تحت النفوذ البريطانى سنة ١٧٩٩ لايجاد نوع من التوازن لصالح بريطانيا أثناء وجود الحملة الفرنسية فى مصر ، سنة ١٧٩٨ .
المرجع السابق ، ص ٥٣ .

والانكليز ، وقليل من السفن الانكليزية يكفى يومئذ للاستيلاء على ميناء جدة (١) التى لا تحرز القوة الدفاعية الكافية ، وعندئذ يعلم فلاسفة السياسة الشرقية ورجال الغنوم العسكرية الذين عكفوا على عدم الخروج من ديارهم أن الكعبة التى كانت من عهد ابراهيم عليه السلام أبى الأنبياء والرسل المبارك فى مأمن أصبحت على خطر .

ومن البديهي أنه لو كانت انكلترا صديفة للدولة العلية ومن الدول الراغبة فى المحافظة على استقلال أراضيها لا يتصور وقوع حادثة كهذه ، ولكن رجال السياسة الانكليزية ظهروا فى هذا العهد الأخير بمظهر العدو والألد للدولة العلية ، فهددوها تهديدا عظيما ولا يبعد أن يقوم بين الدولتين خصام عنيف ، كما لو أعلنت انكلترا حمايتها على وادى النيل ، وعندئذ لا يمنع الانكليز مانع من تحصين ثغور البحر الأحمر ، وعند أول فرصة تسير سفينة من سواكن أو القصير أو من أى شاطئ من الشواطئ المصرية الى « جدة » ، والفرصة لمثل ذلك سهلة فتكون اذا قتل أحد المائطين فى جدة مثلا كما تكون لو قام من الرعاع من يدعى الخلافة ، لأن انكلترا بما تدعيه لنفسها عندئذ من حقوق الجوار ، تتدخل لتوطيد الأمن العام والسلام فى الحجاز .

ومن ذلك كله يرى أنه من المستحيل رضى الدولة العلية باحتلال شواطئ البحر الأحمر المصرية ، والا فماذا يكون شأن العالم الاسلامى اذا ضاعت منه مكة ، وقد قام دفعة واحدة فأزعج الأمم طرا لما ضاع منه بيت المقدس ؟ ولا جرم أن ضياع « مكة » ، يدمى بمقلة المسلم الواحد ، ويؤلمه آلاما شديدة ، فكيف والمعمورة مسكونة بثلاثمائة مليون من المسلمين ، لابد أن يحسب لهم حساب ؟

٣ - ان أول نتيجة من نتائج اتصال السكك الحديدية المصرية بسكك الشام وضع هذه البلاد تحت سلطة الانكليز متى استولوا على مصر ، اذ ليس بخاف على أحد أنه من زمن العراغة الأولى والخلفاء الراشدين الى الآن يرى من يستولى على مصر مستوليا على الشام لأسباب سياسية وحربية لا حاجة لذكرها هنا . فاما أن يكون حاكم الشام على مصر كما هى الحالة الحاضرة ، واما أن يستولى حاكم مصر اذا أحس من نفسه بالقوة على الشام كما حصل ذلك لحكام مصر فى أدوار عديدة وان تجريدة (بونابرت) و (محمد على وقت استحكام الشقاق بينه وبين الباب العالى لمن أقرب الأدلة على صدق هذه القضية التاريخية ، ومن المستحيل أن تكون انكلترا المضروبة بطمعها الأمثال أقل حبا للفتح من بونابرت ، وحينئذ فتكون النتيجة من وراء ذلك الطموح سقوط بيت المقدس تحت السلطة البروتستانتية ، وهى نتيجة لا نعرف كيف يقابلها الكاثوليكيون والأرثوذكسيون فى العالم أجمع ، ولا يخفى أن سبب حرب القريم

(١) يشير هنا الى ماضى الذكريات عن معركة جدة سنة ١٨٥٨ التى كانت بناء على استغاثة ، استخدمت فيها البحرية الانكليزية ، وكأنه يرمى الى التنبيه حتى لا يحدث التكرار ، وهو ما سيأتى ذكره مفصلا فيما بعد .

بين دولتين من شأنهما الاتحاد كفرنسا وروسيا كان هو الشقاق القائم بين الكاثوليك والأرثوذكس في فلسطين ، فماذا يكون الأمر عندما ترفع انكلترا البروتستانتية رايتها على « أورشليم » ؟ .

وعلى فرض أن البابا والقيصر (١) يقلان هذا الأمر فماذا يقول المسلمون الذين على ما كان بينهم من التفرق والشقاق دافعوا عن هذا الحرم الشريف في وقت الحروب الصليبية وقاوموا النصرانية المتحدة ؟

وبماذا تجيب عندئذ الأمم الاسلامية الحكومة العثمانية التي بسكوتها وخضوعها امام مطالب جيش ولسلي جعلت وقوع هذه الحادثة السيئة بالنسبة لكل الأمم من الممكنات ؟

على أن في استيلاء الانكليز على (أورشليم) أمرا آخر هو من الأهمية بمكان ، ألا وهو فصل الحجاز عن الدولة العلية ، فتصير الدولة بعدئذ كاحدى الامارات التي لا تتجاوز أهميتها أهمية بلغاريا (٢) . الحالية . وان خطارة هذا الأمر تظهر للفكر من أول وهلة ، فليست ثروة الشرق الأقصى وكنوز افريقية شبيها يذكر بالنسبة لجوار أورشليم .

وان الطريق بين يافا والاسماعيلية الذي يوصل بسكة حديدية من الخرطوم الى الاستانة ، ومن شمال افريقية الى الخليج العجمي وآسيا الصغرى يكون بطبعه ذا فائدة جلية لانكلترا ، مما يحملها على توجيه مطامعها نحو الشام ، ووجود الدروز والأرمن في فلسطين مع ما هو معلوم من ميلهم للدولة الانكليزية ، وكثير منهم آلات لها مما يسهل بعد ذلك امتلاكها فلسطين ، وفضلا عن ذلك فان التجانس الموجود بين السوريين والحجازيين والمصريين يدعوهم عند تفرقهم للاجتماع تحت حكم حكومة واحدة .

ولقد أثبتت الحروب الصليبية أعظم اثبات أن أورشليم لا يمكن أن تملكها دولة غير الدولة الاسلامية اذ بها وحدها يوجد التوازن فيها بين كل المذاهب ، وكافة الديانات التي تننازع وطن أنبياء بنى اسرائيل وهيكل سليمان ، وبقاؤها لدى الدولة الاسلامية خبر كفييل لذلك التوازن الذي نراه الآن ، وان ضياع أورشليم من يد الدولة العلية الذى هو فى الحقيقة ضياع هذه الدولة نفسها ، يكون مصيبة عظيمة على المدينة وعنوان حروب هائلة بين كل الأمم المعتنقة لديانات مختلفة حيث لا تستطيع واحدة منها دون الأخرى امتلاك ذلك الحرم المقدس والمحافظة عليه .

ومن نتائج سقوط الخلافة الاسلامية فتح باب وراثة القسطنطينية هو الباب

(١) باعتبار ان البابا حامى حى الكاثوليكية وقيصر الروس حامى حى الارثوذكس فى العالم آنذ .
(٢) يكشف مصطفى كامل عن محاولة انكلترا تقليم أطراف الدولة العثمانية بفصل الحجاز - معقل الاسلام - عنها ، خاصة وانها دولة تقوم على الدين ، وزعيمة العالم الاسلامى آنذاك .

الذى اذا فتح اندفع تيار القلاقل والاضطرابات والارتباك منه حيث يصبح العالم
ولا وسيط بين الأمم الاسلامية والأمم المسيحية .

ولقد احتاج العثمانيون الى زمن طويل حتى استطاعوا أن ينخرطوا فى سلك
الأمم الأوروبية مع المحافظة على ما لها من السلطة والتفوذ المعنوى على الأمم
الاسلامية .

لذلك كان الفكر يضطرب أشد الاضطراب كلما تخيل النتائج الهائلة التى
ينتجها ضياع الدولة العثمانية اذ ليس ضياعها الا الرجوع الى حالة الهمجية حيث
تفقد المعاهدات معناها وتصبح بغير عمل يوم تخرج الخلافة الاسلامية من
الدائرة الأوروبية .

ومن كل ما ذكرنا يتضح جليا أن احتلال انكلترا لمصر خطر عظيم على العالم
بأسره ، وأن السياسيين الذين يعملون لاجلاء الانكليز عن وادى النيل لا يؤدون فقط
الواجب الذى تفرضه عليهم عدالة أوروبا وشرفها ، بل يعملون أيضا للسلام العام
لاتحاد النصرانية مع الاسلام ، وبالجملة يعملون لنصرة المدنية الغربية والسلام .

كلمة الى المدلسين *

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا على لثامهما

عذرا أيها الأصدقاء الأوفياء اذا قصرت عن القيام بواجب شكركم على دفاعكم عنى أمام طغمة المارقين الذين أقل صفاتهم أن لا وطن لهم ولا خلاق . فانى أترك الوطنية الحقبة تشكركم أجل الشكر وادع المحامد تحمىكم على رفيع احساساتكم وجيل شيمكم ، وأستميحكم العفو اذا خصصت رسالتى هذه للرد على هؤلاء الخوارج بلسان التاريخ فان فيه ولا مرأى أقوى مساعد على خدمة بلادهم العزيزة وتحرير أوطانى المحبوبة . يلومنى الخصوم على الدفاع عن حقوق ضائعة وحرية مسلوقة ، ويصفون شريف الفعال بأعمال الصغار ونعم هذا الوصف ما ألد مثل ذا اللوم على أذنى ، أنى لعمر الحق ألد من تغريد الطيور ، أبلغتم أيها الخوارج من التدليس هذا المبلغ حتى اعتبرتكم الفضائل نقائص ونسيتم أو تناسيتم التاريخ وأمثاله المضروبة ، على تخليص الأمم من الأسر وانقاذ البلاد من خطر الضياع . فان كنتم نسيتموه فلکم منى مذكر عادل يقول لكم ان كل أمة فى الوجود لم ترد للحياة سبيلا الا على يد رجل أو رجال خاطروا بحياتهم ، وقدموا أنفسهم ضحية لها . وأنا لمصر ذلك الفرد الذى يضحي حياته لحياتها ويخاطر بنفسه لانقاذها من الخطر المهدد لها . فان كانت شبيبتي داعي لومكم على فهمي لى نعم الفخار ولأبناء جنسى خير محرك على خدمة الوطن العزيز .

نعم هى فخارى ، فانى وان آكن فى أزهر سن الشباب ، لست ممن يميلون مع الأهواء ، ويقضون الساعات والأيام فى الملاحى والملذات ، بل أنا ممن لا تحلو الحياة فى عيونهم ما دام الوطن على خطر ، والأمة على شفير هار ، أفاخركم حقا أيها الطاعنون أمام العالم أجمع بأنى وهبت حياتى لأمتى وبلادى ، وبدأت أعمالى بعد سن الدراسة بمطالبة أوروبا العادلة حقا وانصافا . أفاخركم ساخرا من طعنكم وقد حكم بأنى

(*) نشرت بجريدة الاهرام بتاريخ ٥ يوليو ١٨٩٥ .

أقتفى أثر رجال شرفهم التاريخ لما شرفوا بلادهم وأعزتهم مواطنهم لما أعزوها وأعلوا شأنها .

نعم أقتفى أثر رجل كفرانكلين (١) جاء في القرن الثامن عشر لا في هذا القرن قرن العدالة والانصاف ، مطالباً بحرية بلاده ، سائلاً فرنسا مساعدة وتعضيدا ، حيث لبت اذ ذاك نداه وركت رحمة لأنين أمته ونصرتها في مطالبها الحققة ، وساعدتها على نيل الحرية والاستقلال ، نعم أقتفى أثر رجال مثل سكوفاس واكرانتوس وريكوس الذين سهروا الليالي الطوال على تحرير اليونان ، ولى أحسن اقتداء بكافور وغيره ممن وهبوا إيطاليا الاستقلال بعد الجهد الجهد . كيف لا أقتدى بهؤلاء الرجال وأعمل مثل هذه الأعمال ، وقد أنقذت فرنسا من هاوية الخطر غائبة تضرب لنا وحدها الأمثال . وإذا كان الانكليز يعملون الليل والنهار على امتلاك الممالك واستعمار البلاد ، ويجرون مما رزقوا من العقل والثبات وانتهاك حرمة المعاهدات في سبيل الاستيلاء على مصر ، ومد سلطتهم من الاسكندرية الى حكومة الكاب ، فهل من المستغرب أن يطالب مصرى « بحرية بلاده وهو أمر طبيعي بل فرض » تفرضه الحياة على كل انسان . وإذا كنا صبرنا معشر المصريين ثلاثة عشر عاما ننتظر الخلاص من انكلترا نفسها وفتحنا ساعة احترامها لشرفها ، والى اليوم لم نر منها ما يدل على قرب الوفاء ، ولم يبدلنا من رجالها لا صدق ولا وداد . فهل تعجبون يا قوم اذا دفعتنا احساساتنا الى كشف الحقائق والاستنجاد بأمم أوروبا .

لعمر الشرف ان ما أتينا به لأحق الأمور بالأتين ، واذا كان تقديم لوحة وعريضة الى (٢) مجلس النواب الفرنسي أثار منكم عواطف الغضب والحقد ، وهو أمر من أبسط الأشياء فما عساكم تفعلون غدا والليالي حبالى وكثيرا ما يضمركم ذلك « الفتى المصرى » الذى أضاعت عقولكم فعلة من فعالة لخدمة بلاده وتحرير أوطانه .

(١) بنيامين ، فرانكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠) سياسى أمريكى ، عالم وكاتب وفيلسوف ، مثل بلاده تمثيلا ناجحا لدى انكلترا وفرنسا ، ولما تازمت العلاقات بين الانجليز والامريكيين ، ولجا الانجليز الى القوات المسلحة لاختضاع الامريكيين الذين أعلنوا (الاستقلال) في يوليو ١٧٧٦ ، وناشدوا فرنسا تقديم المساعدة لهم ، ولما وصل بنيامين فرانكلين الى باريس يعرض التحالف معها ، ولعل فرنسا وجدها فرصة للانتقام من الانجليز ، وبالفعل قدمت المساعدات للامريكيين . ولما انتهت حرب الاستقلال الأمريكية اختير فرانكلين لتوقيع الصلح ١٧٨١ مع بريطانيا ، وانتهت المفاوضات بمعاهدة فرساي ١٧٨٣ التى نالت الولايات المتحدة بموجبها الاستقلال .

(للمزيد من المعلومات : محمد فؤاد شكرى ، محمد أنيس : أوروبا في العصور الحديثة ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٣٠٧ ، الموسوعة العربية الميسرة (مجلد واحد) سنة ١٩٦٥ ، ص ١٢٨٢ .

(٢) يقصد لوحته التى قدمها على رأس وفد من الطلبة والمصريين الوطنيين الى الميسر بريسون رئيس مجلس النواب الفرنسى فى يونيو ١٨٩٥ .

الغاء الارسالية المصرية بفرنسا *

أراني سعيدا جدا لأن أجيبكم على سؤالكم في هذه المسئلة التي تهتم بلدنا كثيرا ،
فان الارسالية المصرية في فرنسا هي احدى النظمات الكثيرة الفوائد الجليلة العوائد
على مدنية وادى النيل وسعاداته ، فقد أسسها « محمد علي » رأس العائلة الخديوية
وصديق فرنسا العظيم ، بقصد تعليم الشبيبة المصرية وتهذيبها ، وذريعة الى ادخال
أصول المدنية الغربية في مصر ، وكانت عبارة عن بعثة عدد عظيم من الشبان المصريين
من وقت وآخر الى فرنسا (١) .

وقد تخرج من هذه البعثات أكثر من ألف عالم نشروا في مصر أنوار العلوم
والمعارف والفنون والصنائع ، فكانوا بذلك عمالا حقيقيين للمدنية . وليس بالمستطاع
أن آتى لكم بأسماء كل المشاهير الذين نبغوا من هذه الارسالية وأوصلوا بلادنا الى
حد من المدنية صارت معه تعد في مصاف الأمم المتمدنة ، ولكن لا أراني مخطئا اذا قلت
أن أسماء « علي مبارك باشا » (٢) ، و « علي ابراهيم باشا » (٣) ، و « محمود باشا

(*) ترجمة حديث أجرته صحيفة الاكلير الفرنسية مع مصطفى كامل بتاريخ ٩ سبتمبر ١٨٩٥ ،
بعد ورود تلغراف يفيد الغاء الارسالية المصرية في باريس .

(١) يمكن الرجوع الى حاشية رقم ٢ ص ١٦٢ (مقال مصر والسياسة الفرنسية) .

(٢) علي مبارك (١٨٢٤ - ١٨٩٣) : مؤرخ ووزير مصرى ، ولد في قرية برنبال بالدقهلية ، وبعد
أن حفظ القرآن التحق بالتعليم المدني ، وتخرج من المهندسخانة ، وأرسل في بعثة الى فرنسا وتنقل
بعد عودته في وظائف عدة في الهندسة والتعليم ، الى أن تولى ديوان الاشغال ، وديوان المدارس ، فعمل
على تجميل القاهرة وتوسيع التعليم ، وأنشأ الكتبخانة الخديوية ودار العلوم ، لتخريج المعلمين ،
والف الخطط التوفيقية وهي تكملة لخطط المقرري ، ورواية علم الدين وهي سلسلة من المسامرات ،
محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٦٥ ، ص ١٢٣٢ ، أحمد أمين : زعماء
الاصلاح في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ص ١٨٤ - ٢٠١) .

(٣) علي ابراهيم (١٨٢٦ - ١٨٩٩) : عالم مصرى ، ولد بقرية فزارة بأسسيوط ، تلقى العلوم
العسكرية بمصر وأوفد الى مدرسة متز بفرنسا سنة ١٨٤٦ ، ثم عاد ليعمل بالجيش ، واشتغل في مد
خطوط سكة الحديد ، فضلا عن أعماله العسكرية ، برزت جهوده في نشر التعليم ، فتولى نظارة المعارف
سنة ١٨٧٩ ، وعمل على تأسيس المدارس بأنحاء مصر ، وتولى نظارة العدل سنة ١٨٨٢ ، قسن اللوائح
والقوانين ، ثم تولى عن منصبه في أثناء الثورة العربية ، وتفرغ للدراسة والتأليف .
(محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٦٥ ص ١٢٣٩) .

الفلكي « (١) و « رفاعة بك » (٢) ، معروفة عندكم بأنها أسماء كبار علماء في مصر ، وكلهم كانوا من أعضاء هذه الارسالية الزاهرة ، التي هدم أركانها اليوم المحتلون .

ولقد وجد الانكليز أمامهم عندما دخلوا مصر ، أمة متنورة منتشرة بين جميع طبقاتها مبادئ المدنية الغربية ، فلم يكن لهم بد من إبادة النفوذ الفرنسي توصلا الى استبعادها ، ذلك النفوذ الذي أنال مصر شيبية متنورة عارفة بما لها وما عليها ، لا تقبل أبدا ترك الغير يسلبها بلادها .

وبناء على ذلك وضع المحتلون أيديهم على نظارة المعارف العمومية ، وعينوا أساندة من الانكليز في أكثر المدارس الأميرية ، بل وأعظم من ذلك أنهم وضعوا على وكالة المعارف أرمنيا اسمه (أرئين) استعملوه آلة لهم ، والفضل له في نشر اللغة الانكليزية في كل الأرجاء (٣) .

ومع ان الانكليز يدعون في أوربا أنهم لا يعملون عملا ما في سبيل تقدم لغتهم وانتشارها ، تراهم في مصر على العكس من ذلك عاملين آناء الليل وأطراف النهار لاحتلال اللغة الانكليزية محل اللغة الفرنسية واليك البرهان :

(١) محمود الفلكي (١٨١٥ - ١٨٨٥) : ولد في بلدة الحصنة بالغربية ، والتحق بأحد المدارس سنة ١٨٢٤ بالاسكندرية ، وتخرج من مدرسة الهندسة سنة ١٨٣٩ وعين أستاذًا مساعدًا للعلوم الرياضية بها ونال رتبة ملازم ثان ، تعلم الفرنسية ، وعرب بعض الكتب الفرنسية في الرياضيات ، كما أتمن دراسة العلوم الفلكية ، وأوفد الى باريس للتخصص في الفلك ، ونشر بعض مباحث فلكية ، كما خطط معالم الاسكندرية القديمة ونقّب في حفاتها ، تولى نظارة الاشغال سنة ١٨٨٢ ، ووكيلا لوزاره المعارف ١٨٨٢ - ١٨٨٤ ، وتولى رئاسة الجمعية الجغرافية حتى وفاته ١٨٨٥ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : عصر اسماعيل ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٨ ص ص ٢٦٤ - ٢٦٨ .
(٣) رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣) : شيخ المترجمين المصريين في مطلع النهضة الحديثة ، ولد في طهطا ، وقدم الى القاهرة صغيرا ثم تخرج من الجامع الأزهر ، انتهز فرصة تعيينه اماما لأول بعثة تعليمية أرسلت الى فرنسا ، فتعلم الفرنسية ، وبعد عودته عمل مترجما في المدارس الفنية التي أنشأها محمد علي ، ثم مديرا لمدرسة الترجمة (الالسن فيما بعد) ، قام بدور هام في نشأة الصحيفة الرسمية (الوقائع المصرية) . تخرج على يده كثير من المترجمين ، والاساتذة ، وترجم بنفسه كتباً عدة في الجغرافيا والقانون ، والهندسة وغيرها ، وكتب وصفا لرحلته الى فرنسا « تلخيص الابريز في تلخيص باريز » ، وشرحا للنظم السياسية والاجتماعية الحديثة ، ومباهج الالباب المصرية في مناهج الآداب المصرية ، الا أن أسلوبه يحمل طابع القرون الوسطى ، الذي نجده عند الجبرتي مثلا .
(محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٦٥ ص ٨٧٣) .

(٣) تجدر الإشارة الى أنه منذ عام ١٨٨٦ أصبحت ادارة التفتيش تتبع وكيل المعارف ، (يعقوب أرئين) ، وعمل الانجليز على وضع التفتيش تحت وصايتهم ، فعينوا سنة ١٨٩٠ (دوجلاس دنلوب) مفتشا عاما ، والذي اشتهر بسياسته الارهابية ، علاوة على تعميم تولى الاساتذة الانجليز وظائف التدريس ، وكانت السياسة التي يهدفون اليها هي « النجزة » يقصد تحقيق أهدافهم .
ويرى محمد فريد مع تعيينات سنة ١٨٩٠ بدء انتشار اللغة الانكليزية في المدارس الاميرية .
الابتدائية ، حيث الادارة الانكليزية ، ولم يكن ذلك من قبل .
(د . حسن الفقي ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ ، د . رؤوف عباس حامد : مرجع سابق ، ص ٩٥) .

قال اللورد روزبرى فى يوم من العام الماضى على مجمع عام ان الانكليز فى مصر لا يحبون احدا فى تعلم اللغة الانكليزية ، بل ان المصريين هم الذين يتسابقون من انفسهم الى تعلمها ، ولكن اتفق أنه فى اليوم التالى ليوم مقاله هذا توفى ناظر المدرسة التجهيزية فى درب الجمايز ، وكان مصريا ، فلما علم اللورد روزبرى بذلك أمر الوكالة البريطانية فى مصر أن تطلب من الحكومة المصرية تعيين انكليزى مكانه ، فعارضت الحكومة ، ولكنها لم تفلح فى معارضتها ، وتم بعد ذلك تعيين الانكليزى ناظرا لتلك المدرسة ، وهو ما يدل على أن جيرانكم الانكليز لا يتركون فرصة تمر دون استعمالها فى تقويض أركان نفوذكم الذى يعود علينا بالفائدة ، والذى غايته شريفة .

ولقد قلت لك فى أول كلامى أن الانكليز استعملوا فى المعارف كآلة لهم أرمينيا شهرا فى مصر بجائته وكفرانه بالنعمة ، فبعد أن جعل هذا الأرمنى نصف العشرة تلامذة الذين صارت اليهم كمية الارسالية المصرية من الأرمن مواطنيه (١) المنخرطين فى سلك الجمعيات الثورية الأرمنية ألغى اليوم مرة واحدة الارسالية المصرية حتى لا تعود فرنسا الكريمة تهب مصر شبانا ، جريمتهم الوحيدة فى أعين الانكليز انهم مهذبون متعلمون وعلى الخصوص وطنيون ثابتون فى الوطنية .

ولسنا نأسف فقط على فقدان هذه الارسالية بل نبكىها ، ونؤمل من صميم قلوبنا فى هذه الساعة المحزنة أن يتحقق تحرير مصر عاجلا لتبعث هذه الارسالية الى الحياة بعد موتها .

ولا تحسبن الغاء الارسالية آخر ما يأتى الانكليز من سياسة العداء لفرنسا المتبعة من سنة ١٨٨٢ ، بل أعتقد أن العراقيل والصعوبات تقام دائما فى وجه من يتعلمون فى بلادكم ، فلقد أراد أخيرا طالبان من الذين أتموا دروسهم فى مدرسة دار العلوم الحضور الى فرنسا ليكملا فيها معلوماتهما ، فقال لهما وكيل المعارف (أرتين) بصفة صريحة أنهما يفقدان مستقيلهما اذا توجهتا الى فرنسا مستندا فى قوله على أن الانكليز يعتبرون كل من تعلم فى فرنسا عدوا للاحتلال .

(١) تذكر صحيفة المؤيد أن أول بعثة سافر فيها مسيو موبيل من مصر بعد تعيينه ناظرا سنة ١٨٨٥ كانت تضم سبعة تلاميذ منهم ثلاثة من الأرمن ، وكلهم ممن دون الثانية عشرة . وكلما لاحت فرصة قدم الأرمنى على المصرى ، مثال ذلك ما حدث مع ابن صاحب بنك مالى فى الاسكندرية ، أرمنى ، فشل فى الدراسة الابتدائية فى مصر ، فأوفد الى باريس فى البدء على نفقته ، ثم بعدئذ على نفقة الارسالية سنة ١٨٩٣ ، وكان يدعى « زككيان » . وحدث العكس مع المصرى « ابن على بن برهان » الذى لم يكن صاحب بنك ، فرفض طلبه بالنقل على مصاريف الحكومة .

وأفراد الارسالية لعام ١٨٩٥ عشرة تقريبا ، نصفهم فى دراسة الحقوق وغيرهم ثمانية باسم (تلامذة السكة الحديد) ، يكتفون ثلاث سنوات يتمنون فى محطات مختلفة .
(المؤيد - يومية - العدد ١٧٤٦ ، ٧ نوفمبر ١٨٩٥) .

وان الأمثلة على تصدى الانكليز في مصر للنفوذ الفرنسي ولحبي فرنسا لأكثر من أن تحصر الآن ، ويكفي أن أضرب لك على ذلك مثلاً واحداً ، وهو أنه لما صعد مسيو فيلكس فور إلى منصب رئاسة الجمهورية بعث له طلبية الإرسالية المصرية في باريس رسالة تهنئة نظراً لما هو مشهور عنه ، من أنه من أجباء مصر العظام ، فتكرم مسيو فيلكس فور عندئذ بدعوتهم إلى زيارته في الإليزيه فذهبوا واستقبلوا استقبالاً ودياً لا ينسونه أبداً ، حيث صرح لهم جنابه أن لهم في الإليزيه محباً يمكنهم من الاعتماد عليه ، فأجاب الانكليز على هذه المظاهرة برفت مدرس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس (١) ، معللين ذلك بأنه كان الامام للمصريين في زورتهم لمسيو فيلكس فور ، ولولا أن مسيو كوكوردان وزير فرنسا في مصر تدخل في الأمر لما ألغى أمر رفته الذي صدر مرتين .

وها قد أشيع أخيراً أنهم سيرفتونه مرة ثالثة تنفيذاً لفكرة عقابه على كونه ذهب لرؤية مسيو فيلكس فور !

هذا هو الجواب الذي أجاب به الوطني المصري على ذلك السؤال ، ولقد كان من الضروري كشف النقاب عن مثل هذه الأشياء وإظهارها علناً لأن فرنسا في حاجة إلى معرفة أصدقائها من غيرهم .

(١) هو محمود بك أبو النصر عضو الحزب الوطني فيما بعد ، وهو من الذين شاركوا مصطفى كامل ومحمد فريد العمل السياسي ، وكان من أول الذين كتبوا في جريدتي « التندار اجيشيان » و « اجيشيان » ، وذلك في باريس سنة ١٩٠٧ ، وله من المواقف الوطنية ما حمل سلطات الاحتلال على التعتن معه ، وكان مدرسا للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس . (مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : أوراق مصطفى كامل - المراسلات ، ص ٤١ ح ١ .

«٢» بعد ارتقاء مسيو فيلكس فور منصب رئاسة الجمهورية الفرنسية في ١٧ يناير ١٨٩٥ ، ذهب التلاميذ المصريون لتهنئته يوم ٤ فبراير ١٨٩٥ ، فاعتبرته نظارة المعارف العمومية من قبيل المظاهرات السياسية ، وكتبت إلى ناظر الإرسالية « موجيل بك » تسأله عن التأثير لهذه المظاهرة ، فأجابها أنه حضرة الشيخ محمود أبو النصر أستاذ العلوم العربية ، فكتبت له برفت الأستاذ وتمييز بدلا منه ، وإن كان قنصل فرنسا تدخل وأوقف هذا القرار ، كما ذكر الطلبة أن موجيل بك هو الذي وعدهم ، وأخلف ، فرأسهم الأستاذ . غير أن بالمر المستشار المالي - بصفته عضواً في اللجنة المالية للمعارف - قام بإلغاء الإرسالية كلية ، جزاء لما اقترفه التلاميذ في فرنسا ، وظلت الصحف تتناقل هذا الموضوع .

غير أنه نشر بالصحف في ٢٥ سبتمبر ١٨٩٥ تكذيب نظارة المعارف لحبر إلغاء الإرسالية إلى فرنسا . (صحيفة « المؤيد » يومية « العدد ١٥٠٦ ، ١٨٩٥/٢/١٧ ، العدد ١٥١٦ ، ١٨٩٥/٢/٢٨ ، العدد ١٥٢٨ ، ١٨٩٥/٣/١٦ ، العدد ١٦٧٩ ، ١٨٩٥/٩/٢٥) .

انكلترا والاسلام ★

لا يوجد أمر سياسى أو اجتماعى ولا أى حادث يستحق استلفات أنظار أوروبا أكثر من حركة الأفكار الاسلامية فى الساعة الحاضرة ، فالمؤمنون كافة متحدو الفكر لا يتحدثون فى المجتمعات العامة والخاصة الا عن انكلترا والاسلام ، وجرائدنا الافريقية والآسيوية موافقة للرأى العام لا تمل من اظهار دلائل عداء بريطانيا العظمى للدولة العلية والخلافة • وكل هذه الأمة العظيمة الاسلامية التى لا يقل عدد مجموعها فى كافة الأقطار عن ثلاثمائة مليون من الأنفس أصبحت معتقدة كمال الاعتقاد أن انكلترا هى الخصم الوحيد الأبدى خصم أمس وخصم اليوم وخصم الغد •

وان انكلترا لم يكشف عنها القناع ولا عن مقاصدها وأغراضها كشفا تاما قبل حوادث أرمينيا ، ولكن منذ عاملت حكومة جلالة الملكة وجرائد الانكليز الدولة العثمانية هذه المعاملة العنيفة بسبب أرمينيا أخذ العالم الاسلامى يتيقظ ويدرك •

وترى حركة خواطر المسلمين فى الهند نفسها وهى البقعة الانكليزية ليست بأقل منها فى غيرها •

ولقد اتفق لى أن قابلت منذ شهرين انكليزيا « متبصرا معتدلا » عالما بكل ما جريات الأمور فى الهند ترجم لى مقالة ظهرت بتاريخ ٢٥ يونيو الماضى فى جريدة مدارس الأهلية (شمس الأخبار) تظهر بأجلى بيان كنه حركة الخواطر الاسلامية المتهبجة ضد انكلترا فى الهند كلها •

فلقد قالت هذه الجريدة بعد أن شرحت دسائس انكلترا فى ارمينيا ما معناه : « ان الانكليز يحرضون الأرمن فى هذه الايام ضد تركيا ويوجدون لخليفة المسلمين كل أنواع الصعوبات والمشاكل غير مفتكرين فى نتائج أعمالهم ، فماذا يبتغون :

(★) هذه ترجمة مقالة كتبها مصطفى كامل بمجلة (التوفل رفو) ابان المحادث الأرمينية ، ونشرت بعدد الصادر ١٥ أكتوبر ١٨٩٥ •

(محمد مسعود : مصر والاحتلال الانكليزى ، ط ١ ١٣١٣ هـ ، ص ٦٧) •

أحربا دينية ؟ ليعلموها لنا حتى تسبيل دماؤهم ودماؤنا لأننا نفضل رؤية الموت الأحمر دون رؤية تقويض أركان الخلافة » . فليحكم القراء على تهيج الرأي العام من هذه اللهجة الشديدة .

وليس بالغريب اذا كان مسلمو الأرض جميعا متهيجين ضده انكلترا ساخطين عليها ، فاننا لسنا متعصبين ولا كارهين لأوروبا ، اننا نقدر فوائده المدنية حق قدرها ونريد أن نستفيد منها ، ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر علينا أن انكلترا تدعونا للهيجان كل يوم والى الخروج من دائرة هدوئنا وسكينتنا الى الحدة حتى احتجنا الى كنوز من الصبر والجلد كيلا نظهر بمظهر العدوان .

الا أن سياسة انكلترا لخطرة عليها ، ومن الصعب تصبؤ أنها لا ترى ذلك الخطر ، فهل جهل رجال السياسة الانكليزية ما لأمر المؤمنين (١) من النفوذ المعنوي في العالم الاسلامي ؟

هل جهلوا أن في استطاعة السلطان عبد الحميد أن يقيم كل المسلمين على بريطانيا في مستعمراتها نفسها ؟ اننا لا نقدم للقراء برهانا آخر على سلطة الخليفة العظيمة غير ما حصل في حوادث ثورة « سيباي » (٢) الشهيرة التي لم تخمد ناراها الا بأمر

(١) يقصد السلطان العثماني .

(٢) حدثت ثورة الهند في أثناء حكم اللورد دلهوزي (١٨٤٨ - ١٨٥٦) وخليفته اللورد كاننج (١٨٥٦ - ١٨٦٢) ، وعن أسباب هذه الثورة ما يذكره المؤرخ كين : « ان شركة الهند الشرقية البريطانية اجبرت الاهالي على تنفيذ قوانين الشركة التي لم تكن متفقة والوضع في البلاد » . وقد زاد النفوس اشتعالا ما أقدم عليه (دلهوزي) من اعتقال « واجد على شاه » ملك « أود » . وضم بلاده للشركة عام ١٨٥٦ م ، وكذلك الغاؤه كثير من الألقاب والمرتبات التي كان يتمتع بها بقايا ملوك الولايات التي ضمت للشركة من قبل مثل حاكم أركان ، تانجور ، وغيرهما . وأكثر من ذلك كله الانذار الذي وجهه « اللورد كاننج » الى ملك المغول « بهادر شاه » المسن القابع في قلعته بأنه سيكون آخر ملك يتمتع باللقب وسكنى القلعة التي ستصير بعده ثكنة للجيش الانجليزي ، وبالطبع فان الملك - رغم الضعف - كان رمزا للشعب على اختلاف طبقاته . وقد اجتمع العلماء قبل الثورة وأعدوا فتوى بإعلان الجهاد ، وقمها عدد من البارزين ، في الوقت الذي أصدر الهندوس والمسلمين بيانا مشتركا باختيار الملك المسن « بهادرشاه » قائدا أعلى للثوار والقيادة العامة لبعض أبنائه مثل ميرزافعل ، وخضر سلطان أما على المدفعية فكان « بخت خان » وكان تعاون الجنود والاهالي معا . وتجدر الإشارة لقيام جماعة يدبرون لقيام ثورة عامة في الهند سواء مسلمين أو هندوس ، حتى قيل أنهم حددوا ١١ مايو ١٨٥٨ موعدا لها ؛ وكتبوا المنشورات بذلك .

ومن المصادفات العجيبة أن اندلعت ثورة الجنود في الثكنات العسكرية في « ميرث » في اليوم الذي قيل عن تحديده لأسباب داخلية تتصل باستهتار الانجليز بمقائد الجنود الهنود ، وتسفهم في المعاملة اذ جلبوا خراطيش مدهونة بلحم الخنزير المحرم عند المسلمين والبقر المحرم عند الهندوس ، وكان على الحندين أن يزيلوا ذلك بألسنتهم طبقا للأوامر ، التي عصوها ، فعاملهم الانجليز بقسوة ، وحكموا على ٨٩ منهم بالسجن عشر سنوات وتقتنوا في تعذيبهم ، وقد كانت المحاكمة في ٩ مايو ١٨٥٧ م ، وقال حاكم الهند اللورد كاننج عن ذلك « بلغ هذا الحكم من السفالة مبلغا لا يوجد له نظير في تاريخ الهند » =

أصله المرحوم السلطان عبد المجيد (١) المسلمى الهند يأمرهم فيه بكف كل مقاومة ضد حكومة جلالة الملكة فيكتوريا حليفته فى القريم (٢) .

ولنذكر القراء أيضا بأن أعظم فشل ناله « عرابى » هو من اعلان جلالة السلطان عبد الحميد عصيانه حيث كان صدور ذلك الاعلان فى خامس شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، أى قبل حدوث واقعة التل الكبير بشمانية أيام .

وفى هذا الاعلان الذى صدر بعصيان عرابى سعى جلالة السلطان انكلترا الصديقة الدائمة للحكومة العثمانية ، فكان ذلك من أكبر أسباب تشبيط همم كل الجنود الشائرة .

وها قد زال اليوم عن السياسة الانكليزية غشاؤها فأصبحت بريطانيا لا تملق الدولة العلية ، ولا تدعى انها صديقة السكان تلك الدعوى العتية بل أخذت تجاهر بالعداء ضده ورجال سياستها يحرضون الأرمن ويشجعونهم على العصيان علنا ، ويحرضون المسلمين ويهيجونهم ثم ينادون بالتعصب !! .

= وبذلك اضطربت نار الثورة فى اليوم التالى ووثب الجنود على رؤسائهم الانجليز فى معسكر ميرث ومنها رحلوا الى العاصمة دلهى فى صباح ١١ مايو ، وانهمز الجنرال « كراو » القائد الانجليزى بها ثم فر بجنوده . واشتعلت الثورة فى المناطق الأخرى ، ففى البنغال قامت على يد « متكل باندى » . وفى ٢٢ مارس ١٨٥٧ فى منطقة « دمدى » ثم قامت بعد ذلك فى « لكتو » فى ٥ يونيو ، وكانيبور فى ١٤ مايو ، اذ قام نانا صاحب المراهتا بالثورة ، بيد أنه هرب بعد فشله . وقد أعمل الهنود القتل والسلب والنهب فى بيوت الانجليز ، الذين فجروا الذخيرة التى فى حوزتهم خوفا من استيلاء الهنود عليها .

وننتج عن ثورة سيال ضم الهند سنة ١٨٥٨ الى التاج البريطانى ، واعتبرت بريطانيا المسلمين فى الهند أكثر خطرا اذ تراودهم ذكريات الحكم العربى ، علاوة على عزوفهم عن الثقافة الانجليزية .

ويرى الدكتور عبد المنعم النمر أن أسباب الفشل فى انضمام السيخ للانجليز فى البنجاب ووف ملوك حيدر آباد مع الانجليز ضد الملوك المسلمين ، ثم تدفق الجنود الانجليز من الخارج والذين كانوا بمحض الصدفة ذاهبين الى الصين للقيام بمناورات هناك ، علاوة على تفرق الهنود مثل « ميرزا الهى بخش » صهر الملك وغيره ممن كانوا يقولون أعمالا هامة ، والبعض كانوا خونة وجواسيس ، كما وزع الانجليز باسم الملك منشورا ، فى كثير من البلاد وقت قيام الثورة يضمن وعدا للمسلمين خاصة أنه بعد الانتصار ستوزع عليهم وحدهم الاقطاعات الواسعة ، وكان لذلك أثره المشين فى بث روح الفتنة ، التى استفلوا فى اشاعة الرعب بعد ذلك بين الهنود الوطنيين توطيدا لوجودهم . وللمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى : د/ سمير بحر : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٤٢ ، د/ عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٣٦٩ - ٤٥٨ .

ماكولى ، توماس باينجتون : مرجع سابق ؛ ص ١٣ .

(١) السلطان عبد المجيد : ١٨٢٣ - ١٨٦١ ، تولى الحكم من ١٨٣٩ - ١٨٦١ ، جابه فى بداية حكمه انتصار الجيش المصرى فى نزيب ١٨٣٩ ، وتسليم الاسطول التركى ، نشبت فى عهده حرب القرم ١٨٥٣ - ١٨٥٦ ، وأيدت كل من انجلترا وفرنسا تركيا ضد روسيا ، أدخل اصلاحات كثيرة ، لكنها لم تعمّر طويلا . محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١١٨٤ .

(٢) يقصد القرم .

والمستر غلادستون الذى لا يعنيه الآن أن يدافع عن حزبه ولا يكلف نفسه كلمة واحدة فى هذا الشأن نراه يدافع عن الأرمن بغيرة نادرة المثال (١) ، وهو مع ذلك يتجاسر على الادعاء بأنه لا يقصد غير الدفاع عن الانسانية وأن ليس لديه تحزب يدفعه ضد الأتراك ، ولكى يغطى على الأبصار يقول أنه لو تعدى المسيحيون على المسلمين لدافع عن هؤلاء ضد المعتدين عليهم .

ليت شعرى لماذا لم نر هذا الرجل الحر والخطيب صاحب الشجائر والاحساسات يحقق أقواله الجميلة ؟ فيها هم البلغاريون يذبجون المسلمين على الحدود التركية ويأتون بفظائع أثبتتها التيمس نفسه . فما بال المستر غلادستون لا يدافع عن المسلمين كما دافع عن الأرمن (٢) .

وانى أتساءل ماذا يفتكر الآن المستر غلادستون وأحباؤه فى أمر المذابح التى اقترفتها أيدي الأرمن فى عاصمة السلطنة العثمانية نفسها . أفى استطاعتهم أن يدعوا بأن الصلصة (لا شئ غير الصلصة) هى التى أهدت الأرمن راية وأسلحة انكليزية ؟ .

ألا أن تحزب الانكليز وتعصبهم ضد المسلمين أمر لا يستطيع أحده انكاره ، وقد أثبتته حوادث عديدة ، وليس العداوى فى هذه الحوادث يقف عنده حله تشجيع الأرمن ضد الباب العالي فقط ، بل أيضا هو حاصل فى تهيج وتحريض المسلمين أنفسهم .

وان للانكليز فى مصر كما لهم فى غيرها من البلاد جرائم ينقدونها أجرة على مطاعنها فى السلطان والمسلمين بأشد لهجة ، وهى مع ذلك تسمى دائما المسلمين « بالمتعصبين » ، وأى عمل يأتية المسلمون ولو كان دعوة للواجبات والآداب يعتبره الانكليز عنوانا على التعصب .

ولقد أرادوا أخيرا أن يلغوا بتهمة التعصب جريدة المؤيد - التى هى الجريدة الأهلية الصادرة بالقاهرة - ويطردوا مديرها « الشيخ على يوسف » ، ذلك الرجل المحبوب من المصريين كافة ومن الأوروبيين غير الانكليز (٣) .

(١) كان جلادستون زعيم الأحرار بانجلترا يلقى الخطب الرنانة ويؤلف الرسائل المطولة ناسبا الى تركيا اضطهاد المسيحيين مشيرا الى السلطان عبد الحميد بقوله « الشيطان وعدو المسيح » . ولعلنا نلاحظ أن تلك التبرة جاءت عند رد تركيا على تمرد وثورة الأرمن ، ولم تكن من قبل .

د . / محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج ١ القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢ .
(٢) جاءت تلك الأقوال وتنوعت ، فمنهم من نسب تهمة التحريض الى روسيا ، ومنهم من ذهب الى انجلترا ، مثال ذلك ما جاء ذكره عن أن المسدسات التى وجدت مع الثائرين الأرمن ، هى نفس المسدسات التى يستعملها البوليس الانجليزى فى انجلترا ، وكان دافع انجلترا ابعاد الأنظار عن المسألة المصرية .
د . محمود نجيب أبو الليل : مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

(٣) واضح هنا حسن العلاقة بينه وبين الشيخ على يوسف فى هذه الفترة .

فأى ذنب اقترفه المؤيد حتى يصبح الغاؤه ؟ اقترف ذنب ارشاد الجرائد الانكليزية الى الصواب ومنعه اياها - بما له من التأثير والنفوذ العظيمين بين الأهلين - من أحداث هيجان أو اضطراب .

ولقد أحدث الانكليز في جدة معركة (١) جرح فيها قناصل انكليزا والروسيا وفرنسا . ولا يجهل أحد في الشرق أن هذه المعركة دبرها الانكليز ليشيروا في

(١) أعطت حرب القرم قناصل بريطانيا وفرنسا نفوذا ومكانة كبيرة أثارت حسد الموظفين الأتراك الذين كرهوا القناصل الأجانب الذين كانوا يفضحون اختلاساتهم وسرقاتهم ، وفي مطلع شهر يونيو ١٨٥٨ حدث نزاع حول ملكية السفينة (إيراني eranee) فقرر باج Pag - القنصل البريطاني - أنها ملك اثنتين من الرعايا البريطانيين ، غير أن ذلك لم يصحبه حركات عنيفة رغم تحرك مشاعر أهالي جدة ، ولكن حدث في ١٥ يونيو ١٨٥٨ أن سبع اثنا من اليونانيين من ميناء جدة الى السفينة البريطانية (سيكلوبس Syclops) الراسية في الميناء ، وأبلغا فبطانها عن تعرض المسيحيين في جدة للمذبة كبيرة قتل فيها عدد من المسيحيين ، قدر بحوالى ٢١ شخصا كان من بينهم (ايفيلارد Eveillard) القنصل الفرنسي في جدة .

وقد انتظر القبطان وصول الوالى العثماني (نامق بك) من مكة الى جدة ، فوصل في ٢٥ يونيو ، وكان مفروضا أن يرسل المشتبه فيهم الى الآستانة ، غير أنه وجد من بينهم أحد المقربين اليه ، مما جعله يعدل عن تنفيذ الفكرة ، بحجة أن مشكلة السفينة « إيراني » هي التي أثارت أهل جدة .

وتذكر رواية أخرى أن أسباب هياج سكان جدة كان على أثر شائعة وطء القنصل البريطاني بقدمه العلم العثماني الذي كان يأخذ البواخر الراسية بالميناء ، فعندوا ذلك اهانة لرمز الاسلام فقتلوه وقتلوا معه القنصل الفرنسي وبعض الافرنج ، ونهبوا دورهم ؛ فما كان من بريطانيا الا أن أرسلت الى جدة بعض قطع أسطولها تهديدا ووعيدا ، وضربت بالقنابل ولم تقم القلعة البحرية ازاها بشيء من الدفاع نظرا لقدم مدافعها .

وتمت تسوية هذه المسألة الخطيرة من الدولة العثمانية بقتل عدة أشخاص من أهل جدة ، وقد ذكر أن (لبريجادير وليم كوجلان) المقيم السياسي البريطاني في عدن حصل على قائمة بأسماء المشركين في تلك الحركة ومنهم ، القائم إبراهيم أغا - الشيخ باجفر رئيس التجار الذي قاد الهجوم على مقر شركة توماس سافا Thomas Sava and Comp وهي تحت الحماية البريطانية ، عبد الله المحتسب من موظفي الادارة العثمانية في جدة وهو أصلا من صعيد مصر ، وقاد الهجوم على القنصلية البريطانية ، سالم سلطان واحد من تجار جدة ، وكان ضمن القتلى عبد الله المحتسب السابق ذكره ، سعيد العامودي ، علاوة على اثني عشر شخصا من عامة القوم .

وقد طلب الباب العالي من والى مصر التوجه على رأس قوة مصرية من ٤٩٤ جنديا لتوطيد الأمن ، فقبضت على عدد من الأبرياء ، وكانت الحكومة البريطانية قد أصدرت تعليماتها للبطان بولين Pullen قائد السفينة سيكلوبس ، لينجيه من السويس الى جدة لتسلم المسئولين عن التمرد والتهديد بضرب جدة بالمدافع ، ووصلت هذه السفينة في ٢٣ يونيو ١٨٥٨ وأنذرت بتسليمهم المتهمين في خلال ٣٦ ساعة ، وبعد مرور ٢٤ ساعة بدأ قصف المدينة بالمدفعية لمدة ١٠ أيام حتى ٤ يولييه سنة ١٨٥٨ ، وقت عودة الحجاج ، مما أدى الى فرار الأهالي والسكان . ثم أفلح بولين بعد الحصول على نرضيات كافية . على أن الحكومة الفرنسية وقفت هي الأخرى تدافع عن رعاياها في جدة ، ولم تكثف بما تم بل سارعت الى تشكيل لجنة على مستوى عال للتحقيق في الموضوع ، وخاصة فيما يتعلق بمسلك « نامق باشا » وغيره ، مما أدى الى عزل القائمقام ، على أن بريطانيا رفضت تأييد فرنسا في مطالبتها بتعويض بادل عما أصاب رعاياها =

الروسيا وفرنسا عواطف السخط على تركيا وليحملوا هاتين الدولتين على زياده التداخل في المسئلة الأرمنية (١) ، لانه يلزم أن يكون الانسان ساذجا جدا حتى يظن أن التوافق بين معركة حدة وتداخل الدول الثلاث في مسئلة أرمنية أوجدهته يد الصدفة .

وان كل دسائس الانكليز ضد الدولة العلية عليها اليوم المسلمون جميعا في أنحاء الأرض وأصبح . حنقيم على الدولة الانكليزية سديدا ، ولكن هلا يجب أن نساءل تلقاء هذه الحالة أى خطة تختارها الروسيا وفرنسا ؟ أيبعان خطة انكلترا وبعنان الحرب على الاسلام ؟ كلا ان هذا المستحيل .

ان الشرقيين عموما يوافقوننى على ظنى بأن دولتين كروسيا وفرنسا يدل ماضيها وحاضرها على عدم تحزيبها ضدنا وعلى ميلها لنا لا تغيران سياستهما التقليدية حيث تخدمان بالشبات عليها صالحهما وصالح السلام العام .

فيجب عليهما إذن أن لا تحذو حذو انكلترا . وان سياسيين ماهرين كمسيو هانوتو ومسيو لوبانوف (٢) لا يمكنهما أبدا ترك هذه الفرصة نضيع دون أن يقويا احترام بلادهما ونفوذهما في الشرق . وانه يكفى العمل ضد انكلترا لتسكين خواطر المسلمين وتيل ثقتهم .

فعلى فرنسا والروسيا اجراء الاصلاحات بالسلم والوداد مع التركية والسعى لتحرير مصر - التى لا يقفر المسلمون أبدا أمرا احتلالها - وترك انكلترا تلاقى وحدها نتائج سياستها العدائية للاسلام .

الا ان الفرصة جميلة لا يصح اغفالها حيث انتهازها واجب لبتحقق السلام العام الا لانكلترا .

= من أضرار . وانتهى التحقيق فى أول يناير ١٨٥٩ مؤكدا بأن الثورة ضد المسيحيين فى جدة بعد حادث سطو وسرقة ليس له علاقة بالنواحي الدينية . عند القدوس الأنصارى : تاريخ مدينة جدة ، جدة ١٩٦٣ . ص ٧٥ ، ٧٦ ، د/ فاروق عثمان أباطة عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٩٠ - ٢٩٣ .

(١) عاش الأرمن ضمن رعايا الدولة العثمانية حتى منتصف القرن التاسع عشر . وطبقا للقواعد المعترف بها من السلطان منذ عام ١٨٦٢ فقد ظل الممثل الرسمي لهم هو البطريرك ، الا أنه بعد ذلك انتقلت السلطة الى المجالس المليية والعلمانية المنتخبة من المجلس التمثيلى المؤلف من ١٤٠٠ عضوا ، حيث عهد السلطان عبد الحميد الى المخلصين منهم يوظائف هامة . وبعد حرب ١٨٧٧ - ١٨٧٨ تطلعت روسيا الى مصادقة الأرمن والسلاف مضايقة لتركيا فآثارتهم لنوال استقلالهم عن الأتراك ، كما آثارتهم للقيام بعدة مظاهرات من شأنها اضطراب الأمن وتآلفت جمعية ثورية فى تفليس وعدة عواصم أوربية لمناصرة الأمن . وقد اختارت تلك الجمعيات مسرحا لعملياتها البلاد التى يكثر فيها الأتراك ويقل عدد الأرمن ، ومن ثم قابلت تركيا هذه العمليات بالمثل ، مما دفع دول أوروبا للتدخل سنة ١٨٩٥ .

(٢) اسكندر سعيد عمون : الامتيازات الأجنبية والأقليات التركية ، القاهرة ، د٠ ، ص ٢٧)
(٢) لوبانوف : Lopanof اسندت اليه ادارة الشؤون الخرجية البريطانية فى الخارجية الروسية .

تحالف يتحتّم ★ (السلطان وأوروبا) ★

لقد مضى جلاله السلطان فى الشهر الماضى على مشروع الإصلاحات الأرمنية (١) طائفا أنه يضع بذلك حدا للاضطرابات التى تقيمها انكلترا فى مملكته ، وأنه لتحقيق

(★) نشرت هذه المقالة بمجلة « النوفيل ريفيو » وفى من المجلات الفرنسية الشهيرة ، بتاريخ ١٥

نوفمبر ١٨٩٥ .

(١) جاءت الإصلاحات بعد أن ثارت المسألة الأرمنية بثورة الأرمن على النظام التركى الخاضعين له ، وظهرت أحداث دامية أدت الى تدخل الدول الثلاث فرنسا وروسيا وانجلترا وحاولت التوصل مع تركيا الى اصلاحات من شأنها اسكات ثورتهم .

وبعد مراسلات بين سفراء الدول الثلاث فى ٢١ أكتوبر ١٨٩٥ مع الباب العالي صدرت الإصلاحات وكان الباب العالي قد صدق عليها فى ١٧ أكتوبر ١٨٩٥ . أما مشروع الإصلاح فهو بمثابة إعادة للقوانين التى كانت موجودة وزيد عليها تعيين معتمد عثمانى سام وهو شاكى باشا ، وانتخب فتحى بك ناعوم وكيلا له ، وأن يكون لتراجمة سفراء الدول الثلاث حق مخابره رئيس لجنة المراقبة . أما نص لائحة الإصلاحات الأرمنية فتحتوى على ١٦ فصلا ، ٣٢ مادة ، والعقت بتذييل . ونورد فيما يلى أهم البنود التى وردت ولها تأثير مباشر :

الفصل الأول : الولايات والمتصرفيات (مادة ١ ، ٢) :

مادة (١) يعين لكل ولاية معاون غير مسلم ويساعد المعاين فى اشغال الولاية العمومية .

مادة (٢) اذا كان المتصرف فى الصنائق والأقضية مسلمين يعين لهم معاوتون مسيحيون متى كان

عدد الأهالى المسيحيين بالفا حد الكثرة المسوغة لذلك .

الفصل الثانى : القائمقاميون (مادة ٣ ، ٤) :

مادة (٣) ينتخب وزير الداخلية بصرف النظر عن ديانتة من الحائزين لشهادة المدرسة الملكية ويعين

بموجب ارادة سلطانية .

مادة (٤) يستمر الموظفون بدون شهادة طبقا للكفاءة واذا كان عدد المسلمين الحائزين للشهادات

غير كاف يعين الذين يكونون فى الحكومة بدون شهادة ان كان كفتا لوظائف القائمة عمومية .

الفصل الثالث : فى نسبة المسيحيين فى الوظائف العمومية :

مادة (٥) : يعين فى الوظائف الادارية المسلمون وغير المسلمين من رعايا الدولة بنسبة عدد الأهالى

من غير المسلمين فى مصلحة البوليس والجندرية .

الفصل الرابع : فى مجالس الصنائق والأقضية (مادة ٦) :

الفصل الخامس : فى ترتيب النواحي (مادة ٧ - ١٢) .

=

بالشكر على سماعه نصائح فرنسبا والروسيا بغاية الحكمة اذ أن قراره على الاصلاحات الارمينية دعت اليه الحوادث ، وكان ضروريا لتحقيق السكينة والطمأنينة ، ويود اليوم

= مادة (٨) يقوم بإدارة كل ناحية مدير ومجلس مؤلف من أربعة أعضاء وينتخبون من الأهالي وهذا المجلس مؤلف من أربعة ينتخب من أعضائه المدير أو الوكيل ويكون المدير من أكثرية أهل الناحية والوكيل من الفريق الآخر ويعين للمجلس كاتب .
مادة (٩) اذا كان سكان الناحية من طائفة واحدة انتخب أعضاء المجلس منهم ، واذا كانوا من طوائف كان للطائفة الأقل أعضاء بالنسبة الى عددهم بشرط ألا يكونوا أقل من ٢٥ بيتا .
مادة (١٢) لا يجوز انتخاب مديري المجالس المحلية من أئمة الدين ولا من القسوس ولا أساتذة المدارس ولا موظفي الحكومة .

الفصل السادس : قرى النواحي (من ١٣ - ١٦) :
مادة (١٥) يعين مختار لكل قرية تابعة للناحية واذا وجدت جملة حوار يسكنها الأهالي على اختلاف الطوائف عين مختار لكل حارة ولكل طائفة .
مادة (١٦) لا يجوز أن تكون قرية تابعة لبلدين في آن واحد .
الفصل السابع : في المدلية (مادة ١٧ - ١٩) :
مادة (١٩) يعين المفتشون القضائيون بحيث لا يكون عددهم أقل من ستة ويكون لصفهم من المسلمين ٥٥٠ ويكون التفتيش بمعرفة اثنين من المفتشين أحدهما مسلم والآخر غير مسلم .
الفصل الثامن : في البوليس (مادة ٢٠ ، ٢١) :
مادة (٢٠) : يكون من رعايا الدولة العلية المسلمون ومن غير المسلمين بنسبة عدد سكان الولاية .
الفصل التاسع : في الجندرية (مادة ٢٢ ، ٢٣) :
مادة (٢٢) يؤخذ ضباط الجندرية وعساكرها من رعاية السلطنة المسلمين وغير المسلمين بنسبة عدد كل منها .

الفصل العاشر : في عساكر الرديف (مادة ٢٤) .
الفصل الحادي عشر : في السجون والتحقيق الابتدائي (مادة ٢٥ - ٢٨) .
الفصل الثاني عشر : فرسان الجندرية .
الفصل الثالث عشر : في حجج المقارات (مادة ٢٩) :
تشكل لجان لمراجعة الحجج في بنادر كل ولاية وصنحق تؤلف كل لجنة من أربعة أعضاء نصفهم في الأشغال العمومية بالنقد أو بصفة عين .
الفصل الرابع عشر : في جباية الأموال (مادة ٣٠) .
الفصل الخامس عشر : في العشور (مادة ٣١) :

يلغى الالتزام الاجمالي وتحصل كل قرية مكوسها باسم سكانها والقيت السخرة ، ويصير دفع الاجر في الأشغال العمومية بالنقد أو بصفة عين .
الفصل السابع عشر : في لجنة المراقبة الدائمة في الآستانة (مادة ٣٢) :
تشكل لجنة مراقبة مستديمة في الباب العالي تحت رئاسة موظف عال من المسلمين ويكون نصف أعضائها من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين العثمانيين ، حيث يفوض لها النظر في انفاذ الاصلاحات بالضبط ويكون لتراجعة سفراء الدول حق عرض النصائح والبلاغات والاخبار التي يكلفون بها من قبل سفرائهم فيما يرون لزومه لاتخاذ هذه الاصلاحات المدونة في هذا الاتفاق ، ومتى اتفق الباب العالي والسفارات على أن هذه اللجنة أدت مأموريتها انقضت .
وقد الحق بهذه اللائحة ذيل تضمن ما يأتي :

الرأى العام الذى اتبعته منذ أشهر المظاهرات الارمينية أن يرى السكون سائدا فى تركيا ، وانا نود ونتمنى ذلك مثله ، ولكننا لا نظن امكان تحقيقه ، لا لأن تركيا تبغى شيئا آخر غير السكينة ، ولكن لانه يظهر أن انكلترا غير راغبة فى الكف عن تشجيع المهيجين على القلاقل والثورات .

ولقد ظهرت الآن مشروعات بريطانيا العظمى ووضح سر سياستها فى الشرق : فما دامت مشكلة مصر قائمة ، وما دام الباب العالى لا يتنازل لانكلترا عن حقوقه فى وادى النيل تدوم القلاقل وتكدر مشكلة الأرمن صفو السلام ، ولا يمضى زمن يسير حتى تخلق مسائل أخرى .

وليس القصد من كل الدسائس البريطانية والطرق الممقوتة التى يستعملها المهيجون الانكليز والخطة التى اتبعها الجرائد الانكليزية الا الخط من مقام الحضرة السلطانية والحفض من كرامتها وتغريز العالم الاسلامى بأن انكلترا تسير الحوادث فى أوروبا كما يشاء هواها . ويؤمل الانكليز من اضطهاد جلالة السلطان اكراهه على الاعتراف رسميا باحتلال مصر ، أو على الأقل اهمال مسئلتها مدة من السنين فى زوايا النسيان ، وهذه المسئلة الحيوية التى يطالب مسلمو الأرض كلها بحلها .

ويتساءل الكل هل أفلحت السياسة الانكليزية فى أحد الأمرين ؟ وإذا لم تكن أفلحت فهل فى امكانها أن تفعل ؟

أما الجواب على الأمر الأول وهو اكراه الحضرة السلطانية على الاعتراف رسميا باحتلال مصر ، فمستحيل فلاح الانكليز فيه ، لأن جلالة السلطان عبده الحميد ينكر على نفسه صفته أميرا للمؤمنين اذا اعترف لانكلترا بالبقاء فى مصر ولو بصفة نظرية ، لأن مصر هى مركز الاسلام ومفتاح مكة والمدينة ، وما اعطاء مصر لانكلترا الا اعطاء السلطة الاسلامية الدينية والدنيوية الى الملكة فيكتوريا ، وبذلك لا يكون السلطان خليفة للمسلمين ويمضى بيده على قرار ضياع حقوقه .

١ - يعين الباب العالى موظفا جديرا بالرعاية من كل وجه ، ويلقب هذا الموظف بالمندوب العالى للنظر فى تنفيذ الإصلاحات ومباشرة اجرائها واذا غاب هذا المندوب العالى أو طهر عدم كفاءته عين جلالة السلطان موظفا بديلا له مسلما أيضا ، وعلى كل حال يكون فى معيته معاون غير مسلم .

٢ - بما أن جلالة السلطان المعظم منح فى ٢٣ يوليو ١٨٩٥ الأرمن الذين أتهموا بذنوب سياسية والذين صدرت عليهم أحكام بسببها عفوا ، ينفذ هذا العفو أيضا على الذين حبسوا قبل هذا التاريخ ولا يزالون مسجونين ما لم تثبت عليهم مخالفة هذا القانون .

٣ - يؤذن للأرمن الذين طردوا أو هاجروا من أوطانهم أو الذين يكونون قد هاجروا الى البلاد الأجنبية بالعودة الى أوطانهم متى أثبتوا تبعيتهم للدولة العلية ، ومتى ثبت حسن سلوكهم .

٤ - تنفذ المبادئ المسطورة فى كل قضاء يكثر فيه عدد غير المسلمين بحروفه .
للمزيد من المعلومات يرجع الى المؤيد ع ١٧١٥ ، ٦ نوفمبر ١٨٩٥ .

وأما حمل السلطان على اهمال أمر مصر حيناً من الزمن فميسر لانكلترا اذا لم يبرهن الروسيا وفرنسا للحكومة العثمانية على رغبتهما المشتركة في المحافظة على حقوقها في وادي النيل .

ولقد رأينا أن انكلترا تسعى على الخصوص لأن تبرهن للعالم الاسلامي بأنها المتصرفة القادرة في أوروبا . ويحزننا أن نقول أنها كادت تنجح في هذا القصد (١) ، إذ أن نصف المسلمين يظنون اليوم أن في أوروبا تعصبا ضد الاسلام ، ويظن النصف الآخر أن انكلترا تملئ رغباتها ليس لألمانيا والنمسا وإيطاليا فقط ، بل أيضا لفرنسا والروسيا اللتين يعلم عنهما أن مصالحهما مناقضة كل المناقضة لمصالح بريطانيا ، وكبف لا يظن المسلمون أن انكلترا هي الدولة الآمرة في أوروبا ، أو أن النصرانية كلها متعصبة ضد الاسلام ، عندما يرون أمورا كالتى رأوها أخيرا في تركيا .

رأوا هناك الأرمن ملطخين بدماء جرائم عديدة ، رأوا الأرمن متزيين بزى المسلمين وغالبا نرى العلماء ليظن أن المسلمين هم المعتدون ، وآوهم يجترمون كل الفظائع ويقترون ذنوب المذابح التى يقدمون عليها متسلحين بأسلحة انكليزية ، رأوهم هنالك يبدرون بذور البغضاء والموت فى كل أنحاء المملكة ، ثم ينالون جزاء على سيئاتهم هذه تعصيدا وتشجيعا ، حتى أن الروسيا وفرنسا اضطرتا الى المداخلة فى انالتهن ذلك الجزاء .

وبديهى أنه كان من الصعب على الدولتين الحبيبتين أن تعملتا غير ما عملتا . ولكن الثلاثمائة مليون من المسلمين لا يمكنهم ادراك السرار السياسية ولا يحكمون على الأشياء الا بظواهرها .

وانا نعلم حق العلم نحن الذين تعلمنا فى فرنسا أن ليس فى أوروبا تعصب ضد الاسلام ، وليس لانكلترا أقل يد على فرنسا والروسيا ، ونعتقد كل الاعتقاد أن هاتين الدولتين تداخلتا فى المسئلة الأرمنية لا كعدوتين بل كصديقتين ، تداخلتا لكيلا

(١) تبلور ذلك فى أحد أشكاله بالمفاوضات الانجليزية الإيطالية ابتداء من فبراير ١٨٨٧ ، اللتان اتفقتا سرا بخصوص الرغبة فى الاحتفاظ بالوضع القائم فى البحر المتوسط ، وتأييد إنجلترا فى مصر . ثم انضمت النمسا والمجر الى الاتفاقية فى ٢٤ مارس ١٨٨٧ ، وجدت أنها مرتبطة بأهداف ألمانيا التى ترمى الى عزل فرنسا وإبطال مفعول روسيا رغم عدم التوقيع على اتفاق ، وتجد اتفاق القسطنطينية ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ الخاص بحرية الملاحة فى القناة لبريطانيا ، وفى عام ١٨٩٠ انتقل تنافسها الى فارس حيث عرست المساعدة المالية على حكومة الشاه لمنع الروس من الحصول على المكاسب الاقتصادية ، وفى ٦ مايو ١٨٩١ تجددت معاهدة التحالف الثلاثية ، وأشارت إيطاليا الى اتفاقيات البحر المتوسط ، غير أن بريطانيا قامت بإعطاء ضربة أوقفت بها السياسة الفرنسية فى الهند الصينية ، وهذا يبرهن على عظم النفوذ البريطانى ، ومحاولة الهيمنة أو الاتفاق مع غالبية دول أوروبا ، ورغم أن العزلة الروسية دفعتها للتحالف مع فرنسا فى ١٨ أغسطس ١٨٩٢ الا أن النفوذ البريطانى العالى كان اعظم .

للمزيد من المعلومات ، انظر : بيير رتوفان : مرجع سابق ، ص ٩٦ - ٦٢١ .

تترك تركيا معرضة وحدها لهجمات انكلترا ، ولكن لسنا الا عددا قليلا ومن الأسف أن الجموع تحكم بعكس حكمنا .

ولذا فإننا في هذه الساعة نرى أنفسنا أمام سلطنة عثمانية ضعيفة وأمم اسلامية قليلة الثقة في فرنسا والروسيا الدولتين الأكثر احتياجا الى زيادة احترامهما ونفوذهما في الشرق ، وإطرادا لحطتها بعد هذا النجاح ، نرى انكلترا تقلب الأمور وتشجع المجرمين على الجرائم وتبذر بذور الشقاق في قلوب المؤمنين ضد أوروبا كلها ، وتحفر هاوية عميقة بين الاسلام والنصرانية لصالحها الخاص ، لا لشيء آخر غير مصالحها .

وعلى ذلك فماذا يلزم لعدم نجاح انكلترا في نواياها وفشلها ذلك الفشل الذي يكون عنوان السلام في العالم ؟ الجواب على ذلك هو أن يختار الباب العالي بكل صراحة الخطوة التي تأمره بها رغبة المحافظة على ملكه .

ولقد أتبع تركيا من عام ١٨٧٧ الى الآن سياسة ضارة بها ، سياسة عزلة وانفراد جعلتها في كل الحوادث آلة في يد انكلترا (١) . وتاريخها في هذه الثمانية عشر عاما الأخيرة يشهد خطرها هذه السياسة .

فلقد اختلست منها انكلترا في عام ١٨٧٨ وقت اجتماع مؤتمر برلين جزيرة

(١) اتخذت السياسة التركية منذ عام ١٨٧٧ سياسة عزلة ضاره بها ، جعلتها آلة في يد انكلترا ، مثل قمع الاتراك ثورة أهل البوسنة والهرسك اذ أعلن القيصر الروسي في ١١ نوفمبر ١٨٧٦ ، تصميمه على استخدام السلاح اذا لم تقرر الدول التدخل بقوة لدى الحكومة العثمانية وبعد فشل مؤتمر القسطنطينية في ديسمبر ١٨٧٦ في مشروع العمل الجماعي ان اتفقت النمسا والمجر مع روسيا لابعاد تدخل انكلترا واعلنت روسيا الحرب في ٢٤ ابريل ١٨٧٧ وتقدمت القوات صوب القسطنطينية فخالت بريطانيا ذات المصالح من تقدمها ، فاندرت روسيا وعقدت الهدنة في ٣١ يناير ١٨٧٨ ، وفي ١٥ فبراير ١٨٧٨ قررت الحكومة الانجليزية أن تدخل أسطولا الى بحر مرمرة لطماننة السلطان العثماني ، وبعد أن تحقق التفاوض مع روسيا ، وفي مايو ١٨٧٨ عرضت الحكومة الانجليزية على الحكومة العثمانية تحالفا دفاعيا لحماية تركيا الآسيوية بشرط أن يضع السلطان تحت تصرفها قاعدة بحرية ، ووافق السلطان حيث كان في حاجة الى قرض مالي ، فوضعت قبرص تحت الادارة المؤقتة البريطانية باتفاق ٤ يونيو ١٨٧٨ ، وعلى الجانب الآخر كانت السياسة الالمانية ترمي الى تقسيم الاملاك العثمانية .

وكان الاقتراح البريطاني الفرنسي بزل الحديو اسماعيل ووافق عليه السلطان في يونيو ١٨٧٩ ، وكانت الحماية الفرنسية على تونس في مايو ١٨٨١ ، التي كانت تحت السيادة العثمانية ، ثم ما كان من دور انكلترا في تصفية الثورة العربية سنة ١٨٨٢ ، وأخذ النفوذ البريطاني يتسع في مصر بمدل ، وهكذا نجد أن الدولة العثمانية ذاتها لم تكن من القوة نتيجة الصراعات الداخلية والتكتلات الأوربية التي اهتمت بمصالحها ، الأمر الذي كان عاملا هاما ، في سيطرة النفوذ البريطاني الى حد ما - على السياسة التركية .

للزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى : بيير روفان ، مرجع سابق ، ص ٥٤٧ - ٥٥٤ ، د. شوقي الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ٠٠ ص ٤٨٣ - ٦٢٧ .

قبرص مقابل وعدها لها بالمساعدة في الحالة التي تسعى فيها روسيا لامتلاك بعض
أراض في آسيا .

وبعد ذلك بعامين حدث حادث (دولسينيو) (١) التي ظهرت فيه انكلترا بمظهر
العدو للدود للدولة العلية ، فلقد كانت تشجع فرنسا على أن تطلب من أوروبا عقد
مؤتمر لسلب (دولسينيو) من التركية وتدعوها الى عمل مظاهرة بحرية ، وفضلا
عن ذلك فانها كانت تعد روسيا بالاتفاق معها على محاربة تركيا اذا لم تتنازل هذه
عن (دولسينيو) وانكلترا التي كانت تتظاهر عام ١٨٧٨ بالدولة الغيورة على استقلال
الدولة العثمانية ظهرت عام ١٨٨٠ بمظهر دولة تسعى الى تقسيم تركيا ، فلم تترك
فرصة تمر دون أن تتعدى بأشد وطأة على العثمانية ، ولما تغيرت الوزارة التركية في
١٢ سبتمبر عام ١٨٨٠ وتولى سعيد باشا منصة الأحكام فان اللورد غرانفيل قبل
أن يعرف رأى الصدر الأعظم الجديد في مسألة (دولسينيو) - التي كما يعلم كان
بطلب اعطاؤها الى مونتييجرو - دعا دول أوروبا الى عمل مظاهرة بحرية تحت قيادة
القائد الانكليزي سيمور .

ولقد تأثر كثيرا وقتئذ سياسيو العثمانية من هذه الخطة العدائية ولكنهم
بالأسف نسوها بعد ذلك بقليل حين ظهور المسئلة المصرية في عالم الوجود ، تلك
المسئلة التي أطاعت فيها تركيا انكلترا اطاعة الصبي لولى أمره وسببت بطاعتها هذه
احتلال الانكليز لبلادنا .

وفي الواقع فان الدسائس الانكليزية نجحت تماما في تركيا عامي ١٨٨١ و ١٨٨٢ ،
فما تظاهر عرابي بمظاهرة الحربية التي كان القصد منها عزل الوزارة المصرية في
سبتمبر ١٨٨١ حتى شجعت انكلترا الباب العالي على انتهاز هذه الفرصة لنوال سلطة
فعلية على مصر . وما رأى الانكليز فلاح سياستهم في الآستانة وسماع نصائحهم
حتى زادوا منها وغرروا بالتركية ، اذ منوها بالوصول الى محور امتيازات عائلة
« محمد علي » وإعادة وادي النيل الى ولاية تركية بتشجيعها عرابي والحزب الوطني ،
ولم تكتف وقتئذ وزارة لندن بتشجيع الباب العالي على تعضيد عرابي ، بل أوجت
الى الجرائد أن تساعدها على ذلك . فرائبها حين ذاك تسبب أوروبا أن الطريقة الوحيدة
لايقاف تيار القلاقل في مصر هي تدخّل تركيا في الأمر .

(١) دارت الحرب بين الروس والأتراك عام ١٨٧٧ وكانت سجلا بين الفريقين تقدم فيها الروس أول
الامر ، ثم تغلب عليهم الأتراك ، ثم عاد الروس فانتزعوا كثيرا من المواقع الحصينة من أيديهم آخرها
دولسينو Dulcigno امتلك بعدها الاسطول الروسى زمام البحر الأسود وهددوا القسطنطينية
مما حال انكلترا فارسلت بعض قطع أسطولها لحماية الأتراك في الوقت الذي كان الشعب تسرب الى
الروس برا وبحرا ، وانتهاز الروس فرصة طلب السلطان عبد الحميد الهدنة فوافقوا واجتمع مندوبو
الدولتين فورا وأبرموا معاهدة سان استفانو في ٣ مارس ١٨٧٨ دون الرجوع الى دول أوروبا .
د . أحمد عبد الرحيم مصطفى وكامل جرجس : أوروبا المعاصرة ، القاهرة ١٩٥٠ ص ٧٢ ، ٧٣ .

وقد دفع الباب العالي هذه الدفعة في غير طريق الهدى أرسل الى القاهرة لجنة تحقيق مركبة من أحمد أسعد أفندى وقدرى أفندى اللذين لم تكن مأموريتهما في الحقيقة الا أن يحققا لعرايى عضيد الخليفة ، الأمر الذى دفع بعرايى الى الأمام وحمله على الظن بأنه النائب الحقيقى عن الخليفة فى مصر . ولذا كان يرى فى كل مظاهراته مدافعا غيورا عن حقوق جلالة السلطان .

وما نال عرايى ثقة المصريين الا بمدافعتة عن تركيا وتظاهره بالولاء لها .

ولم تغفل انكلترا وقتئذ عن تشجيع الباب العالي على تعضيد عرايى ، ولكن تزيد تداخله فى الأمر أمرت وزارة لوندرة وكيلها فى مصر « السير ادوار ماليت » أن يطلب من الخديوى أن يرجو تركيا فى ارسال مندوب عال ، وبالفعل كان ذلك ، ووصل درويش باشا الى القاهرة فى ٧ يونيو سنة ١٨٨٢ (١) وبعد وصوله بأربعة أيام حدثت مذبحة الاسكندرية ، وبما أن الانكليز شعروا حينئذ بأن الحادث داعية الى تشجيع عرايى زيادة عن ذى قبل ، حمل اللورد دوفرين الباب العالي على الانعام على عرايى بالنيشان العثمانى ، ذلك الانعام الذى صارت بعده الحوادث كما يشاء الانكليز ، فلقد ضربت الاسكندرية فى ١١ يوليو وغرر الانكليز بالباب العالي مرة أخرى ، فرفض الانضمام الى مجتمع الاستانة الدولى بحجة انضمامه اليه يعد انكارا لحقوق سيادته على مصر . وأخيرا لما كلفته الدول رسميا فى ١٥ يوليو عام ١٨٨٢

(١) أجاب السلطان الخديو على رسالته بعد ثورة الضباط أنه سيبعث لجنة للتحقيق ، وعين مصطفى درويش باشا معتمدا ساميا عثمانيا ، وعهد اليه برئاسة الوفد لمعالجة الأمور فى مصر ، وفكرة السلطان أن مثل هذا الاجراء يغنى عن عقد مؤتمر دولى للنظر فى المسألة المصرية ، وان ذلك يحول دون تدخل انجلترا ، وتوهمت أن عدم اشتراكها فى مؤتمر الدول يحول دون اتخاذ قرار بشأن مصر ، والواقع أن الوفد كان بمثابة المظاهرة للاعلان عن استمرارية تنعية السيادة العثمانية فى الوقت الذى تواجدت فيه بوارج الاسطولين الفرنسى والانجليزى . ووصل درويش باشا فى ٧ يونيو ١٨٨٢ واضحت نية تحرش الانجليز ، وخطة الوفد التظاهر لكلا الفريقين العربيين والخديو فى الوقت الذى ازداد موقفه سخفا ، واتضح عجزه عن معالجة الموقف ، حيث وقعت مذبحة الاسكندرية فى ١١ يونيو ١٨٨٢ ، فكانت اعلانا واضحا عن اخفاق مهمة المندوب العثمانى ، الذى حضر ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو ، ثم انقلب الى الاستانة فى ١٩ يوليو ١٨٨٢ .

اما المذبحة فقد وقعت فى الثانية بعد ظهر يوم الأحد ١١ يونيو ، بحركة مدبرة نتيجة شجار وقع بين أحد الماطلين المقيمين فى مصر وأحد الوطنيين حيث طعن الأول الثانى مما أفضى الى موته ، وذلك بسبب مطالبته إياه بأجرة ركوبه الحمار ، وعلى أثر ذلك تجمع الأجانب فى الاسكندرية وبدأوا فى اطلاق النيران لتبدأ مذبحة الاسكندرية .

والمسئولية العامة فى الحوادث تقع على عاتق السياسة البريطانية والفرنسية التى بحرشت بمصر بارسال الاسطولين ثم تحريض قنصل انجلترا فى الثغر للرعايا البريطانيين بالإضافة الى أن أول من أشعل الفتنة كان أخو خادم القنصل البريطانى ، ولا يمكن أن يكون هذا من قبيل المصادفات .

عبد الرحمن الرافعى : الثورة العربية والاحتلال البريطانى : القاهرة : ١٩٦٦ ص ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٤٥ .

أن يحتل مصر قبل الانضمام الى المجتمع الدولي عوضا عن قبول هذا التوكيل الصريح . وبعد قبول تركيا الانضمام الى المجتمع بأيام قبلت التوكيل وطلبت جلاء العسكر الانكليز الذين احتلوا بعض الأراضي المصرية عقب ضرب الاسكندرية ، ولما كانت انكلترا اذ ذاك في آخر فصل من الرواية لم ترفض صريحا الجلاء ، ولكنها عرضت على الباب العالي وضع اتفاقية حرية . وعلى ذلك انقضى كل شهر أغسطس في المخبرات واجابة لطلب انكلترا أعلن جلالة السلطان في ٥ سبتمبر عصيان عرابي ، ولم يكن بين الانعام عليه بالنيشان وأعلان عصيانه الا شهران !! *

وبعد ثمانية أيام من اعلان عصيان عرابي انهزم هو وجنوده في واقعة النيل الكبير ، وفي ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ دخل الانكليز العاصمة ، وبعدها بثلاثة أيام اخبر اللورد دوفرين الباب العالي أن لا حاجة هناك لارسال جنود تركية في مصر ، وانتهت على هذا الشكل هذه الرواية المضحكة المبكية بققهه ضحك الانكليز أى الذين أداروا سيناتر فصولها *

وبعد هذه الرواية المحزنة لعبت انكلترا رواية أخرى محزنة أيضا : رواية السودان ، فبلقه انتهزت فرصة هيجانه (١) المشجع عليه احتلال الانكليز لمصر ، وطلب اللورد كرومر (وكان اذ ذاك السير افلن بارنج) من الحكومة المصرية فصله عنها ورفض حقوقها عليه ، الأمر الذي حمل شريف باشا على تفضيل الاستعفاء عن الرضى بقبول مثل هذا الطلب ، ولكن نوبار الأرمنى رضى بما لم يرض به سلفه وفصل مصر عن السودان المصرى ، فرأينا عندئذ الفصول الأخيرة من الرواية ، انهزام الجنرال هيكس باشا وفشل شاكر باشا فى طوكر وضياح سنكات وطوكر وشننسى واستيلاء غردون باشا على الخرطوم وانتصار الجنرال « ستوار » فى أبى قلعة وموت غردون وتتمة لكل ذلك استيلاء الطليان على مصوع اتباعا لارشادات الانكليز . وبذلك تعدت انكلترا أعظم تعد على حقوق جلالة السلطان بعد أن خدعت تركيا نكر مهارة واحتلت مصر *

ولقد استعمل الانكليز دائما الدولة العلية سلاحا لأغراضهم ضد صوالحها نفسها ، ففي عام ١٨٨٥ ، لما اشتد الخلاف بين انكلترا والروسيا بسبب الأفغانستان أرسل اللورد سالسبورى الى الأستانة السير درومندولف بحجة الاتفاق مع الباب العالي بشأن مسئلة مصر . ولم يكن سر مهمته الا التظاهر بذلك والتأثير على تركيا تأثيرا حسنا ينال منه التقرب منها فى الحالة التى تشتعل فيها نيران الحرب بين انكلترا والروسيا ، ولكن لما سوى الخلاف فى لندن ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٥ بترك (ميروسحاق) (وذو الفقار) الى الأفغانستان وأخذ روسيا « الهندجية » لم تكن هناك حاجة للتقرب من تركيا وشعر بذلك سياسو لندن وسبان بطرسبورغ كما شعر

(١) يقصد الثورة المهدية *

به سياسو الآستانة ، ومع ذلك فلم يترك السير درومندوولف الآستانة واستمر يخابر ظاهريا مع النية النابتة في عدم الاتفاق على شىء ما ، ولقد سافر الى القاهرة مع مندوب عثمانى بعد اقامته في الآستانة ، وقضى كل عام ١٨٨٦ يتخابر مع مختار باشا ثم عاد فجأة الى لندره وترك مختار باشا وحده وهو لا يزال الآن في مصر متعجبا من سلوك السير درومندوولف ومن ماجريات الأشياء ، واذا دعت وزارتا باريس والآستانة وزارة لندن الى تفسير كل هذه الأمور عاد السير وولف الى الآستانة ومع اتفاقيته المشهورة (١) التي كانت قاضية القضاء المبرم على مصر ، وكاد يمضى عليها جلالة السلطان • والفضل في عدم امضاء السلطان عليها عائد الى فرنسا والروسيا اللتين عارضتا حين ذاك أشبه المعارضة ، واذا لم تفلح الاتفاقية عاد السير درومندوولف الى لندن ممزقا لها •

ولم تحدث بعد ذلك مخابرات بشأن مصر الا في عام ١٨٩٠ وفي هذه المرة رفض

(١) كانت بعثة السير درومندوولف Sir Henry Drummondwolff تهدف الى عقد اتفاقية بشأن جلاء الانجليز عن القطر المصري ، ولكن وولف عقد مع الباب العالي اتفاقيتين في ٢٤ أكتوبر ١٨٨٥ ، ٢٢ مايو ١٨٨٧ على أساس أن انجلترا لا يسعها أن تترك مصر والسودان نهيا للقوى حسبا رأى هو - ذلك ، فكانت الاتفاقيتان بمثابة اعتراف من الباب العالي باستمرار الاحتلال الانجليزى لمصر ، م اداموا لا يطمئنوا الى استقرارها وقيام حكومة ترعى شئونها ، ولم يقلل من قيمة هاتين الاتفاقيتين أن الباب العالي رفض أن يصادق عليهما ، وبعدئذ بدأت انجلترا تعمل على استرداد السودان ، وأخذت الدول الأخرى تنشط في عملية اقتطاع أجزاء منه ومنذ يوليو ١٨٨١ نجد الأطماع الإيطالية في مصوع رغم احتجاجات مصر بأن حقوق السيادة العثمانية على جميع الساحل الغربى للبحر الأحمر •

وتطور الأمر بعقد اتفاقات انجليزية ايطالية أثمرت عن تعاون ونشطت حركات المقاومة من الدراويش والأحباش فحققوا انتصارات ، وعلى ما يبدو أن مصادر تسليحها كانت فرنسية وروسية •

غير أنه كانت هناك دلائل على مفاوضات بين الفرنسيين والأحباش ، أسفرت عن اتفاق الفريقين بأن يجهز الفرنسيين حملة تزحف من مراكزهم في السودان الغربى صوب السودان الأوسط ، لترفع العلم المثلث الألوان على ضفاف النيل الأبيض ، بينما يزحف الأحباش بدورهم من الشرق حتى يتقابلوا مع الفرنسيين في فاشودة ، ومن ثم يعمل الفريقان على توليد سلطانهما في جميع ربوع السودان والقضاء على حقوق السيادة المصرية في تلك الأصقاع ، وفي مواجهة بريطانيا التي أخذت توطد نفوذها منذ اتفاقية السير درومندوولف ترتكب فرنسا خطأ التدخل ، اذ فجدها بعد أن وقعت بريطانيا اتفاقية مع الكونغو البلجيكي في ١٤ مايو ١٨٩٤ تنازلت لها بمقتضاها عن الأراضي التي توجد على النيل الأبيض من بحيرة البرت حتى فاشودة وكانت هذه ضمن أراضي السيادة المصرية ؛ وقد سمعت فرنسا فمقتت اتفاقية هي الأخرى مع ولاية الكونغو في ١٤ أغسطس ١٨٩٤ نالت بمقتضاها منطقة نفوذ تصل الى مشارف بحر الغزال وتشمل جزء مما تنازلت عنه انجلترا ، وأعدت العدة لارسال حملتها الى النيل الأعلى • ولعله وصل الى علم مصطفى كامل أثناء تلك الاتفاقيات النى تضر بالسيادة المصرية العثمانية في السودان لكنه استنجد فرنسا لما يكنه من عاطفة لها ؛ متوهما أنها لن تضحي بمصر في سبيل أطماعها وكان الأجدر بفرنسا أن تتحرك في الاتجاه المضاد •

للمزيد من المعلومات : د • محمد قزاد شكرى : مصر والسيادة على السودان ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ص ٦٠ - ٦٤ •

اللورد سالسبورى صراحة بعد بعض مناقشات تحديد أجل الانجلاء فغابت تركيا بذلك مرة فوق المراد الأخرى .

واذ لم يسر الانكليز من عدم استيلائهم على مصر تماما عما كسبت انكلترا الدولة العلية فى كل جهة بعد رفض اتفاقية السير دورمندولف .

ففى يونيه عام ١٨٨٩ ذهب الى جزيرة كريد انكليزى ذو دسائس اسمه (ستيلمان) أحد مكاتبى جريدة التيمس ، وأهاج سكان كريد ضد الباب العالى ، واعدوا اياهم مساعدا انكلترا ، وفى ١٦ يوليو من السنة نفسها قال اللورد سالسبورى فى خطاب ألقاه فى وليمة بلندن أن فصل كريد عن الدولة التركية من الأمور الجائز وقوعها ، فأحدثت أقواله تأثيرها المرغوب ، وحدثت معارك عديدة بين المسلمين والمسيحيين ، ولولا أن المشير شاكر باشا جاء معيدا للسكينة بنشاطه وحمته لاستمر الهيجان زمانا طويلا .

وبعد كريد أهاج الانكليز اليمن (١) ، فإن لهم فيها صديقا لا يخالف لهم أمرا اسمه محمد بن حميد الدين ، وهو رئيس قبيلة من العرب وله نفوذ عظيم ، وما أوحى

(١) حرص الاتراك على بقائهم فى اليمن ، ففى ذلك تعزيز لبقائهم بالحجاز علاوة على الجزء الجنوبى من ممتلكاتهم ، ولذا اتبعوا سياسة الحكم المركزى فى ادارة شئون هذه الولاية حتى يحكموا قبضتهم غير أن تلك السياسة اصطدمت بطبيعة الشعب اليمنى القبلية ، علاوة على ضعف الدولة العثمانية وعدم القدرة على تنقيط سياستها فى تلك الاراضى الجبلية الوعرة . وفى ذلك الوقت بدأت المساوئ المتيرة للتنافر من جانب الولاة العثمانيين ، من ذلك ما يرويه المؤرخ اليمنى « الواسمى » عن اشتداد الظلم واستحلال المحرمات ، وترك ما أمر الله به من الواجبات وارتكاب المعاصى مثل شرب الخمر ، وبلغ سوء الادارة الى الاعتداء على الحريم فى بعض الأحيان ونهب المنازل ولا مبالاة الموظفين العثمانيين . ولا يمكن انكار الخلاف المذهبى بين اليمنيين الزيديين والعثمانيين السنيين والتجاء هؤلاء الى القوانين وحرر أحكام الشريعة ، فكان ذلك مدعاة لاستقلال الأئمة الزيديين ، وقيادتهم للثورة ضد الاتراك .

واذا كان الحديث عن الثورة والأحداث الكبرى التى جرت باليمن ١٨٩٠ - ١٨٩٢ فانه علاوة على ما سبق هناك حقائق لا يمكن تجاهلها :

الأولى : لم تكن ثورة اليمن عملا مفاجئا للدولة العثمانية ، فقد حدث أن نشب نزاع بين حاكم ذمار التركى محمد رشدى باشا وبين أحد رؤساء القبائل اليمنية بالقرب من هذه المدينة بسبب الضرائب . الثانية : كانت حكومة اليمن العثمانية تدفع إعانات مالية لبعض السلاطين والمشايخ تتضمن الإعلاء ، ومثل ذلك فعلت بريطانيا والتى لم يكن هدفها معروفا لدى الاتراك ، وإن كان مرجعا تأمين توافلها التجارية بين عدن الى بقية أجزاء اليمن من عدوان القبائل أو على الأقل مهادنة تلك المنطقة .

الثالثة : وجد بعض الولاة العثمانيين المصلحين أمثال عثمان نورى باشا الذى تولى الحكم سنة ١٨٩٠ ومنع الرشوة الأمر الذى أحدث تأمرا عليه وبالتالي عزله مما أساء اليمنيين وخلفه اسماعيل حلى باشا ، وكانما العوامل قد جاءت معا ، ففى الوقت نفسه توفى الامام الزيدى الهادى شرف الدين فى مدينة صنعاء وتولى من بعده الامام المنصور بن يحيى حميد الدين . ويبدو أن القبائل اليمنية التى بايعت المنصور بالامامة ١٨٩٠ قد توسموا فى دعوته الفرج عما حل بهم خاصة وأنه تعرض من قبل للاضطهاد واعتقل فى عهد الوالى مصطفى عاصم باشا ، مع زمرة من العلماء .

له الانكليز بالهيجان حتى هاج وصار العصيان فى بلاد اليمن عاما ، ولم تخمد ناره الا فى عام ١٨٩١ ، ومن ذلك العهد صارت الاضطرابات فى اليمن ثانوية كما هى فى كريد .

وفى ابان نورة اليمن هذه بذل الانكليز جهدهم فى الاستيلاء مرة على شاطىء « فو » الكائن على مبيع نهر « شاة العرب » ومرة أخرى على جزيرة « سيجرى » بالقرب من « متلين » .

ولما لم تفلح مساعيهم فى كريد واليمن أعدوا من عهد بعيد مسئلة أرمينيا ، فمن عام ١٨٨٩ ، استغلت الدسائس الانكليزية فى آسيا الصغرى واليوم نراها عيانا ، ولقد كبرت المسائل الأرمينية التى لم تبلغ من العمر الا ست سنين ، ومنشؤوها يكبرونها بمهارة خاصة بهم ، فلا يغفلون آونة عن التهكم على الدولة العلية وسبها بمناسبة هذه المسئلة ولا يقصرون لحظة عن أن يظهروا لدولنا عداهم لها .



يظهر اذن جليا أن كل حوادث هذه الشمانية عشر عاما من تاريخ تركيا تعارض

= ذهب الامام المنصور الى صعدة فاجمع به العلماء والأعيان وبايموه ثم وضع يده على ما كان قد جمعه شرف الدين لبيت المال استعدادا لبدء الحرب مع العثمانيين ، وانتقل الى جبل الاصنوم فى عام ١٨٩٠ ومنه أخذ يرسل رجاله وأتباعه الى جميع الجهات ليث الدعوة ودعوة القبائل الى حرب الأتراك . وعندما علم السلطان عبد الحميد رأى أن يتبع الأسلوب الدبلوماسى فكتب الى الامام يدعو له للكف على اراقة الدماء ويرهبه ويفريه براتب شهرى ومرتبة عظيمة . غير أن القبائل اتجهت الى محاصرة صنعاء فى ١٨٩١ بعد أن سيطرت على حصون ظفير حجة ، مسور ، الشرف ، يريم ، ذمار ، حفاش ، ملحان ، الروضة وغيرها ، وهزم الأتراك فى بلاد الشرق بل قتل قائد الحامية التركية ويدعى محمد عارف ، وكان لذلك أثره فى نفوس الأتراك .

وفى محاولة للإصلاح أوفد السلطان أحد رجال الدولة هو « نامق بك » سنة ١٨٩٢ . غير أن زيارته انتهت وأعادت الدولة العثمانية لنفس الغرض بعثة أخرى من أربعة عشر رجلا للوقوف على أسباب الثورة ، غير أن شيئا لم يأت بنتيجة أفضل ، بل ان الوالى التركى أحمد فيضى باشا ازداد فى الظلم ، الى أن تم حصار صنعاء وفشلت القوات التركية فى أول الأمر فى رفعه ، الى أن تمكن أحمد فيضى من اجلاء الثائرين وانهاء الثورة عام ١٨٩٢ .

وتجدر الإشارة الى أن الكاتب الانجليزى هاريس Harris زار اليمن فى أثناء الثورة عام ١٨٩٢ وقبض عليه وعلى خدمه وألقى بهم فى السجن وعدهم الأتراك جواسيس رغم جوازات السفر وأطلق سراحه بعد مرضه الشديد بالحمى ورايهم التخلص منه حيا . ويروى هاريس أن عددا من الأتراك أكد له أن الحكومة البريطانية فى عدن كانت تمد الثوار اليمنيين بالأسلحة والمساعدات لمحاربتهم ، وبالطبع فى محاولة منه للدفاع أوضح أن الأسلحة كانت تهرب الى اليمن من أبوك - الميناء الفرنسى المواجه لسواحل اليمن بواسطة التجار والمغامرين .

للمزيد : أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢٦٥ .

السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ١٩٠٧ - ١٩٤٨ ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣٤ - ٥٦

فاروق عثمان أباطة : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨ ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٢٩ - ١٤٢ .

ضد سياسة العزلة وبعبارة أصبح سياسة الانصياع لانكلترا ، وأنها الى الأبد ممقوته
هذه السياسة الضارة .

وان الحالة الحالية للدولة العلية تدعو جلالة الله لظان الى الدخول في اتحاد
يكون له منه قوة وفائدة . فلكي ينجو من تقسيم ملكه الساعية اليه انكلترا يجب أن
يدخل في الاتحاد الثلاثي أو في الاتحاد الفرنسي الروسي ، ولا يوجد شك ما في
أمر الاختيار .

وليس هناك لألمانيا والنمسا مصالح متحدة مع مصالح التركية وإيطاليا ، تهدى
انكلترا وتهدد دائما أبدا الباب العالي بالاستيلاء على طرابلس كما استولت
على مصوع وكسلا .

أما فرنسا والروسيا فصوالحهما في كل مكان قاضية بالمحافظة على حقوق
جلالة السلطان وليس لهما صالح مناقض لصوالح تركيا ، ولهما مع القسم الأعظم
من المسلمين علائق دائمية ومحتاجتان الى البقاء الى الأبد في سلام مع العالم الاسلامي .

ولا يوجد على الأرض مسلم واحد يستطيع انكار هذه الحقائق ، ولكننا ربما
اعترض بعض الناس بنية سليمة على اتحاد تركيا مع فرنسا والروسيا بأن هذه
دولة الأخيرة كانت في أزمنة كثيرة عدوة للدولة العثمانية ، فأحيب على هذا
الاعتراض : نعم حاربت روسيا تركيا ، وكانت عدوة لها ولكنها كانت عدوة صريحة
ظاهرة معلنة عداها وانتهت عداوتها بالامضاء على المعاهدة المقررة انتهاء الحرب .
ولكن انكلترا التي يجب أن يتألف التحالف ضدها كانت دائما عدوة في زى صديقة
فكانت أدنى الأعداء الى الدولة وأشداهم خطرا عليها ، من غير أن تقيم سلاحا في
وجهنا وقهرتنا كثيرا بالمكر والدسائس ، أما الروس فلم يجرحونا الا في براز .

وفضلا عن ذلك فان الروس والترك لهم أن يشبكوا من انكلترا خصيمنتهم
المشتركة ، فان من صالحها أن تراهما في شقاق ، ولفائدتها في الهند وفي آسيا
الصغرى دفعتهما دائما ضد بعضهما ، واذ أدركوا اليوم أعمالهما المضرّة المحزنة
فليتحدوا ضدها .

فلنكن اذا ذوى صراحة الضمائر ولنجب صوت السرائر ولنبدل كن قوانا
لتحقيق التحالف مع الدولتين الحبيبتين فان تحالفا كهذا يكون أقوى التحالفات وينتج
عنه تحرير مصر ونهضة تركيا ، وأخيرا الاتفاق الأبدى بين المسلمين والمسيحيين .

فليمد جلالة السلطان يده الى فرنسا والروسيا ، وليتحقق هذا التحالف .
فانه اذا تحقق كان ضمانا عظمى للسلام العام . ويرضى به ولا شك تمام الرضى
مسلمو الأرض الذين قلبت انكلترا أحوالهم وأصبحوا في أشد الحاجة للطمأنينة
والسلام .

حديث لجريدة الجولوا ★

سأل المراسل مصطفى كامل :

١ - هل فى قدرة مصر اذا رحل عنها الاحتلال أن تدير شؤونها بنفسها كما يديرها الأجانب الآن ؟

٢ - وما هى الضمانة التى تقدمها مصر للدائنين محافظة على ديونهم اذا انجلى الانكليز عنها ؟

٣ - وما هى طرق الاصلاح التى يريد المصريون سلوكها اذا سلمت اليهم مقاليد الأمور ؟

وكانت اجابته كالآتى :

« انك سألتنى أولا عن أمر أدهشنى كثيرا لأنك تعرف مثلى أنه يكفى لاستقامة الاعمال فى أى بلد أن يكون مديرو دفتها مخلصين لها حاملين لرؤوس استقت من موارد العلم الصحيح وهذا هو الحال فى مصر ، فان ما غرسته فرنسا من بذور العلم فى بلادنا سواء بواسطة أساتذتها الذين توظفوا فى مدارسنا أو بواسطة مدارسها التى علمت ارسالياتنا السنوية العديدة قد أخرج رجالا يعدون الآن بالآلاف وفيهم القانونى والمهندس والحكيم والصيلى فضلا عن الكثيرين من ضباط الأركان الحرب الذين تعلموا تعليما كبيرا عاليا سواء فى أوروبا أو فى مصر »

وانى أؤكد لك أن الاحتلال وغلطاته علمتنا كيف نصلح ما أفسده الدهر علينا ، ويكفى أن تقرأ تاريخ دى فوجانى وغيره ممن كتبوا عن مصر الحديثة لتعرف كيف أن فى مصر جيوشا من الرؤوس العامرة والقلوب الوطنية الحكيمة المخلصة وتحكم معى بأن مصر قادرة فى كل وقت أن تحكم نفسها .

(١) حديث صحفى لمصطفى كامل أجرته معه كل من صحيفتى الجولوا والجرنال الفرنسيتين ، (على فهمى كامل / مصطفى كامل ٣٤ ربيعا ، ج ٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٧) .

واننا يا جناب المحرر اذا كنا نسينغيث بأوروبا لتجبر انكلترا على تحقيق وعودها وعهودها فما ذلك الا لاننا نخاف كثيرا أن ينقرض مع هذا الاحتلال الجليل الذى تعلم تعليما صحيحا فى مدارسكم ، أو على أيدي معلمكم ، ولا نجد من يقوم مقامهم من الذين يتعلمون اليوم تعليما انكليزيا .

وانى أؤكد لك مرة أخرى أن الانكليز فى مصر ليسوا الا هادمين لبنيانكم الأدبى مدبرين كل حصن علمى مطلقين كل نور يستعين به المصريون على كشف مساوئهم .

أما السؤال الثانى وهو الضمانة التى تقدمها مصر للدائنين اذا رحل الانكليز من ديارنا فهى أكبر من الضمانة التى يقدمها الانكليز اليوم لأنهم ألغوا المراقبة التناثية ليتمكنوا من التصرف كيفما شاءت أهواءهم ، ومآربهم بأموال البلاد (١) .

أما نحن فنقبل كل مراقبة دولية على ديون مصر ، والجزء الذى يخصها من ميزانية البلاد ، ويكفى فى ذلك وضع الثقة بأعضاء صندوق الدين الذين يمتثلون الدائنين أحسن تمثيل (٢) .

(١) اتجهت الأذهان فى أثناء النزاع الذى نشب بين الوزارة والمراقبة من جهة والديون والوزارة من جهة أخرى ، وظهور الشعور القومى فى الثورة العربية الى إلغاء نظام المراقبة واستبداله بنظام آخر . ولا حضر اللورد دوفرين الى مصر ، قدم الى حكومته اقتراحا بإلغاء المراقبة التناثية والاكفاء بمراقب انجليزى ، وفعل قبل هذا الاقتراح والقيت هذه المراقبة بأمر عال فى ١٨ يناير ١٨٨٣ على الرغم من معارضة فرنسا وعين السير اوكلند كولفن مستشارا ماليا للحكومة المصرية . على أن يختص بالاشرف على المصالح المالية بوجه عام ، ويكون له نفس الاختصاصات التى كانت للمراقبين وله حق حضور جلسات مجلس النظار . وبذلك أصبحت المراقبة المالية تحت النفوذ الانجليزى ، ونظم اللورد دوفرين الادارة المالية على هذا الأساس . ولا ريب أنه لم تلغ المراقبة الأجنبية بإلغاء المراقبة التناثية ، وانما استبدلت بمراقبة فردية . على أن تقوم بها الحكومة الانجليزية فى شخص المستشار المالى الذى أصبح فى نطاق عمله ما كان للمراقبين مما من اختصاصات ، وقد تخلصت انجلترا من فرنسا بهذا الإلغاء الذى كانت تعارض فيه لأنه يحرمها - بطبيعة الحال - من حق الاشتراك مع انجلترا فى الاشتراك الفعلى على شئون البلاد ، بينما رأت انجلترا أن تسنأثر لنفسها بهذا ، والواقع أن وجود هذه المراقبة يعد الاحتلال لم يكن له ما يبرره حيث أن هذا الوجود لم يكن فى الحقيقة الا استمرارا لحكم حملة السندات الذى بدأ فى سنة ١٨٧٦ ، ولكن مع هذا الفارق الجوهرى وهو أن نظام المراقبة لم يكن ماليا فحسب بل اتخذ شكلا سياسيا .

ولنرى قول « السير شاول ولكى » وكيل وزارة الخارجية سابقا فى مجلس العموم سنة ١٨٨٣ « انه كانت ثمة مراقبتان ثنائيتان الأولى التى أنشأها اللورد دربي وساليسبورى والثانية التى حمل عليها خطباء الأحرار حملة شعواء وفيها حرمت الحكومة حق عزل المراقبين وفيها تغفل التدخل الأجنبى . (أحمد صادق موسى : مرجع سابق ط ١ ، ص ١٥٠ - ١٥٢) .

(٢) امتنعت الحكومة الانجليزية عن تعيين مندوب لها فى صندوق الدين ولم يكن فيه الكفاية لضمان مصالح الدائنين على حين رضيت فرنسا وكان مندوبها دى بلنير De Bligneres واختارت النمسا فون كيرمر Kermer وإيطاليا السنيور بارافيللي Baravelli وهاهرت انجلترا أن من الواجب وضع تسوية أخرى والواقع كانت ترمى الى وضع نظام يمكنها من =

وأما طرق الإصلاح التي تقوم بها متى سلمت اليها الأحوال فهي لا يخرج عن طرق الإصلاح في أية مملكة راقية فتنشر العلم بأسهل الطرق ونوفد البعثات الى أوروبا ، ونعزز الصناعة والتجارة بما نشد به أزر الزراعة ، وكذلك نضع حد لفوضى الفوانين التي أصبحت حليطا من نظريات عقيمة لا تصلح لأحقر أمة في الوجود . . . الى غير ذلك من الإصلاحات التي تكون رسل خير بين العباد ومن البواعث على خدمة الانسانية . .

« ان(*) العالم كله متفق على أن الافضل لكل قطعة من الأرض أن تكون مملوكة قوية في ذاتها عوضا عن تجزئتها الى جملة مما لك ضئيلة ضعيفة كذلك الحال في الدولة العلية فإنها دولة قوية بتهادة العدو والصديق ولكن اليد السياسية الدولية التي لا يستريح لها بال الا بمشاغبات دولتنا المنصورة تغش بعض سكانها من المسيحيين وتدفعهم الى مناوأة حكومتهم وسلطانهم باسم الاستقلال الموهوم فينشأ عن ذلك اراقة الدماء وخطف الأرواح .

وهذه اليد هي يد انكليزية قامت لتشغل أوروبا عن مسئلة مصر ، فحركت بك الجماعة التي ظلت من حيث طمعت في ملك كبير وسلطان عظيم .

واني لا أشك في أن العالم كله سيقف على حقيقة السياسة الانكليزية التي لا يخرج تاريخها في كل أطوارها عن الدسائس ونصب الاشرار لكل الدولة على السواء وكيف لا وهي السياسة التي تجد الشرف في كل حيلة بها تصل الى نيل بغيتها ولو احمر وجه البسيطة من دماء البشر لتملك بيتا واحدا .

وانه يدهشنا كثيرا موافقة الدول لانكلترا في كل عمل يريد القيام به ضد الدولة العلية ، وهن لا يفتن لثري هذه الحركة وهم معتمدو انكلترا وقناصلها في الخارج الذين يثيرون الجواطر بكل الوسائل ثم يحتالون على معتمدى وقناصل الدول

= التدخل العملي في ادارة الحكومة المصرية ولكي يهد الى هذا اوفدت الى فرنسا أحد أعضاء البرلمان الانكليزي وهو مستر جوشن Gochen وجاء معه جوبير الى الحديو في أكتوبر ١٨٧٦ لعرض مطالب الدائنين وتدخل اللورد فيفيان Vivian فنصل انكلترا والبارون دي ميشيل Michels فنصل فرنسا ، فتم الضغط على الحديو الذي كان رافضا ، وصدر مرسوم ١٨ نوفمبر ١٩٨٦ قضى بفرض الرقابة الأجنبية وأن يتولاها مرافبان بوظيفة مفتشين عموميين أحدهما انجليزى لرقابة الإيرادات العامة ، والآخر فرنسى لرقابة المصروفات . وقضت المادتان ٦ ، ١٨ من مرسوم ١٨ نوفمبر ١٨٧٦ على بقاء صندوق الدين هيئة دائمة الى أن يسدد كامل الدين العام ، ولأعضائه أن ينسلموا الإيرادات المخصصة لاستهلاك الدين ويرسلوها رأسا الى بنكي انكلترا وفرنسا ويكون تعيين أعضاء صندوق الدين بناء على طلب حكوماتهم .

عبد الرحمن الرافعي : عصر اسماعيل . ج ٢ ، القاهرة ١٩٣٢ ، ص ص ٧٢ - ٧٨ .

(*) جاءت اجابة من مصطفى كامل عن سؤال حول المسألة الارمنية لصحيفة الجورنال الفرنسية ، عن : على فهمي كامل : مصطفى كامل في ٣٤ ربيعا ، ج ٣ ص ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

الأخرى فيرينتون لهم الباطل حقا والحق باطلا . وهؤلاء يبعنون بنقاريهم السريعة
التي لو نليت على جماد لذاب من هول الافصاح بأبشع عبارة ضد الدولة العلية والدول
لا تتواني اذا في ارسال أساطيلها عقب انذاراتها المتكررة .

فاذا أرادت أوروبا أن تسنريح من هذه الممابع فلتعرف كل دولة مركزها بازا،
الأخرى ، ولتتخذ التاريخ عبرة وتحترم شعور بلانمائة مليون من الأنفس . فلا تتعدى
بلا حق على دولة لا ذنب لها ، الا أنها اسلامية وعرضة لدسائس انكلترا .

الوزارة الفرنسية الجديدة ★

لما سقطت وزارة المسيو ريبو اجتمع رئيس الجمهورية الفرنسية برئيسى مجلس النواب والشيوخ وبرؤساء الأحزاب ذات الشأن ليستشيرهم فى أمر تشكيل الوزارة ، فأشار عليه المتطرفون والمعتدلون معا بتشكيل وزارة من المتطرفين برئاسة المسيو بورجوا فعمل الرئيس بما أشاروا به وكلف المسيو ليو بورجوا بتشكيل الوزارة فشكلت متطرفة محضة وألقى رئيسها بالأمس خطابه الافتتاحى مبينا فيه سياسة وزرائه الجديدة وقد آن أن نبحث فى هذا الخطاب ووقعه عند النواب .

نذكر للقراء لماذا أجمعت الأحزاب على تشكيل وزارة متطرفة عندما سقطت وزارة المسيو ريبو عقب المناقشة فى مسألة سكة حديد الجنوب فالاشتراكيون والمتطرفون والمتحدون (وهم الذين لم يكونوا جمهوريين ثم رضوا بالجمهورية) طلبوا تشكيل وزارة متطرفة لأنهم لم يفلحوا مع الجمهوريين المعتدلين ، ولم يستطيعوا تنفيذ مطالبهم ، فضلا عن أنهم أعداء لهم آلداء وسقوط الوزارة الأخيرة كغيرها من الوزارات لم يكن الا لتحزب هاته الفئات المختلفة ضد حزب الوسط (أى حزب المعتدلين) وانضمام حزب اليمين (حزب الملكيين) اليها .

أما الجمهوريون المعتدلون فقد طلبوا من رئيس الجمهورية تشكيل وزارة من المتطرفين لأنهم لما رأوا أن رجال هذا الحزب يسعون دائما فى اسقاط الوزارة المشككة من حزبهم أرادوا أن ينتقموا ويسقطوا وزارتهم الراديكالية ، وبذلك يبرهنون لهم وللأمة الفرنسية كلها على أنهم وحدهم القادرون على تولى الأحكام وان غيرهم اشتراكيا كان أو متطرفا لا يستطيع مجاراتهم ، وإدارة الأمور مثلهم فلذلك ألحوا كثيرا على المسيو فليكس فور الذى اقترح المتطرفون ضده فى انتخابه رئيسا للجمهورية أن يشكل منهم وزارة تقضى بنفسها على حزبها .

وما تشكلت وزارة المسيو بورجوا حتى رأينا الجرائد جميعا تندد بها وتندر

(★) مقالة نشرت بجريدة الأهرام اليومية بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٨٩٥ بمناسبة الازمة الوزارية الفرنسية .

- بغرب سقوطها ويعللون هنا هذه النبوة السياسية بتلانة أسباب :
- أولا :** حضور النواب المعتدلين الذين كانوا منغيبين عن المجلس .
- ثانيا :** وجود المسيو كافينياك في وزارة الحربية .
- ثالثا :** عدم رضى المسيو هانونو بالوجود مع وزراء اليوم .

وعلى ذلك لا يبعد أن تحدث قريبا أزمة وزارية في فرنسا نسلم بعدها الأحكام للمعتدلين كذى قبل ، والجفاء الذى أظهره بالأمس حزبا الوسط واليمين للوزارة عند قراءة رئيسها خطة سيره يدل على ذلك . والذى يحمل الكثيرين من الكتاب على القول بأن عمر هذه الوزارة لا يتجاوز الشهر هو أن حزب اليمين يبغض المتطرفين أكثر من بغضه المعتدلين فينضم هذا الحزب الى حزب المعتدلين الذى يزيد عدد أعضائه عن نصف أعضاء المجلس بنحو ٤٠ نائبا .

والمسائل الأصلية التى جاء بها خطاب المسيو بورجوا هي مشكلة سكة حديد الجنوب والحجر على النواب من الدخول فى شركات مالية ومناقشة الاختصاص فى المرافعات بعضهم بعضا ونشر التحقيقات القضائية والاقتراع على الميزانية قبل آخر العام ومشكلة الضرائب التدريجية وتعديل الضرائب على المشروعات الروحية والمحصولات ، وسن قوانين خاصة بالعمال وحرية الشركات ومشروع انشاء جيش استعماري وأخيرا المحافظة على الروابط القوية التى تربط فرنسا بحلبعتها روسيا « (١) » .

ولا غرو اذا كانت مشكلة سكة حديد الجنوب هي المشكلة التى لفتت الأنظار أكثر من غيرها ، اذ بسببها سقطت وزارة المسيو ريبو وبها بدأ المسيو بورجوا خطابه الذى قل فيه : « أيها السادة : أن اقتراع مجلس النواب فى جلسته الأخيرة أوجد أمام الرأى العام مشكلة يجب أن يجيب عليها أولا من دعتهم ثقة رئيس الجمهورية الى حكومة البلاد » ، ولذلك فانا نطبع أمر المجلس بإجراء تحقيقات تكميلية فى هذه المشكلة التى اقترح عليها أخيرا (أى مشكلة سكة حديد الجنوب) ومهما كانت نتائج هذه التحقيقات فانا ننشرها بتمامها لنسمح بذلك للمجلس أن يحكم حكمه السياسى والأدبى على الأمور التى يظهرها التحقيق » .

(١) كانت السياسة الروسية تميل الى فرنسا وأن تأجل اعلان هذا الميل عشرون عاما لحرا لموقف بسمارك العدائى لفرنسا ، وقد ظهر هذا الوفاء جليا بعد وفاء بسمارك سنة ١٨٩٠ ، بعد أن تعرضت المصالح الروسية فى الشرق للخطر فضلا عن حاجتها الى المال ، أما فرنسا فكان لمزلتها وحاجتها الى المونة أكثر دافع لاتمام هذا التحالف ، وفى أغسطس ١٨٩١ أعلنت المخطوط العامة للاتفاق الودى بينهما ، وتبادل الرأى فى أى قضية تهدد السلام خاصة اذا تعرضت احدهما للتهديد أو العدوان ، وفى ٢٧ ديسمبر ١٨٩٣ ألتق بهذا الاتفاق ميثاق عسكري يخلص فى اتفاق روسيا على مساعدة فرنسا لها اذا هاجمتها ألمانيا أو النمسا والمجر ، وكذلك غطت فرنسا القروض الروسية فى باريس ، ووصح هذا التحالف جليا فى سنة ١٨٩٥ حين وقف الحالف الثنائى (روسيا وفرنسا) وجها لوحه أمام التحالف الثلاثى (ألمانيا والنمسا وإيطاليا) .

١٠ ج جرانث ، هارولد تمرلى : أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ترجمة محمد على أبو درة ج ٢ ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ص ٧١ - ٧٢ .

ومن هذا التصريح الوزاري أن المتهمين في مسألة سكة حديد الجنوب لا نثبت عليهم تهمة الا اذا أمر المجلس بعد مطالعة أوراق القضية بمحاكمتهم وقضى عليهم القضاء بما ينسبونه اليهم .

ولم يكن في استطاعة وزارة المسيو بوجوا محاكمة النواب المتهمين في هذه المسألة قبل أن يصدر المجلس أمره بذلك لأنه لا قانون يسوغ محاكمة نائب من النواب قبل تصديق المجلس ولا قانون هناك يحجر على النواب الدخول في شركات مالية وما ينسبونه للمسيو أتين وروش وروفيه ودلونكل والآخريين هو أنهم كانوا أعضاء في شركات فرعية من شركة سكة حديد الجنوب وأنهم لم ينقدوا المبالغ التي نقدوها الا لأنهم نواب ذوو كلمة ونفوذ لا لأنهم أعضاء في الشركات يستحقون هذه المبالغ مقابل أعمالهم وأتعابهم .

فوجه التهمة هو أنهم استعملوا نفوذهم في المجلس ، ولدى الحكومة في عقد شروط مضرة بصالح الحكومة وموافقة لصالح الشركة ، وعما قليل تلبس هذه المسئلة الغريبة نوبها الحقيقي ويكشف عنها الستار .

ولابد أن جرائم الاحتلال (*) في مصر انتهزت الفرصة ونددت بالوطنيين العاملين على تحرير بلادهم من النير الانكليزي الثقيل قائلة كعادتها أن المسئلة المصرية قبرت الى الأبد وأن المسيو دلونكل نصيرها الوحيد تلتطخ بالتهم ، فلم يعد لها في أوروبا معضد ولا نصير ، وقد كان بالأمس يشتري (ولست أدري بأى مال) الجرائد الروسية والألمانية والفرنساوية .

ولسنا في حاجة لأن نجيبها على هذه الأقوال الساقطة اذ كل عاقل يعلم أن المسيو دلونكل هو نائب من النواب الذين تهمهم مسألة مصر وأن المصريين اذا كانوا احتراموه وأكرموه فلم يقوموا الا بواجب تفرضه عليهم الوطنية الحققة .

وسواء ثبتت على المسيو دلونكل تهمة سكة حديد الجنوب ، أو لم تثبت فلا ضرر على مسألة مصر التي ان فقدت نصيرا واحدا وجدت بدله أنصارا وان عدت واحدا فلم تعدم آلافا .

ولا تعجب اذا كان الانكليز وحدهم هم الباكون غدا على ما أصاب المسيو دلونكل لأنهم كانوا يستعملون اسمه للقضاء على كل ما يعمل في مصلحة مصر ، فان كتب كاتب عن مصر ، قالوا عنه أنه مأجور للمسيو دلونكل وان خطب خطيب قالوا الخطابة كتبها المسيو دلونكل حتى عندما تأسس حزب مصر لم يستحيوا أن يقولوا عنه حزب دلونكل مع أن المسيو دلونكل ليس الا عضوا كسائر الأعضاء .

(١) يقصد صحيفة المقطم .

وبالجملة أن أقوال الجرائد الانكليز هديان في هديان ، وأجمل جواب يجيب به
المصريون على أكاذيبها هو ولأبدع قول فيكتور هوجو شاعر فرنسا الشهير وفيلسوفها
الكبير : « ان للحقيقة الحرية مزية خاصة بهما وهي أن من يعمل لهما أو ضدهما
يخدمهما على السواء » والسلام .

في الحملة الدنقلية ★

كلا وألف مرة كلا ، يعلم المصريون اليوم ان انكلترا لا تريد بارسال الجنود المصرية في السودان الا اطالة أمد الاحتلال الانكليزي اطالة لا نهاية لها ، فهم سيكون أبنائهم واخوانهم الذين سيضحون في سبيل تحقيق مقاصد الانكليز وليس بكاؤهم لأقاربهم عن ضعف في قلوبهم أو عن جبن . بل بالعكس كان المصريون يعدون أنفسهم سعداء لو كان أبناء الوطن ذاهبين لأن يكتبوا بدمائهم صحيفة فخر وصجد نصر ، ويردوا « لمصر المصريين » لا « لمصر الانكليز » الأراضي المفقودة ، ولكن المصريين تعلموا من التجريدات التعسة لعام ١٨٨٣ و ١٨٨٤ و ١٨٨٥ (١) أن أقاربهم حاربوا ويحاربون السودانيون لمصلحة انكلترا ليس الا .

(★) نشر بجريدة (الاكلير) الباريسية بتاريخ ٧ أبريل ١٨٩٦ ، وهو اجابة على كتاب مدير الجريدة ، يسأله الراي في حملة دنقلة .

(١) ١ - أزاء تزايد خطورة الموقف وحرص بريطانيا على عدم التورط في عمليات عسكرية في السودان ، اتسمت السياسة البريطانية بالمدر الشديد وبعد مكاتبات شريف باشا وجرانفيل ، وافقت الحكومة البريطانية في ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ على تعيين الكولونيل وليام هيكس رئيسا لأركان حرب الجيش في السودان وكانت مهمته اخماد الثورة المهدية في سنار .

ومن ثم كانت النجريدة الأولى لعام ١٨٨٣ التي ناءت بالعشل حيث أبيدت قوات كردفان وانتشرت الثورة في السودان ولقي هيكس حتفه في ٥ نوفمبر ١٨٨٣ في شيكاو وجميع الضباط .

ب - أحست بريطانيا بضرورة اسداء النصح باخلاء السودان فاستقال على اثرها شريف باشا وتولى نوبار باشا في ١٠ يناير ١٨٨٤ ، ووقع الاخيار على الجنرال غوردون لتنفيذ سياسة الاخلاء التي اختلف المهوم حول طبيعتها ، بينه وبين الحكومنين البريطانية والمصرية أنها تقريرية استشارية أم استشارية تنفيذية ، وفي ٢٦ يناير ١٨٨٤ كان فرمان الحديو بتعيينه حكمدارا للسودان ، ولم ينتجع غوردون في كسب جانب المهديين ، بل ازدادت انتصاراتهم ، وتوالى هزائم غوردون .

ج - وفي عام ١٨٨٥ جاءت بدايته مع ارسال حملة الانتقاذ بقيادة السير جانت ولسلي Sir Garnet Woisely (ثم تجريدة أخرى تحت أمرة السير هربرت ستيورات H. Stewart) وقتل هذا الأخير في قرية هبة قرب أبي حمد في ١٨ سبتمبر ١٨٨٤ ، ومنذ ٢٧ يناير ١٨٨٥ ، كان الحصار الشديد مؤذنا بسقوط الخرطوم ، ثم قتل غوردون ورفاقه ، وتم اخلاء دنقلة بواسطة الجنرال ولسلي في ٥ يوليو ١٨٨٥ .

ويقول الناس كافة هنا أنه ليس ببعيد عن ذهن الانكليز أن يكون المقصد من الحملة ابادة الجيش المصرى والاضطرار عندئذ لانشاء جيش جديد مما يحتاج لأعوام وأعوام .

والذى يزيد هذه الفكرة قوة ويحمل على قبولها هو ما يحس به المشتغلون بالسياسة فى مصر ، من أن انكلترا تفتح باب المسئلة السودانية عندما تطالبها أوروبا - وفرنسا على رأسها - بالجلء عن مصر .

وبالاختصار أقول أن المصريين غير راضين بالجملة ويخافون أن تتخددع أوروبا أيضا هذه المرة ، والمصريون كافة يقولون اليوم ويكررون هذه العبارة : « أننا نريد حقا استرداد السودان ولكن قبل استرداد السودان نريد استرداد مصر نفسها » (١) .

كيف يسترجع السودان ؟ - لا يسترجع السودان بالحرب . ان السودانيين هم مسلمون متعصبون فى الدين ذوو صلابة وعناد ، ولم يقلوا ولن يقلوا أبدا أن تحكمهم انكلترا ، وأول نتيجة لجلء الانكليز عن مصر تكون استرداد السودان

= ثم وضعت قوات لحماية حدود مصر الجنوبية عند أسوان .
ثم خمدت الحركة المهدية بعد وفاة المهدي وانصراف خليفه التمايشى فى أمور أخرى ، وكانت حامية المطاف واصمة جتسى فى ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥ والتي حققت فيها القوات المصرية الانجليزية بضعة انتصارات .

وفى رأينا أن التجريدات كان ولا بد أن تبوء بالفشل ، إذ أن القوات المهدية اتخذت فى عملياتها طابعا عسكريا منظما مجهدا للقوات التى تحاربها ، وأيضا الموقف المالى المصرى كما أن بريطانيا كانت مشاركتها قاصرة على الضباط فقط ، وعدد قليل منهم ، بيد أن فشل الحملات كان دافعا قويا لاستمرار الاحتلال البريطانى لمصر بحجة وجود خطر من قبل المهدية .

د/ محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ، وحدة وادى النيل السياسية ١٨٢٠ - ١٨٩٩ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ص ٢٨٠ - ٣٧٠ .

(١) كانت مصر ترزح تحت الاحتلال البريطانى ، ومن ثم فممتلكاتها الخارجية ليس بإدارة مصرية خالصة ، أما من ناحية السودان فإن انكلترا أخذت من خطر الدراويش دعما لبقائها فى مصر ، وكانت سياستها نحو المهدية قائمة على الزام الدفاع ، وهى لا ترغب الإبادة التى تكلفها نفقات باهظة ، أو تدفعها الى الرحيل بعد زوال الخطر . الا أن الأسباب بدأت تتجمع لدى بريطانيا منها الرأى العام نفسه فى أعقاب الهزائم ، ثم اطمئنانها عن ذى قبل للاحتلال وتطلعها الى الكسب المتصايد من مصر ومن ثم فانهم المسئولون عن إخلاء السودان ، وفى مصر كانت حكومة رياض باشا (يونيو ١٨٨٨ - ١٨٩١) ترى ضرورة استرجاع دنقلة ، وكان السير فرنسيس جرنفل ١٨٨٥ - ١٨٩٢ سردار الجيش المصرى يقوم بتنظيمه وتدريبه . وفى السودان اندلعت الثورات الداخلية على عهد التمايشى ، وتساقطت الدول الأوربية على اقتطاع أجزاء من السودان ، وعلاوة على ما سبق انقردت بريطانيا بالعمل فى مصر بعد أن وضع نخل تركيا بعد اتفاقية دروموند وولف معها ، ومن ثم بدأ تفكيرها فى استرداد السودان ، وفى أعقاب مراسلة بارنيج (٢٧ مارس ١٨٠٩) وافق اللورد سالسبورى على العمليات العسكرية فى السودان ، وكان البدء احتلال طوكر فى فبراير ١٨٩١ ، ثم احتلال السودان بأكمله بعدئذ .

بلا حرب ، ويكفى أن يعلم السودانيون أن الانكليز قد تركوا وادي النيل ليعودوا
نحت راية مصر التي هي راية حلقة الاسلام .

وانا بمحاربتنا لهم اليوم نحملهم على أن يعنبرونا أصدقاء أوفياء لانكلترا ، وبذلك
لا يعنبروننا صدامين .

وقد أوضح هذه الحقيقة بكل صراحة الغازي مختار باشا (١) - وهو الرجل
العظيم الكفاءة في مثل هذه المسائل - في تقريره الذي كتبته في عام ١٨٨٦ عندما
أرسله الباب العالي بقصد نسوية مسئلة مصر مع السير درومندوولف .

وما هو مقصد انكلترا الحقيقي ؟ وماذا تكسب إيطاليا من هذه التجربة ؟
- لقد أحسنت انكلترا اختيار الفرصة ، فانها لما رأت إيطاليا مغلوبة النجاشي ظهرت
في الميدان وأعلنت رغبتها الكريمة في انقاذ إيطاليا . . . وكيف ذلك ؟ بتجريدة على
دققة (٢) ، ولكن كسلا لا تنفذ بواسطة دققة ، لأنه يلزم على الأقل مسيرة خمسين

(١) الغازي أحمد مختار باشا : كان المندوب السامي العثماني (مومسيير) المكلف بفحص المسألة
المصرية مع المندوب الانجليزي السير دروموند وولف منذ ٢٤ أكتوبر ١٨٨٥ ، وتحديد موعد الجلاء
وصل الى مصر في ٢٧ ديسمبر ١٨٨٥ وقدم تقريره الى الباب العالي في ١٤ مارس ١٨٨٦ ، وكان من رأيه
فيما يتعلق بالسودان ان اسرحاق دققة ضروري لقمع الثورة التي لازالت مشتتة بالرغم من وفاة
المهدي ، وان يكون القمع على يد جيش مصر ولا ينفع في قمعها جيش انجليزي أو جيش خليط من جنود
مصريين وانجليز ، وأن تكون دققة هي قاعدة الأعمال العسكرية المنتظرة ، وعارض وولف في مذكرة
تاريخ ٢٥ أبريل ١٨٨٦ في الأمور المتعلقة بالجيش وتنظيمه وزيادة عدده والاستغناء عن منصب السردار
بدعوى عز مصر عن تحمل أية زيادة في النفقات متعلقة بزيادة الجيش ، أو ما كان متعلقا باسترجاع
ونفلة حيث سياسة الحكومة البريطانية اخلاء السودان وجعل حدود مصر عند وادي حلفا .
(د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ١٨٢٠ - ١٨٩٩ ، ص ص ٤٣٠ - ٤٣١) .

(٢) تجربة دققة : كانت الأنظار المصرية والبريطانية تنطلق مما الى اسروداد السودان ، أم إيطاليا
فقد أخذت في التوسع في تلك الأراضي التي لا صاحب لها واستولت على كسلا ، الا ان نظرة الحكومة
الإيطالية تغيرت مع تولي وزارة السنيور دي روديني Di Rudini ومحاولة توفير النفقات
الحربية . عندئذ وقع الانجليز مع إيطاليا اتفاقا في ١٥ أبريل ١٨٩١ أهم ما جاء به اعتراف إيطاليا
بحقوق مصر على كسلا ، ونفوذا إيطاليا المؤقت عليها ، مما أدى الى التخلي مؤقتا عن مشروع اسروداد
دققة .

وفي يوليو ١٨٩٤ احتلت إيطاليا كسلا على غير ما ترحو بريطانيا ، وازداد خطر الدراويش فهددوا
الإيطاليين أنفسهم ، وكان التحالف بين متليك الثاني ، والحليفة عند الله النعاشي لقيام الحيشة والسودان
بعمل مشترك ضد إيطاليا . وحيث اقتراح أن تسير القوات في مظاهرة لارهاب الدراويش من سواكن
الى بربر . وأزاء الشائعات عن خطورة الموقف ، أدرك كرومر أن مجرد مظاهرة لن تحدي ، وفي ١٣
يناير اتضحت نيته في مساعدة إيطاليا ضد الدراويش . ولكن الصعوبة هي عدم موافقة الحكومة المصرية
على النفقات .

وفي فبراير ١٨٩٦ أخطرت إيطاليا بريطانيا بانها ستخلي كسلا ، وفي أول مارس ١٨٩٦ هزم
الأحاش إيطاليا هزيمة ساحقة في عدوة .

يوما للذهاب من كسلا الى دنقلة ، ولا تظن أبدا أن الدراويش يتركون كسلا ويسيرون خمسين يوما للمدافعة عن دنقلة ، وإذا كانت انكلترا تريد حقيقة خدمة إيطاليا كان يجب أن تسير النجريد من سواكن الى (بربر) التي هي أهم كثيرا من دنقلة والتي هي على بعد اثني عشر يوما من كسلا .

وعلى ذلك فلا تكسب إيطاليا شيئا من هذه النجريدة ، ومن الذي سيكسب اذا من كل ذلك ؟ انكلترا وحدها .

وحيث أن التجريدة سائرة فماذا يكون ؟ يكون ولا شك أحد أمرين : اما انتصار جنود مصر واما انهزامهم ، فان انتصروا فدنقلة تكون المحطة الاولى ، وانكلترا تظهر وقتئذ الحاجة للتقدم نحو الامام لاسترداد السودان كله . وان انهزموا تضطر انكلترا الى المدافعة عن مصر بنفس جنودها وتعمل لتنظيم جيش جديد ، الأمر الذي يؤجل في الحاليتين ميعاد الجلاء .

ولا تنس أن المال والرجال لازمان في الحالتين ، وعلى فرض أن صندوق الدين سيدفع الخمسمائة ألف جنيه المطلوبة ، منه فمن المستحيل أن يدفع فيما بعد غير ذلك مما يجبر انكلترا على أن تنفق من جيبتها الخاص ، الأمر الذي يزيد الأحوال تعقيدا .

أما من جهة الجنود ، فالجيش المصرى لا يكفى أبدا لقهر السودانين ، وانكلترا مضطرة لأن تكمل الفتوح بجنودها وهذا مما يزيد الأمور تعقيدا على تعقيد ، وينتج المشاكل فوق المشاكل .

= حينئذ ايجب الآراء الى ضرورة احتلال دنقلة الى سنتحمل مصر نفقاتها ، ومن ثم انتهت الخطة البريطانية الى الزحف عليها بدلا من اقتراح قيام مظاهرة عسكرية على سواكن ، وأصبحت وجهة النظر البريطانية الاحتفاظ بدنقلة . وأخر الحديث تحت ضغط كرومر - فى برقيته الى الباب العالي فى ٢٥ مارس أن الحملة من تقرير الحكومتين ، ونولى قيادتها السير هربرت كتشنر . ونحت الاتفاق الكامل لكرومر ، وتوالت الاسعارات حتى أخلى الدراويش دنقلة دون قتال فى ٢٣ سبتمبر ١٨٩٦ ، حيث احتلها الجيش الزاحف ، وأقيمت بها الحاميات ونظمت الإدارة ، ثم عاد كتشنر الى القاهرة فى ١٣ أكتوبر ١٨٩٦ ، رضى ١٥ أكتوبر ١٨٩٦ حلب تجريدة دنقلة .

ويلمح - علاوة على ما ورد بالمال - فسير اللورد سالسبورى للحملة فى كتابه الى اللورد كرومر فى ١٣ مارس ١٨٩٦ - أنه أراد قتل عصعورين : تحقيق امداد السيادة المصرية . ففضل الاحتلال عن التحرك من سواكن أو فى تجاه كسلا . ثم مع الدراويش من تحقيق أى انتصار .

ونرى أن أهداف بريطانيا الحقيقية أنها تحاول أن تقف أمام الأطماع الدولية التى ظهرت آنذ مثل الاطماع الفرنسية والإيطالية ، وبحكم احتلالها مصر يكون لها السيادة على تلك المناطق ، علاوة على أن التكاليف ثقل الميزانية المصرية المرهقة أساسا .

محدد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ - ٤٥٧ .

ومن ذلك كله ترى أن الحملة السودانية تعسفة مشؤومة ، والحقن العظيم الذى يتظاهر به المصريون الآن ضد الاحتلال ليس فى غير موضعه .

وقبل الختام أذكر لك أمرا غريبا ، وهو أن انكلترا تدعى أمام أوروبا أنها ذاهبة - الى السودان لنصرة ايطاليا وتوعز هنا لوزراء مصر أن يجيبوا على احتجاج جلالة السلطان ضد الحملة « انها لم تسير الا لأن الدراويش مشغولون بكسلا عن غيرها . وليس من مدافع عن دنقلة أليس هذا الأمر غريبا ؟ .

أو ليس من الأغرب أن الايطاليين لا يزالون يظنون أن انكلترا ذاهبة الى السودان لاسعافهم .

ولنفرض أن انكلترا ذاهبة حقا لانقاذهم ، أليس حقيقة من الأمور القاسية التى يرفضها العقل أن المصريين الذين سلبهم الطليان كسلا يذهبون لانقاذهم فى كسلا نفسها .

(المسلمون والتجريدة) : انى أعتبر الحملة على دنقلة بمثابة تهيج للأمة الاسلامية بأفريقيا فان هذه الأمم على جانب عظيم من التعصب والصلابة ، ومن مبدأ الاحتلال الى الآن لم تحج الى مكة مع بقية الامم الاسلامية بسبب اقبال طريق مصر فى وجوهها ، ولذا فانها نائمة على مصر وتنتظر الفرصة المناسبة للهجوم على بلادنا رغبة فى تأدية فريضة الحج .

وانى أخاف أن الحملة على دنقلة تهيجهم وتكون بسبب ذلك مبدأ أعظم المصائب وأشد البليات .

يوم ٤ يوليو ★

يا لك من يوم مشهود يا هذا اليوم ويالك من تذكار مجيد يا هذا التذكار • ان في متلك منذ مائة وعشرين سنة مضت أشرقت في الآفاق أنوار أمة جديدة ونودى في العالم الحديث بمبادئ العدل والانصاف وشيد للحرية والاستقلال بنيان متين واستمراد الانسان بحقوقه من نفس الانسان •

أجل انه في يوم ٤ يوليو من عام ١٧٧٦ أعلنت الولايات المتحدة بأمريكا استقلالها ونادت بتحريرها من ربة التبر الاتكليزي فلذلك كان هذا اليوم في تاريخ الحرية اعظم يوم وكان هذا التذكار في تاريخ الانسان اشرف تذكار •

ايها مشير الامريكانيين يحق لكم ان ترفعوا اليوم اعلامكم وتقيموا الاعياد وتحياوا ذكرى هذا اليوم السعيد الذي يذكركم بما آتاه آباؤكم العظام من جلائل الاعمال • بل يحق لكم ان تقوموا اليوم في وجه الأمم مفاخرين وتتلوا على الشعوب آيات مجدكم وفخاركم • يحق لكم ان تباهوا العالم بتأريخكم وبالحكم واشتغالكم وعلى الخصوص باتخاذكم وقوى ائتلافكم •

ان ذكرى هذا اليوم تبيح في قوايدي آمل لا كبارا لأنها تذكرني ان الامريكانيين ما وصلوا الى ما هم عليه من الرفاهية والسيادة والحرية والاستقلال الا باتحاد الكلمة واجتماع القلوب على محبة الأوطان • وأذكر ان بني وطني يحسون احساسة صادقا بالمصائب الشديدة التي تتساقط على بلادهم • ومقرر ان المصائب تجمع بين المتنافرين ويخلق بين المتباغضين فلا ينقص أبناء مصر للوضول الى المأمول من الحرية والسعادة الاجتماعية الا الائتلاف والاتحاد • ولذا • كان هذا اليوم يوم ٤ يوليو يبعث في نفسي آمالا كبارا ويحملني على الاعتقاد بقرب تحقق الائتلاف والاتحاد بين بني مصر المخلصين لها المتألمين لآلامها •

نشرت في المؤيد يوم ١٧ يوليو ١٨٩٦ • بمناسبة ذكرى اعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٧٠ • ٨٢٦ • ٢٢٢١ قهلقا / به راذ •

ولكن ذكرى هذا اليوم نفسه تبعث في فؤادى حزنا وكآبة لأنها قريبة الذكرى من يوم مشثوم وتذكر تعس اذ ذكره المصرى ذكر المصائب الجسام .

الا وهو يوم ١١ يوليو تذكّار ضرب الاسكندرية (١) .

حقا ان المقارنة بين يومى ٤ يوليو و١١ يوليو لمن أشد المقارنات تأثيرا على النفوس فذلك اليوم تذكّار أمة عظيمة أراها الانكليز من الظلم أعظم الظلم ومن الاستبداد اكبر الاستبداد فقامت ممتحدة مؤتلفة وطردت الانكليز من ديارها وأعلنت للعالم كله تحريرها واستقلالها . وهذا اليوم تذكّار ضرب أول النغور المصرية بل قل تذكّار النذل والهوان تذكّار العار والشنار . تذكّار الشقاق والانقسام ! فما أسعد رجلا تذكّار بلاده يوم ٤ يوليو وما اشقى رجلا تذكّار بلاده يوم ١١ يوليو .

ان أقوى سلاح يتسلح به المطالبون بحرية بلادهم المخاطرون بأنفسهم حبا فى انقاذ أوطانهم واعلاء شأن معاهدتهم هو الاتحاد فهذا السلاح المتين كان سلاح الأمريكانين وغيرهم من الأمم الحرة ويكون سلاح المصريين ان أرادوا عزا ورفاهية وحرية واستقلالها . وأحسن مثل أقدمه لبنى مصر على قوة الاتحاد هو أنه لما أعلنت الولايات المتحدة اسنقلالها انتخب الشعب لجنة لسن الدستور . فكان وراء رئيس هذه اللجنة صورة تمثل الأفق ونصف الشمس ظاهر منه والنصف والآخر محتجب تحته - وكان لا يعلم أنّمثل هذه الصورة شروق الشمس أم غروبها لأن علماء التصوير أقروا على ان لا تميز هناك فى التصوير بين صورة شروق الشمس وصورة غروبها - فلما أتمت اللجنة أعمالها وسنت الدستور القويم الذى سارت عليه الولايات المتحدة من يوم تحريرها الى هذا اليوم .

قام فرانكلين الشهير وقال لأعضاء اللجنة ما معناه :

« أبناء وطنى - لقد كنت أنظر من أول يوم اجتمعنا فيه الى هذه الصورة الموضوعّة خلف الرئيس ، وكنت مرتابا فى أمرها ، هل هى صورة شروق الشمس أم صورة غروبها فلما أتمنا اليوم أعمالنا بالنجاح والاتحاد ولم نختلف على شيء ما علمت انها صورة شمس مشرقة وهى شمس الولايات المتحدة فليدم الاتحاد ، قولوا فليدم الاتحاد » .

(١) كانت النية مبيتة عند الانجليز لغزو الاسكندرية ، لهذا تملب بحجج واهية لضربها ومنها أنه فى أول يولية سنة ١٨٨٢ أرسل الأمرال سيمور الى حكومته بنبهها أنه اكشف بعض ترميمات يقوم بها المصريون فى حصون الاسكندرية ، وانهم يركبون بطاريات حديثة بجاه بوارجه وان عرابى يعتزم سد بواغاز الاسكندرية لحصر البوارج الانجليزية التى كانت راسية فى الميناء . وفى صبيحه ١٠ يولية سنة ١٨٨٢ أرسل الى محافظ الاسكندرية انذارا نهائيا يطلب منه تسليم البطاريات المنصوبة فى الحصون القائمة برأس التين . وما ان جاءت صبيحة ١١ يولية سنة ١٨٨٢ حتى أعطى سيمور اشارة الضرب ، واستمر الضرب ١٠ ساعات الى أن استولى الانجليز على المدينة .

عبد الرحمن الرافعى . الثورة العربية والاحتلال ح ١ القاهرة ١٩٦٦ ص ص ٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ .

ما سقت لكم أيها القراء النبلاء هذا الحديث الا لأناديكم باسم الوطن الشريف
أن نخلعوا عنكم أثواب الشقاق والنفور وحب الذات وتجمعوا كلمتكم على خدمة مصر
ومحبتها فان الوطن على خطر وما يدبره أعداؤه لا عظم مما رأيتم .

نعم أناديكم في هذا اليوم العظيم مما رأيتم . نحتفل فيه أمة عظيمة بسعادتها
واستقلالها أن تعملوا كما عملت هذه الأمة لا أن تشوروا بل تتحدوا قلبا ولسانا
وتسمعوا الملاء الأورويي أصوات الشكوى . ولا يكن مبلغكم من الضعف مبلغ مريض
يتألم ولا يشكو أو مبلغ صاحب دار سلبها منه خصمه فتركه فيها آمنة مطمئنا يعمل
دون أن يسأل القضاء عدلا وانصافا .

انزلوا يا قوم الى أعماق نفوسكم وناجوا سرائركم واسألوا ضمائركم هل انتم
في ضير أم في خير . وهل انتم على شقاء أم على هناء . ولئن أحسنتم الاصفاء سمعتم
سرائركم تجيبكم انكم أذل الأمم اليوم وان الزوج الذين كنتم تستخدمونهم عبيدا
أرقاء أصبحوا أشبه بحفاظة منكم على حقوق الأوطان !

أما في مصر رجال يشعرون بأن من العار الكبير أن يعيش المصري في سعة من
العيش مرتاح البال وأمه الشفوقة الحنونة تهان أعظم اهانة وتلوث كرامتها كل يوم
فيقومون ويطالبون بحقوقها ويسمعون أوربا صوت شكايته !! .

أما نفوس أبيات لها همم

أما على الحق أنصار وأعوان

أسطر هذه السطور وأسمع صدى لما يردده الحائفون أسمع هذه العبارة !! اننا
نحب من صميم أفئدتنا وطننا العزيز ونريد حقا اسعاده ولكن اذا قمنا مطالبين
بحقوقه اختصمنا الانكليز وخربوا ديارنا وأملاكنا فلا ينالنا الا الضرر والوبال .

انه لخير لكم أن ينالكم الضرر والوبال أيها المصريون ان كان في نيلهما اياكم
خدمة للأوطان .

نعم ليعيش الأحرار منكم فقراء ولكن ليعيشوا أحرارا !

أتحسبون يا قوم ان ما ترونه اليوم من المصائب والبلايا هو منتهى ما يأتيه
الانكليز في مصر من الظلم والاذلال أن دام الاحتلال . لا تحسبوا يا قوم أن الله
ينصركم وإنتم على هذا الفشل كيف ينصركم ربكم وقد خذلتكم أنفسكم ؟ كيف
ينصركم ربكم وقد وهبكم شريعة تأمركم بالاتحاد والائتلاف فنبذتم أمرها ظهريا
ووهبكم وطننا سعيدا غنيا كريما فاحتقرتموه وما قدرتموه قدره ووهبكم ذكاء عاليا
فاستعملتموه في دنيا الأمور وصغار الأشياء . أتظنون أن من وهبكم هذه النعم
الكبيرة يهبكم الحرية والاستقلال على غير حق . كلا . انه لأعدل العادلين .

فهبوا اذا من رقدتكم وقوموا مطالبين بحقوق دياركم واسمعوا الأمم انكم أمة
تستحق العناية والرعاية . والا فان كنتم قد استسلمتم للذل والهوان وأذعنتم
للمذلة والاستعباد فودعوا الحياة الوداع الأخير وودعوا الحرية والمستقبل المنتظر وودعوا
الأمم كافة . وقولوا اننا قد ظلمنا أنفسنا بأنفسنا وما ربك بظلام للعبيد .

هذه كلمات يميلها على فؤادي يترنم الليل والنهار بقول الشاعر العربي :

(لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الخنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيّب منسول)

مصر وفرنسا ★

ماذا يرى المصريون الآن في مسألة بلادهم ؟؟

ان المصريين لم ييأسوا من الخلاص ولكنهم ينظرون الى المستقبل بقلق شديد فان أعمال انكلترا ومطامعها على شواطئ النيل أصبحت مشهورة عند كل انسان وليست مشكلة مصر اليوم بمسألة الاحتلال المؤقت بل أصبحت مشكلة ترك مصر للانكليز .

فهل تترك أوروبا وطننا لانكلترا أم ترده اليها ؟ أما كره المصريين للاحتلال فيتزايد من يوم لآخر . وقد علمنا الآن حق العلم أن انكلترا تستعمل كل الوسائل بما فيها « الشرف البريطاني » للوصول الى غايتها في مصر وليس لها من غاية هناك سوى الاستيلاء على بلادنا .

وان الامة المصرية لساكتة اليوم سكوتا جيدا وصابرة صبر اجميلا ولكن لا أعرف ماذا يمكن أن ينشأ عن حقدما الشديدا على الاحتلال والمحتلين .

وماذا يظنونه في فرنسا بمصر ؟؟

يسوءني أن أقول لك جوابا على سؤالك ان احترام فرنسا في مصر أصبح الى حد معلوم وهو ان لم يكن يتناقض فانه لا يزيده واننا ما شاهدنا من فرنسا في مصر منذ أربعة عشر عاما الا فشل سياستها المتكرر فمثلا حينما قررت حملة دنقلة كنا معتقدين أن فرنسا تعمل « عملا ما » ضد هذا القرار .

وقد انتظرنا ذلك ولا نزال ننتظر .

وانى أعلم أن فرنسا (١) لا يمكنها أن تعلن الحرب لأجل مصر ولكن مع ذلك

(★) جرى هذا الحديث بين محرر جريدة الليبر بارول الفرنسية وبين مصطفى كامل أثناء وجوده في باريس في ١٨٩٦/٩/٧ وتناول فيه الأحداث التي كانت دائرة حين ذاك بالنسبة للاستانة والمسئلة المصرية .

(١) موقف فرنسا من الاحتلال البريطاني :

أصبحت مصر بعد الاحتلال خاضعة لسلطان دولتي تركيا وبريطانيا فضلا عن الوصاية المالية الثنائية وكان أصعب ما صادف كرومر في مصر تعدد الادارات والنظم الدولية مثل المراقبة الثنائية

أظن انها مع محافظتها على السلم وبمساعدة روسيا (٢) يمكنها أن تعمل كثيرا .
وفضلا عن ذلك فمن عادة الانكليز - وذلك أمر مشهور - أن ينصاعوا ويطاعوا
رؤوسهم متى كانهم خصمهم بصوت عال .

« يرون أن أوروبا متعصبة ضدهم اذ أنها في كل المسائل المتعلقة بالمسيحيين
تتفعل وتتجمع وتتفق للعمل في مصالحهم وتعرف عندئذ الانسانية والمدنية والحق
واعتراف المعاهدات ولكن عندما يكون الأمر متعلقا بنا معشر المسلمين فالانسانية
والمدنية والحق واحترام المعاهدات وكل شيء من هذا القبيل تجهله أوروبا !! »

والامتيازات الأجنبية ، كذلك اعتبرت فرنسا أن احتلال الانجليز لمصر جعل التوازن الدولي في البحر
الموسط أمرا مستحيلا فقلل من تفوق فرنسا في منطقة الشرق الأدنى وقد نجح كرومر في وصع الحطة
لابعاد فرنسا عن طريق انجلترا في مصر فالتقى المراقبة الثنائية في ١٨ يناير سنة ١٨٨٢ وبذلك خسرت
فرنسا نفوذها المتفوق في مصر ولم يعد أمامها إلا أن تعلن الحرب على انجلترا أو أن تنسبط في تقييدها
حتى تمنعها من الاستئثار بمصر ، وقد ساعد إسماعيل في الرأي الثاني . فحاولت إثارة الدول
الكبرى على انجلترا وأيدت الباب العالي في شكواه الدائمة وعضدت الحكومة الروسية في سياسها
التوسعية الاستعمارية في أواسط آسيا وفي الشرق الأقصى والبلقان ، ثم عارضت فرنسا في الاشتراك
في مؤتمر لندن إلا بعد أن تحددت انجلترا موعدا للجلاء وحرضت على منع أى اتفاق بين تركيا وانجلترا .
ولم تنرك فرنسا يد انجلترا مطلقة في مصر إلا بعد إبرام الاتفاق الودى سنة ١٩٠٤ اذ تعهدت فرنسا
في هذه الاتفاق بالاعتراف بمساعي انجلترا في مصر فلا تطلب تحديد موعد للجلاء في مقابل اطلاق
يد فرنسا في مراكش .

محمد مصطفى صفوت : مرجع سابق ص ٧٤ - ٧٦ .

(٢) موقف روسيا من الاحتلال الانجليزى .

كانت حكومة القيصر تهتم بكل المسائل المناهضة بالدولة العثمانية وتعتبر نفسها الى درجة كبيرة
وريثة الدولة العثمانية في أوروبا على الأقل ، وكانت لا تعارض في أن تأخذ انجلترا في أن تأخذ انجلترا
مصر بشرط أن توافق على التقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، وحين ثارت مشكلة الرجل المريض سنة
١٨٧٦ كانت روسية تخص مصر من نصيب انجلترا وسوريا من نصيب فرنسا ، هذا اذا وافقت انجلترا
على مشاريع روسيا في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، ولكن انجلترا كانت تقف موقف العداء أمام
مشاريع روسيا ، كما دعمت انجلترا الجبهات التى تكونت ضد روسيا ، بل كان رسو الاسطول الانجليزى =
= فى مياه الدولة العثمانية عقبة حالت دون تحقيق آمال القيصر فى البلقان والبحر المتوسط ، لذا عارضت
روسيا رغبة انجلترا فى التدخل منفردة مع فرنسا فى شئون مصر ووقفت أمام رغبتهم فى أن تنتدبها
الدول لحل المسألة المصرية ، وأيدت كل رأى ينادى بالتدخل الجماعى ولم ترض بضرع الاسكندرية ولم
يسرها انتصار انجلترا فى التل الكبير رغم عدائها المعروف مع تركيا ولم يكن اهتمام روسيا أفريقيا بل
كان آسيويا وبلقانيا ولذا لم تكن تستطيع أن تثير مسألة مصر جديا خوفا من أن تثير انجلترا مسألة
بلغاريا ومنذ سنة ١٨٨٣ كانت ميالة الى مناصرة فرنسا على انجلترا ، وكان لوفد روسيا العدائى
وتهديداتها للباب العالي أثر كبير فى فشل مشروع دروموند وولف ١٨٨٧ واشتد تأييد روسيا لفرنسا
بعد التحالف الروسى الفرنسى فى أواخر القرن التاسع عشر غير أن روسيا لم تكن مستعدة لإعلان الحرب
على انجلترا من أجل مصر أو فرنسا فلم يكون لها مصالح حيوية فى مصر حتى تتخذ هذا الموقف .

د / محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول ازاءه . القاهرة ١٩٥٢ من
ص ١٧٢ الى ص ١٧٥ .

لماذا تجبر أوروبا الدولة العلية على احترام المادة ٦١ من معاهدة برلين « المتعلقة بالأرمن » ومعاهدة هاليبا « المتعلقة بالكريديين » ولا تجبر انكلترا على احترام المعاهدات المختصة بمصر .

حديث مع مصطفى كامل ★

دخل الانكليز مصر القاهرة في يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ومضى عليهم ١٤ عاما لم تسألهم أوروبا فيها الجلاء عنها احتراماً لوعودهم المؤيدة لذلك بعد توطيد الأمر الا بكل فتور وبلا جدوى .

قد تكون في بلاد مصر - التي هي الصلة بين آسيا وإفريقيا والتي أصبحت بوضعها الجغرافي وبمدنيتها الزائدة عن مدنية غيرها من البلاد الاسلامية قلب الاسلام - حزب (١) وطني على رأسه رجال تربوا في أوروبا وعلى الخصوص في فرنسا . ولقد أدرك الوطنيون المصريون بمهارتهم الشرقية أسرار السياسة الأوروبية وعرفوا الأسباب الحقيقية التي تجعلها عاجزة عن العمل على تخليص بلادهم . وأخذ يتلاشى من نفوسهم أملهم في الخلاص على يد الدول الأوروبية . ولكن كانوا حزب صبر وانتظار . ولا يبعد أن يصيروا يوما من الأيام حزب أعمال ذات تأثير فعال .

(★) نشر هذا الحديث في جريدة الاكلير الفرنسية في عددها الصادر بتاريخ ١٥/٩/١٨٩٦ .

(١)

شكل في شكل جمعية سرية قدر لها أن تكون نواة الحزب الوطني فيما بعد ، وهي جمعية الحزب الوطني، تزعمها لطيف سليم المجازي وكان أعضاؤها مصطفى كامل ومحمد فريد ومحمود أنيس ومحمد خلوصي وأحمد الصوفاني وعبد اللطيف الصوفاني .

ثم في عام ١٨٩٥ ألف الحديو لجنة سرية بالاتفاق مع مصطفى كامل وجماعته بالاضافة الى بعض الفرنسيين الذين كانوا يشغلون مناصب في مصر ومن بعض الصحفيين الفرنسيين أو ذوي الميول والثقافة الفرنسية وأطلق على هذا الخليط المجابه للاحتلال اسم (جمعية احياء الوطن السرية) وكان من الاسماء اللامعة فيها :

اسماعيل النسيبي - يوسف صديقي - محمود سالم - أحمد شفيق - وجاڤيو Gavillot
الصحفي الفرنسي ونائب الجالية الفرنسية في مصر ومسيو آن ماري ومسيو جوردان بيتري ومسيو برون
Pront المندوب الفرنسي في السكة الحديد - ومسيو يونون رئيس اللجنة المختلطة للدومين والمسيو
بروتيه Prutieres رئيس المحكمة المختلطة الابتدائية بالقاهرة .

المصري : مذكرات الحديو عباس الثاني ١٤ مايو ١٩٥١ .

أحمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن ج ٢ القاهرة ١٩٣٤ ص ١٩٠ .

أحمد شفيق : أعمالى بعد المذكرات القاهرة ١٩٤١ ص ٣١٤ .

تذكّار دخول الانكليز مدينة القاهرة ★ (١٤ سبتمبر)

١ - يوم ١٤ سبتمبر :

أى تذكّار محزن ! وأى ذكرى نعيّة مؤلّة ٩

لقد مضى على الألة ١٤ عاما وهى مقهورة مضغوطة عليها من قوم يلقبون أنفسهم بممدينى العالم وأن الانسان عندما يفكر أن الانكليز مضى عليهم أربعة عشر عاما وهم يهدمون كل بنيان فى مصر ويحاربون أوروبا والمدنية الأوروبية على شواطئ نهر النيل ويقوضون أركان نفوذ فرنسا واحترامها ويقهرون المصريين ٠ كل ذلك ودول أوروبا ما عملت ولم تعمل شيئا ما ضد الاحتلال يظن أن أوروبا تلاشت من على وجه الأرض وان لا وجود لها اليوم ٠

وليس تذكّار ١٤ سبتمبر تذكّار حداد للأمة المصرية فقط بل هو أيضا - واسمح لى أن أقول لك ذلك - عار وخجل على سياسة أوروبا ومدنيتها ٠

٢ - سياسة الانكليز فى مصر من عام ١٨٨٢ :

سار الانكليز فى مصر من عام ١٨٨٢ الى اليوم على سياسة واحدة ما تغيرت قط ، وهى هدم السلطة الخديوية (١) والاستيلاء على الادارة المصرية مع الحصول

(★) حديث صحفى لجريدة البرلينرنا جيلاط اكتوبر ١٨٩٦ ٠

(١) منذ تولية عباس الثانى أريكة الحكم أخذ يرسم سياسته على مقاومة التدخل الانجليزى والتمسك بحقوق مصر وعدم التنازل عن حقوقه وكانت الازمة الورارية سنة ١٨٩٣ أول احتكاك بين الخديو والانجليز ، فقد حاول الخديو تغيير الوزارة الفهمية الموالية تماما للانجليز والمذنة لأوامر كرومر ٠ فأنظر فرصة مرض مصطفى فهمى رئيس الوزارة وأعلن تكليف تيجران باشا رئيسا للنظارة الجديدة ٠ ولا أخذ رأى كرومر رفض بحجة عداة تيجران للانجليز ، كما أنه أرمي مسيحى لا يستطيع قيادة الراى العام الاسلامى ، حينئذ رأى الخديو أنه يمكن أن يعين رئيس نظارة مسلم دون الرجوع الى كرومر فاعلن اعفاء مصطفى فهمى وتكليف حسن فخرى بتكوين الوزارة ، واعتبر كرومر هذا التصرف قلبا لميزان السلطة ٠

ضد أوروبا عامة وفرنسا خاصة ولقد كان من سكوت أوروبا أن صارت انكلترا نبالغ في التعدي على الحقوق فهي تعلن اليوم على السنة جرائدها انها تريد شراء الدين المصرى كله وإلغاء المحاكم المختلطة (١) وكل المنظمات الدولية ليسقط بالمرّة كل حق لأوروبا في مصر .

ولم يكتف الانكليز بالنعدي على حقوق أوروبا ومصر بل تعدوا أيضا على المسلمين فهم ينشرون بلبغتينا رسائل الطعن على الدين الاسلامى ويوزعون في المدارس كتباً تحقر الرسول محمداً (عليه الصلاة والسلام) (٢) ويستأجرون جرائد تطعن ليلاً ونهاراً على المسلمين وخليفة الاسلام .

= ومحاولة من جانب الخديو لضرب النفوذ البريطانى وبعد مداوات لتعريب وجهات النظر أعلن الخديو اقامة حسين فخري وتكليف رياض باشا صديق الانجليز لتأليف الوزارة الحديده وكان هذا ارضاء للانجليز مع توجيه نظر الخديو الى بحث أفضل العلاقات الودية مع انجلترا وأن يتبع في المستقبل نصائحها من المسائل الهامة .

عيد المنعم الجميى : (مرجع سابق) . من ص ٦٥ الى ص ٧٠ .
ثم خضع الخديو توفيق للسيطرة البريطانية ولعميد الاحتلال كرومر الذى آمن بان تطبيق خطط انجلترا في مصر لن يتم الا ببعين عدد من الانجليز في الادارات الحكوميه المختلفه مما أدى الى بقوية قبضة الادارة الانجليزية على مصر ، وبالفعل تغلغل النفوذ البريطانى ممثلا في كرومر صاحب اليد العليا في تسيير شئون الحكومه بجانب موظفيه في المصالح المختلفه فسرदार الجيش انجليزى وكبار الضباط من الانجليز كما أن البوليس حصب لاشراف مفتش بريطانى عام كذلك الحفانيه من سنة ١٨٩١ خضع لاجستشار القضائى البريطانى كما أن القضاء الانجليز في محكمة الاستئناف والمحكمة الاهلية سيطروا على القضاء المصرى وهكذا اسمر النفوذ البريطانى يتغلغل منذ عهد وزارة رياض فنجد أن وزارتي الداخلية والأشغال خاضعتين لوكيليه انجليز والمالية في يد المستشار المالى واستمر الحال كذلك في عهد وزاره مصطفى فهمى وحتى اعلان الحماية سنة ١٩١٤ .

— عيد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ١٩٦٢ ص ٢٠ ، ٢١ .

— د عبد المنعم الجميى : المرجع السابق ص ٣٠ ، ٣١ .

(١) ياردياد نفوذ المحاكم العنصلية فيما يخص بمخالفات الرعايا الأجانب في مصر قدم نوبار باشا في عهد اسماعيل مشروع ينقل سلطة هذه المحاكم الى محكمة مختلطة غالبية قضاتها من الأجانب وتم انشاء هذه المحكمة في سنة ١٨٧٥ ومن اختصاصها :

١ — الفصل في المنازعات المدنية بين المصريين والأجانب .

٢ — تفصل في المنازعات العقارية اذا كان أحد الطرفين من الأجانب .

٣ — تفصل في المسائل الجنائية ما يحكم على المتهمين الأجانب في بعض المخالفات البسيطة .

٤ — أما الجنح والجنايات التي تقع من الأجانب فلا تختص بالحكم فيها بل من اختصاص المحاكم القنصلية عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ح ٢ — ط ٢ . القاهرة سنة ١٩٤٨ ص ٢٤٠ .
(٢) عن هذه الكتب يمكن الرجوع الى :

محمد لطفي جمعة : حياة الشرق ، القاهرة ١٩٣٢ .

حيث عرض أمثلة لهذا وهو كتاب (مهدى الله في تاريخ أحمد محمد الدنفلاوى) وتقديم تشريش له وطنه على النسي الكريم وعلى الدين الاسلامى .

ولقد عام كافة الناس أخيرا ان اثنين من الأهالى حكم عليهما بالسجن ثمانية عشر شهرا لأنهما سببا ملكة الانكليز فهل عملا شيئا خلاف الجارى فى مصر ؟ كلا لأن محررى جرائده أخرى « يختلفون عنهما بأنهم ليسوا بمصريين وأنهم يحتمون بالانكليز » طعنوا قيلهما ولا يزالون يطعنون أشد الطعن على سلطان مصر الذى كان خليفة الاسلام . فلماذا عوقب الطاعن فى ملكة الانكليز ولا يعاقب الطاعنون على جلالة السلطان ؟ على انه يجب ان يحترم جلالة السلطان فى مصر أكثر من أى ملك كان لأنه سلطانها الشرعى الذى لا يعارض أحد فى سلطته الشرعية .

وقد يطول بى الكلام اذا أردت ان أعدد لك أعمال الانكليز ضد المسلمين وأن آخر مثل حاضر فى الازهان هو مسئلة الجامع الأزهر .

٣ - أوروبا ومصر :

ومن يوم أن سلمت مقاليد أمور مصر (١) لمحمد على الكبير دخلتها المدنية الأوروبية وسارت فى طريق التقدم معتمدة على اخلاص أوروبا والأوربيين نحوها ولما دخل الانكليز بلادنا لم يكن فيها يومئذ مصرى واحد يمكنه أن يظن أن دولة متمدينة مثل انكلترا تعمل ضد تعهداتها وعهودها بل كان المصريون كافة معتقدين اعتقادا ثابتا أن انكلترا تسحب عساكرها على اثر اخماد نيران النورة (٢) واستتباب الأمن فى البلاد غير اننا نرى الأمن توطد من سنين والانكليز لا يزالون يحتلين . ومن ذلك الحين فقد الانكليز ثقة المصريين . وفقهنا جميعا كنه أغراضهم ولكن أوروبا لم تفقد ثقتنا بها معتمدين عليها مؤملين الخلاص على يديها . ولهذا اليوم ما عملت شيئا مذكورا وقد كادت ثقتنا بها تزول شيئا فشيئا .

ولقد أصبح اليوم كثير من المسلمين (الذين كانوا فيما قبل أعظم أصدقاء أوروبا) يعتقدون أن أوروبا تحارب المسلمين كافة وبنون استثناء حربا صليبية فى شكل سياسى وفى الواقع أن أوروبا حررت فى القرن التاسع عشر أهما مسيحية عديدة (٣) لم تحرر أمة واحدة اسلامية وأن مصر التى هى مجمع المسلمين ومحط = اما الجرائد التى كانت تحاول النيل من دكر السلطان فى الجرائد الانجليزية وما سار فى ركابها مثل (القطم) .

(١) منذ تولية محمد على الحكم سنة ١٨٠٥ .

(٢) يقصد بالثورة العرابية .

(٣) حسب مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ . ثم استغلال الدول الآتية .

التي تحررت فى القرن التاسع عشر عن الدولة العثمانية :

١ - بلاد اليونان سنة ١٨٣٢ .

٢ - رومانيا سنة ١٨٧٨ .

٣ - الصرب سنة ١٩٧٨ .

٤ - الجبل الأسود سنة ١٨٧٨ .

٥ - بلغاريا . سنة ١٨٧٨ وتم الاستقلال التام سنة ١٩٠٧ .

أنور الرفاعى - شاكى مصطفى مرجع سابق ، ص ٣٤٢ .

حديث مع جريدة «برلينر تا جبالط» ★

١ - أنرى أغلب المصريين كارهين للاحتلال الانكليزى .

— نعم . نعم . حقا ان الأمة المصرية لمنألة كثيرا من أعمال الاحتلال الممقوتة وتؤمل من صميم قواها أن تخلص من ربة هذا الاحتلال . وأن الاحساس الوطنى المنتشر فى كل بلاد مصر وهو ان لم يكن فى انتشاره وقوته كما هو عند الأمم الأوروبية لكنه قوى ومنتشر بدرجة يثبت معها حب الأمة لحريتها ورغبتها العظيمة فى استرداد حقوقها المقدسة وأن سكوت الأمة المصرية لا يدل على شئ آخر غير اتصافها وتمسكها بالصبر .

وقد يستدل بعض رجال السياسة فى دول التحالف (١) الثلاثى بالسكينة السائدة فى مصر الآن على أن المصريين راضون بالاحتلال ويفتكر أولئك السياسيون أنه لو كانت مصر تريد اجلاء الجنود الانكليزية عن ديارها لئارت من زمان ضدهم ولكن هؤلاء السياسيين مخطئون فى هذا الاعتقاد اذ أن المصريين وطنيون . صادقون المحبة لبلادهم واذا كانوا يبغضون الاحتلال بغضا شديدا فانهم كذلك يكرهون الحرائم والمذابح . اذا فهم يريدون استرداد حقوقهم بالسكينة والسلم وهم عالمون أن أوروبا المتمدينة لا تزال موجودة فى العالم ولا نزال نحن معتقدين بها مؤمنين فيها . ولكن مع هذا وذاك لا أنكر عليك أنه اذا أهملتنا أوروبا زمنسا طويلا ولم تجبر انكلترا على الجلاء فيضطر المصريون الى التظاهر بطرق أخرى (٢) غير ما لبثوا عليه السنين الطوال وحينئذ فليست المصالح الانكليزية هى التى تقع وحدها فى الخطر بل يلحق ضررا بالمصالح الأوروبية جميعا .

(★) جرى هذا الحديث بالفرنسية بين مصطفى كامل ومندوب جريدة «برلينر تا جبالط» الألمانية أثناء وجوده فى العاصمة الألمانية فى احدى رحلاته الاعلامية للقضية المصرية وقد وجدت الصحيفة الزعيم المصرى وباركت خطواته فى سبيل بلاده . على فهمى كامل : (مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا) ج ٥ ص ١٩٩

(١) ألمانيا — النمسا — إيطاليا .

(٢) وهذا التنبؤ تحقق فى شكل ثورة عام ١٩١٩ .

٢ - ماذا يظن المصريون في خطة ألمانيا نحوهم وماذا ينتظرون منا ؟

لقد أمل المصريون دائما أن الحكومة الألمانية تنضم الى الدول التي لها صالح أكثر من غيرها في جلاء الانكليز عن مصر تصديقا لتصريح البرنس بسمارك لسفير فرنسا في برلين سنة ١٨٨٧ لما كان السير درومندو وولف (١) يشتغل في الاستانة ليحصل على توقيع جلالة السلطان على الاتفاقية المشهورة بشأن مصر وهو قوله « ان الحكومة الألمانية مستعدة للعمل في سبيل تحقيق الجلاء عن مصر ، والمصريون يعتبرون هذا التصريح من أهم التصريحات السياسية التي صرح بها من يوم أن احتل الانكليز مصر .

واني لا أظن ان استعداد الحكومة الألمانية للعمل في سبيل تحقيق الجلاء الذي كان موجودا في سنة ٨٧ قد فقدته الآن ولو أن حملة السودان (٢) لم تقرر الا بعد رضى الحكومة الألمانية التي كانت تؤمل بتجريبها مساعدا حليفها إيطاليا . بل يظهر لي أنه من الأمور المستحيلة قيام حكومة جلالة الامبرطور ثليوم يوما ضد حقوق مصر المقدسة .

(١) عندما وجهت ألمانيا أنظارها الى تركيا اتبع الامبراطور الألماني مع تركيا خطة جديدة ميزتها أنها لا تستدعي منه تكاليف حملة مسلحة وفي الوقت نفسه لا تلقى معارضة مكسوفة من قبل أى دولة أوروبية . وعندما رأت ألمانيا استحالة القيام بأعمال عسكرية فضلت عليها سياسة التغلغل السلمى المأمون النتائج ، وقد كان هناك أكثر من سبب يدعو الى ميل السلطان عبد الحميد نحو الالمان الذين لم يظهروا نحوه من العداء ما أظهره الانجليز والدول الأخرى في قضايا الارمن ومقدونيا وخاصة بعد أن اضطرتهم انجلترا الى التنازل لها عن جزيرة قبرص اثر انعقاد مؤتمر برلين . وهكذا وافق السلطان نهائيا في سنة ١٩٠٣ على منح الالمان امتياز مد سكة حديد بغداد ، فبدأت انجلترا وفرنسا وروسيا تحارب تنفيذ المشروع ونشبت أزمات حاده بين السلطنة العثمانية والانجليز حول مد سكة حديد بغداد والحجاز أهمها وأجدها بالذكر أزمة الكوب وطامة ، توفيق على برو : العرب والترك في العهد العثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) كان من مصلحة ألمانيا بفناء مسألة مصر معلقة ومعقدة وموضع نزاع بين انجلترا وفرنسا حتى تعمل انجلترا على ضرورة المحافظة على صداقة ألمانيا . وكانت حكومة ألمانيا تعمل على أن تكون سياستها بصفة عامة مهمة لا يعرف انجلترا بدورها ولا مصلحتها ولا مقصدها ، وان يكون تأييدها لسياسة انجلترا في المناسبات المخلعه حسب ما يلقى والمصالح الألمانية وحين قررت انجلترا بالاشراك مع مصر ارسال حملة الاسترجاع السودان أعلن فيصر المانيا تأييده لسياسة انجلترا تأييدا تاما ضد فرنسا حتى هددتها بالحرب ووافق القيصر الألماني على أن تهرم المالبية المصرية بفقات الحملة الى دقلة كما انه خشي اذا لم يؤيد انجلترا في مسألة السودان وربما تفكر انجلترا في تغيير سياستها نحو ألمانيا ونتجه لاصلاح العلاقات مع فرنسا والانضمام الى التحالف الثنائي القائم بين فرنسا وروسيا . كما أن تأييد ألمانيا لانجلترا كان ضروريا أيضا لنصرة إيطاليا صديقتها ، وكانت ألمانيا دائمة الاتصال بانجلترا لمعاونة الايطاليين الذين هزموا هزيمة منكرة من الاحباش ولقد حاولت حكومة انجلترا تمرير حملتها على السودان أمام دول التحالف الثلاثي ألمانيا - النمسا - إيطاليا برغبة انجلترا في نصرة الايطاليين الموزومين .

(د . محمد مصطفى صفوت - مرجع سابق ص ١٥٠ - ١٥٢) .

وها نحن نرى أن الحكومة الألمانية تعمل بالاتفاق مع الدول في مسئلي الأرمن وكريد وليس لها صالح مادي خاص في هاتين المسألتين بل هي تعمل فيهما بقصد نوطيد أركان السلام العام واحترام تنفيذ المعاهدات الدولية وإذا كان هذا مقصدها الحقيقي فواجب أن ننظر لمصر . إذ لو أقام الانكليز فيها طويلا لكدرو لا شك صفو السلام فضلا عن أن هناك معاهدات يجب احترامها أيضا كما يجب حمل انكلترا على احترامها .

واننا نظن أن التحالف (١) الثلاثي لو بقي على الحياد لا لنا ولا علينا لنبلغ مع ذلك امانينا لان انكلترا تبقى يومئذ منفردة امام الدولة العلية وفرنسا والروسيا - هذه الدول الثلاث التي تطالبها عندئذ أن تحترم عاجلا المعاهدات والعهود العلنية .

(٢) الاتخافون أن فرنسا تغتال مصر اذا خرج الانكليز منها ؟ (٣)

- كلا . فاني عرفت بكل تدقيق حقيقة احساس الامه والحكومة الفرنسيتين نحونا . وأقول جازما أن فرنسا مخلصه النية في رغبتها لجلاء الانجليز عن مصر . اذن فهي لا تريد بأي صفة كانت احتلال مصر بعد خروج الانكليز منها وهي تقدر كفاءة المصريين حق قدرها وتعلم من جهة أخرى أن مصر بموضعها الجغرافي وبأهميتها السياسية لا يمكن امتلاك أي دولة اياها بل يجب أن تكون حرة وتبقى مفتوحة الأبواب لتجارة العالم كله ولصناعته .

وان الانكليز يشيعون في كل مكان ان الفرنسيين انما يعملون للجلاء ليأخذوا محل بريطانيا في مصر ولكنها اكذوبة ساقطة وخبت النية ظاهرا فيها جليا . فالانكليز بهذه الاكذوبة يريدون أن يغشوا المصريين وأن يبعدوكم أنتم معشر الألمانين عن الدولة الراغبة للجلاء .

واننا نؤمل أعظم الأمل أنكم لا تغشون بالأباطيل حتى تساعدونا على استرداد حقوقنا الشرعية المسلوبة .

(١) ألمانيا - النمسا - إيطاليا .

(٢) هو تخويف للمصريين وارد في السياسة البريطانية عندما دخلت مصر بادعاء حمايتها .

مصر وانكلترا ★

« لا يخفى ان حل المسألة المصرية ذو فائدة عظمى لالمانيا اذ لابد لنا ان نهتم بأمر قناة السويس بعدما تقدمت مستعمراتنا فى أفريقية وانتشرت تجارتنا فى الشرق ويهمنى أن تكون هذه الطريق المائية حرة . ولا يشك أحد اليوم أن انكلترا تعمل لامتلاك وادى النيل أو بعبارة أخرى لامتلاك قناة السويس .

وبسبب هذه الاعتبارات أخذت الأمة المصرية تشتغل بمسئلة الاحتلال . هل ترضى به وتحتمله الى أمد طويل بذلة وهوان . أم تتخلص من ربة أسرة ؟ .

ومن الأمور المعقولة والطبيعية قيام كل الذين لا يرضيهم حالة بلادهم الحاضرة لغرض استمالة دول أوروبا نحوهم والعمل لتخليص بلادهم ولهذه الغاية نفسها حرك المصريون الوطنيون الساكن من مسئلة الجلاء عن مصر بالخطب والرسائل السياسية واعتنوا بنشر أفكارهم فى كل أصقاع أوروبا .

(١) أى مأمورية سياسية أنت مكلف بها فى حضورك الى برلين ؟؟

« أنى مكلف من لقاء نفسى وبواجبى الوطنى بمأمورية وطنية محضنة يدفعنى اليها الاحساس النفسانى فانى لما فكرت فى الحالة التعسة التى فيها وطنى وشعرت من نفسى بأننى انسان عليه واجبات لأرض آبائه وأجداده رأيت بعد التروى مع أصدقائى الوطنيين أن آتى لأوروبا . وقد مضى على عاما وأنا مشغول بعملى هذا مدافعا عن قضية بلادى ضد الانكليز المحتلين لها بالرغم من المعاهدات الصريحة القطعية وأعظم التعهدات العلنية صراحة .

ولقد وجدت اينما كنت تعضيد محبى « الحق والعدالة » وهم لله ليسوا بالقليل العدد فى أوروبا . وانى أخاطب الأمم والحكومات وسواء سمع صوتى الآن أو بعد

(★) حديث صحفى أحرته صحيفة ذى پوست الالمانية مع مصطفى كامل فى صورة أسئلة يجيب عنها ونشر ذلك بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٨٩٦ ، بعد مقدمة تعمر بالفناء عليه .

الآن حتى لو كان سماعه بعد موتى فانى عامل ما عشت لأداء واجبانى بحو وطنى
وانادى كل ذوى الضمائر الحرة من جميع الامم للعمل لانقاذ مصر .

ومع كونى لا أعرف من اللغة الألمانية الا بعض كليمات فانى جئت برلين لأسمع
صوت مصر المضغوط عليها لأنه لا يهم الناس اللسان الناطق به الانسان ما دام موضوع
كلامه حقا وصدقنا وانى أظن انكم لا نبخلون بأميالكم لامة جديرة بالرعاية والعناية مثل
الامة المصرية .

(٢) هل فقد الانكليز حقيقة ثقة المصريين واصبحتهم فى يأس من أن يقوموا
بوفاء وعودهم ؟

- أجل لقد فقد الانكليز ثقة المصريين وأصبحنا جميعا لا نظن انهم يقومون يوما
ما من تلقاء أنفسهم بوفاء وعودهم وأن ثقة المصريين بالانكليز كانت فى بدء الاحتلال
كبيرة لاننا لم نكن نحسب مطلقا أن أناسا متمدينين ينسبون لامة بلغت من العظم
والمرتبة مبلغ الأمة الانكليزية ينقضون وعودهم ويتظاهرون باحتقار شرفهم وشرف
الأمم الأخرى بأشد ما يمكن من ضروب الاحتقار علنا . نعم اننا ما كنا نحسب قط أن
الانكليز يتاجرون بشرف البرلمان الانكليزى وبشرف جلالة الملكة وهاهم الآن أولئك
الذين دخلوا مصر ليعيدوا الامن فيها ولينجلوا عنها بعد زمن قليل أصبحوا يدعون
أنهم حماة النيل !!

وان سوء مقاصد الانكليز نحونا أصبح واضحا تمام الوضوح حتى الأحرار (١)
الذين يجاهرون بأنهم نصراء الجلاء هم خبيثو النية وليسوا فى الحقيقة الا (انكليزا)
أقل صراحة من غيرهم وأن الحوادث الاخيرة أتحتنا بأعظم البراهين على ذلك .

ولقد كتب لى المستر غلادستون فى الشتاء الماضى كتابا سياسيا صرح فيه
« بأن زمن الجلاء عن مصر قد حان منذ أعوام أى أنه كان يجب ولا يزال يجب على
الانكليز أن ينجلوا عن مصر . وبناء على هذا التصريح العظيم الاهمية الفريد فى بانه
كتبت أخيرا الى المستر غلادستون أسأله أن يلقي خطبة على مصر يذكر فيها حكومة
الملكة بأن هنالك معاهدات يجب عليها احترامها على شواطئ النساء لأن
المستر غلادستون يجب عليه أن ينصم حكومته باحترام المعاهدات التى يجب عليها
احترامها قبل أن ينصحها باحبار تركها على احترام المعاهدات المختصة بها وبعادها .

وقد كنت انتظر أن المستر غلادستون يقبل رجائى الا انه أجابنى بأنه شخص
ككل الأشخاص المجردين من كل حيثية وسلطة فلا يسوغ له التداخل فى مسألة مصر
مع أن المستر غلادستون هو بعينه وبصفته احد الافراد المجردين عن كل سلطة
وحيثية يتداخل ويتداخل فوق ما يلزم فى مسألة الأرمن . وهذا مما يثبت سوء
نيات الانكليز حتى القائلين منهم بضرورة الجلاء عن مصر .

(١) يقصد الأحرار ناعلمنا مثل غلادستون .

(٣) هل احساس الخديو نحو الانكليز على مثل احساسات أمته نحوهم ؟

حقا أن الخديو لا يريد الا أن يكون حاكما حقيقيا في بلده فضلا عن كونه مصريا يحب وطنه حباً صادقا . وهو يريد أن يكون جالسا على أريكة ملكه وأميرا على بلده ولا يقبل بحال من الأحوال أن يكون تحت حماية أى دولة أجنبية ومنذ ما استلم زمام الخديوية أظهر علنا وبكل صراحة احساساته الوطنية الشريفة وبذلك أوجد في مصر تيارا وطنيا يقوى ويزداد من يوم الى آخر وهذا التيار هو اليوم أقوى منه في سائر الازمان . وكل الذين يعرفون اخلاقه وصفاته يعلمون جيدا ان خطته الحالية لا تشير الى تجدد ضعف عنده ولا تدل على تنازله عن حقوقه ولكن تدل على أنه صابر يرقب الفرص والحوادث .

رأنا معشر المصريين نعلم جميعا أن خديونا المعظم يفكر دائما في تاريخ عائلته الكريمة المحتد ولا يغيب عن ذاكرته قط مجد جده « محمد علي » الذي طرد في أول هذا القرن (الانكليز) المحتلين بذلتهم (١) . عندما حاولوا أن يسلبوا مصر وان عباس باشا لجدير بأن ينال هذا الفخار .

وبالجملة فأنتى معتقد بأن الخديو عباس باشا لا يعتبر للحياة قيمة في جانب المحافظة على حقوقه التى هى اقدس شىء عنده خصوصا اذا كانت المحافظة على هذه الحقوق مرتبطة بمحبة امته اياه وبشرف عائلته المجيدة .

(٤) هل من الجائز أن بغض المصريين للانكليز يتحول الى بغض كل الأوروبيين النازلين في مصر ؟

حقا ان هذا السؤال لمن أهم الاسئلة . فان الامة المصرية عاشت من عهد المغفور له محمد علي الى هذا اليوم مع الأوروبيين على أكمل وفاق وأصفى وداد والأوروبيون والمصريون يخلصون لبعضهم في المحبة ولا خلاف يفرقهم ولقد كان دائما تساهلنا الدينى أحسن موفق بيننا وبينهم ومودتنا للأوروبيين مستمرة لا تتغير ولبدأ الذى جرى عليه ابناء وطنى دائما مع النزلاء هو « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » .

رمنذ احتلال الانكليز لمصر اتفقنا معاشر المصريين ونزلاء بلادنا في المطالب والأمانى . وانا نعلم علم اليقين أن مصالحنا ومصالحهم متحدة ضد مصالح الانكليز وأملنا أن أوروبا تخلصنا من يد هذا الاحتلال الثقيل فتزداد بذلك محبتنا للأوروبيين وتعظم ألفتنا مع نزلاء بلادنا منهم .

اذن فان أوروبا اذا أجابت نداءنا وحققت أمانينا ومطالبنا وحصلت الانكليز

(١) حملة فريزر سنة ١٨٠٧ .

– وهي قادرة – على احترام المعاهدات بقى الاتفاق والوثام بين المصريين والنزلاء
الاوروبيين تامين كما هما الآن بل واتم . اما اذا أهملت أوروبا زمنا طويلا حل المسئلة
المصرية فامتنا تضطر عندئذ للاعتقاد بأن كل أوروبا موافقة على الاحتلال راضية به
وانما تبغض كافة المسلمين بغضا دينيا ومتحاملة عليهم . وهذا يحمل الأمة بالطبع
على كره الأوروبيين عموما كرهها للمحتلين . وهذه نتيجة خطيرة من البديهي أن أوروبا
لا تعمل للوصول اليها .

المسئلة المصرية

(حديث سياسى) (*)

« نعم اننا متألمون من الاحتلال الانكليزى لانه مسيقط لكرامتنا باعتبارنا أمة فضلا عن كونه مخدشا لبلادنا حسا ومعنى فاننا أمة نقدر محبة الوطن حق قدرها ونعلم أن بلادنا مادامت تحت نير الاحتلال الأجنبي ومادما لا ندير شؤوننا بأيدينا فلا حق لنا فى أن نحسب انفسنا أمة من الأمم التى لها حقوق محترمة ولهذا نرغب من صميم اقتدنا التخلص من الاحتلال الانكليزى ولقد وعدت انكلترا أوروبا بالجلء عن مصر ونطق وزراء الانكليز بذلك فى بصريحانهم العلنية المتكررة وضمنت أوروبا بالمعاهدات التى عقدتها مع الدولة العلية حقوق الخديوية فمن الواجب احترام هذه الحقوق • وأوروبا التى نسأل اليوم جلالة السلطان احترام المعاهدات يجب عليها أن تسأل انكلترا قبل كل شىء هذا السؤال •

ولما كانت الامة المصرية متألمة ولها حقوق الخلاص من النير الانكليزى فترى للوصول الى غرضها سبيلين • سبيل الثورة والسبيل السلمى •
فأما سبيل الثورة فنحن لا نريده لاننا قبل كل شىء قوم مشهورون بالدعة وحب السكينة ونبغض المذابح والجرائم ومن جهة أخرى فإن لأوروبا عندنا مصالح قد تضربها الثورة •

وحيث كنا نحترم حقوق أوروبا ومصالحها فى مصر وربما أن الأمة اذا ثارت ضلعت عن سبيل الرشاد فلا تميز بين الانكليز وغيرهم من الأوروبيين اذ تقول وقتئذ « لقد تطاهرت أوروبا ضدنا بموافقتها على الاحتلال فمن الواجب اذا العمل ضدها » لذلك اعرضنا عن سبيل الثورة الذى نكره بفطرتنا •

وعلى ذلك قد اخترنا السبيل السلمى ورفعنا صيوتنا الى مسامع أوروبا المتمدنة بمطالبنا الحقيقية • وان الساعة قد أذنت ولا محالة وتحتم على أوروبا أن تكره الانكليز على الجلء عن مصر •

(*) حديث مع جريدة الاكسترا تاجيلاط النمساوية ايان تواجده بالنمسا من ٢٤ أكتوبر حتى ٣٠ أكتوبر ١٨٩٦ اذ سئل عن موضوع (المصريون والاحتلال) فكانت اجابته •

ولقد كان الاجدر بانكلترا ان تثبت عدالتها ومحبتها للانسانية بوفاء عهودها ووعودها والجلاء عن مصر لا باظهار محبتها للأرمن وشفتها ٠٠ عليهم !!

ومن الوجهة الادارية نرى الانكليز قد أضروا بمصر ضررا بليغا حسا ومعنى فهل الانكليز لا يزالون محتلين القطر المصرى لاعادة الأمن الى ربوعه ؟؟ كلا . فان الأمن قد تأيد فى مصر بعد مضى أيام قليلة من سجن عرابى وأنه يكون من العار العظيم على الانكليز ان يدعوا بأن الامن لم يتأيد مع احتلالهم لمصر ١٤ عاما .

أو هل الانكليز محتلون الديار المصرية الآن لتقوية سلطة الخديو على اريكته ؟؟ كلا . فإنه لم ينل أمير من امراء مصر احترام شعبه ومحبة مثل ما نال منها خديونا الحالى عباس الثانى وان الانكليز هم وحدهم الذين يعملون فى مصر ضد سلطته فلا يستطيع أن يستعمل أول حق من حقوق الولاية والملك الا وهو حق اختيار الوزراء الذين يديرون شؤون البلاد بأسمه فأن انكلترا هى التى تسميهم له وقد اعترضوه اعتراضا وقحا لما لاحظ على جيشه بعض الشئ الذى رآه وبالجمله فهو لا يمكنه اليوم أن يعمل ضد رغبة الانجليز (١) وحتى لا يمكنه أن يزور باريس بصفة غير رسمية الا وتسببه وتتطاول على مقامه السامى الجرائد الانكليزية البذيئة

(١) ٠٠ اهتم الخديو عباس الثانى بأمر الجيش منذ اعتلائه الاريكة الخديوية ، فوطد صلته به ، وأمر بتروية الكثير من الضباط المصريين ، وكان يشبه المناورات الحربية بنفسه ، ويقوم بالتفتيش على الثكنات . مما أغضب اللورد كتشنر Kitchener سردار الجيش المصرى ، فاحتج لدى كرومر ، واستقر الأمر على انهاز أول فرصة لخلق اهتمام الخديو بالجيش . لكنه تمكن بعد تعيينه الفريق ماهر باشا فى وكالة الحربية من الوقوف على حقيقة أحواله علاوة على بثه بعض العيون فى فرقته ووحداته التعليمية .

وبمناسبة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوى فى ٨ يناير ١٨٩٤ سافر فى اليوم الثانى للاحتفال الى الصعيد لتفقد أحوال الجيش المربط فى أسوان وجنوبها يصحبه عمه الأمير أحمد فؤاد ومحمد ماهر باشا . وكبار رجال المعية ، حيث كان الضباط المصريين قد قدموا اليه شكوى من سوء معاملة فائدهم ٠٠ ويروى أن هناك سببا آخر للسفر ، هو علم الخديو بخطة سرية أعدها كتشنر ، وتتضمن ارسال جيش لمحاربة التعايش ويبدو انه كان فى نيته توجيه الانتقادات للضباط الانجليز الذين يشرفون على الجيش المصرى ، فكان استعراضه قوات الجيش فى وادى حلعا فى ١٨ يناير ١٨٩٤ مبدئا استعراضاته وملاحظاته على سير الاورطتين الثانية والحادية عشر ، وطلب القومندان باتر الطايور وأبدى لهم ملحوظاته . ثم القى خطبة على مسامع الضباط انتقد فيها طريقة التعليم التى يمتهجها الضباط البريطانيون ازاء الجيش المصرى ٠٠ فثار كتشنر مدعيا كرامة الضباط الانجليز ، وقدم استقالته وحاول الخديو اثباته عنها وان ما وجهه أمر يراه كمصرى وكقائد للجيش ٠٠ ولم يقصد سوى لفت نظر القائدين الى ضرورة السهر على الكمال والنظام وفعل ذلك مدفوعا بحبه لجيشه ٠٠ ولكن كتشنر صعد الأمر وافتعل أزمة حادة بما يوحى بها كنية مبينة وصور لكرومر أن الأمر غاية فى الخطورة وأوصى له بمناسبة الفرصة لعزل ماهر باشا المناوىء للانجليز ٠٠ واستكمالا للتصعيد أحيطت الحكومة البريطانية علما - وجاء ردها يعبر عن الاستياء فكان التهديد بخلق الخديو اذا لم يعتذر ويسحب انتقاداته ، وأصر كرومر على ذلك ولم يسح قنصل فرنسا والروسيا سوى التوفيق بين الطرفين وأزاء التهديدات أبلغ الخديو اعتذاراته وتوضيحه كرومر ، فى تصريح رسمى باللغة الفرنسية والعربية ، الأمر الذى أصاب نفوذه بضربة قوية وتصدعت هيئته بالفوس .

د. عبد المنعم الجيمى / مرجع سابق ص ٧٨ الى ص ٨٩ .

وفضلا عن ذلك فان للانكليز في مصر جرائد ينقدونها أجرة الطعن على الأمير والعمل للفض من واجب احترام مقامه في أعين الأمة ولا يمكن أن يحسب راضيا بهذه المعاملة ولكنه متبصر وصبوراً على أنه لا يوجد عند الأمة شيء أقدم من كلمة الأمير لو أراد شيئاً .

أو هل الانكليز محتلو مصر لتربية المصريين وتعليمهم شئون بلادهم ؟؟ كلا . فان أعمالهم جميعاً تثبت عكس ذلك . انهم يقفلون المدارس في أوجه الطلاب . وها هي مدرسة الطب أوضح مثال فقد كان عدد تلامذتها قبل الاحتلال اكثر من مائتي طالب ولكنهم الآن لا يزيدون عن التسعة وهم يفسدون اخلاق التلامذة حيث يطلعونهم على الجرائد الانكليزية المملوءة طعناً على الأمير والوطن المصري ويعطونهم كتب تاريخ تسب الرسول وتسخر بالعقيدة الاسلامية وبالجملة فهم يربونهم على أن ينكروا وطنهم ويجحدوا قوميتهم كل الجحود ويكونوا خدماً وعبيداً للانكليز . وفي الادارات (١) والنظارات استولى الانكليز على أهم الوظائف حيث ابعادوا الوطنيين منهم وقربوا الاجانب والدخلاء الذين يسهل عليهم قيادتهم وربما قربوا بعض السذج والخونة من الوطنيين ليتبنتوا بذلك كله ان مصر غير قادرة ان تحكم نفسها بنفسها .

أو هل الانكليز محتلون مصر لسعادة الفلاحين وخيرهم ؟ كلا . فالانكليز يحتقرون قبل كل شيء المصريين احتقارهم للمعاهدات واني أقدم لكم مثلاً على ذلك . ذهب يوماً من الايام أحد عمال مصلحة التلغراف يحمل نسخة تلغراف الى مهندس انجليزى فلما قدمه اليه سألته آداء لوظيفته أن يمضى على وصول الاستلام فرفض الانكليزى وكرر ساعى التلغراف الطلب لانه لا بد ان يأخذ وصل الاستلام بمقتضى وظيفته فما كان من الانكليزى الا ان تناول بندقيته واطلقها على المصري المسكين فسقط مضرجا بدمائه . ولم يعاقب السادة الانكليز هذا المهندس الا بنقله الى الهند !! (٢) .

ولا تنس المحكمة المخصوصة التي تحكم في المنازعات التي تقع بين المصريين والعساكر أو البحارة الانكليز وهي تحكم لغاية الاعداء بلا قانون وتأمّر بتنفيذ حكمها في الحال فينفذ .

(١) انظر الى تعليقنا على حديث ١٨٩٦/٩/١٥ .

حاشية رقم ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) وقع هذا الحادث في سنة ١٨٩٦ ذلك ان أحد عمال مصلحة التلغراف قد حمل تلغرافاً الى مهندس انجليزى بالجيش البريطانى ، ولما طالبه ساعى التلغراف بالتوقيع بالاستلام رفض المهندس الانجليزى ولما كرر ساعى التلغراف طلبه بالتوقيع أطلق المهندس بندقيته عليه فارداه قتيلاً . والتعريب ان المحكمة المخصوصة بدلا من معافية الجاني برأه وبنت حكمها على أن القتل قد اثار المتهم مما دفعه الى ذلك التصرف .

واكتفت المحكمة بنقل الضابط الى المستعمرات الانجليزية بالهند . ولم يكن صرفها بإبعاد الضابط المهندس عن البلاد حرصاً على مشاعر أهل القتل بل حرصاً على المحافظة على حياة هذا الضابط التي هي أثمن في نظرهم من حياة أى مصرى .

جريدة المؤيد اليومية ٢٦ بونية سنة ١٨٩٧ العدد ٢٢١٠ .

وأما من حيث الوجهة المالية فلما كان الانكليز مضطرين لدفع مرتبات باهظة لموظفيهم قد أعلوا الضرائب حتى أصبحت مصاريف الادارة المصرية سبعة ملايين من الجنيهات خلافا لاتفاقية (١) لندرة التي تحددها بخمسة ملايين فقط .
 وديون الفلاحين لم تكن قبل الاحتلال الانكليزي الا سبعة ملايين جنيها بلغت اليوم أكثر من اثنين وعشرين مليونا .
 أم هل الانكليز محتلون مصر اليوم لمصلحة أوروبا ؟ كلا . ثم كلا . فإن أول غرض للانكليز من احتلال مصر هو تقويض أركان النفوذ الاوروبي لا ليعود ذلك على مصر بالاستقلال في المستقبل ولكن ليحصروا القوة في ايديهم .
 ولقد أفزعت تصرفاتهم المالية حملة القرايطيس (٢) المصرية ونراهم اليوم « أي الانكليز » يجتهدون في الغاء المحاكم المختلطة التي هي أعظم ضمانا لأوروبا في مصر .
 ومن جهة أخرى يجب أن لا ننسى المسئلة الجارية فان للانكليز في الجمرک وزانين وعيارين ولست في حاجة لأن أقول لك أن التجارة الانكليزية هي المميّزة بجملة مزايا خصوصية .
 وبالاختصار فإن انكلترا محنلة القطر المصري لمصلحتها الخصوصية ليس الا .
 وان كانت أوروبا تريد تحقيق السلام وضمانه حقوقها وانصاف أمة متمدينة معتدلة كريمة فعليها وجوب حمل الانكليز على الخروج من وطننا في أقرب وقت والسلام .

(١) عقدت هذه المعاهدة في ٥ يوليو سنة ١٨٤٠ بين انجلترا وروسيا والنمسا وروسيا وتركيا ولم تذكر هذه المعاهدة بالتحديد قيمة الجزية السنوية التي تدفعها مصر الى الباب العالي ولكن في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ صدر فرمان حدد قيمة هذه الجزية وهو أن ربع إيرادات الحكومة المصرية الحاصل من دخل الجمارك والخراج والضرائب يرسل الى حيزنة الباب العالي ويخصص الثلث الارباع الأخرى لشؤون مصر من نفقات الجباية والادارة العسكرية والمدنية وحاجات الحكومة والغلال .
 ويبدو أن مصطلح كامل حدد مبلغ الخمسة ملايين جنيه الخاصة بمصاريف الادارة المصرية من واقع الدخل الحاصل في الخزنة والذي وجدته بها في هذه السنة ١٨٩٦ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي - عصر محمد علي - القاهرة ١٩٥١ ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٦٤ .
 (٢) بدأ العمل بنظام الأسهم منذ نهاية ١٨٧٦ من خلال المراقبة الثنائية الأولى وهي الفترة التي بدأت بين صدور الأمر الخديوي بفحص مالية مصر وبين تأليف الوزارة الأوربية في أغسطس ١٨٧٨ والتي تولى فيها موظفون أوربيون مالية مصر لصالح حملة السندات وان كانوا ظاهريا في خدمة مصر وظهرت كفاية هذا النظام في السرعة التي تم بها دفع فوائد شهر يناير وقد أدى ذلك لوفوف الأعمال الصناعية على اظهار أموالهم عنوة ثم تسريح عدد من رجال الجيش وحبست مرتبات الموظفين . . ويقول روزشتين « ... ان التقارير الواردة من أنحاء القطر متفقة على أنه قد عمل بجمع إيراد السنة المقبلة قبيل دخولها !! وقد تابع هؤلاء استخراج ربح الدين من القلاح المصري والحكومة المخربة » .
 وبعد أن وضع انكلترا يدها على مصر رسميا وبولى لورد كرومر الأمر فيها عمل على تشكيل لجنة هو أحد أعضائها لتفطية ما تراكم من الديون السائرة وتعديل قانون التصفية وقد رأت اللجنة أن السبيل الوحيد لحل مشكلة الديون هو تخفيف أرباحها بمقدار ٣/١٠ أو بمباراة أخرى اعلان افلاس جديد وقد وضع كرومر نصب عينه تركيز عنايته الى الادارة المالية وكذلك عنى بكل ما له صلة مباشرة به .
 - تيودور روزشتين ، ترجمة عبد الحميد العبادي ومحمد بدران ، حصول في المسالة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٦ .

حديث عن المسألة المصرية ★

« لا تظن يا حضرة المكاتب ان المسلمين يكرهون المسيحيين أو في نفوسهم شيء من البغضاء لهم . وان الذين يصرخون في أوروبا بتعصب المسلمين الديني انما يضررون اعظم الضرر بمسيحي الشرق فاذا تساهلت أوروبا زمنا طويلا وأغضت عن الكتابات والخطابات العدائية ضد الاسلام اضطر المسلمون عندئذ ان يجزموا بأن أوروبا قاطبة متعصبة ضدهم محاربة لهم حربا دينية وان نتيجة انتشار اعتقاد كهذا الاعتقاد في العالم الاسلامي لعظيمة الخطر على العالم كله . »

وماذا تفولون معشر الاوروبيين اذا قام اليوم علماء الاسلام وقتلوا قسوس الانجليز والقوا في الجوامع والمساجد الخطب الدينية ضد النصرانية والنصارى وحرصوا هذه الأمم التي يبلغ عددها ثلاثمائة مليون من النفوس ضد المسيحيين ؟

ولقد رأيت بنفسك يا حضرة صاحب المكاتب في الحوادث الاخيرة برهانا واضحا على عدم تعصب المسلمين ضد المسيحيين فهل نال أحدا من الاوروبيين شيء من الاذى ؟ كلا ثم كلا انما بغض الأرمن وان كان شديدا فانه طبيعي لأن هؤلاء القوم الذين كانوا في رغد تام من العيش وفي نعمة زائدة لم يجدوا وسيلة يظهر بها امتنانهم للدولة العلية غير الثورة والجرائم والمذابح !! فأولئك المجرمون هم المسؤولون وحدهم عن مصائب اخوانهم الأرمن الذين ماتوا أبرياء وذهبوا ضحية عمل فريق منهم .

واذا كانت أوروبا تريد حقيقة العمل للتوفيق بين المسلمين والمسيحيين فعليها أن تجبر انكلترا على احترام المعاهدات وحقوق السلطان في مصر التي هي من الخلافة الاسلامية روحها وقلبها . واعتقد يا حضرة المكاتب أنه متى انحلت مسئلة مصر لا يكون لانكلترا فائدة من الآن في دس الدسائس للدولة العلية . .

(*) أجرى هذا الحديث مع جريدة فرنكفور تركويريه الالمانية أثناء وجود مصطفى كامل بالاستانة في ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٦ .

او ليس من الغرائب أن أوروبا الممدينة بهمل حمل انكلترا على احترام حقوق
السلطان في مصر ثم هي بنفسها أوروبا التي تسأل السلطان نفسه احترام
المعاهدات ؟؟ .

أما الجواب على سؤالك لى عن نفوذ خليفة الاسلام المعنوى بين الأمم الاسلامية
فقطعى لا ريب فيه . وان للخليفة الاسلامى نفوذا هائلا لا يدركه الفكر بين كل الأمم
الاسلامية . واذا كان يوجد فى أوروبا أناس يقولون عكس ذلك فانهم يغشون أوروبا
ليلقوها فى هاوية خطر عظيم .

ويكفينى أن أقول لك أن كلمة واحدة من جلاله الخليفة تكفى لتسيير الأمم
الاسلامية كلها فى أى سبيل يشاء فليتيقظ لذلك الامر محبو السلام فى أوروبا .

كشف الغطاء عن دسائس الانكليز ★

السياسة ذات الوجهين

ما هي احساسات المصريين نحو الانكليز ؟

ان عموم المصريين كارهون للاحتلال الانكليزي وهم يعتقدون اليوم ان غاية السياسة البريطانية امتلاك كل وادي النيل . ولذلك فقدوا الآن ما كان عندهم من الثقة في وجود الانكليز . وبالاختصار فقد تعلمنا من الاحتلال الانكليزي أن نعتقد بأنه لا شرف ولا دمة في السياسة .

ما هي رغائب الوطنيين المصريين أو الحزب الوطني في مصر ؟؟

ان الحزب الوطني (١) في مصر هو عبارة عن الأمة بأسرها تجاه الاحتلال فرغائبه هي رغائبها . وأهم هذه الرغائب تحقيق الجلاء عن مصر من غير أحداث (٢) أي اضطراب أو أي أمر من شأنه تكدير الامن العام .

ولهذا الغرض قمنا نستلفت أنظار أوروبا الينا بالقلم واللسان ولسنا يغير القلم واللسان نريد أن نخاطب أوروبا ونستفزها للنظر في مصلحة بلادنا . أما الانكليز الذين يدعون أنهم احتلوا مصر لتأييد الأرمن فيها فانهم يعملون جهد استطاعتهم لاحداث اضطرابات في البلاد فهم يجتهدون في اهاجة خواطر المسلمين ضد المسيحيين وينشرون رسائل تطعن على الدين الاسلامي وتدعو المسلمين لاعتناق النصرانية وييطعنون في جرائدهم على خليفة الاسلام الذي له في مصر سلطة معنوية لا يحدها العقل . كل هذا مع احتقارهم لسائر المنظمات والقواعد الشرعية .

(★) حديث مصطفى كامل الى جريدة نيويورك هيرالد في ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٦ :
علقت الجريدة أهمية على زيارة مصطفى كامل للاستانة في تلك الفترة المحدوده سابقا واعتبرتها فرصة سانحة لاطهار ولاء المصريين للباب العالي بعد اشاعة الفتور في العلائق الخديوية بالعرش العثماني .
(١) هكذا كانت فكرة تكوين حزب وطني تراود مصطفى كامل ، على أساس ضرورة ايجاد تجمع وطني منظم تقف في وجه المحتل يحمل اسم أول حزب وجد عام ١٨٧٩ ، (ركريا سليمان : الحزب الوطني ص ١٩) .

(٢) كان مصطفى كامل في جميع مراحل كفاحه يفيض العنف والثورة في تحقيق الجلاء .

ولذا كان عمل كل وطنى صادق فى مصر موجها الى تسكين خواطر الامة النى
من الجائز أن تنثور يوما بسبب تحريضات شيعة الانكليز .

ولكن قل لى لماذا يرغب المصريون فى الجلاء والانكليز يشيعون أنهم فى أرغد
عيش تحت سلطتهم ؟؟

— اننا نعمل للجلاء أو تحرير وطننا أولا لأننا نشعر بواجباتنا وحقوقنا ونعتقد
ان من واجباتنا القيام بمثل هذا العمل الشريف وأن فينا من الحياة ما يكفى لتمتعنا
بكل حقوقنا .

أما ما يشيعه الانكليز من اننا سعداء نحت سلطتهم فهذا كذب قام بدحضه
البرهان اذ الحقيقة أن المحتلين فرقوا مصر أحزابا حسا ومعنى .

هل لك أن تقول لى ما هى خطة مصر بازاء الدولة العلية (الجواب على هذا
السؤال وعلى الذى بعده هما ولاشك بيت القصيدة من هذا الحديث) .

أن سياسة مصر نحو الدولة العلية — وهى السياسة التى يجرى عليها الوطنيون
المصريون هى سياسة حسن التقرب منها وتوطيد العلاقة الحسنة على قدر الامكان بين
التابع والمتبوع .

. فالتاريخ ينذرنا بألا نتبع سياسة أخرى غير سياسة المحاسنة لانه اذا كان
الانجليز فى مصر الآن فالسبب فى ذلك ولاشك هو النفور والخصام اللذان كانا
مستحكمين قبل الاحتلال بين جلالة السلطان (١) والخديو السابق توفيق باشا .
ولقد نجح الانكليز فى التفريق بينهما بالسير على سياسة ذات وجهين ، فأفهموا
جلالة السلطان وقتئذ ان خديو مصر عدو له يعمل لاسقاط جلالته عن عرش الخلافة
ليجلس هو عليه كما سعى لذلك من قبله جـسده الاكبر (محمد على) وأفهموا
المرحوم توفيق باشا من جهة أخرى ان السلطان يعمل ضده ويسعى لعزله عن كرسى
الخديوية ليعد مصر ولاية عثمانية كما كانت عليه من قبل العائلة الخديوية .

(١) لم ينظر الى الخديو نوفيق فى الاستانة بعين الرضا والعطف لأن السلطان عبد الحميد لم
يمفر له عدم ذهابه الى عاصمة السلطنة حين ولايته الحكم ليقدم له فروض الولاء ، وكان السلطان العثمانى
قد انتهب فرصة تولية توفيق بعد اسماعيل وحاول ان ينقص من حقوق البلاد السياسية وهى الحقوق
التي حددها فرمان سنة ١٨٧٣ وكان يعتقد أن الحقوق التى منحها لاسماعيل لا داعى أن يتمتع بها خلفه
الذى لا يروق له لا سيما وأن اسماعيل لم يحسن استغلال الامتيازات التى منحت له لهذا وجد السلطان
فى الثورة العراقية فرصة سانحة للتدخل فى مصر وانتقاص من سلطة الخديو بدليل انه ارسل وفد
عثمانى بقيادة على نظامى باشا بعد واقعة عابدين دون علم الخديو أو دون استشارة مصر فى ذلك فى
٦ أكتوبر سنة ١٨٨١ .

(د . مجاهد مصطفى صفوت — مرجع سابق ص ٣٩ ، ٣٠) .

فلما قامت مشكلة عرابي رأى الانكليز من تمام المهارة ومن وسائل بوسيع خرق الشقاق أن يبرهنوا للخديو على كراهة السلطان له فسعوا عند الخليفة سعي الصديق حتى حلوه على تقليد عرابي بالنيشان العثماني الاول !! ومن هو عرابي؟؟ هو الذي كان يدعى يومئذ بأنه المدافع عن حقوق السلطان في مصر . وهذا الأمر أوغر صدر المرحوم توفيق باشا والقاء في حضي الانكليز . وها هم الانكليز الآن يعملون جهد استطاعتهم للشقاق والتفريق بين الجناب الخديو وجلالة السلطان ولكن ما نعهده في اميرنا الحالي من التبصر والحكمة والوطنية يحقق لنا أنه يعمل دائما لتأييد المحاسنة والتقرب من الدولة . وهي السياسة التي في اتباعها سلامة الكرسي الخديوي والوطن المصري .

هل يمكنك أن توضح لي السبب الحقيقي للحملة على (١) ؟

ان مرمى السياسة الانكليزية من يوم احتل الانكليز مصر هو الاستيلاء على السودان . فهم يرغبون امتلاك هذا الوادي المملوء بالخيرات والثعيم وهم أدركوا أن من ملك السودان يملك مصر وانهم اذا اضطروا اجابة لقرار أوروبا للانجلاء عن مصر يبقى السودان تحت سلطتهم .

ولا يخفى أن السودان بلاد لا ديون عليها لاوروبا كمصر فامتلاك الانكليز لها يجعلها مستعمرة انكليزية مطلقة وكل أعمال الانكليز من يوم الاحتلال موجهة لهذه الغاية .

فلما احس ابناء التاميز (٢) في سنة ١٨٩١ أن فرنسا والروسيا تشتغلان بوضع اساس اتفاق لحل المسألة المصرية وخافوا أن هاتين الدولتين تعضدان النجاشي (٣) بالضباط والاسلحة فيسر بجيشه الحار الى السودان وهم يدركون عواقب ذلك - أوقعوا بن ابطالبا والنجاشي ، ولم يكن ثم غرض لهم الا ان يمنعوا ملك الحبشة من التقدم في السودان وقد تحجت سياستهم نحاحا عظيما ، القت ابطالبا بنفسها بن بدي الأحاش وما عملت شيئا غير كونها خدمت سياسة الانكليز ومشروعاتهم الخفية بمالها ودماء ابناءها .

ولمهارة الانكليز في سياستهم انتهزوا فرصة انهزام الايطاليين وقرروا حملة دقلة بحجة مساعدة ايطاليا المنهزمة لينالوا بهذه الحجة رضى التحالف الثلاثي عن الحملة وموافقته عليها .

(١) انظر تحليلنا على حملة دقلة في الحديث الذي دار بين مصطفى كامل وجريدة الليبر بارول الفرنسية في ١٨٩٦/٩/٧ ، ص ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ حاشية (٢) .

(٢) يقصد الانجليز .

(٣) ملك الحبشة .

١- نرى الانكليز يريدون الآن تمثيل آخر فصل من هذه الرواية بطلبهم ابتياع
كسلا من ايطاليا !!

وبمثل هذه الاعمال تسخر انكلترا من أوروبا بأسرها حيث لم تعمل هذه عملا
ما لخراج تلك من وطننا العزيز !

«دعوة للأمة الألمانية» (*)

« انى أنقدم للأمة الألمانية فى هذا اليوم التاريخى الذى تحتفل فيه بالعيد السعيد لتذكّار جلالة الامبرطور غليوم سائلا اياها معونة بلادى ومساعدة وطنى السىء الحظ .

وانى أعلم علم اليقين أنه لكى تجرى أمة من الأمم فى سبيل سياسى يلزم زمن طويل وعمل عظيم ولكنى أعلم أيضا أن الحقيقة لو كانت معلنة على لسان رجل واحد تكفى وحدها للتأثير على الضمائر والافكار ، ولا شىء يشجع النفوس الميالة للحرية مثل ميل الأمم الحرة الى نشر الحرية بين سائر بنى الانسان وانا تعلم جيدا أن الأمة الألمانية لا تستطيع مطلقا الا المناداة بحرية مصر والمساعدة على الوصول اليها وان بلادنا لجديرة حقيقة بالرعاية والعناية من الأمم الحرة لأنها برهنت على شدة احترامها للمدنية والانسانية وما وجود الاحتلال الانكليزى فى ربوعها الا برهان ساطع على ثقتها بدول أوروبا حيث أنها بثقتها هذه قبلت توسط انكلترا فى اعادة الأمن الى البلاد بعد ثورة عراقى .

ولقد تأيد الأمن فى مصر فى العام الأول من الاحتلال ولم يعد هناك حاجة ما لوجوده الا تخريب وادى النيل حسا ومعنى .

فعوضا (١) عن تأييد سلطة الخديو وهو السبب الأول للاحتلال صار الانكليز اليوم لا يعملون الا على تقويضها الى حد أنهم أصبحوا يعضدون الرجال الذين اشتريتهم انكلترا والذين هم قليلون جدا كما هم محتقرون للطعن على (٢) سمو الخديو والتظاهر ضده .

(*) نشرت بجريده يريزنا حلاط الألمانية فى ٨ فبراير سنة ١٧٨٧ بمناسبة الاحفال بعيد ميلاد الامبرطور غليوم فى ٢٧ يناير سنة ١٨٩٧ .

(١) انظر تعليقنا على هدم سلطة الخديو وتقويضها فى حديث الجريدة الاكبر الفرنسية فى ١٥/٩/١٨٩٦ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ حاشية (١) .
(٢) المقصود جريدة المقطم وهيئة تحريرها .

فأولئك الانكليز بأعينهم الذين كانوا يعتبرون سابقا سخط العربيين على الخديو توفيق جريمة لا تغتفر أصبحوا اليوم يعتبرون محبة سمو الخديو (عباس حلمي) جريمة الجرائم .

وهم دون أن يأتوا بأى نافع لمصر نفسها ما عملوا الا على تخريبها وتدمير معالمها فلقد بلغ فقر الفلاحين لازدياد الضرائب مبلغا لا يحده الفكر ووضحت اليوم غايات الانكليز الشخصية ذات المفعول الاسمى وباتت العدالة اسما بلا معنى وبلغ الظلم العسف تحت حكم انكلترا الى حد أن الانكليز صاروا الآن يحرقون الناس جهارا وهم أحياء .

ولما رأت الأمة المصرية مقدار احتقار الانكليز لكل الحقوق الشرعية وشعرت تمام الشعور بالأمها ومصابيها نطقت بحكمها النهائي على الاحتلال الانكليزى بأن قضت عليه شر قضاء فلقد أعلنت مصر بأعلى صوتها باقلام كتابها الفضلاء وعلى السنة خطبائها ونوابها الذين تنتخبهم انها لا تستطيع مطلقا تحمل الاحتلال الانكليزى وانه يجب أن تعيش أمة حرة وأن تحقق أوروبا لها هذه الحرية الى الأبد .

وان القضاء على الاحتلال الانكليزى من الأمة المصرية بهذه الصورة الجهرية لقضاء ذو قيمة عظيمة فى نظر العالم بأسره فان أمة تستطيع بما لها من الكفاءة والمدنية أن تحكم نفسها دون ان يضر ذلك بمصالح الدول المتمدنية يجب أن تحرر ويجب أن تعيش حرة .

نعم ان مصر يجب أن تحرر ويجب أن تعيش حرة ليس فقط لأنها تستحق هذه الحرية بل ايضا لان فيها المصلحة السامية لكل العالم فلقد رأى الناس طرا أن انكلترا تهدد مصالح مصر ومصالح أوروبا الاساسية واصبحت بريطانيا العظمى بلا ريب تعمل اليوم على خرابنا وامتلاك بلادنا فماذا تنتظر أوروبا اذا ؟؟

أن هذا السؤال يلقي صراحة على الأمم الأوروبية وهو هل ترضى بأن تقتل أمة حية علنا فى آخر القرن التاسع عشر ؟ كلا انا لا نظن ذلك . ولذا اخذنا على عهدتنا مناداة الأمم الأوروبية وقد جئت اليوم انادى الأمة الالمانية العظيمة السطوة .

لقد تعهدت انكلترا لأوروبا بأسرها أن تنجلى عن مصر متى استتب الأمن فيها . وتعهدت الدول نحو بعضها بالمحافظة والدفاع عن سلامة مصر واستقلالها . فلماذا تترك انكلترا تحكم بلادنا ؟ أن تركها تحكم وادى النيل لمسبة علنية لأوروبا ولمسبة كبيرة للمدنية الغربية .

وبديهي أن لكل أمة تريد الاستقلال والتخلص من النير الأجنبى الحق فى رفع لواء الثورة والعصيان وازهاق النفوس وأسالة الدماء وللأمة المصرية كذلك هذا الحق الشرعى الذى لا ريب فيه . ولكن أليست أمتنا أجدر حقيقة بالرعاية والمساعدة اذا كانت هى حتى الآن مبتعدة عن سبيل الثورة لوثوقها بعدالة أوروبا .

انا منذ سنين عديدة حافظنا امام شعوب الارض على السلم وبرهنا على أننا أمة نريد من صميم قوادها نيل الحرية وتعمل للوصول اليها بدون اسالة الدماء .

فأمة هذا شأنها من المدنه وهذا شأنها من الوثوق بالمدنية هي بلا محالة جديرة باتعاطف الامة الالمانية نحوها ومساعدتها لها .

ولقد تحققنا من ظروف عديدة ان فرنسا وروسيا تريد ان مساعدتنا على تحرير وطننا (١) أما ألمانيا فقد بقيت على الحياد . فلم لا تتحد مع جارتها في تحرير مصر ذلك التحرير الضامن للسلم والعدل والانسانية .

لقد صرح في يوم ١٦ نوفمبر الماضي بأعلى صوته من منبر خطابة مجلس الريشتاغ البارون فون مارشال وزير الخارجية الالمانية بأن « من مصلحة المانيا السبر مع فرنسا وروسيا بالاتفاق في جملة مسائل سياسية خارجية كما جرى ذلك في مسألة الصين واليابان » وبديهي أنه ليس هناك من مسألة تتحد فيها مصلحة المانيا مع مصلحة فرنسا وروسيا مثل المسألة المصرية .

فساعدينا اذا أيتها الامة الالمانية على استرداد حريتنا واستقلالنا .

ألا أيتها الامة الالمانية الا أيتها الامة المتمدينة العظيمة ان الانكلز محتلي بلادنا يمثلونك لنا بألة في أيديهم وبمدية يقبضون عليها للقضاء على حياتنا ونقيس عمرنا مع أن الحقيقة والتاريخ يبرهنان لنا على ضد ذلك .

(١) لقد كانت « مسألة مصر » في أول الأمر مرتبطة في ذهن المستشار الالماني بسمارك بمسألة بقاء الدولة العثمانية وحصيرها ولم تكن سياسة بسمارك في السنوات العشر التي تلت سنة ١٨٧٠ سياسة المحافظة على كيان هذه الدولة أو سلامتها ، فقد صرح مرارا انه ليس للحكومة الالمانية مصالح مهمة تدعوها للتدخل في شئون الدولة العثمانية لصالح مسيحيو أو مسلمو هذه الدولة وان كل ما يهمه ان يضع نفسه في خدمة أصدقائه وليست الدولة العثمانية واحدة منهم وكان بسمارك هو الذي دعا الانجليز الى أخذ مصر ، وهو الذي عمل على تثبيت أقدامهم فيها وعضد سياسة الاحتلال في سنة ١٨٨٢ ، فأبد الانجليز تأييدا لا تشوبه شائبة ونصرها بكل قوة ، وجعل من مسألة مصر وسيلة لربط انجلترا بدول التحالف الثلاثي المكون من ألمانيا والنمسا وإيطاليا للمحافظة على مركز ألمانيا المتفوق في أوروبا .

واسمرت ألمانيا على تعصيدها للاحتلال الى أن عارضت انجلترا سياسة ألمانيا الاستعمارية سنة ١٨٨٤ ، حينئذ هددت ألمانيا أنها ستناقش مركز انجلترا في مصر ومناصرة فرنسا عليها وقد اضطرت انجلترا امام معارضة فرنسا وتأييد روسيا للسياسة الفرنسية ان تحي الرأس أمام ألمانيا فقادت الحكومة انجاسرا امام معارضة فرنسا وتأييد روسيا للسياسة الفرنسية ان تحي الرأس أمام ألمانيا . ما لبثت هذه السياسة أن شايها شيء من البخر بعد زوال بسمارك من مسرح السياسة الألمانية فالتمس القيصر الألماني معارضة سياسة انجلترا في مصر ، مستعملا مصر وسيلة لحل مشكلة الكونغرس لصالحه ، ومن ثم أصبح لا يهمه في ذلك الوقت ان يشجر الزاغ بين الخديو عباس والانجليز ، ولا يهمه نمو الشعور القومي المصري اذا ما تعارض مع المصالح الألمانية .

(محمد مصطفى صفوت : مرجع سابق ص ١٢٠ ، ١٥٠ ، ١٥١) .

كلا . انتم لستم اذا اقوياء لتتركونا نموب !

كلا . انتم لستم اذا احرار لتحكموا علينا بالعبودية للانكليز !

مصر كلها نقل في هذا اليوم السعيد انكم تتحدون مع الدول الراحبة انصافنا
وتعملون معها على رفعنا الى مكانة الشعوب الحرة .

ونؤمل جميعا ان تذكّار ميلاد جلالة الامبرطور غليوم يعود على العالمين بالسلام
ما هي الحالة الحقيقية السياسية في مصر الآن ؟

مصطفى كامل فى برلين *

ما هى الحالة الحقيقية السياسية فى مصر الآن ؟

- انها لحالة فوضى عمومية فى ادارة البلاد وقلق شديد فى أفكار الشعب المصرى . فلقد أصبح بين المصريين وحكومتهم - كما يوجد بينهم وبين الانكليز - هاوية عميقة جدا . فان حكومة بلادنا ورجالها من صنائع الانكليز - تعمل فى مصر كل ما ينافى رغبة الأمة فكم من مرة طلب مجلس الشورى وهو الهيئة النيابية عن القطر اجراء اصلاحات فى الادارة والتعليم فالحكومة بدلا من أن تخضع لرغبة الشعب كانت تقابل المجلس باللوم بكل خشونة وتجري ضد رغائبه ومطالبه . والفضل فى ذلك لتعزيد الانكليز فأصبحت الامة المصرية اليوم لا احترام لها لحكومتها اما سمو الخديو فهى تعلم أنه رئيسها الوحيد الذى يحترم ادارتها ويحبها ويرغب فى خيرها وسعادتها فلذلك ترى مصر كلها مجمعة على محبته منتظرة أن تنال على يده مستقبلا سعيدا .

ومصر الآن بلاد قائم الاحترام المعنوى بها دائما بين الشعب والحكومة ، وحكومتها تعتبر نفسها مجرد آلة فى يد الانكليز ، وسمو الخديو يرى بعينه مصائب وطنه ولا يستطيع الى دفعها سبيلا ، حتى أنه يرى فى بعض الاحيان جماعة من ماجورى الانكليز يتجاسرون على الطعن فى مقامه الرفيع .

أما النزلاء الاوروبيون فقلقهم مثل قلقنا فهم يرون انفسهم مهددين من الانكليز الذين بدؤا فى هدم ما بنته أوروبا فى مصر واعلنوا بعبارات ملؤها الكبرياء انهم سيقضون على المحكمة (١) المختلطة بعد عامين . وليس بعد هذا تهديد لمصالح أوروبا فى مصر .

فقال المكاتب . وهل ترى علاقة بين مسائل تركيا ومسئلة مصر ؟

(*) حديث نشرته جريدة البرلينزنا جيلاط الالمانية فى ٧ أبريل سنة ١٨٩٧ .

(١) انظر الى تعليقنا على المحاكم المختلطة فى مقالة ١٨٩٦/٩/١٥ .

قال . لا ريب في ذلك فان الواقف على ما جرى بين تركيا وانكلترا منذ بدء الحوادث العراقية الى اليوم يعلم يقينه ان غاية انكلترا الوحيدة من حوادث الشرق واضطراباته هي تحويل نظر أوروبا عن مصر .

فلما تبوأ سمو الخديوى الحالى الاريكة الخديوية تغير مجرى الامور اذ أدرك سمو الامير ان الجفاء بين مصر وتركيا عقبة في سبيل انقاذ مصر من مخالب الانكليز فجرى على غير تلك الحطة فسعى الانكليز في الآستانة نفسها ضد الجناح الخديوى فلم يفلحوا ، ولما رأوا ذلك هاجوا ضد السلطنة والسلطان ليشغلوا أوروبا عن مصر وفوق ذلك فانهم يريدون بأعمالهم في الشرق أن يدخلوا في أذهان المسلمين أن أوروبا عدوة لهم متعصبة ضدهم مما يثبط بلا شك همه كل ذى وطنية في مصر ولكننا أدركنا قصدهم فلم نيتأس من مستقبل بلادنا المرجو . على أنه من المهيجات للخواطر أن أوروبا بأسرها تترك انكلترا تخدعها مثل هذا الخداع .

تم تكلم عن الاكتتاب الجارى في مصر لمساعدة الحكومة (١) العثمانية فقال : أنه وان كان المصرى لا يعرف الا وطننا واحدا وهو مصر فمن الامور الطبيعية المحضة أن يساعد المصريون جيش الدولة والخلافة ويظهروا بذلك امتنانهم للدولة لانها لم ترد ان تكون آلة في يد الانكليز ، .

(١) منذ أوائل مارس سنة ١٨٩٧ وقعت عدة حوادث عدائية بين اليونان وتركيا في جزيرة كريت ففكر كثير من أكابر المصريين في جمع اعانة مالية بواسطة الاكتتاب وارسالها الى الدولة العلية . وفي ١١ مارس سنة ١٨٩٧ ذهب وفد يمثل كبار الباشوات في مصر الى الحديو يلتمسون منه أن يكون الاكتتاب تحت رعايته فقبل الحديو هذا الالتماس .

وقد وضعت صناديق في المساجد وفي بعض المحال التجارية لقبول تبرعات العامة . وقد رادت التبرعات عقب وصول أنباء تفيد اختراق اليونان للحدود التركية واعتدائهم على الجيش العثماني مما اضطر تركيا الى اعلان الحرب رسميا ، والجدير بالذكر أن كثيرا من ضباط الجيش المصرى تقدم للتطوع في الجيش العثماني وكذلك الكثير من الاطباء .

(أحمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن قسم اول ج ٢ من يناير ١٨٩٢ - ١٩٠٢ ط ١ ص ٢٣٩)

اعانة المصريين للدولة

تكذيب صريح

جناب مدير جريدة الليبرتيه

قرأت ما نقلتموه عن جريدة الايجيپسيان غازيت الانكليزية التي تصدر بـثغر الاسكندرية واتهمتنا فيه نحن الوطنيين المصريين بالسعى في اثارة الخواطر والتجريض على احداث القلاقل والاضطرابات ولو علمتم جنابكم أنها جريدة الاحتلال وان اختلاقها علينا أصبح أشهر من نار على علم ما نقلتم عنها شيء . لأننا اذا كنا ندافع عن حقوقنا المسلوبة فذلك بالاعتدال والسكينة والطرق المشروعة واننا ما فكرنا أبدا في الاعتداء على النظام لان هذا يضر كثيرا بمسئلتنا الحيوية ولأن نفوسنا الوطنية تدرك مصالح أوروبا في مصر .

وانى أرجو جنابكم أن تسمح لى بأن أصرخ جهارا بأننا لم نفكر قط فى الطرق الثورية للوصول الى تحرير وطننا العزيز لكن الانكليز هم الذين يلغون بذور الشقاق فى مصر ويسعون بما لديهم من الوسائل الى احداث الاضطرابات فيها فلم يفلح سعيهم لاننا قاومنا حركاتهم بكل قوتنا .

ان مصر الآن شرعت فى جمع اعانة وطنية للجيش العثمانى وليس سبب ذلك البغضاء للمسيحيين مهما كانوا بل ان الذى بعثهم على ذلك واجباتهم لخليفة المسلمين لاسيما الواجب الوطنى .

نعم أقول أن واجباتهم الوطنية هى التى بعثتهم على ذلك اذ يهمننا أكثر من غيرنا سلامة المملكة العثمانية لأن سلامة ممالكها هى الاساس التى تبنى عليه حقوقنا الشرعية

(*) كان مصطفى كامل قد سافر الى باريس فاحس بتيار معاد له فى الصحافة الفرنسية نتيجة نشر مقالة فى جريدة (اجشيان غازيت) فيها طعن على أسلوب مصطفى كامل ثم نقلتها عنها الليبرتيه مما كان سببا فى اثارة الخواطر فى مصر وخارجها ، من أجل هذا سعى مصطفى كامل لهذا الرد ارجاعا للأمور الى نصابها ، وكان ذلك بتاريخ ١٧ أبريل ١٨٩٧ .
(على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ج ٥ ص ٢٢٩) .

ضد عمل الإنكليز يجب أن ننسى أن كل ما تبديه من مساعدة تركيا ننظر ونراعى فيه المسئلة المصرية ضد الإنكليز (١) .

وانه اذا كان يسوء الحكومه الإنكليزية أن تكون وطنيين مخلصين للدولة العلية التي مسئلتنا مسئلتها فنحن لا يهمنا ارضاؤهم لانهم خصومنا الغاصبون وسنسير فى طريقنا الذى رسمناه لأنفسنا وجعلنا أساسه المطالبة بالجلء رضوا أم لم يرضوا ! .

انا نعلم قبل كل شئ اننا فى حاجة الى مساعدة أوروبا فكيف اذا نعرض على النورة ضد الأوروبيين الذين يعيشون فى مصر . وهل لجريدة الإيجيسيان غازت أو غيرها ان تدلنا على شخص قال أو جريدة كتبت بما يؤخذ منه التحريض على الاضطراب !! .

المسئلة مسئلة شعور نحو الدولة فاذا تظاهروا اليوم بمساعدتها فى حرب بنيت على غير أساس الشرف بل على المطامع فانما تمثل ما مثلته الأمم الأخرى من قديم الزمان وهو عطف الاخ على أخيه فى زمن الشدة .

ان الذين يحرضون هم الإنكليز أنفسهم لأنهم كيف ينسحبون الى المصريين التهيج والاضطراب عندما يتضافرون لمد الدولة بالمال فى الحرب التركية اليونانية ولا ينسون انهم هم أصل هذه الحرب وانهم هم الذين حرصوا البونان ولا يزالون يمدونها بكل شئ ان لم يكن فى الجهر ففى السر ! .

(١) هذه كانت سياسة مصطفى كامل أن يظل تحت جاح الدولة العثمانية الوصية التشريعية على مصر حتى تكون انجلترا غير ذى صفة رسمية فى وجودها فيها . ثم بعد ذلك تكون تصفية الحساب مع العثمانيين (الرجل المريض) .

نحن واليونان ★

الاسكندرية في ١٦ مايو سنة ١٨٩٧ :

حضرة مدير الفارد السكندري .

لقد قرأت بكل استغراب في عدد أمس من جريدة الفار العبارة المختصة بالتلغراف الذي أرسلته الى باشكاتب جلالة مولانا السلطان (١) ولا شك أن الذي ترجم اليكم من العربية هذا التلغراف خطأ في فهم مرادى .
فاني ما فكرت قط في أن الانتقام من محتلى بلادى أى الانكليز يكون بأن تسحق الجنود العثمانية اليونانيين في أراضى تساليا (٢) .

(★) هذه المقالة نشرت بجريدة الريفورم الفرنسية التي تطبع بالاسكندرية « فلا عن مصطفى كامل

٣٤ ربيما ج ٦ ص ٧ - ٩ » .

(١) التلغراف المشار اليه هنا أرسله مصطفى كامل بمناسبة عيد الاضحى وكان نصه « أرجو منكم أن ترفعوا الى جلالة مولانا أمير المؤمنين أجل وأصدق تهانئنا بعيد الاضحى المبارك وانتصار الجنود الشاهانية المظفرة ، وإن جميع المتعلقين بعرش الخلافة العظمى يؤملون ان جلالة السلطان يحن لانين مصر السلوية الحقوق بسلطة الاحتلال الانكليزى فيشترط على دول أوروبا جلاء الانكليز عن مصر مقابل جلاء العساكر الشاهانية من بلاد اليونان ليتم بذلك فوز تركيا وخلص مصر » .

وقد اعتبره اليونانيين دليلا على كراهية مصطفى كامل والمصريين لهم ، وصرحت بذلك جريدة الفارد لكسندري وصاحبها اليوناني التمسر فرد مصطفى كامل على هذا الاتجاه بهذه المقالة .
(على فهمى كامل : مصطفى كامل في ٣٤ ربيما ج ٦ ص ٥ ، ٦) .

(٢) كانت ثورات جزيرة كريت المتكررة ضد الاتراك هي الشرارة التي أدت الى الحرب بين اليونان وتركيا سنة ١٨٩٧ والتي انتهت بسحق القوات اليونانية ، الا انه لم تنجح تلك الثورات لنقص الذخيرة والسلاح وتفوق الجيوش التركية ولما كان السلطان عبد الحميد قد وعد بمنح الجزيرة حكما ذاتيا سنة ١٨٧٨ ونسبة من وارداتها لتحسين حالها ولما لم يبر بوعده عادت الثورات للظهور وكان أشدها ثورة ١٨٩٦ التي اتزنت بفظائع شديدة بين سكان الجزيرة من الترك واليونانيين الذين يمثلون أغلبية السكان حينئذ أسرعت الحكومة اليونانية لمساعدة بني جنسها من الكريتيين بارسال جيش واسطول وحاولت إثارة يونان مقدونيا ضد الدولة العثمانية فأعلن السلطان عبد الحميد الحرب على اليونان وانتصر عليها =

ولكن ما لا ريب فيه هو أن حل المسئلة التركيه اليونانيه لا يتعلق فقط بالدولتين المتحاربتين بل أيضا بدول أوروبا واني أظن أن فى الظروف الحاليه لجلالة مولانا السلطان أعظم فرصه لاقامة المسئلة المصريه فان الدول الأوروبيه التى تريد أن تجبر جلالتة على احترام رغبتها وسحب عساكره الشاهانية من تساليا يجب عليها أيضا - وذلك مالا ينكره أحد - أن تجبر انكلترا على الجلاء من مصر .

فلماذا تتداخل أوروبا فى المشكله التركيه اليونانيه ولا تتداخل فى المسئلة المصريه ؟ لماذا تريد أوروبا أن تحمل جلالة السلطان على احترام رغبتها ولا تعمل هى على اجبار انكلترا على احترام حقوق جلالة السلطان فى مصر ؟

هذا هو رأى وهذا هو فكرى ولعله لا يرضيك ولعلك يا جناب المدير لا توافق على آرائنا وأفكارنا . ولكنه يجب عليك أن نحترمها كما أننا نحترم احساساتك وأرائك فأنت ترى الأشياء من حيث المصلحة اليونانيه وأنا أراها من حيث المصلحة المصريه . ومن العدل أن يكون كل منا لوطنه . لا لغير وطنه .

وأن اليونان بالرغم عن المحبة التى يتظاهرونها بها عدد منهم لمصر لا يمكنهم أن يطلبوا منا أن نرى كما يرون ونفكر كما يفكرون وعلى الخصوص أن نحن لبلاد اليونان أكثر من حناننا لمصر !

ويقطع النظر عن كل هذه الاعتبارات السياسية وعن احساسات أممتنا فأننا نعجب حقا بوطنية اليونان اذ أن كل مصرى محب لوطنه لا يمكنه مهما كانت آرائه السياسية واحساساته الا أن يحترم كل المدافعين عن وطنهم من أية جنسية كانوا ويعجب بهم .

ومما لا شك فيه أن مصلحة المصريين فى الظروف الحاليه هى ومصلحة اليونان على طرفى نقيض . ولكن هذه الاعتبارات كلها لا يجب أن تخلق اشكالات لا لزوم لها .

= انتصارا ساحقا فى تساليا وخشيت الدول الأوروبية متابعة النصر واعادة اليونان للحكم العثماني بعد أن أصبحت أثينا تحت رحمة الجيش التركى فتدخلت لوقف القتال فى مايو سنة ١٨٩٧ واجبرت اليونان على ارضاء تركيا بقسم صغير من تساليا ، ومن ناحية أخرى قررت جلاء الجيوش التركيه عن كريت وأعلنت محلها حاميات دولية لحفظ الأمن بعد أن يقام فيها حكم ذاتي تحت السيادة الاسمية التركيه وعينت الدول الامير جورج ثانى اولاد ملك اليونان حاكما على كريت ولم تنضم كريت رسميا الى اليونان الا سنة ١٩١٢ .

(أنور الرفاعي ، شاكر مصطفى : مرجع سابق ص ٢٨٥ - ص ٢٩٠)

وإننى أول من يشير على أبناء وطنى بمعاملة اليونان الآن – وهم منهزمون –
باللطف والرفقة ٠٠٠ اذ خبر ما يتمنى لمصر من حيث روابطها بالأوروبيين هو أن
يعيش أبنائها فى اتفاق مع النزلاء الأوروبيين المخلصين لها .
وإننى أرجو منك يا حضرة المدير أن نفضل بقبول فائق احترامى .

مصر والدولة العلية ★

« لقد لفتت أخيرا جريدة (برلينر نويست نخرشتن) أنظار أوروبا الى احتلال انكلترا لمصر . وأبانت ضرورة عقد اتفاق بين فرنسا وألمانيا والروسيا لمعارضة الاحتلال الانكليزي في مصر تحقيقا للجلاء السريع وأنه لرأى حق وصواب فان الظروف الحالية أحسن الظروف لوقوف المطامع الانكليزية عند حد محدود . فلقد تساهلت أوروبا كثيرا مع الانكليز وصار من المحتم عليها الآن أن تجبرهم على احترام المعاهدات الدولية واحترام الحقوق الشرعية للأمة المصرية .

وان البرنس بسمارك نفسه انذى خبر الانكليز أكثر من كل سياسى فى العالم هو أول من يوافق بل ينصح بجلاء الانكليز من مصر . وقد صرح بهذا الرأى جملة مرات وعلى الخصوص وقت المداولة فى معاهدة درومند وولف الشهيرة (١) :

ولم تبق مسئلة (٢) الترانسفال ريبا عند أحد فى ألمانيا بشأن ما ندعيه الحكومة

(١) هذه المقالة مشورة فى صحيفة المويد العدد ٢١٨٢ بتاريخ ٢٦ مايو ١٨٩٧ تمريبا فى جريدة (برلينونويست نخرشتن) التى كانت تصدر فى برلين - ألمانيا .
(٢) عقدت عام ١٨٨٧ وسبقت الاشارة اليها .

(٢) دخلت مستعمرة الكاب الهولندية ضمن مستعمرات الامبراطورية الانجليزية رسميا بموجب قرارات مؤتمر لندن سنة ١٨١٥ . ولكن اضهاد الانجليز لجماعة البوير دفعهم الى الهجرة للمناطق الداخلية فى الشمال فى الفترة من ١٨٣٥ الى سنة ١٨٣٦ حيث استقروا فى جهات ناتال واورانج والترانسفال ، وأسسوا لهم جمهوريتى الأورانج والترانسفال وقد اضطرت انجلترا سنة ١٨٥٤ الى الاعتراف باستقلالهما . ثم بدا الصراع بين البوير والاتجليزا اذاء محاولة رودس ربط القاهرة والكاب بخط حديدى واحد عبر افريقيا وحين اكتشفت مناجم الذهب والماس فى اراضى البوير سنة ١٨٨٠ فقامت انجلترا من جانبها بمحاولات لضم الترانسفال والمناطق المحيطة بها ، ولكن أحلام انجلترا اصطدمت بوجود بول كروجر رئيس جمهورية الترانسفال الذى كان يطمع هو الآخر فى تكوين جمهورية للبوير فى جنوب افريقيا لا تكون تحت رحمة انجلترا ، كما كان كروجر يطمع فى ضم بتشوانا لاند باعتبارها مخرجا طبيعيا للبوير الذين بدأت تضيق بهم أرض الترانسفال وهى نفس أطماع رودس بقصد فتح الطريق امام انجلترا من جنوب افريقيا الى الشمال . وازاء هذه الأطماع المتشابهة بدأ الصدام بين انجلترا وكروجر خاصة وأن الحكومة البريطانية قررت فى ذلك الوقت ضم الترانسفال وما حولها من مناطق البوير الى حظيرة السيادة البريطانية

الانكليرية من احساسات العدل والحق والانسانية التي تفود سياستها • على أن سلوك الانجليز في مصر أشد ظلما منه في الترنسفال وأنه لمن الواجب على أوروبا ألا تجعل أنظارها محولة فقط للمسئلة التركيه اليونانية بل يجب عليها أن تنظر أيضا نحو انكلترا • هنالك يعرف السياسيون في أوروبا أهمية المسئلة المصرية في الظروف الحالية اذ ليست مسئلة الترنسفال هي الشاغلة وحدها للسياسة البريطانية بل ان هذه السياسة الماكرة تؤمل اليوم أكثر من كل يوم وضع يدها بصفة نهائية على جميع بلاد وادى النيل •

وفي الواقع فان الانكليز - قد عرفوا في كل بلاد العالم بأنهم أمهر من يخلق الاضطرابات - يريدون انتهاء فرصة اشتغال أوروبا بالحرب بين تركيا واليونان لتهييج المسلمين في مصر ضد اليونانيين واليونانيين ضد المسلمين ليحدثوا اضطرابا على شواطئ نهر النيل تكون لهم به الحجة التي ينتظرونها من زمن طويل للاستيلاء على بلادنا • وهم يظنون أن أوروبا لاشتغالها بمنع حدوث حرب عمومية لا تقدر الآن على مقاومة مشروعاتهم ورد أطماعهم •

واذا دلت أعمال الانكليز على هذه الرغبة فمن واجب رجال السياسة في أوروبا ورجال الفكر والاحساس أن يعلنوها صراحة ويقضوا عليها أشد قضاء • ومن الواجب

فلم تجد البوير بدا من استخدام القوة واستطاعت قواتهم أن تلحق بالقوات البريطانية الهزائم في عدة مناطق الى أن كانت الهزيمة الساحقة للانجليز في تلال ماجوبا في سنة ١٨٨٠ وفي سنة ١٨٩٥ اتجه جيمسون على رأس حملة لمهاجمة الترانسفال ولكن البوير هزمهم وقتلوا الكثير من قواتهم وأسروا جيمسون •

ولما كثرت شكاوى البريطانيين الموجودين في جمهورية الترانسفال من سوء معاملة حكومة كروجر لهم ارسلت الحكومة البريطانية لجنة يرأسها الفريد ملنر لمحاولة التوفيق بين الترانسفال وبريطانيا سنة ١٨٩٩ ولكن كروجر لم يقبل افراحات ملنر فحشدت بريطانيا قواتها على حدود الترانسفال حينئذ أرسل كروجر انذارا الى بريطانيا في أكتوبر ١٨٩٩ • بضرورة سحب قواتها ورفضت بريطانيا هذا الانذار أعلنت الحرب بين الطرفين في اكتوبر ١٨٩٩ وقد فشل الانجليز اول الأمر في هزيمة البوير الى ان عين كتشتر قائدا عاما للقوات المتحاربة في جنوب أفريقيا في ديسمبر سنة ١٨٩٩ فكان تعيينه نقطة تحول في مجرى هذه الحرب حيث سقطت مدن البوير تباعا في يد الجيش البريطاني الى أن سقطت بريتوريا عاصمة الترانسفال فهرب كروجر الى أوروبا طلبا للمعونة من الاصدقاء ولكنه فشل فبقى في أوروبا الى أن توفي واتبع كتشتر في حربه مع البوير أبشع صنوف الوحشية والتخريب من حرق للمدن وابادة للسكان حتى كانت سنة ١٩٠١ •

فظهرت محاولات للصلح ولما اشتربت انجلترا لانتهاء الحرب تنازل جمهوريتي البوير عن استقلالهما رفض بوتها Potha زعيم البوير الصلح واستؤنف القتال مرة أخرى الى ان اضطر البوير الى عقد الصلح في ٢١ مايو سنة ١٩٠٢ نتيجة الوباء والدمار الذي أصابهم مع وعد من انجلترا لمنحهم استقلال ذاتي فيما بعد •

- أنور الرفاعي ، شاكرو مصطفى : مرجع سابق ص ٤٣٤ - ص ٤٣٦ •

- د. شوقي الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها • ط ٢ / ١٩٨٠ ص ٢٨٠ - ٢٩٥ •

علينا معشر المصريين أن ننذر أوروبا بما ينويه ضدنا الانكليز فمهما كانت اشتغالات الدول اليوم فمحتم عليها أن تلتفت لأحوال وادى النيل .

ولقد أراد كتاب الانكليز وصنائعهم أن يسهلوا على أصحاب الدسائس عملهم الدنيء فأخذوا يتسلحون بالسلاح القديم البالى وأعنى به سلاح التعصب الدينى . فأشاعوا ولا يزالون يشيعون أن المصريين على وشك القيام بثورة دينية ضد المسيحيين عموما وانيونانيين خصوصا . وإن القائمين ينشر هذه الاشاعة يغشون ولا محالة أوروبا بأقبح وجوه الغش وأدناها فإن المصريين عرفوا عند سائر الأمم بأنهم أمة هادئة حرة معتدلة . واننا لنفتخر بهذه الصفات ونحافظ عليها بكل ما فى استطاعتنا . ومن البديهي أنه ليس لنا اليوم أقل مصلحة فى العمل ضد ماضيها ولا فى القيام بما يفقدنا ميل أصدقائنا فى أوروبا وعملهم لحل مسئلتنا على أنه ليس لنا فى مصر غير عدو واحد هو الاحتلال المقتال لوطننا . فليس لنا غرماء سواء من اليونانيين أو النزلاء الأوروبيين .

وأي مصلحة تدفعنا ضد المسيحيين ؟ ؟

ليس لنا مصلحة فى معاداتهم أما من يدعى أن الاكتتاب للاعانة العسكرية هو نتيجة كراهيتنا للمسيحيين فمخطئ خطأ كبيرا خصوصا وأن أغلب النزلاء الأوروبيين فى مصر ميالون لتحرير وطننا مجاهرون بهذا الميل الشريف .

وأهم معنى سياسى فى الاكتتاب لاعانة الجيش العثمانى هو القيام بمظاهرة من الأمة بأسرها ضد الاحتلال الانكليزى فإن المصريين يعلمون علم اليقين أن كل دسائس انكلترا فى الشرق ترمى الى امتلاك وادى النيل وأن الانكليز لم يستطيعوا استمالة جلالة السلطان الأعظم اليهم ضد الخديو المعظم وضد مصر وبلاد العرب وعلان سيطرتهم على الاسلام كله .

فقد أعلنت السياسة الانكليزية عداها للدولة العلية من عام ١٨٩٤ أى من ذلك اليوم الذى خالف فيه الخديو (عباس حلمى) سياسة المرحوم والده وعمل بكل همة واقدام على توثيق العلاقات بينه وبين جلالة السلطان الأعظم (١) واذا أبان التاريخ

(١) كانت العلاقة بين الخديو والسلطان علاقة يشوبها الحذر والشك خاصة وان القوى المثرية على الوضع السياسى فى مصر حاولت أن تفسم الخديو الى صفها بينما حاولت تركيا طباحية السيادة الشرعية فى مصر أن تسيطر على الخديو وتظهر ذلك جليا حينما طلب السلطان من الخديو زيارته أثناء وجوده فى أوروبا وقبل توليه عرش الخديوية فى مصر ولكن الخديو توجه مباشرة الى مصر تحننا لضغط السلطان حيثئذ جدد السلطان محاولاته لسحب الامتيازات التى حصلت عليها مصر منذ عهد محمد على واقتطاع شبه جزيرة سيناء من مصر ولكن تحت ضغط انكلترا أصدر السلطان فرمانه السلطانى بتولى عباس الثانى عرش الخديوية مع ادارة مصر شبه جزيرة سيناء . =

أن الدولة العلية خدعت عام ١٨٨٢ بالانكلير وعملت من حيب لا تشاء على احتلال الانكليز لمصر فمن الضروريات أن تكون الدولة العلية نفسها الآن أول دولة عامنة لجلاء الانكليز عن مصر . وليس من شئ يقف تقدم الانكلير في مصر ريعطل عليهم سياستهم مثل تقوية السلطة الشرعية للمعاهدات الدولية المختصة بمصر . ويعلم الناس أجمع أن كل هذه المعاهدات جرت بين الدولة العلية وبين دول أوروبا . فما دامت مصر - معنبرة قطعة من الدولة العلية فلسس للاحتلال الانكليزي أدنى قوة شرعية بل وليس له أدنى صفة شرعية في وجوده .

يظهر اذن جليا من ذلك أن المصريين هم أول المتهمين وأول من يجب عليهم أن يهتموا بالمحافظة على سلامة الدولة العلية . فالذين ينتقدون اكتتابنا للجيش العثماني يجهلون تماما حقيقة مركزنا وحقيقة واجباتنا وحقيقة احساساتنا ومن الجائز أن بعض سواس (١) أوروبا يكونون ضد الدولة العلية في بعض مسائل سياسية أو غير سياسية ولكنهم جميعا معها ويجب أن يكونوا كذلك في مسألة مصر . خصوصا وأن مصر لم تتألم قط من سيادة الدولة العلية عليها اذ لها عائلة مالكة خاصة بها واستقلالها الداخلي تام وخاص بها . ومع ذلك فسواس أوروبا لا يجهلون مطلقا أنه يصير من الصعب جدا حل المسئلة المصرية اذا اتفقت تركيا مع الانكليز على احتلالهم لوادى النيل .

يتضح للقارئ من هذه الكلمات أن مقاصد المصريين كافة سلمية معتدلة وان نيات الانكليز بعكس ذلك . فهم الذين يوافقهم أن يعملوا لاحداث اضطراب وقلق ولكن صار من اللازم اعلان هذه النيات للملا كله باستمرار وبلا توان . اذ الموقف عسير والساعة حرجة . ومن العار على أوروبا أن تترك الانكليز ينتهزون فرصة اشتغالها بأمر خطير ويهزمونها في مصر هزيمة تكون ولا شك فريدة في بابها .

= وقد حاول الحديو مد جسور التعاون بينه وبين السلطان من أجل وقف سيطرة بريطانيا على مصر استنادا على تبعية مصر للدولة العثمانية ولا للسلطان من قوة روحية يعتد بها الحديو والمصريين - ولكن بعد سنة ١٨٩٤ اتخذت العلاقة بين الحديو والسلطان شكلا بعيدا عن التعاون .

عبد المنعم الجميلى - مرجع سابق ص ٥٨ الى ص ٦٠ .

(١) أى سياسة أوروبا .

الأحوال في مصر وتركيا ★

« قال مصطفى كامل فيما يتعلق بمصر »

— أما ما يختص بمصر فلم يحدث تغيير في حالتها الأولى اذ لا يزال الانكليز يحاربون كل ما كان مصرياً أو أوروبياً بمعنى أن أوروبا بأسرها أصبحت محتقرة في نظرهم بالقطر المصري ، ولا شك في أنها اذا لبنت محافظة على سكوتها هذا تجاه الاحتلال الانكليزي فان نفوذها يمحي شيئاً فشيئاً وتعلوه غيرة الانحطاط والتلاشي ، ويتألم أبناءها النزلاء كما نتألم نحن . وسيحاول الانكليز في السنتين الآتيتين الغاء المحكمة المختلطة ، ولست أدري اذا كانوا يستطيعون تحقيق هذه البغية وانما أقول انهم اذا توصلوا الى ازالة معالم تلك المحاكم فان أوروبا تفقد كل حياة ووجود في القطر المصري .

ويذهب الكثيرون في الدوائر الانكليزية وغيرها الى القول بأن اليونانيين الكثيري العدد في القطر المصري — ولهم معظم القضايا التي تقدم الى المحاكم المختلطة — ربما يساعدون انكلترا على الغاء المحاكم المختلطة وتحرير ذلك انهم بالنظر الى كثرة قضاياهم نرى أن معظم إيرادات هاته المحاكم منهم فاذا تحولوا نقصت الإيرادات نقصانا فاحشاً يتخذه المحتلون حجة لنيل مقصدهم . ومن المحتمل لدينا أن تكون هذه الفكرة وعدا من الوعود التي عللت بها الوزارة البونانية الحكومة الانكليزية في مقابل ما نالته من مساعدتها أثناء الحرب .

وانى لم أطل الكلام في هذا الموضوع الا لكي أطلعكم على مكونات الدسائس الانكليزية الموجهة للمحاكم المختلطة التي هي أكثر التأسيسات في مصر فائدة وموافقة للصيغة الدولية العمومية . وضمانة لحقوق أوروبا ضد الانكليز في القطر المصري . أما نفوذ فرنسا فيما بيننا فلا يزال موضوع جهاد متوال من الانجليز ولذا ترون أن المصريين الذين هم أصدقاء الفرنسيين في كدر من جراء ذلك وهم ينتظرون كثيراً من

(★) حديث أجرته معه جريدة « الاكلير » الفرنسية في ١٦/٨/١٨٩٧ بمناسبة وصوله الى باريس

نادما من يودابست .

فرنسا ولكن طال الانتظار ولا بد لي هنا من ملاحظة أن المطاعن الموجهة ضد الاسلام من بعض الكتاب الفرنسيين كان لها التأثير المؤلم في القطر المصري .

وأما ما يتعلق بالنفوذ السياسي القنصلي لفرنسا فاني آسف مثل بقية أبناء وطني من وقوفه عند الحد الذي كان عنده ، وهو مجرد التأمل في الحوادث وتدوينها ، ولست أقصد بهاته الكلمات الطعن على المسيو كوكردان والتنديد بموقفه ازاء تلك الأحوال بل بالعكس فان هذا الوزير حائز لميل المصريين وهو محترم منهم الى الغاية ولكنه لا يستطيع سلوك خطة سياسية شخصية . نعم اني لست من الواقفين على اسرار السياسة الفرنسية غير أنه يظهر لي كما ظهر لكثيرين ان موقف فرنسا في مصر يجب أن يكون مؤسساً على هذا المبدأ وهو مؤازرة الجناح العالي الخديو .

فان سموه هو الممثل لحقوق الشعب المصري وحقوق أوروبا أيضا ، ولا يذهب عن خاطرا أحد أن الخديوية المصرية مقبولة مكفولة من أوروبا ، فينبغي والحالة هذه أن تقوم أوروبا بالذود عن حياضها ووقايتها من كل مساس يكون مصدره أوروبا على العموم وفرنسا على الخصوص ولو كان الجناح العالي مؤيد الجانب من فرنسا لتمكن من تغيير كل وزير لا يخدم البلاد بصدق وتحسنت الحالة عما هي عليه ألف مرة .

والأمر الذي لا يختلف فيه اثنان هو أن الجناح العالي لا يزال محبوبا من جميع المصريين وكلما اشتدت حملات الانكليز على حقوقه وحاولوا أن ينقصوا من قدره في أعين الأمة كبر في أنظارهم وعلا شأنه دائما . والشعب المصري لا ينسى أبدا أنه مدين للخديو عباس(١) باشا لكونه أيقظه من سبات الخمول وأن ثباته ونشاطه ووطنيته وجميع فضائله قد بثت في روح كل مصري ان الانكليز ليسوا في القطر المصري بصفة أصدقاء أوداء بل بصفة مغيرين وستبقى الخديوية المثلثة في ذات صاحب السمو عباس حلمي باشا مرتبطة في مصر بنفس تلك العواطف والمبشور في الاستانة العلية .

« وقد بارحت الاستانة العلية وأنا على اعتقاد وطيد بأن انتصارات الجيش العثماني قد أسكرت بخمرة الفرح جميع الشعوب الاسلامية في أقطار العالم ورفعت

(١) باعتلاء عباس الثاني عرش الخديوية في مصر بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية في مصر . فقد أسعد المصريين تصريح الخديو ببغضه للاحتلال وعدم رضائه عن سياسة والده الذي كان يسر في ركاب الانجليز ورسم لنفسه سياسة مقاومة السيطرة الانجليزية في أوائل حكمه بمصد أن تكون له يد في ادارة الحكومة وقد انزعجت الحكومة البريطانية من سياسة عباس ولكنه استمر في سياسة مقاومة سلطات الاحتلال ، فتقرب الى الشعب وكان يستقبل طوائفه كل شهر ليستمع الى شكواهم وأفرج عن بعض مسجونى الثورة العربية وعينهم في وظائف خارج الجيش بفروع النظارات والاموريات وأعاد اليهم جميع حقوقهم المدنية ومن هؤلاء عبد الله النديم .

وهكذا اعتبر الشعب ان الخديو عباس الثاني أيقظه من سباته العميق .

د . عبد المنعم الحيمى - مرجع سابق ص ٩٧ - ٩٨ .

فى أعينهم شأن جلالة السلطان الأعظم ونعوذه . فاذا كان أهالى أوروبا يعتبرون جلالة السلطان مسئولا عن كل ما يقع من الحوادث فى ممالكه وبلاده فان المسلمين أيضا ينسبون شرف تلك الانتصارات وفخرها الى ذات جلالة السلطان الأعظم (١) ، ولا ريب فى أنه لا يذهب عن خاطر أوروبا أن مركز جلالتة تجاه العالم الاسلامى أصبح وطيدا جدا .

ومما زاد فى عجبى واندھاشى هو سوء الظن والاعتقاد الذى بنته أوروبا فى قلوب المسلمين نحوها اذ من المستحيل اليوم اقناعك أحد المسلمين بصدق اخلاص أوروبا نحو العالم الاسلامى أو أنها لا تتحيز ضد الاسلام ، وهذه مسئلة تساليا جاءت مثبتة لذلك الاعتقاد وموطدة له عقب كثير من المسائل غيرها وهو يعتبر مجاهرة أوروبا لجلالة السلطان بأن أوروبا المسيحية لا تسمح باعادة أرض مسيحية الى حكومة اسلامية اعلنا للعالم الاسلامى بأنها لا تريد سوى الشر والضرب للحكومة العثمانية والاسلام - هذا فضلا عن نظر المسلمين وقتئذ لكل مشروع يتعلق بالاصلاحيات بعين الغضب والازدراء ، ولست أود الكلام على النظام فى تركيا أو على عدل الاصلاحيات وانما أردت أن أففكم على ما وصلت اليه حركة الأفكار بين الشعوب الاسلامية .

ويوجد فى الشرق حزبان يرى أحدهما أن أوربا عدوة لدودة له ويرى الثانى عكس ذلك . أما الأول فيقوى عنصره كل يوم وتزداد شوكته والسبب فى ذلك سلوك أوروبا وفى الواقع أن المسلمين كثيرا ما يتساءلون عن أسباب انقسام الدول الأوروبية وانشقاقها بشأن اتخاذ الوسائل اللازمة لأكراه اليونان على الجلاء عن كريت (٢) وأسباب اتحادها واتفاقها على اخراج العثمانيين من تساليا وكيف أن أوروبا كثيرا ما تفتخر بمحافظتها على مجموع أملاك الدولة العلية ووقايتها من التجزء ثم هى تباشر تبديد أجزائها وتمزيق أعضائها مستندة على المبدأ المذكور بعينه .

(١) لاتصار تركيا فى الحرب التركية اليونانية سنة ١٨٩٧ .

(٢) كانت جزيرة كريت تابعة للسلطان العثمانى مما آثار اليونانيين فأسسوا جمعية سرية فى أثينا اتصلت سرا بزعماء كريت وحضتهم على الثورة ضد تركيا ، فاضطرت الأخيرة الى تشكيل مجلس وطنى منتخب فى كريت سنة ١٨٦٨ يمثل أغلبية السكان ، وكانت غالبية أعضائه من اليونانيين الذين يمثلون أغلبية سكان الجزيرة وثار كريت عدة مرات بتحريض من اليونان وطالبت لجنة يونانية تقيم فى أثينا بضم كريت الى اليونان ، ونزل جيش يونانى فى كريت فاعلن السلطان عبد الحميد الحرب على اليونان فى سنة ١٨٩٧ وانتصر عليهم وحصل منهم على منطقة تساليا وبتدخل الدول أجبرت تركيا على الجلاء عن كريت وحلت محلها حاميات دولية لحفظ الأمن بعد قيام حكم ذاتى للجزيرة تحت السيادة الاسمية لتركيا - والجدير بالذكر أن الدول الأوروبية جعلت على حكم كريت أحد أبناء ملك اليونان مما يجعلنا نفكر فى أقوال مصطفى كامل فى هذه النقطة على أنه يريد إثارة عواطف الدول الاسلامية ضد الدول الأوروبية تمهيدا لحركة الجامعة الاسلامية التى كان يدعو الى قيامها تحت خلافة الدولة العلية .
(أنور الرفاعى - شاكى مصطفى - من ص ٢٨٥ الى ص ٣٥١) .

المسئلة الدينية

« يلومون السلطان لأنه يحض المسلمين على الاتحاد ويسعى فى جمع شتات المسلمين(١) ووضه زمام الاسلام فى قبضته . أما أنا فأرى الدول الأوروبية تحض المسلمين على ذلك أكثر من جلالته وتدعوهم الى الانضمام والاتحاد يدا واحدة فان أوروبا لم تخاطب المسلمين فى أمر ما الا وكان كلامها باسم النصرانية ، وهى لم تتكلم قط باسم التمدن الأعم على أفراد البشر من مسائل الدين . ولكى أمثل لكم الحالة التى وصلت اليها خواطر المسلمين أذكر لكم الجملة التى فاه بها جلالة السلطان الأعظم لكاتب جريدة نيوفرى بريسة النمساوية التى تصدر فى فيينا حيث قال « أوروبا تحاربنا حربا صليبية فى شكل سياسى » وقد أعرب جلالته بهذه الجملة عما يخالجه أفئدة أفراد المسلمين فى العالم بأسره .

وقد نسيت أوروبا فى الغالب أن الواجب فى الشرق مراعاة الرأى العام الاسلامى ولا يخفى أن المقصد الذى تسعى وراءه أوروبا إنما هو تحصيل السعادة والهناء للأقوام المسيحيين العائشين فى الشرق وتوطيد دعائم السلام فى الممالك المحروسة .

وعلى ظنى أن هذا المقصد لا يمكن نيله الا بتسكين الخواطر الهائجة وتمكين روابط الاتفاق بين المسلمين والمسيحيين ولا توجد دولة غير انكلترا تستفيد من سوء ظن المسلمين بأوروبا ومن النزاع بين المسلمين والمسيحيين فى الشرق . وتقضى مصلحتها أيضا أن تمحو ذكر مصر من أذهان أوروبا بحادثة من الحوادث فى الاستانة العليا وقد يمكن أن يلحق المصريين القنوط بسبب ما تقدم لأنهم بما انهم مسلمون ربما اعتقدوا أنهم فقدوا ميول أوروبا وعضدها .

وجملة القول أن البحث فى المسائل الشرقية على مبدأ الدين من أكبر الوسائل لتوليد الأحقاد والضغائن وتأجيل توطيد السلام العام فى الشرق الى زمن مديد فينبغى أن تكون أوروبا والحالة هذه عادلة نحو جميع الناس بلا فرق وهى اذا أخذت على عهدها الزام الغير باحترام الحقوق والعهود من الواجب عليها أيضا أن تسوى المسئلة المصرية وتبرهن للعالمين الاسلامى والمسيحى على صدقها وإخلاصها وعندئذ لا يتسنى لأى مسلم أن يرتاب فى ذمة أوروبا ونياتها .

(١) الدعوة الى الجامعة الاسلامية

خطة الانكليز *

فى مصر

انى أستميح قراء « البرلينر تا جيلاط » الاذن لأحادثهم اليوم فى شئون مصر بلاد الفراعنة وبلاد العجائب . فان اهتمام ألمانيا بالمسئلة المصرية فى هذه الأيام يضمن لى أن رأى العام الألمانى يقضى قضاءه العادل على هذه الأساليب الغربية التى يستعملها الانكليز فى مصر . أولئك الذين سموا ويسمون أنفسهم بممدنى العالم البشرى وحماة الانسانية .

ما قرأ أحد تاريخ المصريين القدماء الا استغرب غاية الاستغراب من عنايتهم الزائدة بأمر القضاء والعدل . فقد أدركوا أن قوام الهيئة الاجتماعية المنتظمة المتمدنية اعطاء كل ذى حق حقه ورفع راية العدل والانصاف بين الناس بلا تمييز ولا محاباة وهذه الحقيقة الثابتة التى أدركها ورفع شأنها آباؤنا الأولون هى فى هذا العصر أول الحقائق والعدل هو أساس المدنية الغربية لا محالة . والانكليز يقدرون العدل فى بلادهم قدره ويفتخرون القنار العظيم بسمو شأنه فى ديارهم ولكنهم قد لا يبصرون الحرف الأول من حروفه ولا يفقهون له معنى فى بلاد مصر . فلا عدل فى مصر الا وهو مشوب بالسياسة ولا قضاء الا وهو مشوب بها كذلك .

والقاعدة الأساسية للعدل فى عرف الانكليز أن يحكم على المصرى متى كان عدوا للاحتلال وأن يبرأ الانكليزى حتى ولو جنى أفضح جناية وأن أمورا تجرى على هذا الأساس يجب أن تعرف فى أوروبا ويجب أن يقضى رأى العام الأوروبى عليها قضاءه الشديد وتحتج ضدها ضمائر الشعوب المتمدنية ..

(*) كتبها مصطفى كامل فى ١٧/٨/١٨٩٧ عقب مقالة نشرتها جريدة الديش كلونيال الباريسية تننى على وطنية مصطفى كامل ودعوته الأمم الأوروبية للاهتمام بمسئلة مصر والتخلى عن فكرة العصبية والتعصب حتى أن أعداء مصطفى كامل حاولوا تشكيك رأى العام فى صحة نشر هذا المقال وأرجعته الى الحاج واستجداء مصطفى كامل لنشر هذا المقال مما يدل على مدى حقهم عليه من أعماله الجلييلة لخدمة المسألة المصرية .

وقد نشر هذا المقال فى جريدة البرينرتاجيلاط الالمانية . فى ١٧ أغسطس سنة ١٨٩٧ .

فلقد رأينا العدل آلة سياسية بيد الانكليز واني لا أضرب على ذلك غير مثال واحد وهو منال قضية المؤيد الشهيرة فان هذه الجريدة جريدة مصرية تصدر في القاهرة باللسان العربي الذي هو لسان مصر ويحررها رجل مصري . الخ . رأى الانكليز أن هذه الجريدة تحارب الاحتلال بسلاح الحقيقة الساطعة فاضطهدوها وساقوا مديرها للمحاكمة بحجة انه ساعد على اذاعة تلغراف رسمي بنشره في جريدته وقد أحدثت هذه القضية في مصر تأثيرا كبيرا وكانت المسئلة الوحيدة حين ذاك الشاغلة لأفكار المصريين والأوربيين عامة (١) .

وقد برأت المحكمة الجزئية صاحب المؤيد براءة جاءت ضد رغبة الانكليز وجاءت بعد تهديدات طويلة عريضة هددوا بها القاضى المصرى العادل واستأنفوا القضية مؤملين نيل عقابه فكان استثنائهم للقضية استثنافا للبراءة مما شرف القضاء المصرى وبرهن على ان فى المصريين رجالا لا يخافون الاحتلال بل يأتون العدل بكل قوة وثبات . فلما يئس الانكليز من استعمال قضاة مصر المصريين آلات لرغائبهم وحبا للانتقام والبطش وهدم قواعد العدل عينوا عقب هذه البراءة المزدوجة ثلاثة قضاة من الانكليز فى محكمة الاستئناف ليزداد عدد الانجليز بها وليكون الحكم على أعداء الاحتلال أمرا سهلا هينا !! !

أما من حيث الوجهة الانسانية فلا قيمة لحياة المصرى فى أعين الانكليز فالاعتداء

(١) تتلخص هذه القضية فى أن جريدة المؤيد نشرت تلغرافا سريا أرسله اللورد كتشنر سردار الجيش المصرى فى ٢٨ فبراير سنة ١٨٩٦ الى وزير الحربية بخصوص أحوال الحملة فى السودان واصابات الكوليرا التى وقعت بين أفراد الجيش هناك وقد ذكر التلغراف تفصيلا حالات الكوليرا التى وقعت . وكان التساؤل عن كيفية حصول الشيخ على يوسف (صاحب جريدة المؤيد فى ذلك الوقت) على تلغراف سرى من وزارة الحربية رغم أن أخبار السودان كانت ممنوعة عن الجرائد الوطنية . وتوصلت الحكومة بالبحث فى الأمر ان موظف التلغراف الذى تلقى الرقية من السردار وهو توفيق كيرلس قد أبلغ محتويات التلغراف الى المؤيد واستطاع الشيخ على يوسف بالاتفاق مع موظف التلغراف بأخذ البرقية ونشرها فى المؤيد ، وبناء على طلب اللورد كتشنر أقامت النيابة الدعوى العمومية على الشيخ على يوسف وتوفيق كيرلس والحدير بالذكر أن المؤيد كانت لسان حال الحركة الوطنية انذاك مما أعطى القضية صفة الوطنية ووضح ذلك من ازدحام الجماهير على محكمة عابدين التى نظرت فيها القضية . وقد برأت المحكمة الشيخ على يوسف وحبس توفيق كيرلس ثلاثة أشهر وذلك فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦ ونظرا لاستياء الانجليز من أحكام القضاة فقد أوعزت الى النيابة باستئناف الحكم ونظرت القضية أمام محكمة الجنج المستأنفة أول ديسمبر سنة ١٨٩٦ .

ثم تاجلت الى منتصف الشهر حيث صدر الحكم بتأييد براءة الشيخ على يوسف وبراءة توفيق كيرلس وإلغاء الحكم السابق عليه .

ومن ذلك يتضح مدى تضوج الوعى القومى فى ذلك الوقت وبرهانا على كراهية الشعب المصرى للاحتلال واعوانه متمثلا فى اهتمام الرأى العام المصرى بهذه القضية .

د . عبد المعصم الجمبوعى - مرجع سابق من ص ١٥ - ص ١٧ .

على الحياة البشرية في مصر مبدأ من مبادئ أبناء التاميز - ممدني العالم وحماة
الانسانية - وليحكم القارىء على ذلك بهذه الأمور .

سأل يوم من الأيام عامل من عمال التلغراف (١) مهندسا انكليزيا كان حاملا
اليه تنغرافا ان يمضى وصل التلغراف كما هي العادة في مصر فرفض الانكليزي
ذلك . فكرر موظف التلغراف الطلب اتباعا لأوامر المصلحة فعد الانكليزي ذلك منه
سوء أدب يستحق العقاب عليه فقام بغايه السكون وتناول بندقيته وصوب رصاصتها
في صدر المصري المسكين حيث سقط يتخبط في دمه كأنه حيوان صغير حقير
والانكليزي ساكن القواد . ولا بد أن القارئ ينسأل عند قراءة هذه المسئلة « وأى
عقاب نال الانكليزي ؟ » « فأجيبه - لا شيء لا شيء أبدا إنما نقله اخوانه الانكليز
الى الهند ! !

وقد رفض طلبية الأزهر مرة أن يسلموا مريضا منهم الى السلطة العسكرية
فحاصر البوليس مدرستهم الكلية بأمر قائده الانكليزي والقى الرصاص عليهم حيث
جرح كثيرون ولم ينل الضابط الانكليزي أقل توبيخ بل لا يزال موظفا كبيرا
أمنا مطمئنا .

وفي الشتاء الماضي اشتهرت قصة حريق (٢) البليتا التي ذهبت فيها أرواح

(١) وقع هذا الحادث خلال عام ١٨٩٦ - وملخصه أن أحد عمال الميعرف حمل تلغرافا الى أحد
ضباط الجيش البريطاني وهو في نفس الوقت مهندس وطالبه بالتوقيع باستلام التلغراف ولكن الضابط
البريطاني رفض التوقيع بالاستلام مما دفع ساعي البريد بإعادة مطالبته بالتوقيع كما هو متبع في مثل
تلك الأحوال فما كان من الضابط البريطاني الا أن أطلق بندقيته فأردى ساعي التلغراف قتيلا .
الا أن المحكمة المختصة بدلا من معاقبة الجاني برأته واهمت القتل باثارة القاتل مما دفعه لهذا
التصرف واكتفت المحكمة المختصة بتعيل الضابط البريطاني الى المستعمرات بالهند .
ونجد أن هذا الحادث يدل على استهتار السلطات البريطانية بالانسانية ومشاعر أفراد الشعب
المصري حتى وإن أدى الأمر من قبل جنود وضباط الاخلال الى قتل المصريين أثناء أداء العمل الرسمي .
وبدلا من أن يكون الحكم بالعدل وهو ما يفترض في أداء المحكمة كان حكمها اللزم على القتل
المتسبب في قتل نفسه أما القاتل المتضرر فانه يكتفى بإبعاده عن موقع جريمته واقصائه عن البلاد ليس
حرصا على مشاعر أهل القتل بل حرصا على مصالح البريطانية المتمثلة في مهندس ضابط بالقوات
البريطانية والتي تعتبر المحافظة على حياته أمنا من حياة أى مصري .
وقد تكرر حكم المحكمة المختصة المجحف بالمصريين في حوادث شتى مثل تلك ولعل أبرزها فيما
بعد حادث دنشواي عام ١٩٠٦ .

(٢) قتل عصابة من اللصوص عددا ثمانية أشخاص ملاحظ بوليس مدينة أبو شوشة بنجح حمادى
المؤيد : ٢٦ يونية ١٨٩٧ العدد ٢٢١٠ .

وكان هؤلاء الاشقياء يترددون على أرض عيد الشهيد بك بطرس من أعيان البليتا وكان يعلم بوجودهم
في أرضه فعقد معهم اتفاقا بالأمان بينه وبينهم نظير عدم الاضرار بأملاكه وانزلهم بحزانه في عزبته غير
مطروقة ، ثم ابلغ عنهم سرا معاون بوليس البليتا وعمدتها وحضرت نوة من البوليس وأحاطت بالخزانة
المقفلة من الداخل بواسطة العصاية ومن الخارج بواسطة خدم عيد الشهيد وطلب البوليس من العصاية =

نمانيه أشخاص حرقا بالنار ومآل هذه الحادثة أن عصاية لصوص اعتدت على ضابط بوليس وقتلته فأخذت الحكومة تبج عنها حتى أشعرها يوما من الأيام أحد الأهالي بأنه احتال على رجال العصاية وأغلق عليهم قاعة في دائرته فأرسلت الحكومة رجالها وبوليسها وسألت هؤلاء الرجال أن يخرجوا من القاعة فامتنعوا فوجدت الحكومة أن لا استطاعة لها على اخراجهم وأن خير عمل يعمل في هذه المسئلة هو احراقهم جميعا فأمرت - أوامر الانكليز - بابقاء النار في القاعة على من فيها فأحرقت وأحرق الثمانية الذين كانوا فيها وقام الحريق دليلا ساطعا متلأثا على ماهية العدل في مصر تحت سلطة الانكليز .

والى القراء أمر آخر حدث أخيرا وهاجت له ضمائر المصريين كافة ونزلاء مصر غير الانكليز وهو أن عسكريا انكليزيا قتل صبيا مصرياً (١) كان يرميه بالحصى . ولما سيق العسكرى الى مجلس المحكمة الانكليزي اعترف بجريمته - ٠٠٠ برأه المجلس براءة لا ريب فيها واني أقسم للقراء أن هذا الأمر الفظيع بل هذه الجريمة البهيمية أتى بها الانكليز أبناء الانكليز لا الصينيون ؟ .

ولقد أحدثت براءة هذا القاتل في مصر تأثيرا سيئا جدا في الرأي العام ورفعت أم القتل قضية مدنية أمام المحاكم المختلطة وتقدم لسمو الخديو وفد من أعيان

= تسليم أنفسهم ولكنهم رفضوا وبادلوا اطلاق النار مع البوليس وخشى البوليس حلول الليل ويتمكن اللصوص من الهرب فاتفقوا على شق سقف الخزانة والقوا عليهم غار البترول والقش والحطب واشعلوا النار فيهم وبذلك تمكنوا من الخلاص منهم حرقا .

وتعتبر هذه الحادثة رغم بساعتها من الحوادث العادية في مجاربة المجرمين المسلحين والخطيرين على الأمن في ذلك الوقت والذين تعودوا على مقاومة البوليس بالسلاح وهي من الحوادث المعتادة في منطقة الصعيد بالذات .

جريدة المؤيد : ٢٥ يناير سنة ١٨٩٧ عدد ٢٠٩٤ ، ٢٦ يناير سنة ١٨٩٧ عدد ٢٠٨٥ .

(١) في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٧ وقع هذا الحادث المؤسف وهو مقتل شاب مصري يطلق ناري وظهر أن الذي أطلق عليه الرصاص جندي انكليزي من نافذة المعسكر الانكليزي بسراى رأس التين ، ولما قدم هذا الجندي الى المحاكمة أمام المحكمة القنصلية اعترف بأنه اطلق الرصاص حقيقة ولكن على سبيل المزاح والفكاهة مع هذا الشاب ، وبالرغم من هذا الاعتراف الصريح بالقتل وشهادة الشهود ومن بينهم خادم انكليزي كان ملحق بحاشية الخديو - برأته المحكمة القنصلية . وكان لهذا التصرف رنة استياء عامة بين المصريين ، فقد دلت على استخفاف المحتلين بأرواح المصريين ودليل على أن الجهات الانجليزية لا تقيم وزنا لأرواح المصريين وقد زار وفد من أعيان الاسكندرية سراى الخديو اعرابا عن استيائهم من هذا الحادث وانتهاء المسألة بلا تحقيق جدى وعادل وقد وضح تعاطف الخديو معهم حيث انه وعدهم بالاجتماع مع وزارته للوصول الى وضع حد لهذه الحوادث ولما كان القانون يقضى بالا يحاكم المتهم مرتين على تهمة واحدة ، فقد رفعت والدته القتل دعوى بالتعويض المدنى أمام المحاكم المختلطة تطالب فيها بتعويض مالى عن فقد ابنها وعائلها .

أحمد شفيق باشا - مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ - قسم ١ ص ٢٤٥ . ص ٢٤٦ .

الاسكندرية رفع لجنازه ما عم الناس من الكدر والانفعال بسبب نبذة محرم يستحق الضرب بالرصاص .

فهذه صحيفة من صحائف أحوال مصر اذا قرأها القارىء وتمعن بها عرف كنه ما يجرى على شواطئ وادى النيل . وهذه الأمور التي أتيت عليها يعرفها فى مصر المصرى والغريب ولكنها مجهولة كل الجهل فى أوروبا . وأن الواجب على كل رجل متمدن وقف على هذه الأمور أن يحتج ضد الاحتلال الانكليزى لمصر .

وانى أعرف أنه لا يزال فى ألمانيا بعض رجال يعجبون بحرية الانكليز فى انكلترا أيها المعجبون بالانكليز أن أردتم حقا أن تعجبوا بهم كل الاعجاب فاخبروا أعمالهم فى غير بلادهم تجلدوهم يجنون أقطع الجرائم ويعتدون على حقوق الأمم وعلى حياة الأفراد ثم يتركون أحرارا بغير عقاب . . .

ففى استطاعة أحقر الانكليز أن يعتدى فى مصر على أرفع المصريين بدون أن يعاقب أقل عقاب . ولكن اذا مس مصرى أحد الانكليز كان أكبر الجناة وأعظم المجرمين وقد اسس محتلو مصر محكمة مخصوصة واسعة السلطة والارادة لا قانون لها ولا مرد لأحكامها تحكم على من يعتدى من المصريين على أحد العساكر أو البحارة الانكليز وليس للمصريين من يحميهم من الانكليز فهى هى المحكمة المخصوصة التى تكفى وحدها لتعريف أوروبا أحوال مصر وسير الانكليز فيها . اذ هى أفصح وأبلغ من كل الخطباء !

الخدوية المصرية ★

• لقد وجه الانكليز أكبر عنايتهم من أول يوم احتلوا فيه مصر للقضاء على الخديوية المصرية ومحو آثارها من الوجود ، فاستعملوا وها هم يستعملون اليوم أكثر من ذي قبل كل الوسائل لجعل خديو مصر بلا نفوذ فعلي في بلاده .

وقد كان المرحوم الخديو السابق توفيق باشا مدينا للانجليز بتدخلهم لمصلحته (١) أثناء الثورة العرابية وكان يرى ضياع سلطته وقوته الشرعية بمساعي الانكليز ولكن لم يكن يستطيع الاحتجاج علنا ضد أولئك الذين كانوا يسمون أنفسهم أصدقاءه .

ولا ريب أنه كان يظن ككثير من المصريين وقتئذ أن حكومة جلالة الملكة تقوم من نفسها بالوفاء بوعودها وتحترم شرفها بإجلاء الجنود الانكليزية عن مصر يوما ما .

وبينما كان الانكليز يعملون في مصر على تقويض السلطة الخديوية في عهد المرحوم توفيق باشا كان وزراءهم وكانت جرائدهم في لندن ينادون امام أوروبا وأمام العالم كله أن وظيفة جنود دولتهم ورجالهم في مصر تقوية السلطة الخديوية وإعادة احترام الخديو وحقوقه الشرعية اليه .

(★) نشرها عام ١٨٩٧ في جريدة البرلينر تاجبلات الالمانية وهذا نعيها كما ورد في كتاب مصطفى كامل في ٣٤ ربيعا ج ٦ ص ١١٧ .

(١) كان الخديوى توفيق يقيم أثناء ضرب الاسكندرية في ١٨٨٢/٧/١١ بسرأي مصطفى باشا فاضل بالرمل بعيدا عن الضرب ، ويتلقى أخباره من أتباعه ، لم تكن عواطفه مع حماة الحصون ، بل كان قليل الاكترات بما أصابها وأصاب المدينة وكان الخديوى يبغض عرابي . حتى أن الخديوى شعر بالسرور لأنباء سقوط الاسكندرية مما جعل العرابيين يحاصرون السراي للقبض على الخديو والانتقام منه ، وحين فكر الخديوى في العودة الى رأس التين أرسل يستطلع رأى الاميرال الانجليزى في هذه العودة فأمنه الاميرال سيمور ووضع الحرس الكافي على القصر عند عودة الخديوى وعند وصوله الى القصر في ١٨٨٢/٧/١٣ استقبله الاميرال سيمور ومعه ضباط انجليز وفرقة من جنوده ومن ذلك الحين انضم الخديوى الى الانجليز وأصبح في حمايتهم واقرن مصيره بانتصار الانجليز بل أصبح مدينا للانجليز ببقائه على العرش وسلامته . (عبد الرحمن الرافعي - الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ٠٠ س ٤٠٤ الى ص ٤١٥) .

فإن سمو الحديو عباس حلمي باسا المملوء بالشبيبة والشهامة لما جلس على أريكه مصر رأى أن عمل الانكليز في بلاده مناقض كل المناقضة لتصريحات وزرائهم الرسمية وتقاريرات جرائدهم المعتمدة وشاهد أنه عوضا عن نقوية سلطة الحديوية يعمل الانكليز لضعافها .

ومن البديهي أن نفسا طاهرة وروحا شريفة كروح سمو أميرنا لا يمكنها ان تقبل هذا الموضوع المخجل وترضى بضياح سلطتها مع تفهيم العالم كله ان المضيعين لها يقوونها ويؤيدونها !!

ولما وجد سموه لحقوق ملكه وحقوق أمته قوة عظيمة ولشرف بريطانيا مكانا عاليا ولشرف أوروبا احترامها خاصا صرح علنا وجاهر بأنه يبتغي ويريد ارادة قاطعة أن يتمتع بحقوقه الشرعية التي لا خلاف فيها (١) .

فكان هذا التصريح باعما على المعارضة اللدودة العلنية من قبل الانكليز .

ولم يجهل أحد منذ ذلك الحين أن اعتداء الانكليز على سلطة الأمير صار بينا مستمرا . وقد ابتدأت مطاعن الانكليز ضد الحديو عباس باشا بكل قحة ودناءة في حين أنه ليس لسموه في أعينهم ذنب آخر غير انه يريد تخليص أمته من النير الانكليزي وقيادتها متى صارت حرة قابضة بيديها على زمام أمورها في طريق التقدم والمدنية .

ويستحيل أن يقرأ الانسان مطاعن أسفل وأدنى من المطاعن الموجهة من الجرائد الانكليزية ضد خديونا المعظم ولقد حرفت هذه المطاعن السافله سموه في مصر وفي أوروبا كثيرا خلاف ما يشتهى الانكليز وأظهرت مقدار شجاعته فزاد بذلك نفوذه المعنوي ولكنها في ذاتها تدل دلالة واضحة على أطماع الانكليز في مصر بل أقول أنها البرهان الساطع على تلون رجال السياسة الانكليزية وتدليسهم في تصريحاتهم .

ولقد اتبعت الأمة المصرية نحو سمو أميرها المعظم وتنبع اليوم وفي المستقبل سياسة التعلق الشديد والارتباط المكين بشخص سموه كما أظهرت المראה العديدة التضامن المشترك بين حقوقها وحقوق الحديوية الجليلة . وإذا وجدت في شخص سمو الحديو الحالئ اسمى وأعظم مدافع عن هذه الحقوق المشتركة الشرعية فقد علق حظها ومستقبلها بحظي سموه ومستقبله وقالت بلسان الأعمال والمظاهرات الفصيح « ان اخلاصها لسمو لعزیز يزداد كل يوم » .

وفي الواقع أن أمتنا لم تنس مطلقا هذه الكلمات الصادرة عن شرف الاحساس

(١) كان هذا مسلك الحديو عباس حلمي الثاني عند بداية توليه العرش الحديوي .

والوطنية الصادقة والنبات التي فاه بها سمو الخديو عباس باشا عام ١٨٩٣ « انى
أفضل الموت على التنازل عن حقوق ملكي وحقوق أمتي » .

واذا كان غاية مرمى الانكليز اضعاف السلطة الخديوية فقد استعملوا للوصول
الى هذا السبيل أدنى الوسائل فصار كل عدو للامير محبوبا منهم مكافأ بل صاروا
يشجعون كل خائن وكل أجنبي يجاهر لمصر بالعدوان وصار كل محب لسمو الامير
مبغضا منهم مهدد الحياة . فمحنة الخديو - صاحب السلطة الشرعية التي جاؤا مصر
بحجة لدفاع عنها وجمع القلوب حولها - صارت اليوم فى أعين أبناء التاميز جريمة
لا تغتفر وذنب لا ينسى !!

ولكن بالرغم عن هذه الأعمال وهذه الخطة التي لا تليق شرف بريطانيا فان الأمة
المصرية بقيت كما ذكرت صادق الولاء نحو العزيز . وقد زار سمو عباس باشا فى
الأيام الأخيرة بعض مديريات الوجه البحرى فقبل من سائر الأهالى والسكان أبداع
وأجل وأصدق مقابلة . واحتفل المصريون فى هذه المديرات بزيارة سمو الامير احتفالا
ما رنى انسان له مثيلا .

وانى أقول ولا أخشى فى الحق لومة لائم أن أرض الفراعنة ما رأت فى تاريخها
الطويل أميرا محبوبا من أمته هذا الحب الصادق غير سمو الخديو (عباس حلمي
الثانى) .

وقد اغتاط الانكليز كثيرا من هذه السياحة الدالة على حقيقة ميول المصريين .
وتحققوا اليوم جيدا أن كل دسائسهم ضد شخصه الكريم وكل أعمالهم المدبرة بغاية
المهارة يكفى لاسقاطها وضياح نتائجها يوم واحد !!!

وان أمل الانكليز فى هدم السلطة المعنوية لسمو الامير باطل لا محالة !!

وبينما الانكليز يدسون الدسائس المختلفة فى مصر ضد الامير يعمل رجالهم
وسواسهم فى أوروبا لظهار سموه بمظهر العاجز عن ادارة شؤون بلاده . ولكنها
وشاية لم تنتج شيئا آخر غير لفت الانتظار الى أمور مصر .

اذ لا يستطيع أحد أن ينكر أن آمال سمو العزيز عباس باشا أوجدت فى أوروبا
للمسئلة المصرية حياة جديدة . واذا كانت الحكومات الاوروبية لم تقرر الى اليوم أمر
الجلاء فمن الأمور التي لا خلاف فيها أن الراى العام الأوروبي قضى هذه السنين الأخيرة
على احتلال الانكليز لمصر أشد القضاء .

أما فى الاستانة فدسائس الانكليز ضد أميرنا المعظم دبرت فى الأيام الأخيرة
بمهارة ونشاط عجيبين فان سواس انكلترا رأوا فى التقرب الحاصل بين جلالة
السلطان الأعظم وجلالة الامبراطور غليوم خطرا عظيما على بقائهم فى مصر اذا كانت
العلائق بين يلدز وعابدين حسنة طيبة . فبدلوا جهدهم فى القاء بذور الشقاق بين

السلطة لعثمانية والحديوية المصرية . وان الناس كافة يعلمون ان للسياسة الانكليزية في الأستانة عمالا سريين يدعون انهم اترك وما هم الا سفلة لا وطن لهم وهؤلاء العمال اعتادوا أن يرفعوا للمابين التقارير عن بعض الأمور وانى لا أقول أن لهذه التقارير نتيجة أو تأثيرا ولكن القائمين بهذا الأمر يظنون انها ان لم تؤثر كلها فلا يبعد ان يؤثر بعضها .

وقد دعى هؤلاء السفلة في تقاريرهم ان سمو الحديو عباس باشا يطمع في الخلافة الاسلامية (١) وهي دسياسة يستحيل على العقل قبولها ولكن أصحابها يؤملون منها ولو تشويش الاذهان في بلدز .

ولما أرسل مولانا الحديو في الصيف الماضي سفينة حاملة لبعض الذخائر الى طشيز وقبضت عليها سفن اليونان .دعى هؤلاء القائمون بنشر الاكاذيب ودس الوشائيات أن الحديو قد أرسل هذه السفينة لمساعدة اليونان ضد الدولة العلية وأن أمر القبض عليها ليس الا .لعوبة اتفق عليها من قبل بين الحديو وملك اليونان .

وقد سافر أخيرا الى بلاد العرب البرنس عزيز بك واشيع قبل سفره انه يقصد زيارة الأمير ابن الرشيد المعروف بنفوذ العظيم في جزء كبير من بلاد العرب . فانتهاز ارباب الدسائس في الاستانة هذه الفرصة للوقية بسمو الحديو وادعوا أن البرنس عزيز بك أرسل من لدن أمير مصر للاتفاق مع ابن الرشيد على تهيج القبائل العربية ضد الحكومة السلطانية . مع أن سمو الحديو قد بذل جهده لارجاع البرنس عزيز بك عن قصده الذي ليس وراءه شيء ماواني لا أشك لحظة واحد في ان جلالة السلطان « عبد الحميد » مدرك بمهارته الفائقة وتبصره النادر المنيل أسرار هذه الدسائس فهي لا تصيب منه أقل اصغاء . كذلك قد رأى جلالته في حكمه الطويل من السياسة الانكليزية أمورا كثيرة تبين لجلالته بأوضح بيان ان الدسائس الموجهة ضد عزيز مصر قد دبرت كلها بأيدي الانكليز !

وليس من ينكر أن الموجد لسياسة الميل للدولة العثمانية والتعلق بها أشد التعلق التي اتبعتها الأمة المصرية في هذه السنوات الأخيرة بكل ظهور وبها انما هو سمو

(١) فكر الحديو عباس في أن يتخذ من سمعة الازهر وعلمائه في العالم الاسلامي سنداً دينياً يريجه على امراء المسلمين ويعطيه الاحقية في تحقيق حلمه في تولي الخلافة الاسلامية ، وحين التقى الحديو عباس بجمال الدين الافغانى عند زيارته للاستانة ظن السلطان ان التقائهما تأمرا على تحويل الخلافة عباسية في مما دعا الافغانى الى نعى هذا القول باعتبار أنه لا يملك حق تولية الخلافة لمن يشاء ، كذلك بلغ ان الحديو عباس ارسل ابن عمه البرنس عزيز حسن الى بلاد نجد لمعالجة آل الرشيد للتباحث في موضوع الخلافة العباسية . وفي الواقع أن الحديو عباس لم تكن لديه القدرة التي تمكنه من تنفيذ فكرة الخلافة العربية وان الأمر لم يكن الا محاولة للضغط على السلطان للحد من محاولاته استرداد الامتيازات التي نالتها مصر من قبل ووقف تدخله في شئون مصر .

د . عبد المتعم الحميحي - مرجع سابق ص ١٧٠ - ١٧١ .

الحديو (عباس حلمي باشا) فهو الذى أدرك قبل كل انسان الأهمية السياسية العظمى للاتفاق بين السلطنة العثمانية والحديوية الجليلة . فضلا عن ذلك فان جلالة السلطان الأعظم « عبد الحميد » يعلم علم اليقين ان مشكلة مصر بالنسبة للخلافة الاسلامية هى مشكلة حيوية . ويعلم كذلك ان احتلال الانكليز لمصر هو أكبر وأعظم اعتداء حصل ضد سلطته العالية واحترامه العظيم .

ولكن الذى يظهر جليا من كل الدسائس الانكليزية هو رغبة الانكليزية فى هدم الحديوية المصرية . وقد يتساءل كل انسان ما واجب أوروبا أمام هذه الرغبة وما هى رغبتها ؟ لا مراء أنه اذا كانت حقوق مصر مرتبطة بحقوق الحديوية كل الارتباط فانه لا يمكن كذلك احترام حقوق أوروبا والدفاع عنها الا بالمحافظة على الحديوية المصرية واحترام حقوقها الشرعية .

فالحديوية المصرية هى السلطة العالية التى قبلتها أوروبا وضمنت وجودها والتى تضمن فى مصر لأوروبا حقوقها ولرعاياها الراحة والأمان .

واذا وصل الانكليز الى هدم الحديوية أو الى اضعافها فقط فان حقوق أوروبا فى مصر تفقد كل ضمان وتضيع كلها يوما ما .

وان مصر بلا حديوية تكون بلا أوروبين أى بليدا أفريقيا محضا .

ولو أن دولة واحدة أوروبية ساعدت سمو الحديو مساعدة فعلية لخدم سموه مصر وأوروبا خدمة جليلة للغاية . ولكن خطأ الماضى لا يصح البقاء عليه فى المستقبل ! فان شرف أوروبا ومصلحتها يقضيان عليها بتخليص مصر من ربة الانكليز .

وقد بدت لنا جملة أمور تدل على أن فى أوروبا دولا عظمى تريد تحرير مصر ووادى النيل . فلتعجل بالعمل أن كان فى النية عمل فقد رأينا من الآلام ما يستحيل أن نرى بعده شيئا .

وان اليوم الذى ترد فيه أوروبا لوادى النيل حياته وحريته تجد أمامها فيه أميرا عالى الذكاء شديد الوطنية محبا للعدل والمدنية تتبعه الأمة المصرية بأسرها . وما هو يجد اليوم وبجواره طبقة حرة متعلمة مهذبة ذكية مكونة من رجال لا هم لهم الا خدمة الوطن المصرى بصدق وخلاص والعمل لبقائه الى الابد حرا سعيدا متمدينا .

جنت مدير جريدة لوريان ★

« قرأت في أحد الأعداد الأخيرة من جريدتك جملة على الوطنيين المصريين كتبت بتحيز كبير للاحتلال الانكليزي وأشياءه وليست عليها مسحة من الحق . ولما كنت أعتقد أن مبادئكم حرة وشريفة وانكم تستظلون براية الحرية والاخاء والمساواة ورأيت أن أرسل اليكم كتابي هذا خدمة للحقيقة راجيا نشره في المكان الذي نشرتم فيه مقالتيكم التي نسبتم الي فيها امورا أنا أبعد الناس عنها وكذلك أبناء وطني جميعا . »

يقول مراسلكم المصرى « أى المصريين عمى لا يفقهون ولثام لا يعترفون بجميل » ويدعى فى مقالته أن الاحتلال الانكليزي أحسن إلينا فنظم ماليتنا ورد السودان ونشر المعارف بيننا واحيي فينا « مصطفى كامل » الى غير ذلك مما عده نعمة وجهها الانكليز واتهمنا بنكرانها والعمل على اشعال نار الثورة فى بلادنا .

ولذلك هو يسأل أوروبا أن تعطى الانكليز الحرية التامة فى تأديبنا حتى لا تعرض بمالها ومصالحها الجمة فى مصر للضياع . . . الى آخر ما افترى »

هذا ما افترى مراسلكم علينا به ويعلم الله أنه ماجور من الانكليز لأن يدا تتصل بقلب طاهر يشعر وبعين ترى لا تكتب على نفسها اثما كما كتبت يد هذا المراسل .

ان الانكليز العمليين دخلوا مصر بعد أن قضى فيها الفرنسيون العلماء ٦٥ عاما بين اطباء ومهندسين ومعلمين وماليين فأقاموا معالم الدوارس واوجدوا من أفريقيا مملكة أوروبية كبيرة .

انى يا جناب المدير لو أردت أن أشرح لك ما سبقت شرحته فى أغلب عواصم أوروبا بالقلم واللسان حملت نفسى فوق طاقتها ولذلك أرسل اليكم خطبة باريس التي

(★) كتب مصطفى كامل هذه المقالة فى شكل رسالة بتاريخ الخميس ٣ فبراير سنة ١٨٩٨ ردًا على ما أهاخته الصحف الأوروبية وعلى رأسهم جريدة لوريان ضده من أنه كان يضم القيام بثورة .
(على فهمي كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعًا ح ٦ ص ١٥٣) .

القيتها في أواخر سنة ١٨٩٥ بفاعة الجمعية الجغرافية ورسالة « خطر مصر » لعلكم متى قرأتموها تعرفون كيف بدد الانكليز أموالنا وحملوا الأمة ديونا عمومية وخصوصية ونسفوا القضية من العلم واختاروا قشوره وهجروا لبابه • وانهم لم يضموا السود ان الينا بل استبدلوا دماءنا في فتحه ومن يعرف ماذا تكون النتيجة •

أما مصطفى كامل الذى قال عنه مكاتبكم انه من عمل الانكليز الصالح فهو قول مردود لأن الانكليز لا يؤهلون المصريون ليقفوا في طريقهم ويذكروهم بشرف تاجهم وكرامة أقسامهم !!

نعم ان المراسل بنى عملنا على اللؤم ونكران الجميل ولكن 'سمح لمصرى مثل ان يسألك سؤالاً بسيطاً •

« أبعد الدفاع عن الأوطان في نظركم لؤماً • ولا تعدون السكوت عنه جنبا وخيانة » اذا كنتم أنتم أبناء الأمة الفرنسية قد قمتم في وجه حكومتكم الأهلية الرؤوفة بكم عدة مرات وهي منكم لانكم شعرتم بمظالمها فكيف تجدون من اللؤم قيام أمة جاءتها المظالم من سلطة أجنبية عنها طامعة فيها !!!

ألم نكن بشرا مثلكم نشعر بما تشعرون ونتألم كما تتألمون أنسيتم مركزنا السياسى ؟ أنسيتم مصالحكم عندنا ؟ ان كنتم نسيتم أو تناسيتم كل ذلك فانكم لا شك ذاكرون وطنيتكم التى ليست الا دروسا نقشت على كل قلب يقول فرنسا !!

نحن كلما رتقنا خروق سياسة حكومتكم ووطننا العلائق بين أمتنا العزيزة وأمتكم الكريمة قام منكم من يجد الحياة في وحدة فرنسا وعزلتها فيعمل على اتساع الحرق •

انك يا جناب المدير لو كنت تقرأ العربية لكنت بعثت اليك بنتف من سباب اذئاب الانكليز ومأجوريهم ضد الوطنية والوطنيين لترى الى أى حد تهان كرامة الوطن والوطنية في بلادنا • الى أى حد يغرى الاحتلال الدخلاء والمنافقين على هجو أمير البلاد ورئبسا الشرعى •

ولو سألتنى ما ذنب الأمير وما عمله • لقلت لك أن ذنبه الوحيد في نظر الانكليز انه صديق جلالة السلطان المخلص له المطيح لاوامره المحترم لتبعيته بينما يريد الدهاء الانكليزى ضمه اليه حتى تضيع مصر (لا قدر الله) •

هذا ما اكتبه لجنايبكم اليوم وأرجو منكم أن تنقوا بصداقة المصريين ووطنيتهم الصداقة التى مبدوها « احرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » وان تتفضلوا بقبول أجل اعتبارى واسمى احترامى •

الجيش المصرى ★

« نى أجد الشرف منتهى الشرف فى أن أخاطب قراء مجلة كبرى كهذه المجلة المقروءة المؤثرة فى شؤون جيش حينا له من حب البلاد لأنه المدافع عن حوزتنا الساحر على صيانتنا الحامل لراية وطنيتنا الا وهو الجيش المصرى » .

انى لم أكن عالما بفنون الحرب ونظام الجند حتى أصفهما وصفا دقيقا ولذلك أتكلم هنا على أعماله القديمة والجديدة وفخره الذى سطره له التاريخ وما لحقه من الغبن فى هذا العصر الذى جرت فيه كلما تالرقى والمدنية والانسانية حتى على لسان من لم يشبوا عن الطوق بعد ! .

كان فى مصر جيش كبير نظمه المرحوم محمد على باشا (١) رأس العائلة الحديوية حتى كاد يكون أول جيش فى العالم الشرقى بعد الجيش العثمانى الباسل وقد غزا به

(★) كان هذا رد مصطفى كامل على تساؤل المسيو فرانسوا دى مين مدير مجلة العالم الاسلامى التى كانت تصدر فى فرنسا حول حالة الجيش المصرى وموقفه بالنسبة لقوى الاحتلال .

(١) تحول الجيش المصرى فى عهد محمد على من جيش غير نظامى الى جيش نظامى ، كما تحولت صفة التبعية للجيش الى الصفة القومية . فقد كان الجيش المصرى فى بداية حكم محمد على يتكون من مزيج من الترك والألبان والمغاربة والدلاة ، ورغم أن محمد على قد حقق بهذا الجيش انتصارات حربية كثيرة فى بداية حكمه الا انه قرر تكوين جيش على أحدث النظم حتى يستطيع أن يحقق به آماله فى بناء امبراطوريته ، ولتحقيق ذلك شمت محمد على الجنود غير النظامية التى كان يتكون منها الجيش ووزعهم على الشغور والاقاليم ، ثم أخذ فى تكوين النواة الأولى للجيش فى أسوان وكانت تتكون من خمسمائة من خاصة مماليكه ، وخمسمائة من ممالك بعض رجاله واستعان فى تدريبهم بالكولونيل سيف Sévès الفرنسى - سليمان فيما بعد - وذلك ليكونوا ضابطا . وبعد الانتهاء من توافر العدد الكافى من الضباط أخذ فى التفكير فى الجنود ، وقد تجسب فى البداية تجنيد الأرئاءود خشية تمردهم كما تجسب الفلاحين المصريين خشية وضع السلاح فى يد من لا يملكون ولجأ الى تجنيد السودانيين وأقام لهم المعسكرات فى أسوان ومنفلوط لتدريبهم على النظام الحديث ولكن التجربة فشلت فاتجه الى تجنيد المصريين ، وهكذا وضع محمد على وابراهيم أسس الجيش المصرى والاسطول الذى كان لهما شأن عظيم فى حروب محمد على .

ثم انتقل الجيش فى عهد عباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤) الى مرحلة الاضمحلال رغم أن عباس نفذ بعض الإصلاحات الحربية التى فكر فيها ابراهيم باشا قبل وفاته كتجنيد الاستحكامات وانشاء الطرق =

محمد على بلاد' كثيرة لا أود ذكرها لأن في ذكرى بعضها ما يحرك اشجانى ويؤلم
فؤادى بصفتى مسلما مخلصا يرى القوة فى الدولة العلية والمجد المقبل فى
سلامتها والالتفاف حول رأيها .

= الحربية الا ان الجيش فى الجملة لم يكن موضع عنايته ، فاصبح فى عهد عباس الاول مثال الفوضى وسوء
الادارة ، وقد زاد من ضعفه انه ادمج قيد نحو ستة آلاف من الارناؤود وجعلهم خاصة جنده وسلاحهم
بالمسدسات وكانت لهم السطوة وتعالوا على المصريين جنودا وأفرادا وظل سليمان باشا الفرنساوى القائد
العام للجيش المصرى ولكن يده غللت عن النهوض به واصلاح شؤونه .

وتولى سعيد حكم مصر بعد عباس (١٨٥٤ - ١٨٦٣) عاد الجيش المصرى الى عظيمته ونظامه فقد
اشتهر سعيد بميله الى الجيش فعمل على ترقية شئون الجيش من الوجهتين المادية والمعنوية وصبغه بالصيغة
الوطنية ، فخفض مدة الخدمة العسكرية وجعلها فى الوقت نفسه اجبارية للجميع بعد أن كانت قاصرة على
الفلاحين ، فرغب الأهل فى الانتظام فى سلك الجندي ، كذلك عنى بترقية حالة الجنود والترفية عنهم من
جهة الغذاء والسكن والملبس وحسن المعاملة ، وكان لهذا الاصلاح اثره فى تقدم حالة البلاد الاجتماعية
لأن المجندين حين يعودون الى القرى بعد انتهاء مدة خدمتهم كانوا ينقلون اليها مبادئ النظام والتقدم
والنظافة التى تعودوها فى ظل الجندي ، وقد رقى كثير من الضباط المصريين الى المراتب العسكرية العالية
بعد أن كانت قاصرة على الترك والشراسة .

ولما كان مشهورا عن سعيد انه لا يستقر على وتيرة واحدة فنجده فى سنة ١٨٥٦ قد صرف معظم
الجيش ولم يبق منه الا ست أوط من المشاة وثلاثة بلوكات من الفرسان وبلوكين من المدفعية وفى سنة
١٨٦٠ اعاد تنظيم الجيش مرة أخرى واعاد اليه ضباطه ونظم فيالقة ، وكان غرضه اسعنادا للقتال بعد
أن توترت العلاقات بينه وبين تركيا ، فكان عدد الجيش وقتئذ ٦٤٠٠٠ مقاتل كما اعتنى بالاسطول وعمل
على احياء البحرية المصرية ولكن انحلترا أوعزت الى تركيا ان تمتع سعيد من تحديد الاسطول بحجة
انه خطر على تركيا اذا قوى شأنه .

وتولى الحديو اسماعيل عرش الحديوية سنة (١٨٦٣ - ١٨٧٩) وضع اهتمامه الكبير بالجيش وتنظيمه
فارسل البعثات الحربية الى فرنسا لتعريف الضباط المصريين على نظام الجيش الفرنسى واقتباس خبرة
قواده وضباطه فدرسوا النظم العسكرية الفرنسية والاستحكامات الحربية وغير ذلك من فون الحرب والقتال
كما احضر بعثة حربية من فرنسا مؤلفة من بعض الضباط الفرنسيين لتنظيم المدارس الحربية المصرية ،
كما عهد الحديو اسماعيل الى طائفة من الضباط . الامريكيين لتأسيس هيئة أركان حرب للجيش المصرى
تألفت هذه الهيئة من الضباط المصريين العائدين من فرنسا علاوة على الضباط الامريكيين وعلى رأسهم
الجنرال ستون Stone وقد بلغ تعداد الجيش سنة ١٨٧٣ ١٢٠.٠٠٠ مقاتل . كذلك اهتم اسماعيل
بتجديد الاسطول فبعث النشاط فى ترسانة الاسكندرية وصنع السفن الحربية المدوعة فى ترسانات أوروبا
كما جدد المدرسة البحرية بالاسكندرية واحضر لها المدرسين الكفاء من أوروبا ومصر وعهد بنظارتها
الى ضابط البحرية الانجليزية ويدعى مكيلوب باشا وكانت تدرس العلوم البحرية التى كانت تدرس فى
المدارس البحرية الأوروبية كما أرسل البعثات من خريجي هذه المدارس البحرية الى انحللترا لاهتمام دراسة
العلوم البحرية .

ولما اشتدت الازمة المالية والتدخل الأجنبى الفرنسى والانجليزى سنة ١٨٧٨ سرح اسماعيل الضباط
الامريكان جميعهم ما عدا جنرال ستون الذى بقى رئيسا لاركان حرب الجيش المصرى حتى اوائل الاحتلال
البريطانى فاستقال بدخول الانجليز مصر .

وكان الجيش المصرى قبل ضرب الاسكندرية يقدر بحوالى ٣٦ ألف مقاتل حسب هول عرابى ولكن
الرافعى يعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه فلم يكن يزيد عن ١٩٠٠٠ مقاتل موزعين س مختلف المواقع ولا =

بلغ عدد هذا الجيش في مدة محمد على ثمانين ألف جندي وقد جلب له من أوروبا أساطين الحرب وقواد الجيوش الذين اشتهروا بسعة الاطلاع وقوة الابداع في تنسيق النظام وترتيب الجنود ومنهم الكولونيل سيف الفرنسي الشهير الذي أسلم وغير اسمه وأصبح سليمان باشا الفرنسي .

قاد محمد على هذا الجيش في بعض الغزوات ولكن الذي اشتهر بقيادته زمنا طويلا هو ابنه ابراهيم باشا الذي تولى ملك مصر زمنا قصيرا وقد أثنى المؤرخون جميعا على استعداد المصري للجنودية غير أن الأزمنة المختلفة التي أهاجت حب منافسة معاصريه واستيلاء الأجنبي على بلاده لم تمكنه من التدريب على القيادة العامة فصار مرؤوسا مطيعا حازما ولعله يكون كذلك اذ جاءه حظ التراس في مستقبل الأيام !

جاءت بعد محمد على أدوار الحديويين والجيش كما هو في كفاءته وعدده حتى زمن حكم اسماعيل باشا الحديو الاسبق فان الجيش المصري بلغ فيه مبلغا عظيما من الرقي . ومن يراجع تقارير ضباط الأركان الحرب الأجانب الذين استخدموا فيه كالجنرال

- طالب عرابي سنة ١٨٨١ بزيادة مرتبات الضباط والجنود وافق مجلس الوزراء مقابل تخفيض المصروفات العسكرية البرية والبحرية وتخفيض عدد الجيش الى ١١ ألف مقاتل ولما طالب عرابي في مظاهرة عابدين بزيادة عدد الجيش رفض الحديو تحت تأثير المراقب المالي أوكلند كلنن بحجة أن مالية الحكومة لا تسمح .

وبعد خمسة أيام من احتلال القاهرة أصدر الحديوي مرسوما بتسريح الجيش ، ثم أصدر أمرا عاليا في ٢٤/١٠/١٨٨٢ بتجريد الضباط الذين اشتركوا في الثورة العرابية من رتبهم . وفي نفس الوقت بدأ اهتمام إنجلترا بانشاء قوة عسكرية جديدة تحل محل الجيش الملغى وبناءا عليه أرسلت الحكومة البريطانية لورد دفرين في أكتوبر سنة ١٨٨٢ في بعثة لهذا الغرض ، وتم الرأي على تكوين جيش جديد على ألا يزيد عن ستة آلاف مقاتل وحجته في ذلك أن مصر محاطة بالصحراء ، ثلاث جهات وهذا العدد كاف في نظره للوفاء بالاغراض التي تحدث عنها ، كما رأى دفرين استبقاء جميع العناصر الانكشافية الأجنبية سواء كانت من الترك أو الالبانيين أو التراكمية ولكنه استثنى الاتراك المتصرين أو المصريين من الأصل التركي وذلك لتدعيم صفوف المحاربين الجدد ، كما قرر أن يضع الجيش تحت الاشراف المباشر لجنرال انجليزى وبعض الضباط الانجليز ومن ثم فإن أربع أشرطة مشاة من ثمان سو فيكون ضباطها في جميع الرتب من أعلاها لأدناها من المصريين ويرأسهم لواء مصرى أما الأربع أشرطة الأخرى فسيكون القائد الأعلى انجليزى وكذا مساعده ونائبه بالإضافة الى ثلاثة ضباط انجليز ، ويطبق هذا بالنسبة لسلاح المدفعية فسيكون تحت قيادة كولونيل من سلاح المدفعية الملكى ، أما سلاح الفرسان فيتكون من ٥٠٠ جندي قائمه ونائبه انجليزين .

وهكذا تجد أن الاحتلال الانجليزى صبغ الجيش المصرى بصبغة انجليزية وسيطر الجندي الانجليزى على الجندي المصرى .

(١) عبد الرحمن الرافعي - عصر اسماعيل ج ١ ، ط ٢ القاهرة سنة ١٩٤٨ من ص ٧ الى

ص ١٨٦ .

(٢) عبد العظيم رمضان ، مرجع سابق من ص ٨ الى ص ٤٣ .

أوراق مصطفى كامل - ٢٧٣

ستون (١) وغيره يعلم مقدار عدده وعدده فقد بلغ عدد رجاله في وقت من الأوقات من ضباط وصف الضباط وجنود ١٢٠ ألف نسمة . كما بلغت عدده من الطراز آخر طراز .

لأن اسماعيل كان مغرماً بتأسيس مملكة ضخمة فأنشأ السفن وبنى الحصون واستجلب العدد واستخدم الأوروبيين لتدريب الجند وهو عمل كان يجب معه أن يكون مقتصدا ليأمن الوقوع في غائلة الدين وضيق ذات اليد .

ولو كان اسماعيل مع نشره المعارف واصلاحه البحرية والحربية عول على وضع نظام مالي قائم على أساس متين ما كانت البلاد وقعت في هذا المرض المالي العضال وما كان الأجنبى وجد باباً يدخل منه هذا الغيظ الذهبى تحت هذه السماء النادرة المثال !! .

ذهب اسماعيل وجاء توفيق وقد استلم ملكاً كبيراً مديناً وظن الناس جميعاً في مصر وفي غير مصر انه سيكون التوفيق حليفه في خديويته ولكن الحوادث خانتها ولينه المتناهى وطيبته التى كادت تكون زهداً أضعفت كثيراً من جاهه وقوت كثيراً جهلاء قادة الجيش والذين تهجوا منهمجهم .

ذلك أن الجيش المصرى كان على رأسه فى ذلك الأوان قواد من العنصر الشركسى المحبوب الباسل (٢) ولكنهم كانوا على ما يظهر من الذين لا يحسنون كثيراً سياسة الجند ومن سوء حظهم أو من سوء حظ مصر أن وجد بجانبهم رؤساء فرق مصرية لم تخرجهم المدارس العالية بل أخرجتهم صفوف الجند وهم من سلالة مصرية صرفة . وقد حنق هؤلاء على أولئك واشتبك التباعد بينهم مما أدى الى النزوع الى الثورة العربية التى انتهت فصولها باحتلال الانكليز لمصر .

دخل الانكليز مصر فى وقت كانت فيه الثورة السودانية (٣) قائمة بعد أن أحكمت السياسة الانكليزية حلقاتها وعرفت كيف تثير لهيبها . فرأى من رأسوا الجيش المصرى

(١) هو ضابط أمريكى على جانب كبير من الكفاءة والخبرة عادر الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الأهلية وجاء الى مصر وعرض خدماته على الخديو اسماعيل فألعمه بالجيش وعهد اليه سنة ١٨٧٠ برئاسة هيئة أركان حرب الجيش المصرى لما آنسه فيه من الكفاءة وأنعم عليه برتبة اللواء وصار يعرف بالجنرال ستون باشا واضطلع بالمهمة التى اسندت اليه واستعان على احياء هذه الهيئة وتنظيمها بهيئة من الضباط الوطنيين والأمريكيين وبطاقة الميكانيكيين والمهندسين والخبراء فى علم طبقات الأرض ، وأشياء فى هذه الهيئة فسم للجغرافية مهمته وضع الخرائط الطبوغرافية الدقيقة عن اتحاد مصر والسودان وتولى تخطيط هذه الخرائط صباط أركان الحرب المصريين والأمريكان فجاءت أعمالهم عاية فى الدقة والإحكام .

وقد غادر جنرال ستون مصر نهائياً سنة ١٨٨٢ حتى عزم الانكليز وضع أيديهم على الجيش المصرى .

عند الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١٨٠ .

(٢) أسلوب تحبب من مصطفى كامل للترك يجعله محل تساؤل ؟ .

(٣) ثورة المهدي .

من ضباط الانكليز ان يفنوا ما بقى من جيشنا القديم وقد تم لهم ما ضمروا اذ بددت فرق هذا الجيش التعس (١) فى وقائع كثيرة اشتبكت فيها وفى جهات شتى بالسودان مع أهله ودراويشه .

بعد أن تم للانكليز هذا الأمر بسهولة غربية أسسوا جيشا جديدا لا يتجاوز العشرين ألف جندي وقد وضعوا على رأسه عدد كبيرا من الضباط البريطانيين ليكون لهم أحسن مدرسة حربية مصرية يجربون فيها كل نظام يخطر ببالهم لا ليكون أساتذة ماهرين يلقنون فنون الحرب الحديثة لمن انتمنتهم أوروبا على احتلال بلادهم !

فان الضابط الذى لا يتعدى رتبة الملازم فى الجيش الانكليزى يلحق بجيشنا برتبة البكباشى وينتقد من المرتب هنا ما هو ستة أمثال مرتبه هناك . وهو ما لم نسمع به فى التاريخ !

للجيش المصرى الآن وفى كل مدة الاحتلال ثلاث نقط يوزع فيها قسم فى السودان الشرقى ومركزه سواكن وقسم بالسودان الغربى ومركزه حلفا وقسم آخر بمصر ومركزه العاصمة .

وهذه الأقسام يحل بعضها مكان البعض كلما لاح للرؤساء تبديل وتغيير .

والنظام المتبع الآن أن فى الجيش ثمانى عشرة أورطة مصرية بيادة منها اثنتى عشرة أورطة من المصريين وست أورط من السودانيين ولا يوجد على رأس هذه الاورط مصريون الا فى أربع منها فقط واما الاربع عشرة أورطة الأخرى فجميع روسائها من الضباط الانكليز .

وكذلك بطريات الطوبجية فلا يوجد فيها بالمره رئيس مصرى أما آليات السوارى ففيها بعض المصريين وكذلك بقية فروع للجيش .

ان فى كل جيوش العالم لا يشتغل الجندي ورئيسه الا بكل عمل حربى كأنشاء القلاع والحصون وخفر الحنادق ووضع العراقيل والتعليم العسكرى بكل أنواعه ولكن الحال فى مصر غير ذلك فانه بينما يضع الجندي المصرى راميته ليستريح من عمل عسكرى أو واقعة حربية تناديه أعمال الفعلة التى لم تكن من شؤون الجند بالمره فينقل أكياس الغذاء وحزم المواد من بر الى بحر ومن بحر الى بر وينشئ السكك الحديدية ويبنى القناطر والشكنات وبالجملة يطلب منه تشييد مدن فوق جماجم الذين قتلهم برصاصه أو مزق أجسامهم كل ممزق بقتابله .

(١) التجريدات الثلاثة سنة ١٨٨٣ ، سنة ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ .

فالجندى المصرى (١) نجار وحداد وتراب وبناء وفاعل وجمال وخدام وجندى كل ذلك فى حرارة السودان وتحت سلطة الانكليز .

أخبرنى موظف ملكى من موظفى نظارة الحربية فى بلادنا أن العساكر المصرية يحملون حتى غذاء وملابس ومواد الجنود الانكليزية المرافقون لحملة السودان من جهة لينقلوها الى جهة أخرى . فهل بعد هذا استعباد للأمم فى صورة المدنية؟؟؟

ان الانكليز أول المدعين أنهم ممدينو العالم رحماء بالجنس البشرى وأنهم ما دخلوا مصر الا ليقيموا فيها ستة أشهر حتى يستتب الأمن ثم يعودون من حيث أتوا فما بالهم اتخذوا الحدود المصرية بعد أن أستتب الأمن داخل البلاد عكازا يتعكزون عليه كلما ضايقتهم المطالبة بالجلء أو لاحت لهم لائحة من أوروبا يكون وراءها حرمانهم من البقاء فى أرض الفراعنة . الا أن الانكليز أصبحوا يسخرون من العالم كله وقد سجلوا على أنفسهم بهذا الاخلاف فى الوعود عارا فى صحف التاريخ لن تمحوه حسناتهم حتى لو كانوا مصادفة يأتون بالحسنات .

انى أرى ان المثل الذى ضربته على تعس حالة الجندى المصرى واستخدامه فيما لم يكن من شأن الجنود لم يكن شيئا مذكورا بجانب ما سأقصه على قراء مجلة العالم الاسلامى .

اختص رئيس الجيش ذلك الرجل الجبار كتشنر باشا أحد الأورط بنقل التعيينات من شاطيء النيل الى القطار فلما رأى رئيسها المصرى ان المرض المسبب عن النصب الزائد أهلك الكثير من رجاله شكوا حالهم الى الرئيس ليرحمهم ويستبدلهم بغيرهم فهز الرئيس الانكليزى المتدين العظيم كتفيه وقال « ان موت أورطة بأسرها لا يهمنى فالأمة المصرية تعد بالملايين ومن يموت من الجند نجد عوضه فى الحال » .

(١) استخدم الجيش المصرى فى بناء السودان وتعميره بصفة خاصة فعندما انتهت موقعة أم درمان ، اتحت السياسة البريطانية الى جعل الخرطوم عاصمة للسودان ، ولما كان السودان خال من الصناع وكانت مصلحة الأشغال بالجيش المصرى عبارة عن قسم صغير من الصناع العسكريين فقد رأى زيادة هذه المصلحة وتكبيرها ، وسرعان ما تم تجنيد بائين ونجارين ونحاتين وتقاشين وحدادين وبرادين وغير هؤلاء من صناع المعمار . وابتدأ هؤلاء الصناعة يصلون الى الخرطوم سنة ١٨٩٩ وقد قام هؤلاء الصناع ببناء أهم المنشآت الكبيرة المدنية والعسكرية فى الخرطوم هذا بالإضافة الى ما أنشئ فى الأنحاء الأخرى . وكانت أورطة السكة الحديدية أكبر أورطة فى الجيش المصرى فقد قامت هذه الأورطة على صيانة السكك وتعهدها بالإصلاح وتوضيح صعوبة وقوة العمل الذى قام به الجيش المصرى فى قول أحد الضباط « أنه توحى تحت كل شبر فيها جثة جندى مصرى » .

واتسعت ميادين الخدمة لفيلق العمال المصرى لتتجاوز حدود مصر فشملت فرنسا والدردبيل والعراق وفلسطين فضلا عن سيناء . فقد قاموا بأعمال عديدة منها مد السكك الحديدية وأنباب المياه وفرش الطرق السلكية وتفرغ شحنات البواخر والقطارات وشحنها وحفر الآبار وإدارة القوارب الساحلية .
د عبد العظيم رمضان - مرجع سابق من ص ٨٠ ، ص ٨٢ ، ص ١٢٤ .

من هذا المثل وغيره يدرك القراء أن الشدة قد بلغت من نفس هذا القائد الأوروبي مبلغ القوة مع أن العدل يقضى بالتبديل والتغيير في كل عمل واجب النفوذ فما بالك بعمل كهذا ليس شرعيا ولم يكن بالمرّة من اختصاص الجنود ؟ نعم إن السرعة التي ترى السياسة الانكليزية وجوب اتباعها في فتح السودان تحتم هذا العمل الذي يعوق سيرة التبديل والتغيير كما يقول بعض الضباط الانكليز وجرائد الاحتلال . ولكن أليس في ميزانية الجيش الذي لا يعرف لها حساب ما يكفي لجعل الاورطة المخصصة لأي عمل ما أورطتين .

وبالجملة فإن حالة الجيش المصري حالة تعسة للغاية لا يمكن تطبيقها على حالة أقل الجيوش الأوروبية استعدادا ونظاما .

إن الجيش المصري الذي هو جزء من الجيش العثماني لا ينفع الدولة اليوم في أي حرب لأنه فضلا عن أن نظامه مخالف للنظام الحديث الأوروبي كما يقول الكثيرون فإن الانكليز لا يسمحون بانضمامه إلى جيش الدولة إذا دعت الحالة إلى ذلك .

نعم إن الوقت الذي فيه ثارت الحرب الأخيرة بين الدولة (١) واليونان كان الجيش المصري مشغولا بما هو فيه الآن من استرداد السودان ولكن أليس الانكليز هم الذين اشعلوا نار هذه الحرب ليشغلوا الدولة عن مسئلة من أهم المسائل العثمانية في أفريقيا أنهم خافوا أن توغز الدولة الألمانية - التي هي العدو اللدود للدولة الانكليزية - للدولة العثمانية بأن تحدث القلاقل على حدود مصر الشرقية وتسوق جنودها إلى داخل البلاد في وقت تكون قد رحلت فيه الجند المصرية والانكليزية عن مصر لاسترداد السودان وبذلك يقعون في فخ السياسة الألمانية ويضيع منهم الأبيض والأسود .

إن كبار السياسيين في أوروبا متفقون على أن الانكليز يخلقون كل يوم جديده في عالم السياسة لبلوغهم الغاية التي يرمون إليها فليس ببعيد بل من المعقول جدا أن يخلق الانكليز أنفسهم في الغد شيئا آخر في نفس جسم الدولة العلية .

نعم أن تنافس هاتين الدولتين الألمانية والانكليزية يفيدنا كثيرا لأن فيه صاعقة مقبلة تقضى على احدهما بينما تضعف الأخرى وتتركها في النزاع زمنا طويلا . هناك يقوم المصري ليسترد حقوقه إن لم تكن أوروبا قد قامت بواجبها نحو صيانة مصالحها وتاديب الدولة الطامعة الساخرة منها وكل آت قريب .

(١) الحرب اليونانية التركية سنة ١٨٩٧ .

الأحوال المصرية ★

المكاتب : يشيرون في الدوائر السياسية الأوروبية أن المصريين قد نسوا مسئلة الاحتلال ولم يعد لهم صوت يرتفع بعد الآن . فهل هذا صحيح ؟؟

المرجم - قد دهشنى سؤالك هذا غاية الدهش لأنه كيف ينسى المرأ أمه الحنون التى لا رحمة فى الوجود تعادل رحمتها ولا شفقة تشبه شفقتها . ان الذين يقولون أن أصواتنا أخفقت يظنون أن بلادنا أصبحت مستقلة سعيدة عالية الشأن .

نعم أن يوما فيه نرى مصر قد أخذت مكانها اللائق بها بين الأمم هو يوم لا تشكو فيه من ظلم ظالم أو جور جائر بل تكون ككل الأمم التى ترتفع أصواتها أمام حكومة أهلية لحسن قيادة دفة مرافق البلاد .

ان الرجل الذى له وجدان يتألم لا يستطيع رؤية أم عزيزة تدبح فى رائحة النهار بدون أن يتحرك فنحن كذلك مع هذا الاحتلال غير الشرعى الذى طال عليه القدم ومثل أكبر دور من أدوار الغش والخداع لا نسكت حتى اذا بحت أصواتنا أو عصبت ألسنتنا فى أفواهنا . لأنه العار الأبدى المسجل علينا ما دام فينا والوصمة الوطنية التى تنكرها حقوق الأوطان مادام بين ربوعنا .

انى أؤكد لك يا جناب المكاتب أن قلب المصرى يذكر فى كل خفقة من خفقاته الجلاء لأن السعادة لا تكون فى الشقاء كما أن الاستقلال لا يكون فى الاحتلال .

فقاطع المكاتب وقال : « ان أحد المصريين الذين حادثته أكد لى أن المصريين اليوم أسعد حالا مع الاحتلال الانكليزى مما كانوا قبله . وقولك مناقض بالمرّة لقول هذا البعض » .

فأجابه المرجم على الفور : « ان الذين حادثتهم ان قلوا أو كثروا ليسوا على ما أظن الا دخلاء (١) يغشون من كان مثلك بانهم مصريون وهم ليسوا فى الحقيقة

(★) حديث لمصطفى كامل أجراه معه مراسل جريدة الاكسيرا جبلاية النمساوية فى فيينا فى ٢٣ فبراير ١٨٩٨ - ١٨٩٧ ، ود أشار على فهمى كامل للمراسل « المكاتب » بينما أشار الى مصطفى كامل « المرجم » وهذا تعريبيه .
(١) مؤسس جريدة المقطم الشوام .

الا غرباء استأجرهم الانكليز لخدمة سياستهم • واذا كانوا مصريين فهم من طبقة الموظفين الذين باعوا الآخرة بالدنيا والوطن بالوظيفة وهؤلاء ليسوا والحمد لله كثيرين ولا بد أن يمحو الزمان أثرهم شيئا فشيئا أو يتوبوا الى رشدهم عندما يقع الظلم على رؤوسهم فان الانكليز يستفيدون على الدوام من الحماة ولكنهم أعداء الخائنين متى قضوا منهم مآربهم وأطماعهم •

أنى أقول لك الحقيقة كما هى • فاذا أردت أن تؤمن عليها أو تتأكد منها فسل من تثبت من الوطنيين الاحرار الذين لا علاقة لهم بالحكومة ولا بالاحتلال وهم يقصون عليك ما سمعته منى حرفا بحرف •

فقال المكاتب : ان الانكليز ينشرون فى العالم من حين الى حين انهم رقوا مالية البلاد ووضعوها على أضمن أساس أليس كذلك ؟

– نعم لا أنكر انهم اكتسبوا ثقة أوروبا بعد أن كانت مفقودة ولكن بماذا اكتسبوها ؟ انهم اكتسبوها بهذه الأرقام التى تنشر حبرا على ورق لا يحاسب عليها ناسرها اذ لا رقيب عليه !!!

وبيان ذلك أن الانكليز زادوا الضرائب ومنعوا زراعة الدخان ليزداد دخل الكمارك بما يرد منه على مصر وضربوا للبدل العسكرى ضريبة عمموها فى كل القطر وأخلوا الأمن ليكثر ايراد المحاكم وفتحوا المصارف ليرهنوا أملاك الأمة ويعمموا الاستدانة التى هى فى نظر كل الاقتصاديين مجلبة الدمار على الأمم •

وأنه اذا كان رقم الايرادات يزداد فى كل عام عن الذى قبله فكذلك المصروفات تزداد أيضا والفضل فى الايرادات يرجع الى ما ذكرته لك وفيه أكبر فضل على المصروفات • أما المصروفات فأغلبها يدخل فى جيوب الانكليز ولأضرب لك مثلا صغيرا •

من يدخل مدارس الحكومة لا يجد أداة بيد تلميذ الا ومصدرها انكليزى ولا يصادف وجها أبيض تعلوه قبة الا ويكون وجه انكليزى ولا يسمع صوتا يرن فى نظارة المعارف الا صوت الانكليزى •

ومن يدخل تكتات الجند لا يجد فيها أداة غير انكليزية ولا رئيسا غير انكليزى ولم يجد شيئا مصريا (الا العدس والفول وهما من غذاء العسكر) •

ومن يعرج على نظارة الأشغال لا يجد شيئا مما غلا ثمنه من أدوات البناء الا انكليزيا لأن المقاول اما انكليزى أو أجنبى غيره ممن اشترط عليه أن يستحضر أدوات انكليزية . كذلك الحال فى السكك الحديدية ومصلحة الصحة والبوليس والكمارك وخفر السواحل وغيرها ••• وغيرها • فهل لنا فائدة فى هذا والدين باق كما هو وقد مضى على انكلترا وهى محتلة مصر ما يقرب من ستة عشر عاما •

ان رقما فى الميزانية أصغر من الرقم الحالى ومصروفا تراقب فيه مصلحة الأمة لأحب اليها من هذا العدد الضخم الذى لانكلترا فيه المغنم وعلى مصر المغموم •

فقال المكاتب : ولم لا تضعون تقارير مسهية تفصحون فيها عن أمركم هذا ليقف
الرأى العام الاوروبى على الحقيقة ؟؟

— اننا عولنا على نشر آرائنا وخواطرننا وما نالنا وينولنا من الاجحاف على صفحات
الجرائد الاوروبية السيارة لأنها أسرع مبلغ للشعوب ولأن عدد من يقرؤها يفوق عدد
قراء التقارير كثيرا نعم ان التقارير على قلة من يقرؤها تقف السياسيين وهم الكل
فى مشكلة مصر على حقيقة الحال وتكون بمثابة كتب موضوعة يرجع اليها فى كل وقت
ولكن عدم اصدارها فى هذا الوقت لا يمنع من أن نقوم به قريبا فحزبنا لم يتكون
الا حديثا وهو الآن آخذ فى الانتشار ولا بد أن يجاهر يوما بعمله بعد أن لبث الى
الآن سرىا .

— ان الانكليز يقولون ان وجودك بين المصريين دليل كبير على غرسهم بذور التربية
الصحيحة التى روحها الوطنية فى قلوب الناشئين الذين أتموا دراستهم فى مدارس
الحكومة ؟

— ولم لا تقول يا جناب المكاتب أنهم بذروا بذور الظلم فهالنا منظر نتاجها فصحننا
مستغيثين بمن هم أصل هذه البلية وهذا البلاء ؟؟ أنسيت جنابك ان الانسان قطعة
من الأرض التى نشأ فيها فيحن اليها حنو الابن البار بالأم الحنون ؟ قل لى كيف قام
المجريون فى وجهكم وأنتم على جوار يحفظ شيئا من الشبه بين جنسيكم ؟ ألم يكن
الدافع للوطنيين الذين هم تيجان التاريخ على حبه بلادهم تلك الصلة الكبيرة التى
تربطهما من مبدأ الخليفة الى اليوم .

الا أن الطامع لا يأتى حسنة الا قسرا وليس فى الاجبار من العمل ما يسمى
حسنة . فحسنت الانكليز التى يدعون انهم أتوها فى مصر لم يكن خيرها عائدا علينا
بل عليهم كما ذكرت لك فنحن نكد ونعمل ونملأ خزائن الحكومة وهم يجنون ثمار أتعابنا
باسم حسنتات ظاهرها فى عين أوروبا خير عميم لمصر وباطنها شر مستطير وافتيات
كبير .

فقال المكاتب : وعلى م(١) عولت بعد الآن أتستمر ورفأفك فى هذا الجهاد على
هذا الأسلوب أم عولتم على اتخاذ وسائل أخرى ؟

— انى أصرح لك بأن سياستنا صريحة لا سر فيها وأن المحامى فى قضية لا يعتمد
الا على الصراحة فى دفاعه حتى يظهر الحق جليا أمام الملأ أجمع . ومن مصلحة مسألتنا
أن نعتد على أنفسنا أولا وأن لا نتعدى حدود السكينة والحكمة فى جهادنا وأن نضم
الينا ثائيا ما نستطيع من أهل الحق وذوى الوجدانات مهما كانت أديانهم ونحلهم .
وان أوروبا التى صمت آذانها واغضت جفونها عند احتلال الانكليز لبلادنا ترتكب
انما كبيرا اذا حضرت مشهد اعدامنا على مرسح السياسة الانكليزية فلنعمل ولتعملوا
فان الانسانية والمصلحة تدعو ان الى استقلال مصر وحرية قناة السويس .

(١) وردت فى الاصل هكذا .

الحالة العمومية ★

فى مصر

« أن الحالة العمومية فى مصر مؤلة مبكية • فالانكليز يعملون اليوم كل شىء جهارا حتى سئم احرار المصريين الحياة ولم يعد للصبر سبيل • فهم فى كل سنة يجلبون الى مصر من اخوانهم عددا (١) عديدا ليحشروهم فى الوظائف حشرا بلا مسوغ شرعى وبلا علم يؤهلهم لهذه الوظائف •

ففى هذا العام الذى هو العام السادس عشر على وجود الاحتلال فى مصر قد استخدموا من أبناء الناميز نحو ٤٦ انكليزيا اكبرهم سنا لا يبلغ الثالثة والعشرين واكثرهم علما لم ينل غير الشهادة الثانوية وأقلهم مرتبا يتناول شهريا ٢٥ جنيها •

فهل سمعتم ايها الأوروبيين الشرفاء المتهمدينون ان أمة تجاهر بكره الحياة والدناءة وتدعى أنها تطارد اللصوص أينما وجدتم تسلب فى رابعة النهار حقوق أمة تعتبر بلادهم قطعة من أوروبا ؟ انكم ما سمعتم وما سمعنا ولكن ها هى الأمة الانكليزية تسمعنا فى الغدو والرواح الغرائب والعجائب •

ضمنى مجلس من مجالسنا الوطنية الحافلة بذكر هذه المسائل المؤلة وقد تعرفت فيه الى رجل من كبار رجال الحكومة الذين كادت أعمال الانكليز تصعقهم لشدة هولها وبشاعة جبروتها • فسألته عن هذه الأعمال فقال وهو يتأوه بين كل فقرة من كلامه تأوه الوطنى الصادق أمام بلاده المسلوقة المصوبة ما نصه :

(★) مقال نشره فى جريدة زيتنج الألمانية فى ٩ مارس ١٨٩٨ وهذا تعريبه •

(١) كان اللورد كرومر العميد الانجليزى فى مصر هو صاحب الأمر والنهى فى شئون الحكومة فوضع الموظفين الانجليز على رأس المصالح المهمة فى الوزارات ، فالجيش تحت يادة السردار والضباط البريطانيين ، والبوليس تحت اشراف المفتش البريطانى العام والمالية فى يد المستشار المالى ، والأشغال فى يد وكيل الوزارة البريطانى ، والحقانية منذ سنة ١٨٩١ فى يد المستشار القضائى •

(عبد الرحمن الرافعى - مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية القاهرة - ط ٤ سنة ١٩٦٢ • ص ٣٠ ، ٣١ •

« عن أى شىء تسألنى ايها الأخ ونحن اليوم وقد حكم علينا جميعا من كبيرنا الى صغيرنا بالاعدام تنتظر ساعة العفو ساعة الخلاص بنافذ الصبر . ان الانكليز كما تعلم هم القابضون على الحياتين المادية والأدبية فى البلاد وفي أيديهم معاول واشراك ينسفون بالأولى الحياة الأدبية ويصطادون بالثانية مجهودات الأمة . فانهم قد أكثروا من المدرسين الانكليز ليلقنوا العلم لقوم لغتهم العربية باللغة الانكليزية ولينسفوا ما بقى من مكارم اسلامية وأخلاق أهلية واحساسات وطنية . انهم اذا ذكروا الوطن المصرى حقروه وأذلوه ونسبوا ما فيه من رفعة باقية موهومة الى وجودهم والى قرائعهم واحسانهم للانسانية . مع أن الوطنين يا أخى ليسا الا أرضا وسماء حتى ان العاجز الغبى الذى لا يميز بين النهار والليل يحكم على وطنهم المجذب بالاعدام بينما يرحب بوطننا الذهبى الذى دونه جميع الأوطان فلم هذه الأعمال ؟ أليس لأنهم لو نشروا العلم الصحيح واحسنوا الى البشر أحسانهم لانفسهم يسقطون من على مجدهم حيث تعرف الأمم حقوقها فتسترد منهم بقوة العلم التى هى أكبر قوة فى الوجود ما يملؤن به جيوبهم من المرتبات الباهظة والمنفعة التى تعود عليهم مادمتا جهلاء ؟؟ » .

أمام هذا المنظر المخيف المفزع ترى حكومتنا الاهلية ساكتة لا تحرك شفة ولا تعارض فى أمر فهم باسم الأمة يصادقون على كل شىء (١) . هذه الأمة المسكينة التى تصرف على عدوها وسالبها والحائن والمنافق من أبنائها ليعيشوا ويقبوا ضدها ويحاربوها فى وجودها .

وماذا أقول لك ولو أردت أن أحصى الارقام التى تسرق من المالية باسم البيع والشراء والايجاد والانشاء لبلغت الملايين من الذهب . ولم نذهب بعيدا ؟؟ وهذا الجيش . ألم يكن فى ميزانيته أن تتمرن جنوده سنويا على ضرب النار مما قدر للانفاق فى سبيله مائة وثلاثين ألف جنيه على الأقل فأين ذهبت هذه النقود أمام هذه الحملة السودانية التى ما تمرنت فيها العساكر برصاصة واحدة منذ بدؤوا بأعمال التجريدة - ألم يكن هذا البرهان وغيره حقيقة ساطعة على التصرف فى أموالنا بلا حسيب ولا رقيب . . » .

قال صاحبنا هذا القول ثم بكى من شدة تأثره فأمن الحاضرون على كلماته وكان

(١) كان على رأس الحكومة فى هذه الفترة « صديق الانجليز الوفى » مصطفى فهمى باشا (١٢ نوفمبر ١٨٩٥ - ١١ نوفمبر ١٩٠٨) فكانت أطول الوزارات عمرا واستغلها الانجليز فى بسط نفوذهم الخاسرة بإبرام معاهدة ١٩ يناير ١٨٩٩ وكانت بريطانيا هى الشريك الأرجح فى الجيوب . كما ضعفت خلال هذه الفترة أيضا حدة دولية المسألة المصرية خصوصا بعد خروج فرنسا من ميدان المنافسة حولها كما كان هذا ظاهرا فى مناقشات المجلس النيابى آنذاك وهو مجلس شورى القوانين فلم تكن هناك النخوة الوطنية واضحة فى أحاديث الأعضاء وهذا ما تظهره مضابطه . (٥٥ يونان لبيب رزقي : مرجع سابق ، ص ١٤٥) .

من بينهم الميسو (م) أحد أساندة المدارس وهو رجل فرنسى خدم مصر باخلاص وأخرج لها الكثير من الشبان النابغين .

فماذا يقول قراء الزيتنخ بعد هذه الآلام التى سببتها أوروبا لمصر والتى نسالها اليوم ان تعمل فى بلادنا لازالتها .

انى شرحت أكثر من مرة موقع مصر السياسى والاقتصادى مما وافقتنى عليه أغلبية جرائد أوروبا ورجال السياسة فيها واليوم نرى أوروبا مفتونة بمواعيد الانكليز الباطلة خائرة القوى أمامها ضعيفة العزم فى خدمة الانسان .

نعم أن أوروبا كذلك لأن فى استطاعتها أن تقف على حالة المصريين الحقيقية من تقارير قناصلها التى تؤكد أنها مليئة بالحقائق ولكن لا أعلم لأى سبب تهمل هذه التقارير فى زوايا الاهمال بلا عمل يذكر أو نتيجة تطمئن العالم المصرى وتوطد الثقة بينه وبين أوروبا .

ان أوروبا اذا تركت انكلترا فى مصر بلا مراقبة فعلية .

واذا أهملت مناقشتها الحساب فيما أخذته على نفسها من عهد فانه يأتى يوم تضيق فيه أفريقيا كلها وتأسف أوروبا حيث لا ينفع بعدئذ أسف .

ان أقرب باب لأفريقيا هو القطر المصرى ولأوروبا أملاك كثيرة فى هذه القارة العظيمة فامانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا لها فيها أملاك تذكر فهل تترك هذه الدول انكلترا تحلق عليها حتى تسلبها متاعها . انى لا أظن ذلك فلتعجل ألمانيا بعمل تضمن فيه مصلحتها فى الشرق بحفظ استقلال مصر وحرية قناة السويس وها هى الفرصة اليوم سانحة لهذا العمل العظيم بعد أن خرجت الدولة العلية منصورة فى حربها مع اليونان وان ضياع الفرص لا يعوض .

الدولة العلية ومصر *

ما هي احساسات المصريين الآن نحو الدولة العلية ؟

— ان احساسات المصريين نحو الدولة العلية لا تزال كما هي احساسات التابع للمتبع وكلماً من الزمان قويت الرابطة بين مصر والدولة العلية لجملة أسباب :

أولاً — أن المصريين فى أغلبهم مسلمون بحيث أن العناصر الأخرى التى لم تدن بدين الاسلام لم تكن جزءاً من عشرين من تعداد المسلمين القاطنين أرض مصر • وبما أن دولة الخلافة الاسلامية هى الدولة العلية وسلطانها هو رئيسنا الدينى فنحن كلما زدنا عدداً أكثر تعلق النفوس بهذه الدولة المحبوبة •

ثانياً — أننا رأينا فى أيامنا هذه فوق ما قرأناه فى التاريخ أن أوروبا جمعاء تحارب الدولة العلية بصفتها دولة اسلامية والا فلم نجدها تهلل وتكبر كلما انتصرت أمة مسيحية على أمة اسلامية فى حين أنها تتألم وتستشيط غيظاً اذا كان الأمر على العكس من ذلك ؟؟

ألم يكن فى نتيجة انتصار الدولة العلية على اليونان ما يحقق هذه النظرية وذلك من شأنه أن يزيد فى تعلقنا بالدولة العلية ؟؟ •

ان المصريين عن بكرة أبيهم فى حاجة الى الاتحاد وأوروبا بأعمالها العدائية المتوالية ضد الدولة العلية تعلمنا كيف نتحد ونتمسك بها ونؤازرها فى كل ملمة • لأن وجودنا السياسى متوقف على نصرتها • وأنى أؤكد لجنابك أن الذين يهمهم سلامة العالمين المسيحي والاسلام لا يجدون دواء لهذا الداء العضال داء تعصب المسيحية غير اجبار أمهم بسلطنتهم عليها على قبول مبدأ « لكم دينكم ولى دين » لأن هذا هو مبدأنا الذى نطق به القرآن الشريف كتابنا المقدس وأمرنا باتباعه • والا فانه اذا استمرت

(*) حديث اجراه مندوب جريدة البرلينر تاجبلات الالمانية مع مصطفى كامل فى ٢٤ مارس سنة ١٨٩٨ حول انتصارات الدولة العثمانية •

أوروبا على مناصبتنا العداء أنتج ذلك لا محالة - ان لم يكن اليوم فغدا - أكبر البلى
وأشد الرزايا على العالم بأسره .

ان الكتاب المسيحيين الأوروبيين الذين قطعوا في نور العلم شوطا بعيدا هم
المستولون عن هذه النتائج السيئة التي تنتشر بسرعة مع انتشار العمران في العالم
لأنهم وحدهم القادرون على بث المواعظ بين أمم أوروبا ليخففوا من ثوران هذا التعصب
ويقوموا قصورا من الاخاء بين الأمم جمعا بما أوتوه من سعة العلم وغزارة القلم وقوة
العارضة وحجة القول وسحر البيان .

اننا هنا نلطف كثيرا بما نكتبه من وقت الى آخر بمناسبة اعتداء أوروبا على الدولة
من هيجان الشعب الاسلامي ونلقى ما تحدثه الحوادث على حساب الخرق في السياسة
أو مطامع السياسيين .

وأنى أؤكد لقراء البرلينرتا جيلاط أن النهر يسكن ماءه (١) ويقف تياره اذا
بعدت عنه يد الصياد فأوروبا هي التي في قدرتها الضرب على أيدي صيادي الأمم
سافكي دماء الأبرياء ساليبي حقوق القصر واليتامى بعضا من حديد حتى تجلس
الانسانية على عرشها المحبوب وتنشر الحب الصالح بين أبناء البشر .

انك ترى يا جناب الصحافي أن أمم أوروبا تعاون بعضها بعضا متى حلت
بأحدهن مصيبة أو نزلت كارثة ولا ينسب مسلم لهذه المعاونة الواجبة شيئا مما
تسميه صحافة العالم المتمدين بالتعصب ولكن ما بالكم ترمون المسلمين الذين يساعدون
المسلمين بهذه النعت الشائن ! انه ما التهمت نار الحرب بين الدولة العلية واليونان
حتى دفعت الحماية الوطنية والغيرة الاسلامية أبناء مصر لم يد المساعدة للجيش العثماني
الظافر ولكن الذين يرون في الشرق قبيحا ما يرونه في الغرب حسنا قد رمونا
بالتعصب وقالوا فينا ما قال مالك في الحمر ! فلم هذا ؟ ألسنا ذوى عواطف تشعر
وتتألم ؟ ألم تكن مساعدة المصريين للدولة العلية كمساعدة الايطاليين وغيرهم من أمم
أوروبا اللذين تطوعوا في الجيش اليوناني لمحاربة اخواننا العثمانيين ؟ أليست مساعدتنا
للدولة ونحن أبناءها وأخواتها كمساعدة فرنسا للولايات المتحدة يوم جاهرت بخلع
النير الانكليزي وهي بعيدة عنها ولم يكن بينهما رابطة شرعية تحتم هذه المساعدة ؟

أنه بالرغم من توجيه التهم اليها ازاء علاقتنا بالدولة العلية أؤكد أن هذه الرابطة
تقوى على ممر الأيام وليس ثمة ما يحلها أو يؤثر في عقدتها المتينة .

ثالثا : انها الدولة الاسلامية الوحيدة التي لها أملاك في أوروبا وآسيا وأفريقيا
وأغلب هذه الأملاك اسلامي . .

ونحن أبناء دين يحتم علينا أن نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وان
نعامل ذوى الأديان بالرفق والانسانية وأن نجادلهم بالتي هي أحسن .

(١) وردت هكذا في الأصل وصحتها « مأوه » .

هل رأيت أوروبا من الدولة العلية عداً للمسيحيين المستظلمين برايتها كعداء أهل هولندا! المسيحيين المتمدينين لأهل جاوه (١) المتوحشين على رأيكم؟ هل صادرت الدولة العلية أموال الكنائس القائمة في بلادها كما صادرت النمسا أوقاف البوسنة والهرسك وصادرت روسيا أموال مسلمي قزان واسرائيلي موسكو؟ ألم يكن عدد عظيم من المسيحيين يشغل أهم الوظائف في دائرة الحكومة العثمانية بينما نرى الهندي والجزائري والتتري وغيرهم من أبناء الأمم الإسلامية أو الشرقية والمحكومة بدول مسيحية محرومين من مراكز بلادهم العالية؟ ألم تختار الدولة العلية من بين رجالكم القواد والأطباء والعلماء وكفاءتهم بين أبنائها كما فعل محمد علي في مصر؟ فلم يقولون بعد ذلك إن ميل الأمة المصرية للدولة العلية لم يكن إلا شعلة من لهب التعصب الديني؟ اننا اذا كنا متعصبين كما يقول الساخرون بشعور الأمم الراغبون في هلاك العالم ما عاش بيننا مسيحي واحد الى اليوم * * ولكن الغرض يعنى ويصم *

فسأله المندوب : واذا كان هذا الارتباط متينا الى هذا الحد بين أمتي مصر والدولة العلية فهل هو كذلك بين الخديو والسلطان ؟

— اني تكلمت على هذه النقطة المهمة كثيرا ولكن أعداء مصر والدولة أو بعبارة أخرى سياسة الانكليز لا يودون أن يروا الاتفاق سائدا بين الخديوية والسلطنة العثمانية بل يودون من صميم أفئدتهم أن يحل الشقاق محل الوثام والخصام محل السلام . ولذلك فهم يشيعون في الدوائر العثمانية على الدوام بواسطة جواسيسهم ومأجوريهم أن سمو الخديو يسعى لتشديد خلافة اسلامية يكون على رأسهما * كما يشيعون في مصر أن جلالة السلطان ناظم على سمو الخديو حتى انهم يقلبون الحقائق الظاهرة للعيان . خذ مثالا على ذلك أنه عندما يسافر سموه الى الاستانة ويظهر جلالة السلطان مزيد التلطف وعظيم الرعاية عند استقباله يسارع الانكليز على لسان سماسرتهم وأبواق احتلالهم الى نشر مثل قولهم « وان الخديو قوبل بالازدراء وهي اهانة للأمة المصرية » . الى غير ذلك من الكلمات المهيججة *

وهذا السلاح الذي يستعمله الانكليز اليوم لايجاد فتور في العلائق العثمانية المصرية الشاهانية الخديوية قد سجل عليهم من زمن بعيد حتى أطلق عليهم الكثيرون منا لقب « جواسيس أوروبا » وهو حقيقة لاننا رأينا لانكلترا اليد الفعالة في كل خلاف قائم بين الشرق والغرب لتقضى هي من ورائه لبانتها *

— وماذا تظنون في ألمانيا ؟

— أنا نعتقد فيها الى اليوم اعتقادا حسنا بيد أنها لم تعمل في مصر عملا يذكر . واذا كانت مصالحها اليوم في مصر قليلة ازاء مصالح غيرها من الدول ففي استطاعتها

(١) امند الاستعمار الهولندي الى جزر جنوب شرق آسيا وكانت معاملته للأهالي معاملة قاسية *

اكتارها بما تنشئه من مصارف تزاخم المصارف الانكليزية وما تؤسس من مدارس لنشر العلم بين الطبقات المصرية حتى يقف أبناءنا واخواننا على درجة الوطنية الألمانية ومبلغ مدارس الألمانين من العلم . وأنى أؤكد لجناحك أن ألمانيا تبيع كثيرا اذا كانت سياستها في مصر مصرية أكثر منها انكليزية لأننا نرى أن العلائق بين وكيلكم السياسى في مصر ومعتمد انكلترا على تمام الوثام فى حين اننا نجدها فاترة بين الأمتين الألمانية والانكليزية . وليس هناك سبب لذلك الا قلة مصالحكم فى مصر . ولكن لا تنس مصالح التحالف الثلاثى فى مجموعه فتجارة النمسا فى مصر تكاد تكون أكثر من كل تجارة سواها وكذلك ايطاليا فان لها فى بلادنا المقام الأول بين دول هذا التحالف فالكثير من ابنائها يقطنون مصر ومنهم عدد غير قليل من الموظفين بمصالح الحكومة المختلفة

التهم الكاذبة *

« ما هي آخر أمنية تريد أن تصل مصر اليها ؟ » .

— ان غاية أمانينا أن نرى مصر مصر العلم مصر الحرية مصر النعيم أخرى . .
لأنه اذا كانت مصر قد بلغت في زمن من الأزمان من الحضارة والعلم ما لم تبلغه أمة
في الوجود فقد كان ذلك من عمل أبنائها الأولين . ولما كنا نعتقد أننا من سلالة أولئك
الذين افتخر بهم التاريخ وعدوا في زمنهم أساتذة العالم بذلنا كل ما في وسعنا
للتشبه بهم والنسج على منوالهم .

ولما كانت العقبة الكؤود في طريق رقينا وجود انكلترا في بلدنا رأينا أن أول
واجب علينا العمل صباح مساء لنشر الحقيقة في العالمين حتى يتحول الذين ظنوا فينا
السوء الى أصدقاء يعطفون إلينا عطف العادل على المظلوم .

ان الانكليز عقبة أمامنا أى عقبة . لانهم طامعون والطامع لا يرتاح له بال ولا يكل
له عزم الا اذا استعمل كل الوسائل لتخدير أعصاب المطموع فيه حتى يسلبه علمه متى
أراد ويغتصب منه داره ومتاعه متى شاء .

فقد جاءوا الى بلادنا مقسمين أغلظ الأيمان آخذين على أنفسهم المواثيق بألا يمكنوا
في مصر الا ريثما يتممون العمل الذي دخلوها من أجله وهو توطيد عرش الخديوية
المصرية بنشر الأمن ليأمن الدائنون على ديونهم .

ولكن ماذا عملوا ؟ انهم سلبوا العرش الخديوى سلطته وأخلوا بالأمن في البلاد
والقرى بما نشره من حرية كاذبة وخمور قتالة . وهاهم الدائنون لم يأخذوا قرشا
من ديونهم بعد ستة عشر عاما على احتلالهم وبعد أن كثرت الضرائب ونما ايراد
الخزينة . .

ان الأوروبيين المقيمين منهم في مصر البعيدين عنها يجهلون تمام الجهل حالتنا

(*) حديث أجراه مراسل جريدة لاكويبيرى الإيطالية مع مصطفى كامل وهذا تعريبه .

السياسية الاقتصادية فهم لا يقرّون شيئا عنها وإذا قرؤوا فما يغشهم ويغير معالم الحقيقة أمام أبصارهم كتقرير اللورد كرومر . وعندى أن أحسن طريقة لسير الممالك الكبيرة سيرا عادلا مع الحكومات الصغيرة أن تنشر تقارير كافة الوكلاء السياسيين حتى يقف الرأى العام على الحقيقة بحذافيرها . لانه لو كان الوكلاء السياسيون فى مصر ينشرون عنها تقارير سنوية سياسية اقتصادية لكان اللورد كرومر يتأدب فى تقاريره ولا يصف الاحتلال بالملك الكريم والأمة المصرية بالشيطان الرجيم .

ان علة خذلان الأمم الصغيرة التنافر القائم بين أفرادها وتخميم الجهل على ربوعها . وقد أدركنا هاتين النقطتين الأساسيتين فى رقى الأمم والتفطنا حول أمرنا وها نحن أولاء مجدّون فى نشر المدارس الأهلية (١) لنبلغ بها ما نريده من حضارة وعمران .

نعم انه لو كانت حكومتنا أهلية لجمعنا كل المنازل مدارس ولأرسلنا الارشاليات لأنحاء المعمورة ولاعتنينا بالأحوال الصحية ليزداد عددا ولوضعنا حدا لهذه الفوضى المالية التى يسمونها رقيا وكنزا ووفرنا نحو ثلث المصروفات التى تذهب سدى فى موارد غالية أو فى تجربة يظهر بطلانها بعد أن تتكبد الخزينة من ورائها الآلاف من الجنيهات .

ان الله لم يخلق أمة بليدة فى أرض طيبة لأنه جل شأنه لم يكافىء البلداء والхамلين بل هو يحسن على الدوام الى العاملين النابهين فبلادنا من أخصب بلاد العالم تربة ومن أعدلها جوا وأحكمها موضعا وأيسرها طريقا والأمة المصرية من أذكى أمم الأرض عقلا وأحسنها معاملة وأقربها الى الخير سبيلا ولذلك كانت حقيقة بأن تملك أرضها وتتمتع بخيراتها .

ان التاريخ قد سجل على الانكليز جنایات كثيرة ولم يسجل علينا الى اليوم جنایة واحدة . انهم أقسموا وحنثوا ووعدوا وما أنجزوا وأخذوا وما أعطوا . كل ذلك على مسمع من العالم وهم لا يخجلون .

أما نحن فقد عاملنا الغريب معاملة القريب وأحسننا الى من أساءوا إلينا وفتحنا ديارنا للنازليين بيتنا وتمسكنا على الدوام بمبدأنا « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا » فقل لى بالله عليك أتوجد أمة كهذه الأمة التى أغاثت الفنيقيين ورحمت الاتيونيين وكانت مقبرة الطاغين حتى جاءت جماعة تظلمها من الاوروبيين ؟؟

(١) كان مصطفى كامل أشد المتحمسين لنشر التعليم وتقوم فكره الأساسية بصدد ذلك على أساس اخراج التعليم من دائرة الرقابة الحكومية بتوسيع نطاق التعليم الأمل ، وقد بدأ الأفراد والجماعات يتسابقون لانشاء المدارس الوطنية الأهلية ليعوضوا النقص والتغيير الذى قصده الاحتلال ، وقد تناولت هذه الجهود الوطنية التعليمية جميع مراحل التعليم .

د . جرجس سلامة . أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٣٨٩ .

اننا لم نعول الى الآن على الدم فى تحرير بلادنا بل عولنا وسنعول مادام فى الوجود انصاف على القلم واللسان (١) لنكون خدام الحقيقة واقفين أمام عهود الانكليز وقفة الساهر على مصلحة الراغب فى اصلاح حاله . واليوم الذى نرى فيه - ولعله لا يكون - آذان أوروبا المتمدينة قد صمت عن سماع شكوانا وتلبية ندائنا نكون مضطرين الى تغيير خطتنا والترقى فى اتخاذ وسائل أخرى فعالة أساسها الاعتماد على عقلنا ومالنا وساعدنا .

هناك تخرج الأمة المصرية للعالم عملا من أعمال الأمم المستميتة فى التمسك بحقوقها فى العالمين .

هناك تشهد الانسانية منظرا من أبشع المناظر منظر مصر الجميلة وحولها حليلها وخليلها يتقاتلان فى حبها . هذا فى عذره وذاك فى حقه ولا بد أن يكون النصر حليف الأول لأن يد الله فى معونته والله يتولى الحقوق .

هناك تندم أوروبا وتقول ليتنى سمعت ليتنى فعلت ليتنى أمددت أمة مظلومة سألتنى نصرتها ورد حقوقها اليها !

هناك لا تنفع ليتنى بعد أن تلبس الانسانية الأوروبية ثوب الحداد وتلبس مصر المظلومة ثوب العدل وحلة الاستقلال .

هناك تكتب الدماء البريئة « اننا لم نظلم أنفسنا ولكن الانسانية ظلمتنا فحاربناها لخلاص أمتنا من جورها وقدمنا أرواحنا فداء عنها » .

ليشهد العالم ذلك اليوم اذا دامت أوروبا فى صمم وانكسرت فى تعدد واقفيات ومصر فى عذاب اليم .

فسأله المكاتب « انهم يقولون انك مهيج وانك أتلفت على الطلاب أمرهم وقلبت حالهم من سكينه الى ثوران ؟ »

— ليقولوا ما شاءوا فانهم أعداء ظاهرون ونحن أمة فى ديارنا مهاجمون مسلوبون ! نعم أنا مهيج لأنى أذكر الوطن . بل مجرم لأنى أقول بلادى . بل سفاك لأنى أشهر بالغاصبين بل أفاك لأنى خاطب الحق !!! الا أننا فى زمن لا يستحى فيه معتد أثيم ! .

كان الأجدر بهؤلاء الانسانيين أن يقولوا انى هائج لضياح الاستقلال ! لسرقة الأموال ! لقتل ذكاء الأطفال لتعس الحال ! للاخلاف فى العهود والأقوال ! .

امهيج أنا لأن الطلاب اجتمعوا فى عيد سمو الامير ودعوني لحفلتهم فأجبت بكل ارتياح ؟ كيف يدعون أنهم ما دخلوا مصر الا لتوطيد عرش الحدوية حتى اذا ما التفت الأمة حوله قاموا يدعون أننا مهيجون ؟ ألم يكن فى هذا الادعاء ما يثبت دعوانا من

(١) وهذا يشير الى انتفاء نية الثورة فى دفاع مصطفى كامل عن قضية البلاد .

انهم يكرهون كل متقرب من العرش وأنهم كاذبون فيا أدعوه عند احتلالهم هذه البلاد ؟ أيريدون أن نلتف حول الوكالة البريطانية والراية الانكليزية تاركين الخديوية المصرية والراية العثمانية ؟ أيريدون أن نتخذ العدو حبيبا والسفك طيبيا ؟ اننا لم نكن معتوهين الى هذا الحد حتى لا نميز بين العدو والصديق والغريب والقريب .

أههيج أنا لاني أحاسب الانكليز على تصرفاتهم السيئة في بلادنا بينما كل منهم يحاسب حكومته بحق وبصوت عال على تصرفاتها الحسنة ويريد لها أن تبسلج حد الكمال ؟

أههيج أنا لاني مصرى أحب مصر وعلى يمينى وشمالى بيوت خربها الظلم ونفوس كادت تباع فى الأسواق ضحية الأهواء والغايات ؟

أههيج أنا لاني أعتقد أن الدولة العلية روح مصر ومصر قلبها وأنه لا سلامة لكليتهما ما لم ترتبط بالأخرى ؟

أههيج لاني أبكى نور العلم الذى كاد يرحل من ديار وحل محله الجهل الممقوت والظلام الحالك ؟

أههيج لاني وقفت على ما وصلت اليه الأمم من الحضارة والعمران بهمة حكومتها الأهلية وأريد لبلاد أنسب اليها وأمة أنا أحد أبنائها تلك الحضارة وذلك العمران ؟

أللهم أن كان المهيج فى نظركم من يوصى بالقرب خيرا ويحضر على العلم واخراج العدو من دياره ونقل أمة من حضيض الذل والفاقة الى أوج الشمم والسعادة فأنى أول المهيجين -

دعهم يقولوا عنا ما شاؤوا فانا منهم ساخرون .

- انى أرى انك محق فى كل ما قلته ولكن ألم يعمل الانكليز حسنة واحدة فى مصر يستحقون عليها ثناءكم ؟

- ان ما يسمونه حسنة أو حسنات لم يك الغرض منه تقديم الثمرات اليها ولكنها اليهم فظاھرھا لنا لانھا تعمل باسم الحكومة الخديوية ولكنها فى الحقيقة لهم لانھا لابنائهم وأدواتهم ومصالحهم ؟

(١) كانت المشكلة المالية هي أول مشكلة واجهت اللورد كرومر عند تعيينه عميدا للاحتلال في مصر . اذ كان يريد مواجهة النفقات التي استلزمها الاضطرابات التي نشبت في السودان الى جانب نفقات جيش الاحتلال والتعويضات التي طالب بها الأجانب بسبب حريق الاسكندرية وكذلك النتائج المترتبة على انتشار وباء الكوليرا وانخفاض منسوب النيل سنة ١٨٨٣ ، لهذا رأى كرومر أنه لا بد النظر في قانون التصفية التي وضع في أوائل عهد توفيق وذلك بأن تستولى الحكومة المصرية على ما خصص لصندوق الدين ونتمد الى احتياطيها ، ولذلك دعت الحكومة البريطانية الى عقد مؤتمر دولي في لندن سنة ١٨٨٥ لبحث الوسائل الواجب اتخاذها لتلافي الفلاس مصر والنظر في تعديل قانون التصفية ، وانتهى المؤتمر بعقد -

ان المسئلة الوحيدة التى يمنون عليها بها مسئلة المالية (١) وهى مسئلة واضحة ظاهرة فالمالية المصرية ما كانت فى فوضى الا فى آخر أيام اسماعيل ولكنها كانت فى أيام من كانوا قبله من الولاة حسنة سليمة حتى كان الاقتصاديون يعدون حكومة مصر أول حكومة مالية لبعدها عن الدين والاستدانة • فهل وجود رئيس حكومة مبدى واحد يدل على أن مصر لا تحسن التصرف فى ماليتها الى الأبد وهل حكومات أوروبا خلقت على هذا الرقى المالى وحافظت على محاسنه الى اليوم أما كانت انكلترا نفسها فى أكبر فوضى مالية فى القرن الثامن عشر ؟

واذا قال قائل ان زيادة الايرادات فى ميزانية الحكومة يدل بصراحة على تحسين النظام المالى نقول له مجاهرين بهذه الحقيقة ولو أملت الكاذبين • ان زيادة الايرادات لا تذكر عند المالين اذا كانت تصرف كلها لانه على قدر الايرادات كانت المصروفات ولكن يقال ان المالية المصرية تحسنت وانتقلت من أدوارها السيئة الى النظام الكافل للبلاد سعادتها متى زادت الايرادات عن المصروفات زيادة محسوسة يسد منها الدين شيئا فشيئا • ولكن هل هذه الزيادة التى تستنزفها المصروفات العائدة الى مصادر 'نكليزية مع بقاء الدين على ما هو عليه يعد عملا نافعا وتحسينا ماليا ؟

ومع ذلك فان زيادة الايرادات لا تعد من عمل الانكليز الا فى أمر واحد وهو زيادة الضرائب على الأطنان والعقارات وأما بقية الزيادة فراجع الى زيادة عدد الأمة الذى يستلزم زيادة التجارة والصناعة وهو ما يزيد دخل ايرادات الكمارك والبوستة والتلغراف والسكك الحديدية كما يزيد دخل المحاكم من كثرة احتكاك الناس فى معاملة بعضهم بعضا وكذلك نمو عدد الأمة يقضى بأزدياد كمية الأراضى المنزرعة وهذه الكمية الزائدة تطلب مجارى ترويتها مما يضاعف عمل مصلحة الرى •

هذه يا جناب المكاتب النظرية الطبيعية فى تحسين ماليتنا من حيث زيادة الايرادات • ولكن قل لى لماذا تزيد المصروفات اذا كان عدد الموظفين المصريين فى وفر مستمر أليس لأن المباني الضخمة التى تستنزف جزأ كبيرا من المصروفات يدخل جيوب أبناء التاميز ومرتببات الروساء الانكليز التى بلغت اليوم ٩٢٣ ألف جنيه بعد أن كانت قبيل الاحتلال ٧٢٦٠ فقط • هى التى ابتلعت الميزانية لحما وعظما ؟؟

أرجو أن تبلغ العالم الايطالى مصائبنا وتذكرهم بأن الطامع لا يكون مصلحا رحيما •

= اتفاقية بين الدول السبع التى حضرت المؤتمر (ألمانيا - النمسا - فرنسا - بريطانيا - إيطاليا - روسيا - الدولة العثمانية) فى ١٧ مارس ١٨٨٥ لتحسين مالية مصر ، وقد تمكنت مصر باسترضاء انجلترا لروسيا وألمانيا من الحصول على رضى مقداره ٩ ملايين جنيه! بضمان الدول الكبرى بفائدة ٣٥٪ وقد عملت قرارات مؤتمر لندن على تحسين أحوال مصر المالية ، فتم دفع التمويزات وسد عجز السنوات من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٥ وبقي للحكومة فائض مليون جنيه وجه لأعمال الرى ، عمر عبد العزيز عمر • مرجع سابق • ص ٣٠٢ الى ص ٣٠٤ •

الفلاح المصرى *

« انى لم آكن من المزارعين المصريين الذين عاشروا الفلاح ووقفوا على أحواله ولكنى أعرف الكثير منها بما وقفت عليه من أهلى وعشيرتى » .

لا يخفى على القراء ان مصر بلاد زراعية من عهد بعيد وكانت اصناف الفول والعدس والبصل والقمح والذرة والارز وأصناف كثيرة وغيرها تزرع فى أرض مصر وهى لا تزال تزرع الى اليوم ولكن الصنف الذى رفع أسعار الأراضى ونقل مصر الى درجة تحسدها عليها البلدان الأخرى الزراعية هو القطن فقد جلبه محمد على باشا الى مصر كما جلب اليها دودة الحرير وعنى بتعميم زراعة شجر التوت وقد نجح ذلك الرجل العظيم فى كل أعماله .

ان مواقيت الزراعة المصرية تختلف باختلاف الفصول وهى ترجع الى التاريخ المصرى القديم (التاريخ القبطى) الذى يتفق تماما مع التاريخ الشمسى وهو التاريخ الذى يبتدىء تقريبا بعد تاريخ ميلاد المسيح بنحو مائتين وثمانين سنة .

ان الفلاح المصرى مجد فى غيظه نشيط فى عمله فهو لا يؤخر عمل اليوم الى الغد يعنى كثيرا بتربية المواشى والطيور المنزلية ويحافظ عليها كمحافظته على نفسه .

وليس الفلاح المصرى أقل من غيره من فلاحي العالم علما بما يجب عليه نحو أرضه ولكن الذى ينقصه وجود مرشدين رسميين يلقنونه الطرق الزراعية الحديثة حسبما قرره علماء الزراعة من أن طريقة زرع الأرض تحتاج الى تغيير كلما مر الزمان لتغيير الجو ولضعف الأرض وتحمل المياه التى ترد اليها وعلى الأخص متى كانت مياه أنهر بما لا يوافق نماء الزرع فى بعض الأحيان .

ويرجع التقصير فى هذا العمل المهم الى الحكومة المصرية الحاضرة لانها لم تبد أقل

(*) مقال كتبه مصطفى كامل بناء على طلب المجلة الزراعية الإيطالية حول الفلاح المصرى ، ونشر بتاريخ أول أبريل سنة ١٨٩٨ .

عناية رسمية بترقية الحالة الزراعية في البلاد . الأمر الذى كان يجب أن يكون موضع عنايتها قبل كل أمر ، فإذا سأل سائل عن كمية القمح أو القطن أو الذرة أو غيرها مما أنتجته الأرض في عام لا يستطيع الوقوف على رقم صحيح يعول عليه . بينما نرى الحكومات الزراعية كأمريكا مثلا لها نظارة خاصة بالزراعة وتصدر في كل عام تقريرا مفصلا حاويا لكل ما يهم علماء الزراعة .

وقد اهتمت الجرائد الوطنية هنا بهذا الأمر المرة بعد المرة ولكن الحكومة لم تعرها أدنا صاغية وليس هناك من سبب الا أن أكثرية الأراضى ملك للاهالى والاعتناء من قبل الحكومة بشؤونهم الزراعية يزيد من المحاصيل مما يملأ جيب الفلاح ذهباً وهو ما لا ترضاه حكومة الاسم لها والفعل للاحتلال الانكليزى الذى ألقى على العالم أكبر درس من أعمال حكومته بأزاء بلاد الهند (١) .

ومن هذا الحال الذى فيه الزراعة المصرية التى لا تزال على حالتها الأولى من بذر وتقليب وسقى ودرس وغيرها فان الضرائب المضروبة على الاطيان ثقيلة جدا . فمثلا اذا زرع الفلاح قمحا وأراد بيعه فى الأسواق فانه يدفع نصف ما يربعه حتى يوصله اليها لأنه ينقل كل شيء على الدواب الى السكة الحديدية وهناك يجد التأخير الشائن والأجر الباهظ . واذا نقله فى النيل فلن يأمن عليه تأثيرات الجو لعدم صلاحية سفن النقل وان أمن فطول الزمن الذى تستغرقه السفن فى آلامه وربما هبطت الاسعار بعد مضى زمن طويل كهذا .

انه كان يجب على الحكومة المصرية ان كانت حكومة أهلية تبذل كل جهدها فى نجاح حال الفلاح ومساعدته وهو منها ومن خزينتها الكل فى الكل ان تعنى بتعميم السكك الحديدية فى كل بلد وقرية من بلاد وقرى مصر حتى توفر على الفلاح نفقات كثيرة ينفقها بلا جدوى وكانت هى تربح أيضا الأموال الطائلة . وليست فائدة السكك الحديدية مقصورة على نقل البضائع بل تنقل أيضا المسافرين والمواشى وغيرها من المنتجات الحيوية الأخرى ! ولكنها وهذا ما نأسف له كثيرا حكومة أجنبية عن البلاد ! ان الفلاح المصرى يعرف كيف يستثمر أرضه بكل الوسائل وقد زاد اهتمامه باقتناء الأرض والتعلق بها من يوم ان تولى سمو خديوينا المحبوب عباس باشا فانه لما رأى الاحتلال قد استولى على كل ادارة فى البلاد غصبا حول نظره الى استغلال

(١) عملت انجلترا على استغلال الهند على نطاق واسع فأرسلت اليها الانجليز الكفاء للعمل بها ، وعملت على نشر زراعة الشاي والأرز وانشاء السدود للرى ومد السكك الحديدية فتقدمت البلاد تقدما اقتصاديا واسعا ، وكانت اصلاحات الحكومة الانجليزية انما هى لفائدة المستعمرين فالسدود للزراعة التى تحتكرها انجلترا ، والطرق الحديدية بنيت لغايات حربية ولم تشجع نشر الصناعات الحديثة خشية تعطيم الصناعة الانجليزية ، والمسابقات للوظائف فى الهند أينما جرى فى لندن وهكذا كانت سياسة انجلترا دائما فى المناطق المحتلة أن تحتكر اقتصاديات البلاد لنفسها ولصحتها لهذا تجد استثمارها اقتصاديا أنور الرفاعى - شاكى مصطفى ، مرجع سابق ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

الأراضي وقد أصبح سموه بين الفلاحين المثل الذى يضرب فى الفلاحة والنشاط وهى
همة أكسبت الكثيرين من الذين كانت ثروتهم لا تذكر أرضا واسعة تقدم اليهم ثمرا
يانعا جنيا .

والفلاح المصرى لم يكن متعلما تعليما يأمن معه على حقوقه مع الآخرين من الاغتيال
ولكنه بطبيعته ذكى يحسب ويعامل ويبيع ويشترى كل ذلك غير مستعين فيه الا
بأصابع يديه العشرة فهى آلة عمله وأستاذ ميقاته . ان انسانا كهذا الانسان ما كان
يليق بحكومة كحكومتنا فى أواخر القرن التاسع عشر أن لا تهتم بشؤونه وتهمله
بلا علم حتى ولا القراءة والكتابة بينما نجد حياة الزارع العلمية فى البلاد الراقية
أصبحت فى هذا الأوان مما لا يستهان به .

ان الكثيرين من أعيان البلاد قد أسسوا كتاتيب من زمن بعيد ولكنها فى الغالب
لا تكون الا فى البلاد الأكثر عمارا من غيرها أما القرى الصغيرة والعزب الكبيرة فالنادر
منها ما يجد فيه السائح كتابا .

ان الفلاح المصرى لم يكن متعصبا الا لثلاثة أشياء من اعتدى على أحدها فكانه
اعتدى عليه نفسه وهى امرأته وزراعته وماشيته ومن يراجع تقارير القضاء السنوية
عندنا يجد أسباب جميع الجرائم الكبيرة ترجع الى واحد من هذه الثلاثة . أما ما يقال
عن الفلاح المصرى المسلم من انه متعصب تعصبا دينيا فهو بهتان كبير واختلاق ممقوت
لأن الأقباط وهم المصريون المسيحيون يعيشون مع المسلمين فى قرية واحدة حتى تكاد
تكون عيشتهم واحدة وما سمعنا مرة أن مصريا مسلما اعتدى على مصرى مسيحي
بسبب مخالفته له فى الدين ولا لمجادلات دينية .

ولو قال قائل أنهما من جنس واحد وربما رجع أصلهما الى دم واحد مما لا يدع
للشقاق بينهما سبيلا فما قول أولئك الذين اتهمونا بالتعصب ضد الأجانب المسيحيين
فى اليونانيين الذين ليسوا مصريين وها هم يتجولون فى البلاد شرقا وغربا متجربين
بالربا والحمر وهما محرمان فى الدين الإسلامى ! فلو كان هنا تعصب اما كان يوجه
الى هؤلاء الذين اذا سئلوا أثنوا على معاملة المصريين لهم أحسن من معاملة بنى جنسهم
أنفسهم !!

وإذا كان الفلاح المصرى المسلم متعصبا كما يقولون فهل هناك شك فى أن العلم
أول قادر على إزالة هذا العيب من نفسه فلم لا تهتم الحكومة بنشرة وتشجيع الذين
يؤسسون المدارس بمساعدتهم وتسن قانون تعميم التعليم الابتدائى مجانا !

ان فى استطاعة الحكومة أن تتخذ من عقول المصريين علماء ومن قلوبهم جنودا كما
تأخذ من أرضهم ذهبها ولكنها لم تفعل ولن تفعل ما دامت حكومة انكليزية غاصبة !

أن الكرم العربى لا يزال بكل معانيه عند الفلاح المصرى فايئما سرت تجد الأبواب مفتوحة للضيوف والموائد منصوبة والفرح عاما عند قدوم غريب مهما كان دينه أو جنسه وسبب تأصل هذه العادة فى المصريين بعد أن كانوا من ألف سنة مشهورين بالبخل والحرص على المال أن الدم العربى امتزج بهم وأصبحت مكارم اخلاقه سائدة فيهم • حتى أن الرجل يفديك بحياته اذا التجأت اليه أو احتميت فى جاهه الى غير ذلك من الصفات العربية العالية المشهورة •

ان الفلاح المصرى الذى ما كان يعرف من أحوال ادارة بلاده شيئا فى الزمن السالف أصبح اليوم يدرك الحالة السيئة التى هو فيها ويكره الاحتلال الانكليزى بكل جوارحه والسبب فى ذلك راجع الى انتشار الجرائد الوطنية التى تفصح له كل يوم عن جرائم الانكليز بمصر حتى أن الأمة بأسرها كادت تلتهب قلوب ابنائها شوقا لقراءة أنباء الحرب الأخيرة بين الدولة العلية واليونان مما ألم الانكليز كثيرا ونسبوه للتعصب المزعوم •

وسبب تعلق الفلاح المصرى بالدولة العلية لم يكن تعصبا أعمى كما قال الانكليز بل هو ناشئ من احترام هذه الدولة المحترمة للحالة السياسية التى رسمتها لنفسها بأزاء مصر فى حين أن الانكليز قد برهنوا على أنهم لم يحترموا اقسامهم ولا وعودهم • وان الذين يقولون ان الفلاح المصرى راض عن الاحتلال مخطئ كل الخطأ • نعم ان الفلاح المصرى ما كان يعنى أبدا بالمسائل السياسية ولكن أليس الاجحاف بالحقوق وعدم احترام الأمم الغاصبة للأمم المغصوبة يعلم هذه كيف تنقم على تلك وكيف يصبح كرهها وراثيا فى النفوس •

ان الذين يقولون ان الفلاح المصرى محب لكنز الذهب ويضربون الأمثال به يضعون لذلك ما شاؤوا من الروايات والقصص كاذبون ولم يكن قولهم صحيحا لانه كيف يمكن الجمع بين حب المال وحب اقتناء الأرض •

والفلاح المصرى يسجل كل يوم فى المحاكم المختلطة ما يدل على انه مبال لامتلاك الأرض كلما توفر لديه شئ من النقود ؟ نعم انه يوجد بعض المصريين من تزيد أرباحهم من أرضهم زيادة كبيرة على نفقاتهم واثمان احتياجاتهم ولكن هذا البعض لا يعتد به •

ان الفلاح المصرى سواء كان كثير الثروة أو قليلها لم يكن عالما بطرق الاقتصاد لانه ورث حياة اليسر ورخاء المعيشة عن آبائه وأجداده • ولذلك أصبح واجب الاغنياء والحكومة معا أن ينشر بينه التعليم ليكون مقتصدا فى مستقبل الأيام حتى يتبقى نتيجة التزامم الشديدي الذى سيلاقيه فى غده • فان الأمة المصرية يزداد عددها زيادة محسوسة ولذلك فانه لا بد أن يأتى يوم تصعب فيه الحياة على الكثيرين عندما تضيق الأرض بسكانها وليس لهم متكل يتكلمون عليه فى ثروة البلاد غير الزراعة • وكذلك أصبح من واجب الحكومة والأهالى معا أن يهتموا بنشر الصناعة حتى ترتقى التجارة

ولو بمقدار حاجات سكان مصر وما جاورها من البلاد الأفريقية المتأخرة • لأن الأمة التي تعتمد على مصدر واحد من مصادر الحياة لا بد أن تصادفها ازمات معاشية مؤلمة بالرغم من أن تاريخها لم يذكر مسئلة واحدة من هذا القبيل •

وبالجملة فان حالة الفلاح المصرى العلمية والصناعية والاقتصادية تعسه للغاية ولا يمكن اصلاحها الا باصلاح الحكومة وتحويل دفتها الى الطريق الأهلى وذلك لا يكون الا بجلاء الانكليز عن مصر •

ما بعد عطبرة *

« ان الفرح كان يعمنا والسرور يشملنا اذا كان وراء هذا الانتصار نصر لنا ولكن الحقيقة التى ان لم تظهر اليوم للعيان فستظهر غد متى أتم الانكليز عملهم فى هذه الحملة وقبضوا بأيديهم التى لا ترحم على منابع النيل الذى فيه حياة مصر بأسرها .

ان الجيش المصرى قد انتصر انتصارا باهرا وهو ما يملأ قلب كل مصرى سرورا بصفته جيش البلاد وقوتها واليه ترجع عظمتها وسلطانها . ولكن النتائج التى ستعود علينا من وراء هذا النصر واضحة مما يقوله اليوم مأجورو الانكليز ومروجو سياستهم من أن الفخر عائد الى الانكليز بصفتهم قوادا والى جنودهم الذين اشتركوا فى الحملة . وسواء كانوا صادقين أو غير صادقين فمما لا شك فيه أن دماء المصريين وأموالهم قد بذلت فى سبيل فتح السودان وهو ما يجعل لهم الحق الأول فى إدارته والاستيلاء على خيراته . فهل الانكليز الذين تعودنا منهم الطمع المتناهى يتركون لنا السودان متى فتحناه بدمائنا وأموالنا ووضعنا يدنا عليه برمته ؟ هذا ما أترك الجواب عليه للأيام . غير انى أقرر هنا حقيقة مرة وهى أن الانكليز لا يعملون لغيرهم بل كل أعمالهم تنحصر فى فائدتهم حتى ولو كان فيها قتل شعوب الأرض قاطبة .

أنه عندما أعلنت بجريدة السودان صرحت برأى فى هذه الحملة وقلت ان الانكليز لا يريدون بها الا فتح باب من اثنين أما القضاء على الجيش ليجدوا جيشا غيره

(*) هذه المقالة رد على أسئلة وجهتها الى مصطفى كامل جريدة الاكلير الباريسية الشهيرة فى ١٩ أبريل سنة ١٨٩٨ بعد انتصار الجيش المصرى فى موقعة العطبرة .

كان كشنتر قد استولى على شندي فى ٢٦ مارس سنة ١٨٩٨ وكانت مركز الدراويش بعد تقهقرهم امام جيش السردار عقب هزيمتهم فى أبو حمد . وتلاقى الجيشان فى واقعة العطبرة فى ٨ أبريل سنة ١٨٩٨ وانهزم الدراويش هزيمة ساحقة وقتل من الدراويش حوالى ثلاثة آلاف كما بلغ عدد الأسرى حوالى ألفين وقد كان هذا النصر تمهيدا لفتح السودان .

د : محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان . تاريخ وحدة وادى النيل السياسى فى القرن التاسع عشر من ١٨٢٠ - ١٨٩٩ ص ٥١٥ ، ص ٥١٦ .

وهو ما يدعو لاطالة أمد الاحتلال وأما فتح السودان وهو ما يدعو لاطالة أمد الاحتلال أيضا بحجة استتباب الأمن فيه زمنا طويلا . فضلا عن أن بلاد السودان نائية واسعة وليس في وسع الجيش ان يستولى عليها في زمن قصير بل لا يشك الكثيرون في أنه في حاجة الى عشرات من السنين ليصل الى هذه الغاية .

مضى على الجيش المصرى ثمانية أشهر وهو يستعد لهذه الواقعة بعد واقعة أبى حمد (١) وقد لقي أشد الصعوبات في هزم جنود الأمير محمود الذى هو أكبر قائد يذكره التاريخ بين جنود السودانيين .

ففى حرارة السودان المحرقة نقلت العساكر المصرية كل حاجات الجيوش وشيدت الحصون ثم انتهى الأمر بانتصارها فهل بعد هذا يقال ان المصرى غير كفء لأن يكون انسانا ككل انسان يدير حركة بلاده بنفسه ؟ وهل الانكليز الذين في الجيش المصرى هم الذين نقلوا وأقاموا ؟ وهل الكمية القليلة من جنود الانكليز التى كانت تسير فى ظل الجنود المصرية والتى ما لقيت شيئا من متاعب الجيوش هى التى سببت هذا النصر الكبير ؟؟

لا بد أن الجرائد الانكليزية ستزيدهم فخرا وترفع من قدرهم بينما تحط من قدرنا أو لا تذكرنا فقد عودتنا هذه الحملة كلما لاحت لها بارقة من أعمال الانكليز فى مصر .

ان السودان كما لا يخفى على القراء قطعة من مصر وقد سلخ منها بلا حق شرعى لأن الحكومة الحديوية المصرية ليس لها أدنى حق فى التنازل عن أى شبر من أرضها أو من أملاكها للغير . فالسودان على هذا الاعتبار باق ملكا لمصر وليس للانكليز حق فى الادعاء بأنه ملك جديد انضم اليها فاذا فتحته اليوم العساكر المصرية فقد أعادت اليه السلطة الحديوية التى اعتدى الدراويش عليها عشرين سنة تقريبا وإذا كانت الجنود الانكليزية اشتركت معنا فى فتحه فاننا ما كنا فى حاجة اليها وقد كان جيشنا بل وأقل منه كافيا لبلوغ هذه النتيجة .

انه كما يقول رجال الجندية هنا ليس أمام الجيش الا عاصمة السودان التى بفتحها يعود لمصر ما كان لها . وانى لا أظن أن ذلك يكون بعيد المثال بل أنه قريب لأن الضربات الكثيرة التى توالى على رؤوس السودانيين لا بد أن تكون قد أوعبتهم وهزت قلوبهم أمام قوة مصر وسواعدها .

(١) غادر كنسنتر القاهرة فى ٨ يولية سنة ١٨٩٧ ليولى قيادة العمليات العسكرية فى السودان فبلغ مروى واتخذ منها مركزا له ، وفى ٢٩ يولية سنة ١٨٩٧ اتجه الى تخوم أبى حمد لطرد الدراويش منها ووقعت معركة أبى احمد فى ٧ اغسطس سنة ١٨٩٧ وفيها انهزم الدراويش وأسر فاندتهم وأخلى الدراويش بربر متقهقرين الى شندي .

د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ١٥ ، ص ٥١٦ .

وقد تحققنا اليوم انه أصبح من مصلحة انكلترا أن لا تترك ضابطا انكليزيا في السودان بعد فتحه لأن الأمة السودانية شديدة التعصب فقد بلغ من نفس ابنائها حب الدين مبلغا كبيرا . والضباط المصريون ورجال الادارة المصرية قادرون على ادارته أحسن ادارة ونشر الوية الأمن في ربوعه باسم جلالة السلطان وسمو الحديو والا لو دفعت المطامع انكلترا الى دعوتها القديمة من وجوب مراقبة نشر الأمن في السودان خوفا على مصر فاننا نخاف على مصر أكثر منها ومصر لا تخاف الا بقاء الاحتلال فيها .

ان الانكليز هم الذين أثاروا ثائرة السودانين في الأول مما هو معلوم مشهور وذهبت ضحية سيااتهم الآلاف المؤلفة من نفوس المصريين وها هم اليوم يستردونه ثانيا بدماء وأموال المصريين فليس لهم حق في احتلاله بل يجب عليهم أن يرحلوا عنه وعن مصر اذا كانوا من أهل الشرف الذين يردون الأمانات الى أهلها .

نعم ان الانكليز قد عرفوا كيف يشغلون أوروبا عن مسألة مصر بهذا السودان الذى سيكون حجتهم البالغة كلما قامت زوبعة سياسية حول مصر فبأسمه يهددون مصر فى مصلحتها ومصلحة الأجانب ويرجعون على أنفسهم بالمسؤولية فى وجوب المحافظة على هاتين المصلحتين .

وانه اذا كانت هناك مسئولية عن ترك انكلترا تعمل كما تشاء فى وادى النيل فهى لا ريب عائدة على أوروبا التى كان فى يدها مناقشتها الحسب على المواعيد الرسمية التى حددتها للجلاء ولكنها وقد تركتها ستلقى المتاعب الجمة فى وقوفها عند حدها . وانى أرى أن الفرصة أصبحت ضائعة أمام هذا السودان الذى أوجد لانكلترا حججا قوية عملية ؟

ان السياسة الفرنسية كانت فى الازمان السالفة سياسة حزم وعمل ولكننا نراها اليوم سياسة تردد وتسويق وهذه السياسة العقيمة أضاعت الكثير من نفوذها فى الشرق ولعل البقية الباقية فى مصر تعيد ولو شيئا من تلك الذكرى التى لا ننساها .

وفى الختام فانى لا أزال متمسكا برأىي من أن التجربة الحاضرة وبأن على مصر احتلالا ودما ومالا . . .

مصر والاحتلال ★

« جناب المدير .. »

قرأت في جريدتكم مقالة لرجل مجهول الاسم ولا أظنه الا من الانكليز الذين لا غرض لهم الا ابتلاع بلادنا أو من صنائعهم المأجورين قال ذلك الكاتب ان الاحتلال دخل البلاد وهي على أبواب الافلاس فأخذ بيدها وزفعتها من اليسر مكانة علياء فليقل لنا أن كان من الصادقين . اين هذا اليسر وديون الامة أصبحت أربعة أمثال ما كانت قبل الاحتلال وديون الحكومة لا تزال كما هي والضرائب زادت وكل شيء أصبح في البلاد غاليا ؟

أيقصد بهذا اليسر خلق الوظائف لرجال الانكليز بالمرتبات الباهظة ؟ أيقصد التصرف في أموال الحكومة بلا مراقبة ؟ أيقصد تصرف كل انكليزي رأس مصلحة في ما ربط لمصلحته من المال بلا معارض واذا سئل عن مبلغ مهما كان قدره كان جوابه كيف أسأل وأنا ربكم الاعلى ؟ أم يقصد بهذا اليسر انتقال هيئة الحكومة من القرن التاسع عشر الى القرن الأول بينما تجد كل ما فيها انكليزيا ؟ أنه ان كان يقصد ذلك كله فله الحق أن يكتب المجلدات الضخمة ومن مقالات الاطناب ما شاء فان الانكليز ما احتلوا مصر الا وقد احتلها الشقاء وما دخلوا مصالحها الا وقد دخلها الطمع ولن يبقى الطمع مما كان وما سيكون شيئا .

الم تكن الصورة التي ذكرها دسياسة من دسائس انكلترا ؟ ألم ترسم الحكومة الانكليزية هذه الخطة المحزنة من قرن (١) مضى ؟ ألم تعتد على مصر مرة قبل هذه المرة وقد طردتها جنود مصر ؟ ألم تشر دراويش السودان بدسائسها وضعف عزيمته بعد الذين استغوتهم لبلوغ مآربهم ؟ ألم تكن هي الدولة التي كذبت على العالم بأسره

(★) أرسل مصطفى كامل هذا المقال الى جريدة الليبرتيية الفرنسية الشهيرة ردا على ما نشرته الجريدة المذكورة تتهم المصريين بناكري الجميل للانجليز مسترسلة في سرد افضال الانكليز على مصر والمصريين .
علي فهمي كامل : (مصطفى كامل في ٣٤ ربيعا) ج ٦ ص ٢٢٢ .
(١) حملة فريزر سنة ١٨٠٧ م .

فكيف لا تكون الحافزة لهذه المكيدة بيدها الاثيمة ؟ ألم تكن هي الدولة التي اشتهرت بأثارة حرب الدهاء كلما بدرت لها بادرة أمل أو مطمح ؟ ألم تكن هي التي احتلت مصر لأشهر فقضت سنين ؟ ألم تكن هي الدولة التي تسلب باسم الانسانية والمدنية ؟ ألم تكن هي الدولة التي تركتنا نعمل لتجني نمر مجهوداتنا ؟ ألم تكن هي الدولة التي خانت نابليون . ألم تكن هي الدولة التي لقبها التاريخ بالغادرة ؟ ألم تكن هي الدولة التي تقتل أمة بأسرها لتصل الى بغيتها بين ربوعها ؟ فكيف يقول مراسلكم انها نشرت الأمن بعد الثورة وكانت رسول سلام لا شيطان خصام ؟ ان الذي يريد أن يزف الى انكلترا الثناء العاطر والشكر الجزيل يلام لوما شديدا اذا كذب على الحقيقة والتاريخ وجعلهما من حقها في مصر . فانها في مصر غاصبة خادعة أثارت ثائرة الجيلاء والخائنين لتستفيد شأنها في كل أمر .

وانى لفي غاية الدهش من جريدة فرنسية قرأ محرروها التاريخ وهم مع ذلك يقبلون نشر مثل هذه المقتریات ويقدمون لقرائهم نظريات غير معقولة وعلى الاخص قول هذا الكاتب أن الانكليز دخلوا مصر في وقت كان فيه غاية الجهل مخيما على عقول أبنائها . أنسيتم أن محمد على الكبير لصداقته للويس فيليب مكن عقيدة الارتباط بين مصر وفرنسا وجلب الى وطننا العزيز من علمائكم في كل علم وفن من شهد لهم التاريخ بطول الباع وسعة الاطلاع فوضعوا للعلوم الحديثة أمتن الاساس وللصنائع والفنون المصانع العديدة وأخرجت مصر في أيامهم من ابنائها من اذا ذكروا اليوم اهتز الفخار لذكرهم ورددت ارجاء مصر الثناء على فضلهم وجيل أعمالهم ؟؟

أنسيتم مدرسة الطب ومؤسسها فرنسي ومدرسة الحرية ومؤسسها فرنسي ومدرسة الحقوق ومؤسسها فرنسي وغيرها من المدارس العالية والثانوية والابتدائية ؟ أنسيتم أن الاحتلال دخل مصر و فيها نحو سبعة آلاف تلميذ يتعلمون مجانا أو بأجور قليلة جدا فأصبح اليوم فيها بعد ستة عشر عاما ثمانية آلاف تلميذ يتعلمون جميعا بمصاريف ثقيلة يدفعها آباؤهم وبذلك حرم الكثيرون من أبناء الفقراء من العلم ؟ أنسيتم الارشاليات التي كانت تذهب في كل عام من مصر الى بلادكم بعد أن يؤدي أفرادها الامتحانات النهائية فيقضون أعواما بينكم يردون فيها موارد العلم حتى اذا ما ثقفوا عقولهم وهذبوا نفوسهم عادوا اليها علماء ليفيدوا بعد أن استفادوا ؟ ألم يكن رجال الحكومة الذين يقومون الآن بكل الاعمال المنسوبة للانكليز من أولئك الذين رضعوا لبان العلم في فرنسا ونالوا أكبر الشهادات الناطقة بفضلهم منها ؟ ألم تكن طرق الرى في مصر التي يتباهى بها الانكليز اليوم من غرس ارشادات كبار المهندسين الفرنسيين والتي سار على منهجهم فيها المهندسون الوطنيون ؟ ألم يكن عدد الأساتذة الفرنسيين الذين كانوا في مدارس الحكومة عندما دخل الانكليز بلادنا نحو ٤٢ أستاذا فأصبحوا اليوم ستة بينما صار عدد الانكليز فيها ٢٨ معلما ؟ وعلاوة على ذلك لو فحصتم شهادات الفرنسيين الذين كانوا يوظفون في مدارسنا كمعلمين

وشهادات هؤلاء الانكليز لوجدتهم فرقا هائلا ففرنسا ما كانت ترسل لمصر الا كل رجل يشرف سمعتها ويخدم البلاد خدمة نافعة ولكن انكلترا غير ذلك على خط مستقيم . وسببه أن فرنسا كانت تعمل بنية خالصة غير طامعة في مصر . أما انكلترا فمن مصلحتها أن يعيش المصريون كما خلقوا لا يعرفون من العلم شيئا حتى تستنزف أموالهم بلا معارضة ولا ممانعة .

وبالجملة فأنى لو أردت أن أفصح لكم عما وصلت اليه حالة التعليم بعد ما أفصحت في كتاباتى وخطاباتى لاحتجت الى صحف كثيرة دون أن أوفى الموضوع حقه لان الحقيقة فيه ساطعة سطوع الشمس في رابعة النهار وكل من خالفها كان عدوا للحق أو مأجورا في خدمة الانكليز .

أما العرش الخديوى الذى ادعى الكاتب أن الانكليز وطدوه بعد أن كانت تعبت به أيدي الثائرين فهو قول باطل مردود وفيه الحقيقة معكوسة . فبجانب الاحتلال تكاد تكون سلطة الخديو اليوم خيالا . فالخديوية المصرية التى هى سلطة شرعية معترف بها من جميع الدول والتى هى تابعة مباشرة لسلطة جلالة السلطان أصبحت فى مصر اسما بلا روح فالأوامر العالية يجبر سمو الخديوى على اصداها بموافقة وزارته التى أغلب افرادها من صنائع الاحتلال والتى أقامها الاحتلال نفسه ولعلكم تذكرون ما كان من معارضة اللورد كرومر وحكومة اللورد روزيرى عند ما أراد سمو الخديو تعيين وزارة توافق مشربه مما يترتب عليه تهديده بجميع الوسائل وتم لانكلترا ما أرادت .

أنه لو كان الانكليز كما يقول عميدهم فى مصر يقصدون بسلب سلطة الخديو أن تتمتع بها الأمة لحولوها حق مراقبة أعمال حكومتها . ولكن الحال على العكس من ذلك فمجلس الشورى الذى وضع أساسه اللورد دوفرين لم يكن فيه رائحة السلطة الدستورية ولم تجبه الحكومة الى طلب واحد من طلباته العديدة التى برهن بقوة على صحتها مدة وجود الاحتلال .

أن الاحتلال سلب سلطة الخديو لتكون سلطته فهو فى مصر عدو الأمة عدو الخديوية عدو رقى المصريين طامع فى كل شيء حتى أنه لو استطاع أن يطرد جميع الأوروبيين ليستأثر بكل شيء لفعل بلا تردد . ولذلك يسعى اللورد كرومر بكل ما فى وسعه ليقرب نظام المحاكم المختلطة حتى لا يكون فى مصر أثر دولى بعد أن ذهبت المراقبة الثنائية بذهاب المراقب الفرنسى وبعد أن ذهبت الدائرة (١) السنينة وبعد أن

(١) تستخدم كلمة الدائرة للتعبير عن ادارة الاقطاعات الخديوية المخلفة فى عهد اسماعيل كانت هناك سبع دوائر من هذا النوع أكبرها وأهمها الدائرة الخاصة وهى الدائرة التى يستمد منها الخديوى مخصصاته المالية والدائرة السنينة وهى تمثل أملاك الخديوى الشخصية .

والمعروف أن اسماعيل عقد فرضا سنة ١٨٦٦ لمدة ١٥ سنة بفائدة ٧٪ مقابل رهن إيرادات الدائرة الخاصة والدائرة السنينة وقد عقدت عنه قروض أخرى خلال الفترة من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٧٧ حين صدر الأمر العالى فى سبتمبر سنة ١٨٧٧ لتسوية ديون الدائرة الخديوية (السنينة) على أن يكون دفع هذه الديون شهريا وبلغت =

ذهب نفوذكم من المصالح . وأنى أعتقد أن الانكليز أمام سلامة نيتكم وغيركم من ذى المصالح فى بلادنا سيعملون ضدكم فى كل شىء .

وأما الأوروبيون القاطنون فى مصر فانهم قبل الاحتلال كانوا أسعد حالا منهم اليوم . فقد كانوا على الأقل يعاملون أمة بغير مزاحم لهم . ولكنهم والانكليزى قد أصبح قابضا على كل مصادر الثروة فى البلاد نعس حالهم حتى أن الكثير منهم أصبحوا يجدون الإقامة فى مصر مما لا يطاق .

نعم أن الأوروبيين الذين كانوا فى مصر زمن الثورة خافوا على أنفسهم كثيرا فتركوا البلاد راحلين وأهلهم الى بلادهم ولكن هذا لا يدل على أنهم كانوا غير آمنين على أرواحهم وأموالهم قبل الاحتلال . لأنه فى أى بلد قامت أو تقوم فيه ثورة يكون الحال كذلك من الخوف لعدم وجود النظام الشامل للأمن العام .

أن فى فرنسا الكثيرين من أبنائها الذين عاشوا فى مصر قبل الاحتلال والذين يكذبون قول كاتب تلك المقالة التى كلها افتراء وما على جريدة الليبرتية أن تتحسر الحقيقة منهم لندرك أننا مع الانكليز بائسون وان حالتنا يرئى اليها .

ألم يكفنا ما نحن فيه من ذل وهو أن منتظرين ساعة الخلاص معتمدين على أنفسنا ونصرء الحق حتى نقرأ ما قرأنا من اتهام شائن وقول عقيم .

أن الأمة المصرية من أرقى أمم الأرض أخلاقا ان لم تكن أرقاها لا تعتدى بغير حق ولا تسلب متاعا لنزيل ولا ترتكب اثما حبا فى الآثام ولا تشوه صحف تاريخها البيضاء بسيئات المتمدنين بل ولا تكذب على العالم كما كذبت انكلترا .

أن الرجل الذى يماطل فى المعاملة لا يعامل فما بالكم تثقون بانكلترا وقد ماطلت كثيرا وكذبت طويلا وها هو تاريخها يعيد نفسه . وتتهمون أمة لم يكن ذنبها الا أنها شرقية اسلامية بهذه التهم التى هى بريئة منها .

اننا لم تكن ناكرين الجميل ولكن الحق هو الذى يملى علينا ما نقوله فان كانت انكلترا تريد أن تحسن إلينا وتنال اعترافنا بالجميل فلتترك بلادنا فان فى تركها إياها سعادتنا وفى بقائها شقاءنا ولا يقبل الشقاء الا أهل الشقاء ومن يسكت عليه أو يطنبه كان خائنا كبيرا . . .

= ديون اسماعيل ٨٨١٥٤٣٠ جنيها سميت بدين الدائرة السنية وقد أدى استبداد لجنة المراقبة المالية الثنائية الى عرض أراضى الدائرة السنية الخديوية للبيع سنة ١٨٨٦ وفاء لسد الدين وفوائده .
جون مارلو : تاريخ النهب الاستعماري سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٨٢ . ترجمة عبد العظيم رمضان ،
القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٣٣ ، ٣٦١ ، ص ٥٠٤ الى ص ٥١١ .

ذكرى ١١ يوليو ١٨٨٢ *

انى أشعر بألم شديد وسخط ليس عليه من مزيد ، كلما جاء هذا اليوم الذى يذكرنا بجميع مصائبنا ، فهو لمصر اذا تذكرنا حزن وحداد لبريطانيا العظمى ، عنوان العار والشنار ، وأى غضب يقوم بالانسان أكبر مما يعتريه لدى تلاوته تاريخ ضرب الاسكندرية ، اذ لا يستطيع أن ينصور أن دولة أوربية متمدنة ، وتتصدى للمتدنين غيرها ، ترتكب مثل هذا اللائم الفظيع .

من الذى يستطيع أن يروى تاريخ هاته الدولة الكبرى التى بعلة أن البطريات المصرية هددت أسطولها دمرت مدينة عامرة ، وأهرقت فيها الدماء ، ومع ذلك فقد كان ميناء الاسكندرية اذ ذاك سفن فرنسوية ونمسوية لم تر نفسها أنها مهددة من القلاع المصرية -

أن يوم ١١ يولية يجب أن يمثل فى مخيلة السياسيين الذين يقومون بإدارة شئون أوروبا وواجباتهم نحو انكلترا فى المسئلة المصرية ، فلقد مضى على الانكليز فى مصر ١٦ عاما(١) بحجة توطيد النظام وتعزيز مركز الخديوية ، ألم يكن هذا الوقت كافيا لأداء مأموريتها واعادة وطننا ، إلينا ، أو بالأحرى ألم يآزف الوقت الذى ينبغى فيه على أوروبا أن تحتم ارادتها على انكلترا ، لا يبرح عن ذهن أحد فى أوروبا الآن أن انكلترا تبغى أخذ مصر غنيمة باردة .

فهل ترضى الدول الأوربية أن تترك للانكليز هذا الطريق الذى لابد منه لجميعها ، لأنه الممر الوحيد لجميع الأمم وملتقى طرق المواصلات بأسرها(٢) .

(*) حديث صحفى أدلى به مصطفى كامل الى جريدة الاكليز الفرنسية بمناسبة ذكرى ضرب الاسكندرية ١٨٨٢ ، ونشرها المؤيد فى ٢١ يوليو ١٨٩٨ ، العدد ٢٥٢٥ ، وقد سبق الحديث عن هذه الواقعة .

(١) أى، منذ احتلالها فى عام ١٨٨٢ .

(٢) لأنه هنا يستحق الدول صاحبة المصالح فى المنطقة التى ظن أنها صديقة كالمانيا وفرنسا .

ونحن على أى حال نعلم ما هو الواجب علينا ، وهو العمل لمصلحة بلادنا ، اذ بذلك نتوصل بالتأكيد بجعل المصريين رجالا عارفين بحقوقهم ، وواجباتهم نحو الوطن ، ومبغضين من صميم أفئدتهم لمن يظلمهم ويسلب حقوقهم ، فاذا ما أتى اليوم الذى فيه لا يكون للأمة المصرية سوى قلب واحد وارادة واحدة ، مال الى مساعدتنا جميع الناس ، واكتسبت مصر حريتها المفقودة .

والفرنسيون الذين يفكرون فى مصر ، والذين يعلمون أن الانكليز يدمغون الآن فى أرضها(١) أعمال فرنسا الجلييلة فيها ، يجب عليهم أن يتذكروا أن ضرب الاسكندرية والحوادث التى أعقبته الى الآن يتكون منها أكبر فشل أصابها فى هذا الجيل ، وهم يعلمون أنهم لا يستطيعون أن ينالوا مرئيتهم السابقة ونفوذهم الماضى فى الشرق الا اذا أجلوا الانكليز عن القطر المصرى ، ولهذا السبب لازلنا ننتظر نفحات كثيرة من الوطنية الفرنسية .

— وما الذى يفتكره أهالى مصر فى الجناح الخديوى ؟

— لا يزال الجناح العالى محبوبا من الأمة المصرية ، وهو يمثل تجاهنا الوطن والمطالب الوطنية ، ونحن نعلم علم اليقين مقدار حرج مركزه ، ولكننا نعجب بشرف خصاله وقوة عارضته وصدق وطنيته ، وكل مصرى يقول لكم هذا القول ، بالنسبة لسموه ، واننا جميعا مستعدون للدفاع عن مسند الخديوية الى آخر لحظة من حياتنا ، لأن مصالح الخديوية مرتبطة تمام الارتباط بمصالح الأمة(٢) ، وضمف الى هذا مركز شخص الجناح الخديوى من قلوب الأمة بأسرها . ولا شك أن الانكليز يعملون لتقويض نفوذ الخديو وسيطرته ، ولكن نفوذه الأدبى لا يزال عظيما ، وفى استطاعة أوروبا اذا ساعدته وأيدته ، أن تعزز مصالحها لأنه ما دام الجناح العباسى خديويا لمصر ففى سعة الأوروبيين القاطنين بالقطر المصرى أن يعتمدوا على مروءته وشهامته ، وجملة القول أن مصر بلا خديو يكون منلها بدون نزلاء أوروبيين من غير انكليز بل يكون بها موت النفوذ الأوروبى على ضفاف النيل .

(١) شرع مصطفى كامل يستنفر القوى العظمى لنصرة القضية المصرية ، فعزف لكل منها النغمة التى يحلو لها ، فكان نصيب فرنسا منها هو تذكيرها بالأعمال التى عملها أبناؤها لمصر ، وتقديره لها بقوله « الأعمال الجلييلة ، منها آثارها فى التعليم والثقافة والعكر والأمر العسكرية والاقتصادية » .

(٢) يمكن الرجوع الى : تاريخ الجيرتى ، أمين سامى : نعوم النيل ، ج ٢٠ القاهرة ١٩١٨ ، ثروت عكاشة . مصر فى عيون الغرباء القاهرة ١٩٨٥ ، رنية فطاوى وجورج فطاوى : محمد على وأوروبا القاهرة ١٩٥٢ ، عمر طوسون : المعينات العلمية ، ١٠ يوافيم رزق : العلامات الثقافية بن مصر وفرنسا فى النصف الأول من القرن ١٩ دراسة فى كتاب ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٨٥) .

(٢) كان مصطفى كامل حسيغا فى تناوله الدفاع عن القضية ، فهو بقدر ما كان يستحث القوى العظمى فى الخارج ، كان يدافع عن واجهة الأمة نفسها ، راثا كل صدع فيها فى عملية توازن اعلامى واضح .

الجناب العالى الخديوى ★

— ما هو الغرض من زيارة الجناب العالى لباريس ؟

— الذى أعلمه أن سموه حضر الى أوروبا مراعاة لصحته ، فان ما اختص به جنابه العالى من الدأب على العمل والاهتمام بمصالح الوطن ، قد جعله فى حاجة الى الراحة ، والرياضة فترة من الزمن ، وهذا ما دعا سموه للمتابعة فى التنكر والاختفاء وقواعد الأدب واللفظ ، تفضى بعدم الذهاب اليه للتشرف بمقابلته ما دامت رغبته منصرفة الى المعيشة بضعة أيام ، كما يعيش الخاصة ولذلك لم يطمح المصريون المقيمون فى باريس الى نوال هاته الخطوة ، وان كانوا فى شوق شديد للتشرف بمقابلة سموه ، وتقديهم اليه عبارات الاخلاص وصدق الولاء ، وهم بهذا المسلك قد احترموا ارادة جنابه وحافظوا على رغائبه .

— وهل الشعب المصرى مشارك فى الأفكار والأميال لسمو أميره ؟

— أن الجناب العالى الخديوى محترم شخصيا من الشعب المصرى الذى يجعل مقامه ، ويعجب بصفاته العالية وفضائله ، بالرغم عما يعمل الانكليز كل يوم ضد هذا الأمير الكريم ، فان الأمة المصرية بأسرها لا تزال مرتبطة بروابط الاخلاص والولاء له ، وهذا الارتباط هو الذى جعل نفوذه يكبر شيئا فشيئا فى نفوسهم ، وجميع الذين زاروا القطر المصرى ، قد شعروا بالرابطة الوثيقة ، ولا غرابة فى ذلك فان ارتقاء الجناب العالى الخديوى الى الأريكة المصرية قد كان عنوانا ليقظة مصر من سباتها الطويل ، وبه ابتدأت الحركة الوطنية التى لازالت تجعل وثوقنا بالمستقبل وطيدا ، ما دام سمو الخديو قائما بالأمر فىنا ، ولا بد للأجنبى أن يعيش زمنا ما بالقطر المصرى ، ليتمكن من الوقوف على مقدار شهرة الجناب العالى بين الأمة المصرية ، فان سموه اذا أراد التوغل فى داخل القطر تقاطر الأهالى من جميع الطبقات بين شيخ

(★) حديث سياسى لمصطفى كامل مع محرر جريدة « الليبرارول » الفرنسية ، عندما أراد الوقوف على سر مجيء الخديو الى باريس فى نفس العام ، وقد نشرته المؤيد ، العدد ٢٥٢٩ ، فى ٩ أغسطس عام ١٨٩٨ .

وشباب وغنى وفقير وعامل وفلاح للسلام عليه والتشديد به والتهليل له ، ولكي يرفعوا الى علمه أن لا ولى لأمرهم سواه ، وكم يكون هذا المنتظر جميلا وموجبا لانعطاف القلب ، لا سيما اذا افترس الانسان أن الشعب المصرى بحذافيه ، الذى كان فى عهد الحركة العربية عدوا ألد للمغفور له الحديو السابق ، وهو بعينه الذى يتظاهر الآن بتلك العواطف الشريفة للجناب العالى عباس باشا ضد الانكليز ، واذا كان المصريون الآن ملازمين للسكينة والصمت ، فما ذلك الا بارادة الجناب العالى ، الذى يرى أن مصلحة مصر تقضى عليها ملازمة الهدوء ، وانظار الانصراف من أوروبا ، ومن الواجبات المفروضة علينا شرعا أن نطيع أولياء أمورنا ، ونرشد بأفكارهم ، ونهتدي بهديهم ، وأن نبقى على الدوام مخلصين لهم ، ومرتبطين بمسندهم .

ـ وكيف كانت تربية الجناب الخديوى ؟

ـ أن الجناب العالى الخديوى تلقى تربية عظيمة (١) مبنية ، وهو يجيد التكلم باللغات الفرنسية والانكليزية والألمانية والاطالبة والتركية والعربية ، ويعرف علوما كثيرة ، ويناقش فيها زائريه ، ثم هو ـ فضلا عن ذلك ـ سامى الادراك ، واسع العقل ، كثير النشاط ، بعيد الهمة ، وفى اعباره أن الأمير يتنزل من الأمة منزلة الرأس من الجسد ، ولذلك نراه محبا لشعبه ، مصغيا لشكواه ، وعالما بحقيقة حاله ، فضلا عن هاته الصفات العالية والفضائل الرقيقة ، اشتهر سموه بالتواضع واللفظ ولين العريكة ، واذا ما زاره أحد نسي أنه حضرة الأمير ، وما ذلك الا لكثرة انعطافه لحلاوة طباعه ، ثم هو باعتبار كونه مسلما يبالغ فى احترام الأديان الأخرى ، ولذلك ترى غير المسلمين من رعاياه يحبونه كما يحبونه المسلمون ، ومما حبيب فيه النزلاء الأوروبيين المقيمين فى مصر على اختلاف نزعاتهم وتباين مشاربهم ، شدة تساهله وزيادة ميله الى التمدن الأوروبى .

ـ وما هى عواطفه نحو فرنسا ؟

ـ عواطفه معلومة هنا لديكم ، انه يحب بلادكم ويعجب بها ، وليس ينسى أحد بمصر سواء كان من العائلة الخديوية أو من عامة الأمة أن فرنسا وحدها هى التى شددت أزر محمد على باشا فى عام ١٨٤٠ وساعدته على نشر أنوار العلوم والمعارف والتمدن فى القطر المصرى ، وفى ١١ نوفمبر ١٨٤٠ كتب مؤسس العائلة الخديوية الى صديقه لويس فيليبس (٢) ، صاحب فرنسا فى ذلك العهد رسالة جاء فيها ما يأتى :

(١) تلقى علومه فى معظمها فى كلية ترزيانوم بفيينا .

() عن نشأته يرجع الى الموسوعة العربية الميسرة ، عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل .. وغيرها .

(٢) لويس فيليب (١٧٧٣ - ١٨٥٠) تملك ناصية الحكم فى فرنسا من ١٨٣٠ - ١٨٤٨ ، عمل

فى الجيش الفرنسى وهرب منه عام ١٧٩٣ وعاش فى انجلترا وأمريكا حتى عودة أسرة البربون ، اختير =

« انى أرجو من جلالة الملك أن يأذن لى بالاعراب عن شكري لجلالته وللأمة الفرنسية ، شكرا يدوم فى قلبى مدى العمر ، ويتصل منى الى الأبناء والأحفاد ... » .

وقد اتصل هذا الشكر فعلا من الأب للابن ، وأصبح واجبا مقدسا ، لا سيما فى نظر الجناب العالى حفيد ساكن الجنان محمد على باشا دائما ، يتبقى أن تلك الجملة التى فاه بها مؤسس العائلة الحديوية ، ينردد صداها الآن فى فرنسا ، وأن تقوم الجمهورية الفرنسية بدعوة انكلترا الى احترام حقوق مصر وسمو أمبرها المقدسة .

ملكا لفرنسا ، وفد تخلق بالاخلاق البوجوارية ، وعرف (بالملك المواطن) وتميزت فمره حكمه بالتوسع الاستعماري حيث استعمر الجزائر ، وبالحرية السياسية . الا أنه ظهرت فى عهده الحركة الراديكالية ، ولما نشبت الثورة فى مبراير ١٩٤٨ ، تنازل لربس عن العرش وعادر فرنسا الى انجلترا . محمد شفيق غربال وآخرون : (الموسوعة العربية الميسرة) مجلد) ، ص ١٥٨٦ .

اتحاد الكلمة ★

يُمم مولانا العباس دار السعادة وعاصمة الخلافة ليؤكد لجلالة سلطاننا الأعظم من جديد صدق الولاء وخالص الوفاء ، ويقطع بهذا السعى الجليل السنة الأعداء ، ويرد للشامتين بمصر والدولة العلية سهامهم فى صدورهم ، ويؤيد الأمة المصرية العزيزة فى تعلقها بالعرش الحميدى وارتباطها بصاحب السلطنة السنية والخلافة المقدسة ، فشكرا لك أيها الأمر المحبوب وحيدا ثم حمدا .

هذه الزيارة يستقبلها كل مصرى بمزيد الارتباط وعظيم انشراح ، لأنها تبعث الآمال فى القلوب وتحيط مساعى الأعداء ودسائس الدخلاء ، فكم دبروا من دسائس ، وكم أشاعوا من أكاذيب لزرع العداوة والشحناء بين مصر والأستانة . ولما تحققوا أن سمو العباس قاصدا الأستانة بلا ريب أخذوا يطعنون الطعن السافل البذئ على المخلصين لسدده والمدافعين عن حقوقه الشرعية . وانا لتقبل هذه المطاعن من الدخلاء بصفتها آخر دسائسهم ضد مصر والأستانة ، ودليل عجزهم عن بلوغ مآربهم واعترافا منهم بأن لا استطاعة لهم ولا لغيرهم على تكدير العلائق بين التابع والمتبوع ، فلتطعن علينا جريدة الدخلاء ما استطاعت فما مطاعنها الا اعلان لنجاح سياستنا وعلان للتوفيق بين يلدز(١) وعابدين .

ولقد كان سمو العباس أول المناهضين لاتحاد الكلمة ، وجمع المصريين حول الراية السلطانية الرقيقة ، فاستحق وحده شرف هذه السياسة القوية وحق للأمة أن تسأله فى كل ظرف وفى كل وقت أن يكون أمامها فى اشهار عواطفها نحو السلطنة السنية والمجاهرة باخلاصها لجلالة السلطان الأعظم ، وقد كان التعلق بالدولة العلية احساسا كامنا فى النفوس ، قبل جلوس العباس على أريكة الخديوية الجليلة ، مظهرها للوجود عند سفر العزيز لأول مرة الى دار السعادة ، وأخذ هذا الاحساس الشريف ينمو شيئا فشيئا حتى عم الأمة كبرها وصغبرها ورأينا ورأى الناس كافة

(★) نشرت فى المؤيد العدد ٢٥٨٤ فى ٢ أكتوبر ١٨٩٨ .

(١) قصر السلطان فى الأستانة .

هذا الشعب الكريم قائما أيام الحرب (١) - الحرب العثمانية واليونانية - بأفدس الواجبات ، وشاهدنا أبعد الناس عن السياسة ينتظر أحبار النصر والظفر بشغف جزيل وسهاد طويل ، وما الفضل الأول في ذلك الا لسمو العباس .

وأن سياسة العباس من أول كلمة الى اليوم تدور على مبدأين خطيرين ، وهما احترام رغبة الأمة المصرية ، والارتباط بالدولة العلية ، فلقد رأينا سموه يجمع بين الأمرين في سائر الظروف وأخصها بالذكر الاعانة العسكرية الشاهانية ، فان سمو العباس افتتح هذه الاعانة بذاته الشريفة ، وفام فيها على رأس الأمة على حين أن حكومه سموه كانت تصدر الأوامر يوم الاكتتاب وكانت نعلن غضبها على كل موظف يشترك في هذا العمل المبرور ، مع أن الواجب عليها كان : اما اتباع سمو الأمير في خطته أو اعتزال الأعمال .

ورأينا سمو العباس - حفظه الله - في مسألة الحج الشريف (٢) محترما بالرغم عن قرارات وزارته لرعيته ولأوامر الذين الشريف ، فجاهد وأى جهاد ، ودافع وأى دفاع ، وثبت وأى ثبات ، حتى نال مبتغاه ، ونال من المسلمين كافة - والعنمانيين المصادقين - المكانة السامية ، والحب الخالص لذاته الشريفة ، وعرفت له الدولة العلية هذه المهمة الشجاعة ، وهذه العزيمة القوية .

وها هي مسألة السكك الحديدية السودانية (٣) ، لا تزال حاضرة في الأذهان ، ولا يزال العارفون ببواطن الأمور يؤكدون أن سمو العباس خاطب « السير بالمر (٣) » في مجلس النظار قائلا : « انى جالس على أريكة الخديوية لاعلاء شأن أمتي ، والعمل في صالحها ، واحترام رعيته فاذا شعرت من نفسي بعدم القيام بالواجب ، أو

(١) وقعت عام ١٨٩٧ سيرة توره بعض المقاطعات اليونانية على الحكم التركي ، وتأسست جمعيات سرية في أثينا بزعامة اليونانيين والكريين ، حتى بدأ السلطان عند الخيمد الثاني يمحهم الحكم الذاتي .

(٢) أنور الرفاعي ، ساكر مصطفى : مرجع سابق ص ٢٨٥ ، ٢٨٦) .

(٣) تدخلت إنجلترا في أمور سعر الحبيج المصريين ، فان حاول تحديد عددهم بانه ، ووقع رسوم الحج تارة أخرى ، ثم لجأت الى الاعاز للحكومة المصرية بان يكون السعر على سعر البوستة الخديوية ، بهدف معرفة هوية المسافرين ، وهي بهذا انما كانت تريد أن تقطع الصلات بين الوطن العربي حتى تنعرد بأجزاء هامة منه ، وعدم توصيل الأفكار التقدمية الى أنحائه وخصوصا أفكار المصريين الذين سواوا معها آنذاك .

(٤) للنصيصيل يمكن الرجوع الى ما نشره اللواء ناعا من يناير ١٩٠٣) .

(٥) اهتم الاحتلال بمد الخطوط الحديدية في السودان لخدمة الاستثمارات البريطانية هناك ، وأشرف الانكليز على مد تلك الخطوط في عام ١٨٩٩ ولكهم جعلوها أصبق من تلك الى في جنوب مصر بمقدار ثلاث بوصات ونصف حتى لا تفكر مصر في توصيل خطوط بها وبهذا تقطع السودان عن مصر .
(شوقي الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، ط ٢ ، ص ص ٧١٩ - ٧٢٠) .
(٦) المستنار المال للحكومة في تلك الفترة .

أحسست بأن أمنى غير راضية عنى ، فانى لا أجلس على هذه الأريكة » وهو قول كله شرف وكله ستم ، وليس بغريب ان يفوله العباس . ويذكر كذلك العارفون ببواطن الأمور أن سمو العباس أرسل نلغرافيا للحضرة السلطانية يخبرها بتفاصيل المسئلة، ويسألها أمرها فى الأمر ، فلما جاءه الرد مؤبدا له فى خطنه موافعا على مقاومنه ، أجاب سمو العباس جلالة السلطان قائلا : « ما دام جلالة السلطان مساعدا لى معضدا فانى أقوم بواجباتى نحو الملة والدولة أحسن مقام » . وأى دليل بعد ذلك على أن المبدأ الأول والمبدأ الأهم فى سياسة العباس هو التعلق بجلالة السلطان الأعظم والعمل بأوامره وإرشاداته ، ولذلك كله ولما تعلمه من أن الشقاق داعى الدمار والانحطاط وأن الاتحاد روح القوة والفلاح ، كنا أول من يحيى زيارة العباس لجلالة الخليفة الأعظم ، ونستقبلها بصدور ممتلئة بالسرور .

وبهما عمل الدخلاء على تفريق الكلمة ، فلا يجدون منا الا عمالا للاتحاد ، خداما أوفياء للدولة . ننادى فى كل وقت وفى كل آن ، أن سائر العثمانيين وكافة المسلمين بالتشبه بالجندى العثمانى الفخيم الذى ينادى بأعلى صوته فى ساحة القتال والجراح على جسده كالنجوم فى السماء » ليحيى جلالة السلطان » .

التعليم *

خطب أحد ساسة فرنسا أمام جمهور من الشعب فقال : « المستقبل بيد معلم الناسئة ، وهى حكمة جديرة بأن تكون محل نظر المصريين الراغبين فى اعلاء شأن وطنهم وترقية مدارك أمتهم ، وإسعاد المستقبل ، فقد تغيرت الأحوال فى نظارة المعارف ، وأصبح التعليم محفوا بالكاره (١) والمصاعب ، وأمسى المعلمون المصريون يعلمون وهم متعبون من حالتهم ، ويشتكون من سوء معاملتهم ، ولو استطاعوا أن يعيشوا خارج نظارة المعارف لفارقوها اليوم قبل الغد فرحين مسرورين وهو أمر يدل على أن التعليم فى مصر انحط انحطاطا هائلا ، فان روح التعليم فى المعلم ، ولو نظرت الى التلامذة لوجدتهم أسوأ حالا وأسفل حالا من المعلم فهم يذهبون الى المدرسة وكل منهم يتوقع طرده أو رقبته اذ أصبح الطرد موقوفا على أقل شئ ، كيف لا وقد رأينا نظارة المعارف هذه الأيام العجيب والقريب ، فقد نقل الينا ثقة لا ريب فى صحة قوله ان ناظر المدرسة الحديوية طرد تلميذا من المدرسة لأنه كان عابس الوجه ، فليعلم المصريون من الآن فصاعدا أن قوانين المدارس تقضى بأن العابس الوجه يطرد من المدارس ، وأن هذا الناظر الانجليزى طرد تلميذا لأنه كان مبتسما ، وأظن ان هذا المسكين حسب أن التبسم يقربه من الناظر بقدر ما نال العابس الوجه من النصاب - وأنه أنزل تلميذا فرقة ، لأنه كان حاملا الكنب وسقط منه كتابان وهكذا من أمثال هذه المضحكات المبكيات .

(*) نشرت فى الميز ، العدد ٢٥٨٩ بتاريخ ٨ أكتوبر ١٨٩٨ .

(١) تدخلت انجلترا فى أمور التعليم العام فى مصر باعتار أن التعليم يفى على قدم المساواة مع الاقتصاد ، يستطيعون منه الضبط على معدرات مصر ، فتدخلت فى اختيار المواد وتعيين المدرسين ، وكان عدد كبير منهم من الانجليز ، وطبع الكنب ، أما الاشراف العام فى نظارة المعارف فكان للمستشار الانجليزى الذى كان يد مستعرة فوية داخل النظارة ، أودى بكرامة المدرس المصرى الوطنى ، ورفع الآخر البريطانى مركزا وأجرا .

(عن هذا الموضوع يمكن الرجوع الى : جرجس سلامة ، أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر ، ١٨٨٢ - ١٩٢٢ ، القاهرة ١٩٦٦ ، حسن العقى : مرجع سابق) .

وطالما قلنا وكررنا أن مقصد الانكليز في نظارة المعارف قبل العواطف الوطنية واعتماد كل احساس شريف عند الناشئين - فقد وضعت هذه النظارة مادة في قانون مدارسها قالت فيها ما معناه : « كل تلميذ يشترك في احتفال أو مظاهرة أو اكناب يطرد من المدرسة » فما معنى هذه المادة وما سبب وضعها ؟ أليس معناها أنه لا يجوز للتلامذة الاكتتاب للاحتفال بعيد جلوس سمو الحديو المعظم ، أو ليس سبب وضعها أن تلامذة المدارس عقدوا في ٨ يناير من هذا العام احتفالا نشاقا بمناسبة عيد جلوس الحضرة الفخيمة الحديوية ، وأعلنوا فيه مع مزيد الاحترام حبهم الخالص لسمو أميرهم وتعلقهم الصادق بذاته الشريفة ، وإذا كان أساس التعليم في المدارس قتل العواطف الوطنية ، فيا معشر المصريون « ارسلوا أبناءكم الى مدارس الحكومة » أتريدون أن يكونوا خداما للانكليز وعبادا لأعداء الوطن ؟ أم يسيغون جعلهم آلات صد الوطن العزيز ؟ لبت شعري اذا كان التعليم خاليا من التربية الصحيحة والفضيلة الوطنية بل أساسه التربية للصحيحة والفضيلة اللاوطنية فما فائدة التعليم ؟ وهل ينكر أحد من الناس أن المتعلم السوء التربية هو أضر على نفسه وعلى قومه وعلى وطنه من الجاهل .

وإذا كان تحل الناشئين في البلاد الأخرى بالعواطف الوطنية مما يكافأ عليه ، فلماذا تسير مصر على عكس هذه القاعدة ؟ وإذا قام الناشئون في انكلترا بعمل مظاهرة وطنية يوم عيد جلالة الملكة فهل يكون جزاؤهم اللوم والتفريق ووضع مادة في القانون تحرم عليهم مثل هذه المظاهرات ؟

قاتل الله الغرض ! فإنه يعنى ويصم ولا يصح لعاقل أن يؤمل خيرا من نظارة المعارف ، بعد أن عملت وبلغت ما استطاعت في التضييق على الناشئين وطلاب العلوم .

ولقد كانت مصر في الماضي مشرقا لأنوار العلوم والمعارف مفتوحة مدارسها للطلابين والراغبين ، بل كانت الحكومة تأخذ التلامذة حتى بالرغم عن آبائهم وتعلمهم وتهذبهم ليكونوا خداما للوطن العزيز وعمالا نجباء على اسعاد الأمة وترقية شؤونها واليوم أراد الزمان وأراد سوء حظ مصر أن ينعكس الحال وتنقلب الأمور ، فماذا يجب أن يعمل المصريون ؟ أليس أول واجب عليهم أن يقوموا ويؤسسوا المدارس الأهلية (١) لتعليم أبنائهم على الأخص لتربيتهم لأن التعليم شيء والتربية شيء آخر ،

(١) في مقابل عمل الانجليز هدم التعليم العمى في مصر ، نادى مصطفى كامل بتأسيس تعليم أهل يتحرر من رقة الاشراف البريطانى ، وذلك بتأسيس شركات للتعليم تقوم على الجمعيات الخيرية والأهالى ، كل حسب قدرته فاسهم الموسرون أمثال حسين بك قرة جولى ، والجمعيات الخيرية ، كجمعية العروة فى الاسكندرية ، والمسامى المشكورة فى المنوفة ، وغيرها من الجمعيات بالاستجابة لدعوته ، وكان لنشاطهم فى محال التعليم أثره .

(عن الدعوة يمكن الرجوع الى : عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة القومية) .

وقد أهملت التربية بالمرء من مدارس الحكومة ، فيجب أن تكون الأساس الاول في مدارس الأمة .

ومن غريب أمر مصر أنه لما كانت الحكومة تأخذ الأبناء قهرا لتعليمهم وتربيتهم ، كانت الأمة معارضة للحكومة في ذلك ، ولما بذلت الحكومة جهدها في التضحية على المتعلمين انجبت رغائب الأهالي نحو التعليم والتربية ، وصار الفقير كالغني يسعى لتربية أبنائه ، ويحمل نفسه المصاريف الباهظة لبلوغ هذه الغاية ، وأنا نعلم جيدا أن في مصر رجالا يحبون وطنهم حبا صادقا ، ويودون له كل سعادة وكل هناء ، ولذلك جئنا نسألهم بلسان الوطن الأسيف أن ينهضوا لتأسيس المدارس الأهلية لا سيما وقد ظهرت هممة ذوى الهمم عند نشر المؤيد لأول مرة رسالة فاضلين تعهد كل منهما بدفع جنيهين في الشهر اذا أسست نظارة معارف أهلية .

نعم ان تأسيس نظارة معارف أهلية أمر مرغوب ، وشيء خطير ، ولكن اذا كان هذا الأمر صعبا أو مستحيلا اليوم ، فهل تقعد عزائم الذين تعهدوا بدفع مبالغ لتربية أبناء الأمة ؟ ان خير سبيل يجب على ذوى الهمم سلوكه الآن هو تأسيس مدارس متفرقة فاذا اسقامت أحوالها وسارت في طريق النجاح ، اجتمعت هاته المدارس كلها تحت ادارة مشتركة ، ولزيادة الايضاح نقول : أنه لو اجتمع عشرة من الناس ويتبرع كل منهم بدفع جنيهين في الشهر ، لأمكنهم أن يؤسسوا مدرسة ابتدائية نعلم الفقراء من أبناء الأمة ، وتؤدي خدمة جليلة ، ولدينا جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية (١) تقوم متلا على ذلك ، فهذه الجمعية ليست من الجمعيات الفنية ، ولكنها وصلت الى تأسيس ثلاث مدارس سائرة في طريق الفلاح والتحسين ، فالارادة وحدها كافية لعمل أكبر الأعمال ، فما بالك لو أجمع عديد من الناس على ارادة واحدة ورغبة مشتركة .

على أننا نرى المدارس الأجنبية في مصر زاهية زاهرة ، غنية بأموال التلامذة ، تبني القصور وتشيد المباني الفخيمة لمدارسها ، فما على الراغبين في تأسيس المدارس الأهلية ، الا أن يبدؤا في العمل وهم يجدون من الأمة أكبر اقبال ، ولا يخسرون في عملهم المبرور شيئا .

وقد علم القراء أن صاحب العزة والفضل « حسين بك قره جولي » (٢) عزم

(١) ظهرت فكرة جمعية العروة الوثقى - أول الأمر - في فكر كل من جمال الدين الأماني ومحمد عبده في باريس بشكل سرى ، وأسنا جريدة تحمل هذا الاسم لاثاره الرأي العام في الأقطار الاسلامية ، وتدعو للاتحاد ضد الاستعمار الأجنبي ، ثم ما لبست أن شكلت جمعية بهذا الاسم في الاسكندرية .
(عيد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩١٨ - ١٩٣٦ ، ص ص ٢٩ ، ٣٠ ، عباس المعاد : محمد عبده، ص ١٣٦) .

(٢) أحد أعيان القاهرة ، من أصل تركي ، أول من اسنجاب لدنوه مصطفى كامل .
(الرافعي : مصطفى كامل ، ص ١٣٩) .

غزما أكيدا على انشاء مدرسة أهلية ونزيدهم الآن أن كثيرا من فضلاء الأمة قدموا لهذا الفضال شكرهم وثناءهم ووعدهم بمعاونته في العمل ومساعدته ، ونحن نعلم أنه صادق العزيمة ، قوى الارادة ، حى الاحساس ، ولذلك ننتظر منه تحقيق أمنية الناس ، ويتشوف من اليوم الى مدرسته التى لا شك فى أنها ستكون عامرة بالمتعلمين ، زاهرة كثيرة الفوائد على الأمة والوطن . وما رأيناه فى سعادة قره جوللى بك أيام الاعانة العسكرية العثمانية من الهمة والعزم يحقق لنا أنه سينفذ مشروعه الجليل بعد قليل من الأيام .

وجملة القول : أن الوطن فى أسد الحاجات لوجود مدارس أهلية حرة نتعلم فيها الأبناء والبنات وكل مصرى يقوم بتأسيس مدرسة أهلية يكون قد خدم وطنه أجل خدمة ، وأسماها ويحق له أن يفاخر قومه بعمله ويصيح ويمش على الرأس مرتاح الضمير .

أوروبا والاسلام ★

جاءنا الناخرافات العمومية أمس نبأ مدهش ، وهو أن جلالة السلطان الأعظم ، قبل انسحاب الجنود العثمانية من كريد اجابة لطلب فرنسا وانجلترا والروسيا وإيطاليا ، وقد انتهز أعداء الدولة فرصة ورود هذا التلغراف فأخذوا يشنعون به ويطعنون على جلالة المتبوع الأعظم ، ولو كان عندهم شيء من العدل والانصاف لقضوا على أوروبا ومدنيتها شر قضاء ، إذ أى لوم يستطيع عاقل أن يوجهه لجلالة الخليفة الأعظم ودول أوروبا كلها متحيزة ضد دولتنا العلية ، عاملة جهدها فى نصرة الثوار والعصاة ؟

وأن النعصب القبيح ضد الدولة العلية ورعاياها المسلمين لواضح لكل ذى عينين ، وإلا فبأى حق تسوغ الدول لنفسها التداخل فى شئون الدولة ، ولماذا تداخلت فى كريد ولم تتدخل فى كوبا والهند ميلا ؟ أليس لأن أسبانيا دولة مسيحية كانت تفتك بالكوبيين ، وانكلترا دولة مسيحية تفتك بالهنود مسلمين وغير مسلمين ؟ •

ومن الأمور البديهية التى لا يصح المناقشة فيها أن جلالة السلطان الأعظم من أكبر رجال السياسة فى هذا العصر ، وأنه باعتراف (غلادستون) (١) نفسه لا يرضى أبدا الرضوخ لمطالب أوروبا ورغائب المسيحية ومسئلة الأرمن (٢) لا تزال كلها براهن

(★) نشرت بالمؤيد العدد ٢٥٩٠ فى ٩ أكتوبر ١٨٩٨ •

(١) ولیم ایوارت جلاستون (١٨٠٩ - ١٨٩٨) سياسى بريطانى من حزب الاحرار ترأسه من ١٨٦٨ - ١٩٨٤ دخل مجلس العموم عام ١٨٣٣ ، ووكيل وزارة الحرب والمستعمرات ١٨٣٤ - ١٨٣٥ ، ابن وزيراً للمالية فى وزارات الاحرار التى ألفها كل من إيرل أبردين وبارستون ورسل ، عين رئيساً للوزارة البريطانية أربع مرات : ١٨٦٨ - ١٨٧٤ ، ١٨٨٠ - ١٨٨٤ ، ١٨٨٦ ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٤ •

(محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ١٩٥٩ ، ص ص ٦٣٥ ، ٦٣٦) •
(٢) كانت روسيا دائبة على تشجيع الولايات المسيحية ضد الدولة العثمانية المسلمة ، وبدأت جذور هذه المشكلة منذ عام ١٨٧١ ، الى أن وصلت الى حد مذبة بين العنصرين فى الرومل الشرقى قتل فيها عدد كبير من الأتراك ، ولم تتحرك بريطانيا الا عندما بدأت تركيا تفتق وتضرب أعداءها وتكسب الجولة الثانية •

(لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى : اسكندر سعيد عمون : مرجع سابق ، ص ص ٢٧ -) •

على هجمات السياسة الأوروبية واعتراضها في كل ما يخالف مصلحة الدولة العلية ، فإذا كان جلالة السلطان الأعظم قبل خروج الجنود العثمانية من كريد ونسليم الجزيرة بصفة نهائية الى أوروبا - وهو ما نزال مرتابين فيه - فإن ذلك يكون من اعتقاد جلالته بأن أوروبا تنوى السوء والشر للدولة ، وأنه لا نصير لها بين الدول الأوروبية ، والعبرة التي يجب اذا على كل مسلم أن يعتبر بها هو أن لا سلامة لنا الا بالاتحاد حول راية السلطنة السنية تعزيزها بكل استطاعتنا وعدم الاعتماد على أوروبا في شيء ما .

والذي غرر بنا الى اليوم هو اعتقادنا بأن مدنية أوروبا غرضها المساواة الحقيقية والعدل الصحيح ، وكنا نعتقد ذلك عن سلامة نية ، ولذا احتفلنا طول هذا القرن بالأوروبيين وأكرمنا مثواهم ، وتلقينا تعاليمهم وارشاداتهم بمزيد الارتياح وصرنا ينافس بعضنا البعض الآخر في تقليدهم والتشبه بهم ، ولكننا ضرعنا وسلبنا الكثير من عزنا ومجدنا ، ولم يبق الا أن نعتبر بالماضي ونعمل للمستقبل .

وقد كاد ينتهي القرن التاسع عشر وبعد قليل نحاسب كل أمة نفسها عما كسبت ، وعما خسرت ، وإذا حاسبنا نحن كذلك أنفسنا نحسبنا الحسرات بعد الحسرات ورأينا هذا القرن في ضيائه وسنائه أعدى القرون للشرق والاسلام وأكبرها ضررا ، وما ذلك الا لأننا فرطنا فيه كل التفريط ، وخالفنا أوامر الشريعة المطهرة ، فكان جزاؤنا ما كان .

أما الآن وقد أسمعنا الحوادث والأيام أن سلامة مصر والدولة العلية في الالتئام والاتحاد والحذر من العدو والدخيل ، فلنتنبه للخطر المحدق بنا ، ولنعمل على اصلاح أمورنا ، ولم شملنا ليعود لنا مجدها القديم وعزنا السالف .

التربية الوطنية ★

كتبنا أول الأمس في المؤيد مقالة على التعليم ، أبنا فيها الحالة السبئية التي وصلت اليها المعارف في مصر ، وضرورة انشاء مدارس أهلية ننفق عليها ، وتعلم أبناءها ، واليوم نعود لهذا الموضوع نفسه ، لأنه موضوع حيوى يجب البحث فيه والكلام عنه حتى تظهر للوجود المدارس المقصودة ، ونتم الغاية المرغوبة ، وقد لاحظنا أن كل مرة نشر فيها المؤيد أو غيره من الجرائد الوطنية نصائح سأل الأمة اتباعها أو أظهر لزوم انشاء شئ ما استحسن الناس كافة رأيه ، وقال كل واحد ، ولكن من الذى يعمل بهذا رأى ، ومن الذى يجيب هذا النداء ، ولاحظنا أن كل فرد يعتبر نصيحة الناصح موجهة لغيره ، لا له فلذلك بلوم الآخرين على عدم اتباعها ، وهو أول مقصر فى اتباعها .

ولذلك كانت نصائح الناصح عقيمة فى أغلب الظروف ، فيما أيها القارىء عود نفسك من الآن فصاعدا على اعتبار ما تقرأه من النصيحة أو اللوم موجهها اليك ، ولا تتهم غيرك بالنقصير ، فأنت مسئول عن خدمة الوطن ، ككل مصرى وأنت مشترك فى جريمة انحطاط الوطن ان كنت مع المقصرين .

واذا عرف كل قارىء من قراء المؤيد أن النصيحة موجهة اليه ، وأن الوطن ينادى أبناءه فردا فردا بلا تمييز فى الدرجة والرغبة والثروة استبلغتنا أنظار كل مصرى الى حالة الوطن الأسيف وما وصل اليه فى هذه السنين من التقهقر والانحطاط على حين تقدم البلاد الأخرى ، وافترخار كل وطن برجاله وكل رجل بوطنه ، وليس لداء مصر من دواء سوى فى التربية الوطنية الصحيحة القاضية ببث روح الفضيلة فى نفوس الناشئين وتفهم كل واحد منهم بتاريخ بلاده وواجباته نحوها وحقوقه الوطنية ، حتى اذا شب كل رجلا شهما ووطنيا حرا يأبى الضيم لبلاده والاستعباد لقومه فينهض لاعلاء شأن الوطن ورفعة الأمة سمعنا أطفال النزلاء هنا

(١) نشرت فى المؤيد العدد ٢٠٩١ بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٨٩٨ .

ينشدون الأناشيد الوطنية أمامنا ويهتفون بالدعاء لبلادهم وممالكهم على بعد المزار فيستوقفنا هذا المنظر المؤثر ، ويملاً قلوبنا أسفا على فقدان التربية الوطنية من بلادنا .

ولقد أضاع اليأس عند بعض النبهاء قوة الارادة وصدق العزيمة فنراهم يصبحون كسالى ويمسسون ولا ينشطون لعمل شئ من الأشياء ، مع أن حسن الاعتقاد فى الخالق جل شأنه ، هو روح كل العقائد وعماد سائر الأديان ، فكيف نجعل لليأس علينا سلطانا .

وما هو التاريخ قائم بأحاديته ، ينبهنا الى أن كل أمة عملة لحريتها واجتهدت فى سبيل الحصول على استقلالها بلغت متمناها وأدركت أحقيتها ، فلم لا نعمل نحن كبقية الأمم التى كانت مستعدة ، واستقلت ، فنحن نموت والوطن يبقى حيا وعمرا فى هذه الحياة قصيرة ، ولكن الوطن الطويل العمر محدود الأجل ، ولقد سمعت مرة المسميو (شارى ديوى) رئيس وزراء فرنسا سابقا يخطب على سكان قرية فرنساوية بمناسبة اقامة تمثال لأحد أبنائها الذين أخلصوا للوطن الفرنساوى وخدموه بأمانة ووفاء ، فالتفت الخطيب بعد أن افتتح خطبته بالسناء على فرنسا نحو نلامذة هذه القرية ، وقال « علموا هؤلاء الناشئين أن فرنسا أول البلاد وأشرفها وأن أهمتنا أجل الأمم وأكرمها واملؤا قلوبهم وطنية لفرنسا ، فربما خرج منهم رجل رفع الراية الفرنساوية الى أعلى منار وسار بالوطن فى طريق السعادة والفخار » .

واليوم أنا أقف أمام أمتى هذا الموقف وأنادى أبناءها بصونى الضعيف « ان كنتم لا تؤملون لمصر خيرا وأنتم أحياء مع أن المستقبل بيد الله وحده - فربوا أبناءكم واتركوا لهم الراية الوطنية ، ميراثا وعلموهم أن مصر خير الأوطان وأشرفها وأن أهمتنا العزيزة أعرض الأمم فى المدينة وأكرمها وأن الموت خير من الحياة بغير الحربة والاستقلال ، فيشبهون على محبة مصر ، وينهضون وهم رجال لتخليصها واسعادها » ، وأن أساس التربية الوطنية هى تقوية ملكة اللغة الوطنية عنده الناشئين أى تعليم اللغة العربية الجلية جيدا ، وتدريس كل العلوم والمعارف باللغة العربية وقد أدرك الانكليز ذلك ، فهزموا اللغة العربية بما لهم من القوة والحلول ودكوا أساسانها وقضوا بنيانها ، فأصبحت غريبة فى ربوعها ، كما أصبح الناطقون بها غرباء فى ربوعهم رأجانب فى بلادهم .

ومادمننا مضطرين لتلقى العلوم والمعارف بالالغات الأجنبية ، فكيف نرتقى الى أوج الكمال ونبلغ درجة الأمم الأخرى ، وما تقدمت هذه الأمم الا بتقوية ملكة لغتها ، وتدريس كل العلوم بها ، بل بلغت عناية الأمم الحية بلغاتها أنك اذا مرت فى شوارع مدائنها لا تجد كلمة واحدة مكتوبة على حوائيتها أو محلات التجارة فيها بلغة أجنبية .

وأذكر بهذه المناسبة ما قصه لى صديق من المجر ، من أن رجلا مجريا دخل مرة مطعم فوجد فيه خادما صغيرا يجهل اللغة المجرية ، فنادى صاحب المطعم ووبخه أمام الناس كافة قائلا له : « كيف تكون مجريا ويجهل خادمك اللغة المجرية ؟ » .

ثم وعد الخادم باعطائه فلوريتو (أى عشرة قروش صاع تقريبا) على كل كلمة يحفظها من اللغة المجرية .

وتجد لكل أمة حية أمثالا تتعلق باللغة يقصد بها تشريف اللغة الوطنية على غيرها من اللغات كقولهم فى المجر مثلا « اللغة المجرية لغة الخالق » .

أما نحن : فقد سلمنا أولادنا لنظارة المعارف النى تقتل فيهم كل عاطفة شريفة وتميت اللغة العربية بقدر استطاعتها على أن اللغة هى العامل الأول لحياة الأمم واستقلالها .

فيا أصحاب الهمم من بنى مصر . ويا ذوى العزائم أجيبيوا استغاثة الوطن الحزين ، وانهضوا لتأسيس المدارس الأهلية ، ويكفى الواحد منكم أن يؤسس فى بادية الأمر مكتبا فى قريته أو بلده فأول الغيث قطر ثم ينهمر .

الداء والدواء ★

امتلات الأرض بأخبار فشودة (١) ، وشاع في كل الأنحاء أن الحرب أصبحت بين فرنسا وانكلترا قاب قوسين أو أدنى بسبب هذه المدينة الأفريقية المصرية ، وقد أخذ العجب منا مأخذه بسبب ذلك ، وأخذنا نتساءل كيف أن دولتين عظيمتين تعرضان أبنائها الأبطال للفناء والدمار بسبب بلد أو قرية تركناها نحن غير آسفين ، وإذا كانت هاتان الدولتان تعزان إلى هذا الحقد فشوده ، فكيف أهملنا نحن أمر السودان ، بل كيف أهملنا أمر بلادنا العزيزة كلها ، بل كيف تمر علينا الحوادث المزعجاء ونحن بغبر حراك نتفرج عليها كأنها واقعة على غيرنا لا علينا .

اللهم ان الجواب على هاته الأسئلة كلها بسيط ، وهو أن الأمم الأوروبية أهم حية عرفت قيمة الحياة وعرفت أن دعامة المجد والشرف هي الوطنية الحققة والعمل على خدمة الأوطان بمسالة وإقدام ، فظهر في أبنائها كل شجاع مقدام مقتحم الأخطار ، بعد الأخطار ، ويرجب متن الأسفار في البحر والبر طالبا لبلاده عزا جديدا ومجدا تليدا ساعيا في توسيع نطاق آملاكها ، ونشر سطوتها وحكمتها ، ولذلك ارتفعت الأمم الأوروبية شأنها ، وسمعت قدرا وانتشرت سيطرتها على الشرق والشرقيين .

ومن ذا الذي لا يعجب برجل كمارشال (٢) قضى السنين هو ورجاله بين نيران الحر والجوع والعذاب والسهر والألم حتى وصل إلى بغيته ورفع الراية المسلثة الألوان

(★) نشرت في المؤيد العدد ٢٦٠٢ بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٨٩٨ .

(١) فاشودة (كودوك) قرية سودانية حدثت بها معركة في يولييه ١٨٩٨ بين القوات الفرنسية الزاحفة من الغرب بقيادة القائد الفرنسي (مارشان Marchand) بهدف الضغط على النفوذ البريطاني الذي بدأ يستشري داخل أفريقية ، وقد أنهت انجلترا هذه المعركة بقوة معظمها جنود مصريون بقيادة كتشسر رافعة شعار أنها أرض مصرية تدافع عنها انحلترا الصديقه ، ولكنها كانت بداية نهج فنزاع سياسي بينهما فيما بعد (للنقصل يمكن مراجعة : محمد فؤاد شكرى . مصر والسودان ، عند الرحمن الراقى . مصطفى كامل) .

(٢) جان باسيست مارسا (١٨٦٣ - ١٩٣٤) مكتشف وصابط فرنسى . حارب في فاشوده ، ثم اشترك في معارك الملاكمين عام ١٩٠٠ في الصين ، كما اشترك في الحرب العالميه الاولى في صفوف بلاده (محمد شفيق غربال وآخرون . الموسوعة العربية الميسره ، ص ١٦١٥) .

على فشوده ، بل من ذا الذى يستطيع أن ينكر على رجال كهؤلاء الرجال شجاعتهم وأقدامهم ووطنيتهم ، ومن ذا الذى منا معاصر المصريين الشعاعين بخطارة الحال وتعاسة الوطن ، لا يبكي البكاء الشديد ويتحسر من صميم فؤاده عندما يرى أبناء الأسم الأخرى متعاضدين متحدين عاملين فى الليل والنهار لسعادة أوطانهم على حين أبناء مصر فى شقاق وافتراق ، لا تنحرك الا بعواطف الحسد والشحناء ولا نهتز لدمار بلاد هى بلادنا ، وشقاء وطن هو وطننا وخراب معاهد الآباء والأجداد وهى هى وحدها مجدنا وفخارنا .

واننا مع عظيم كراهتنا لهم فى كل وقت وفى كل بلد بأنهم مفتصبون علينا ناكثون للعهد والميثاق نعجب غاية الاعجاب بنفانهم فى خدمة الوطن البريطانى واتحادهم فيما بينهم لاعلاء شأن بلادهم ، وغاية آمالنا أن توجد فى المصريين هذه العواطف السامية التى سببت الملك البريطانى وشببت السلطة البريطانية .

وقد بحث كتاب مصر كثيرا فى أسباب اضمحلالها وتأخرها ، وذهب كل منهم مذهبا فى شرح العلل والأسباب ، أما أنا فقد قلت من أول يوم اشتغلت فيه بمسئلة بلادى ، وقيمت () وتأخرها وانعدام التربية الوطنية الجنسية من بيننا وجهل كل فرد لواجباته نحو الوطن وحقوقه فى هذا الوطن ، فمتشأ عن ذلك ظلم القادر للضعيف وسكوت الضعيف عن حقه ضد القادر واستتقال كل فرد بنفسه وعدم اشتغال أحد بالوطن ومصالحه الكبرى ، وانحلت بهذا السبب ذاته عروة الاتحاد بين أفراد الشعب لأن أصل الاتحاد فى كل أمة شعورها باتحاد مصالحها ، واتحاد واجباتها نحو الوطن المشترك ، وطالما اعتقدت أمتنا ولا يزال فى أبنائها من يعتقد أن الحكومة هى المسئولة وحدها عن كل شئ يفيد البلاد ، وأن للاحق للأمة فى عمل شئ بغير اذن الحكومة ، وأقرها ورسخ هذا الاعتقاد فى النفوس حتى اننا لا نزال نرى فى مصر رجالا يقدسون خدمة الحكومة ويرون العار منتهى العار فى الكسب خارجا عنها ، فاذا استجمع المصرى كل أسباب الانحطاط ، وأدرك أن جهل الأمة أولا واعتقادها بأنها آلة فى يد الحكومة ثانياً وانحلالها ثالثاً ، وفقدان العقيدة رابعاً . واستبداد الحكام خامساً ، وقبول كل شئ من الأجنبى سادساً ، وطمع الأجنبى قيناً سابعا . كيف تأخرنا وكيف صارت هذه البلاد العزيزة تحت تأثير الانكايين الثقيل .

فهذه أدواء مصر بل هى بعينها أدواء كل بلاد المسلمين ، فما هو الدواء وأين يوجد هذا الدواء وما ثمن هذا الدواء ؟ .

أما الدواء ففى التعليم الصحيح وفى التربية الصحيحة ، فهما اللذان بزيلان الغباوة من الشعب ويهزمان جيوش الجهالة وهما اللذان يعلمان الأمة أنها صاحبة الكلمة الاولى فى بلادها وأن رجال الحكومة ليسوا الا عمالا لها وخداما لمصالحها ان رضيت عنهم ، حفظوا مراكزهم ، وان سخطت اعتزلوا الاعمال ، وهما اللذان يجمعان كلمة الأمة ويوجدان رابطة متينة بين سائر الأفراد وبعضها حتى اذا حل بالوطن أمر جسام قامت الأمة كلها كأنها رجل واحد وهما اللذان يوجدان عند الأمة عقيدة

دينية صحيحة بها تنصلح أحوالها (١) كما أنهما يوجدان عندنا عقيدة وطنية تهتز لها الجبال نفسها ويسهل أمامها كل صعب وكل عسير وهما (أى التعليم والتربية) اللذان يردعان الحكام عن الاستبداد ويقيمان فى الأمة قسطاس العدل والانصاف وهما اللذان يرفعان من شأن التجارة الوطنية والصناعية الأهلية ، فلا يشتري الفرد الا من تجارة وصناعة بنى جنسه . ولا يترك المتاجر والمصانع الأجنبية تقفل المتاجر والمصانع الوطنية ، وأخيرا هما التعليم والتربية اللذان يقفان أمام الأجنبى كأسدين كاسرين يدفعان عن الوطن هجماته واعدااته ويحفظان للراية شرفها وللعلم مجده وجلاله .

فها هو الدواء أيها المصريون ان أردتم لبلادكم خيرا ولوطنكم برا ولأنفسكم سعادة ، ولأبنائكم من بعدكم مجدا وسوددا تعليمكم فيه ، وما هو بعزير عليكم بل هو عندكم وفى بيت كل واحد منكم وما تحنه الا همة من الأغنياء وهمة من النبهاء ، فان قصرتم فأنتم وحدكم المسئولون عن مصائب هذه البلاد الحالية ، والآتية وعار على المصرى أن يقضى حياته فى الطعن على أمته وبلاده بدون أن يخدم وطنه خدمة جديرة بالذكر مع أن الأجنبى يقدم حياته وقوته بل وعمره ضحية للوطن وقربانا .

واذا كان الأوروبيون مع قوة أوطانهم وسعادته بلادهم يقنحمون الأقطار التوسيع دائرة سلطانتها وزيادة عدد مستعمراتها ، فكيف لا نهتم نحن معاش المصريين بانقاذ الوطن العزيز واعادة قوته ومجده اليه ، بل كيف يعتبر الأوروبي توسيع أملاك بلاده فرضا مقدسا عليه ولا يعتبر المصرى اعادة مصر لنفسها واجبا محتما وأول الفروض .

اللهم هب أمة مصر العزيزة رجالا من أبنائها ينهضون بها ويرفعون شأنها ويردون للوطن حياته واستقلاله ويجعلون لراية مصر بين رايات الأمم المحل الأول والمقام الأعلى .

(١) عبارة لم تقرأ فى الجريدة .

شرف الراية ★

يرى العالم الآن منظرا من أغرب المناظر وأعجيبها وهو منظر أمتين عظيمتين (١) الأولى منهما واقفة تطالب بابتلاعها مصر ووادي النيل وتدعى حقوقا على السودان لا ندرى من الذى أعطاهما إياها ولا ندرى ما هي تلك الحقوق والسودان فائض بدعاء المصريين التعساء ، ومال مصر الأسيفة . والثانية واقفة تدافع عن شرف رايته المملنة الألوان الخافقة على فشودة تجيب انكلترا على مطالبها بأبلغ جواب ، وترد عليها بأحكم رد ، تقول لها ان كان السودان لمصر والسلطان () معى وان كان لأول فاتح فانا فتحت قبلت ومصر تنظر الى هاتين الدولتين العظيمتين بعين الاستغراب بل بعين ملؤها عبرات منتظرة النتيجة وما وراء النتيجة .

يظن قوم ان الحرب بين فرنسا وانكلترا قاب قوسين أو أدنى ، ويظن آخرون ان جلاء فرنسا عن فشودة قريب لاريب فيه . ولكن الذى يجب أن يلتفت اليه المصرى ويعتبر به هو أن فرنسا تدافع عن شرف رايته وانكلترا تدافع عن آمالها وأطماعها وحكومة مصر الأسيفة تسأل انكلترا أن ترد اليها السودان كله أى أن تطرد فرنسا من فشودة .

ولو قرئ خطاب الحكومة المصرية هذا على رجل بعيد عن مصر غريب عنها جاهل بأمورها ومركزها السياسى لقال : « أنعم بحكومة مصر من حكومة محافظة على حقوقها غيرة على أملاكها وأنعم بحكومة انكلترا من حكومة سفوقة على مصر رحمة بالضعفاء ، عدوة لكل مقاتل . ولكن المصريين الذين عرفوا حالة بلادهم ومجرى سياستها تردوا خطاب الحكومة المصرية للحكومة الانكليزية بمزيد من الكدر وعظيم الألم ، اذ أنهم يعلمون كما يعلم حضرات الوزراء الفخام أن مصر لا تملك نفسها فكيف أكون عنيدا وأطلب أن أشتري بل كيف تطالب وزارة مصر انكلترا أن ترد اليها السودان فهل انكلترا هي الدولة العلية ؟ أو ليس هذا الخطاب فى هذه الظروف من أكبر

(*) نشرت فى المؤيد العدد ٢٦١١ بتاريخ ٣ نوفمبر ١٨٩٨ .

(١) انكلترا وفرنسا .

المخجلات ، وأى خجل يستولى على المصرى منا . اذا اجتمع الفرنسيواى يقول « بلادى
يدافع عن رايته » وانكليزى يقول « بلادى تطالب بما أرادته لنفسها من الأملاك
ويدافع عن آمالها ومطالبها . . . عندئذ ماذا يستطيع المصرى الحزين أن يقول لأقول
له غير اللهم هب مصر وزراء يعرفون أنهم أبناء مصر وانهم وزراء مصر وأن مصر
وطن لهم ولآبائهم من قبل ولأبنائهم من بعد وأن أول واجبانهم المحافظة على سلامتها
والموت فى الدفاع عن حقوقها المقدسة .

★ الأمة والأمير

تعود المصريون من أول يوم ظهر فيه سمو العباس بمظهر الأمير المحب لشعبه المطالب بحقوقه الغيور ، على الوطن وبنيه ، باضطهاد الانكليز للمخلصين لسدته واشهارهم أعداء للمتعلقين بأريكته ، وكلما التقت الأمة بأمرها المعظم وناجته وناجها رأينا الغل يملأ صدور المحتلين ، ورأيناهم بخلقون الحوادث المكدره لهناء المصريين المشوشة لأذهانهم وكان الانكليز في أمتنا المصرية العزيزة كما يقوله عنها خصومها وأعداؤها أنها أمة لا شعور لها ولا احساس عند أبنائها ، وأنها تحترم الحاكم لأنه صاحب السلطة وتحبب الأمير لأنه القابض على زمام الأمور ، فكانوا يحسبون أنهم باضطهادهم المخلصين للسيدة العباسية يقتلون العواطف الوطنية في مصر ، ويردون المصريين عن أبواب الأمير المعظم ، ولكن سوء حالهم وخابت مساعيهم وجاءت النتيجة بعكس ما كانوا ينتظرون وبغير ما كانوا يؤملون ، فلقد ازداد نعلق الأمة بأمرها ، وبازدياد جرحهم لعواطف الشعب وأمياله .

ولابدع اذا كان نعلق المصريين بسمو العباسي في هذه الظروف من أشراف الاربيحيات التي يهتز لها العاقل طربا ويتباهى بها المصري ، عجباً نعم هي عواطف سامية وأريجيه شريفة تدل على ان الأمة المصرية أمة ذات شعور وإدراك يقول لها المحتلون : « اننا أصحاب السلطة والكلمة والنفوذ والحل والعقد ، ومن احتفل بالديو ورفع له الرايات والأعلام عاقبناه أشد عقاب ، ومن جارانا على أميالننا وابتعد عن العباس ساعدناه وقريناه وجعلنا له الشرف الأعلى » فتجيبهم الأمة بصوت واحد وما هو الا ترجمان ما في القلوب « قولوا كما أردتم أن تقولوا وهددوا ما استطعتم أن تهددوا فاننا لا نخاف التهديد والوعيد » وان كان لكم سلطان على الأجسام فما لكم من سلطان على القلوب والأرواح ، نحن نجب العباس لأنه أمير شريف الاحساس رفيع العواطف يحب الشعب حبا صادقا وأول آماله بل كل آماله أن يرى وطنه

(★) نشرت في المؤيد العدد ٢٦١٢ بتاريخ ٥ نوفمبر ١٨٩٨ .

وقد قصد مصطفى كامل بهذا المقال التعبير عن حب الشعب للخديو سد ثغرة طالما استغلها الاحتلال وهو احلال الضيقية بين الحاكم المصري والشعب محل الحب والتآلف لعلها مرحلة تستغل لوجوده .

حرا مستقلا عزيزا قويا ، وان أردتم أن يعرفوا فوق ذلك من أسباب بعلقنا بعزير مصر قلنا لكم اننا نحبه لأنكم لا نجبونه ولأننا لا نجبكم . وكان الأجدد بالانكليز أمام اجتماع القلوب في محبة العزير أن يتحولوا عن هذه الحطة الدنيئة التي ساروا عليها مع الشعب والأمير ، ولكن اقتضت سياسة الانتقام القبيح أن يكون رجال الأمة البريطانية . التي أقسمت بشرفها وشرف ناجها أن تؤيد الكرسي الخديوي ، وتحفظ اصحاب النيل ملكه وشرف مقامه أن يكونوا هم بأنفسهم المعتدين على هذه السلطة الشرعية والمعارضين للأمة في تمسكها بعرش أميرها وولي أمرها .

أين اليوم شرف بريطانيا ؟ أين اليوم شرف التاج الانكليزي ؟ وأن اليوم اليهود والمواثيق بل أين رجال السياسة البريطانية أنفسهم ، ما بالهم لا يبصرون ما يجري بمصر ، وكيف يقوم المحتلون وآلات المحتلين باحترام اليهود والوعود ، ما بالهم لا يسمعون ضجيج الأمة المصرية ضد المحتلين وبهليلها لأميرها المعظم ، أما من سبيل لسماعهم هذا الضجيج وهذا التهليل ليندموا على الأقل على ما فرط منهم من الوعود والأقسام .

احتفلت الأمة بالامير المعظم في العام الماضي ، فما عاد لعاصمة بلاده حتى أوعز صنائع المحتلين الى سفلة لا أخلاق لهم بالطعن على الحضرة الخديوية ، فكانت قصيدة السفهاء ، وكان ما كان في أمرها ، وقامت الأمة هذا العام بأكرم مظاهرة لأكرم أمير فساقوا مدير البحيرة (١) للمحاكمة ، كأنه جنى جناية لا تغتفر أو أتى ذنبا كبيرا .

وكان المحتلين شعروا بأن ميل الأمة لأميرها المعظم في ازدياد فأرادوا أن يكون اعتداؤهم هذا العام بنسبة انعطاف الأمة نحو أميرها ، فجمعوا فرستهم سعادة المفضل أحمد خيرى باشا ، بعد أن كانت الفريسة في العام الماضي غلاما تأبى الفضيلة ذكره ، واننا لا تهمنا نتيجة المحاكمة إذا عرض المحتلين من الحاكم ظهر وبان سواء أعلنت المحاكمة براءة المدير أو أنكرت براءته ، فقد أصبح في عداد الشرفاء الأجلاء الذين اضطهدهم الاحتلال ليضطهد في أشخاصهم الأمة والأمير ، وما أكبر هذا الشرف في أعين العقلاء بل ما أعظم هذا النيشان الذي أهده الاحتلال لسعادة المفضل خيرى باشا .

(١) وهو أحمد خيرى باشا : الذى شغل منصب ناظر المعارف في ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ ، ثم الداخلية في مايو ١٨٨٣ ، وفي ١٨٩٨ عين مديرا للبحيرة ، وقد احتفل بمرور الخديو بمديريته لدى عودته من المصيف في ٢٥ أكتوبر ١٨٩٨ ولم يرق هذا في عين الانكليز ، فطلبوا محاكمته بتهمة ارغام الاهالى على اقامة الزينات ، ورغم تكذيب الشعب لهذا الادعاء الا أنه عقد له مجلس تاديب في ٥ نوفمبر ١٨٩٨ وحكم بإحالة الى المعاش .

(أحمد شفيق : مذكراتى في نصف قرن ، ج ٢ القسم الاول ، ص ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ ص ١٢٤) .

أما أنتم أيها الأمة المصرية العزيزة فسيرى في خطبتك نحو أميرك ، وأبقى
على عهدك وكلما زادوك اضطهاد ازدادى ولاء وإخلاص ، وما بى فى التعلق بصاحب
النيل وسيد مصر الشرعى نلك من الوطن العزيز جزيل الحمد وجميل الشكران ،
وهدامت هذه خطبتك وهذا احساسك فسيرى نفسك بالسلامة والنجاة وقرب تحقيق
الآمال والله على ما يشاء قدير .

شماتة وتهويل ★

ما أعلن خبر جلاء فرنسا عن فشودة حتى صاحت أبواق الضلال بالشماتة في مصر والمصريين، وهددت المصريين المحبين لبلادهم المنادين بحريتها المطالبين باستقلالها المذكرين لانكلترا بمعهودها ووعودها وأقسامها وكان جريدة المقطم حسبت الفرصة مناسبة لإعلان هذا التهديد فأعلنته بشكل يفهم منه السذج أنها مكلفة أو مأمورة من الانكليز بنشره مع أن جريدة المقطم تعلم كما يعلم ساداتها ومعبوداتها أن المصري المتعلق ببلاده لا يخاف التهديد والوعيد لأن احساسه الوطني فوق كل احساس ، ومن كان قوى العقيدة ثابت الفكر والرأى فلا الوعيد يرهبه ولا المدافع تزعجه فليقل المقطم ما شاء أن الانكليز لا يحتملون معارضتنا لهم أكثر مما احتملوا ، فنحن نؤدى الواجب علينا نحو الوطن العزيز بكل رزانة وبكل ثبات وبدون أن تموت في نفوسنا الآمال أو يضعف عندنا الرجاء فالمستقبل بيد الله وحده ويدبره كيف يشاء .

أما ما تقوله جريدة المقطم من أن الانكليز لا يخرجون من مصر أبدا فهو قول العدو الشامت والدخيل الكافر بالنعمة ، فليعقل أفراد المصريين الذين يقرءون هذه الصحيفة الشامتة معنى هذه الشماتة ومعنى هذا التهويل وقد كانت هذه الصحيفة نفسها تشير على المصريين بالمسألة ، وتقول لهم « ان سألتم الانكليز خرجوا من دياركم » فلما جاءت الوزارة الفهمية ، وسألت بل وسلمت كل ما سلمت رأى المصريون أن المسألة ليست الا استسلاما وموتا وهوانا ، فسخطوا على هذه الخطة السخط الشديد وحضرات النظار أنفسهم يعرفون ذلك جيدا ، فلما رأى فلاسفة السوء والضلال أن نتيجة نصيحتهم لم تكن الا خرابا ودمارا لم ينجحوا من أن يقدموا النصيحة نفسها قائلا « ان لم تسالموا أيها المصريون لأتيتكم كل أنواع العذاب » وهكذا شأن العدو والمذلس والكذاب الخداع .

وقد انتشر سماسة السوء يشيعون في كل مكان أن خروج فرنسا من فشودة

(★) نشرت في المؤيد العدد ٢٩١٣ في ٩ نوفمبر ١٨٩٨ .

جر على مصر البلاء العظيم ، وحديا ، ولا يمنع انكلترا من اعلان الحماية على مصر .
الا زمن قليل ، وغير ذلك من الخزعبلات والأكاذيب التي لا يقبلها عاقل ولا نصدقها
الأطفال فضلا عن الرجال ، فانسحاب فرنسا من فشوده لا يدل على أن الكلمة الأخيرة
في المسئلة المصرية قد قبلت أو أن فرنسا قبلت بقاء الانكليز في مصر الى ما شاء الله ،
وان كانت فرنسا جعلت جلاءها عن فشوده ضحية لسلام أوروبا فهل تقبل اعلان
الحماية على مصر وامانة كل مصالحها الحالية والمستقبلية في مصر وافريقية والشرق
الأقصى ؟ وعلى فرض أن مصر فقدت من فرنسا كل عضد وكل نصير . فأين الدولة
العلية حتى تعلن انكلترا الحماية على مصر ؟ وأين المانبا التي مهماجارت انكلترا في
احلالها لمصر لتكيد لفرنسا - تعلم علم البقين أن مصر من السلطنة السنّة روحها من
الخلافه فؤادها ، وأن اتفاقها مع تركيا واتحادها نفسها لا يكون له أساس بل لا يكون
لها وجود اذا ضاعت مصر من يد الدولة العلية ؟ وهل يظن المصريون أن جلالة
السلطان الأعظم الذي شهد له العالم كله بالدعاء السياسي والحرص الشديد على
سلامة الدولة ويترك مصر لسخر من قبضته . على حين أن المانبا هو المساعدة
على ذلك .

لا تضربوا أيها المصريون بأقوال الأعداء المدلسين ولا تجعلوا للأوهام عليكم
سنطانا . بل اعتقدوا بالله وتوكلوا عليه واعلموا أن الليالى جبالى واذا كان اليوم
لبم يطانبا فغدا لكم ولتذكروا قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : (مصر كنانة
الله في أرضه من أرادها بسوء قصمه الله) .

مدرسة مصطفى كامل ★

حضرة مدير جريدة المؤيد :

علم قراء جريدتكم الغراء أن المدرسة المسماة باسمي بباب الشعرية قد آل أمرها الى وأصبح شقيقى المدير لها .

وانى أعلم أن حمل المدرسة ثقيل ، وأتعاها كثيرة ، ونفقاتها طائلة ، ولكنى قبلتها بكل ارتياح ، أملا منى فى خدمة أبناء الوطن العزيز ، وترقية مدارك الناشئين .

وانى أتشرف اليوم باعلان الجمهور أن التعليم فى هذه المدرسة مقرون بالتربية الاسلامية المحضة ، لأن أساس التربية الدين ، وكل أمة تربي أبنائها على غير قواعد الدين تكون عرضة للدمار والانحطاط ، وقد رأيت بنفسى فى أغلب مدارس أوروبا اهتماما فائقا ، بتعليم الدين المسيحى للناشئين ، لذلك عولت على جعل الغرض الأول من المدرسة ترقية الملكة الاسلامية عند التلاميذ ، وتمكين مبادئ محبة الوطن والاتحاد والائتلاف من نفوسهم ، وتقديم اللغة العربية ثم اللغة التركية على كل لغة مع ترك الحرية التامة لأباء التلامذة فى الاختيار لأبنائهم بين اللغة الفرنسية واللغة الانكليزية . ورغبة منى فى نفع أبناء الفقرات قررت قبول ثلاثين فى المائة منهم مجانا . أما مصاريف المدرسة فهى كمصاريف المدارس الأميرية الابتدائية ولا يكلف آباء التلامذة بشئ الكتب والأدوات ، بل تصرفها المدرسة ، لجميع التلامذة على السواء .

(بلا) نشرت فى جريدة المؤيد ، فى ٢٨ مارس ١٨٩٩ .

وانى أسأل الحق سبحانه وتعالى أن يوفقنى وجميع المصريين لخدمة الوطن
العزیز ، الذى أرى السعادة الكبرى فى التفانى لأجل سعادته .
هذا ، وأرجوكم أن تتفضلوا بنشر هذه الكلمات فى محليات جريدتكم ، وأن
تقبلوا الخ ...

المراجع

باللغة العربية :

- ابراهيم عبده (دكتور) : جريدة الأهرام - تاريخ مصر في ٧٥ سنة
القاهرة ١٩٥١ .
- أحمد أمين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ .
- أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ .
- أحمد شفيق :
 - ١ - مذكراتي في نصف قرن ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٣٤ .
 - ٢ - أعمالى بعد مذكراتي ، القاهرة ١٩٤١ .
- أحمد صادق سعد : تاريخ الدين المصرى العام - المالى والسياسى ١٩٤١ ،
القاهرة ١٩٤٤ .
- أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) ، كامل جرجس : أوروبا المعاصرة ،
القاهرة ١٩٥٠ .
- أحمد نجيب هاشم ، محمد مأمون نجا : أطلس القرن التاسع عشر ،
القاهرة ١٩٣٨ .
- اسكندر سعيد عمون : الامتيازات الأجنبية والأقليات التركية ، القاهرة د.ت .
- السيد مصطفى سالم (دكتور) : تكوين اليمن الحديث ، ١٩٠٧ - ١٩٤٨ ،
القاهرة ١٩٧١ .
- السيد رجب حراز (دكتور) : أفريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبى ،
القاهرة ١٩٦٨ .

- الياس زاخورة : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر مصر ج ١ ، القاهرة ١٨٩٧ .
- أمين سامى :
- ١ - التعليم فى مصر ج ٣ ، القاهرة
- ٢ - تقويم النيل ج ٢ ، القاهرة ١٩١٨ .
- أنور الرفاعى ، شاكى مصطفى : العالم الحديث ، دمشق ١٩٥٠ .
- بيير زنونان : تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩١٤
- نعريب جلال يحيى (دكتور) ط ٢ ، القاهرة ١٩٧١ .
- تيودور رودشتين :
- ١ - تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥ - ١٩١٠
- ترجمة عبد الحميد العبادى ومحمد بدران ط ٢ ، بيروت ١٩٨١ .
- ٢ - تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده ، القاهرة ١٩٢٧ .
- ٣ - فصول من المسألة المصرية : ترجمة عبد الحميد العبادى ، محمد بدران القاهرة ١٩٥٦ .
- ثروت عكاشة (دكتور) مصر فى عيون الغرباء ، القاهرة ١٩٨٥ .
- جرانت أ.ج. ، هارولد نمبرلى : أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، ترجمة محمد على أبو درة ج ٢ ، القاهرة ١٩٦٧
- وترجمة أخرى لبهاء فهمى ، القاهرة ١٩٥٠ .
- جرجس سلامة (دكتور) :
- ١ - أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٢ .
- ٢ - تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٢ .
- الجمعية المصرية للدراسات التاريخية : مصطفى كامل - مجموعة بحوث ألفت بمناسبة مرور مائة عام على مولده ، القاهرة ١٩٧٦ .
- جولييت آدم : انجلترا فى مصر - تعريب على فهمى كامل ، القاهرة ١٩٠٨ .
- جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، تعريب عبد العظيم رمضان (دكتور) ، القاهرة ١٩٧٦ .
- حيفرى براون : المدنية الأوروبية فى القرن التاسع عشر ، ترجمة محمد أحمد على مراجعة محمد أنيس (دكتور) ، القاهرة ١٩٦٦

- حسن الفقى (دكتور) : التاريخ الثقافى للتعليم ، القاهرة ١٩٦٦ .
- رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ج ١ ط ١ القاهرة ١٣٢٤ هـ .
- رؤوف عباس حامد (دكتور) : مذكرات محمد فريد القسم الأول ، القاهرة ١٩٧٥ .
- رينيه قطاوى ، جورج قطاوى : محمد على وأوربا ، تعريب ألفريد يلوز ، القاهرة ١٩٥٢ .
- زكريا سليمان بيومى (دكتور) :
- ١ - التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ، دراسة تاريخية فى فكر الشيخ محمد عبده ، القاهرة ١٩٨٣ .
- ٢ - الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، القاهرة ١٩٨١ .
- سامى عزيز (دكتور) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، القاهرة ١٩٦٨ .
- سميرة بحر (دكتورة) : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ .
- شوقى الجمل (دكتور) :
- ١ - تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، القاهرة ١٩٧٥ .
- ٢ - قضية روديسيا بين الأمم المتحدة والمنظمة الافريقية ، القاهرة ١٩٧٧ .
- صبرى أبو المجد : محمد فريد ، ذكريات ومذكرات ، كتاب الهلال العدد ٢٢٣ .
- طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- عباس العقاد : محمد عبده ، أعلام العرب ، العدد الأول ، القاهرة د٠ ت .
- عبد الرحمن الرافعى :
- ١ - عصر اسماعيل ج ١ ، ٢ . القاهرة ١٩٤٨ .
- ٢ - عصر محمد على ط ٣ ، القاهرة ١٩٥١ .
- ٣ - الثورة العرابية والاحتلال البريطانى ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ٤ - مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، القاهرة ١٩٦٢ .
- عبد القدوس الأنصارى : تاريخ مدينة جدة . جدة ١٩٦٣ .
- عبد المنعم الجميلى (دكتور) : الحديوى عباس حلمى الثانى والحزب الوطنى ١٨٩٢ - ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٨٢ .

- عبد المنعم النمر (دكتور) كفاح المسلمين في تحرير الهند : القاهرة ١٩٧٤ .
- عبد العزيز سليمان نوار (دكتور) : التاريخ المعاصر لأوروبا ١٨٧١ - ١٩٤٥ ، القاهرة ١٩٧٧ .
- عبد العظيم رمضان (دكتور) :
- ١ - الجيش المصرى ودوره فى السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٧٧ .
- ٢ - تطور الحركة الوطنية من ١٩١٨ - ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٦٨ .
- على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعاً (تسعة أجزاء) (الطبعتان) ١٩٠٨ .
- على محمد بركات (دكتور) : السياسة البريطانية واسترداد السودان ، القاهرة ١٩٧٧ .
- عمر عبد العزيز (دكتور) : دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ - ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٧٤ .
- عمر طوسون (الأمير) : البعثات العلمية فى عهد محمد على وعباس وسعيد القاهرة ١٩٣٤ .
- فاروق عثمان أباطة (دكتور) :
- ١ - عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ، القاهرة ١٩٧٦ .
- ٢ - الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨ ، القاهرة ١٩٧٥ .
- فتحى رضوان : مصطفى كامل ، القاهرة .
- فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ .
- فيشر هـ أ . تاريخ أوروبا فى العصر الحديث ، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبيح ط ٤ ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ماكولى ، توماس بابنجتون : لورد كلايف ، ترجمة محمد منير ، القاهرة ١٩٢٢ .
- مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : أوراق مصطفى كامل (المراسلات) ، اشراف شوقى الجميل (دكتور) ، القاهرة ١٩٨٢ .
- محمد أنيس (دكتور) ، السيد رجب حراز (دكتور) : مذكرات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٦٦ .
- محمد أنيس (دكتور) : الدولة العثمانية والمشرق العربى ، القاهرة ١٩٦٢ .
- محمد فؤاد شكرى :
- ١ - مصر والسودان . القاهرة ١٩٦٣ .

- ٢ - مصر والسيادة على السودان ، القاهرة ١٩٤٦ .
- محمد لطفى جمعة (المحامى) : حياة الشرق ، القاهرة ١٩٣٢ .
- محمد محمد حسنين (دكتور) : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج ١ ، القاهرة ١٩٦٢ .
- محمد مسعود : مصر والاحتلال الانكليزى : القاهرة ١٣١٣هـ .
- محمود نجيب أبو الليل (دكتور) : الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية ، القاهرة ١٩٥٣ .
- يواقيم رزق مرقص (دكتور) :
- ١ - تطور نظام الادارة فى السودان فى عهد الحكم العثمانى الأول ١٨٩٩ - ١٩٢٤ ، القاهرة ١٩٨٤ .
- ٢ - أوراق مصطفى كامل (الخطب) ، القاهرة ١٩٨٤ .
- ٣ - العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، بحث تحت الطبع بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٥ .
- يونان لبيب رزق (دكتور) : تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ - ١٩٥٣ ، القاهرة ١٩٧٥ .

مراجع باللغة الانجليزية :

Gray, R. : A history of the eastern Sudan, 1839-1899, Oxford 1961.

Fox, Bourne : The other side of Emin Pacha Relief Expedition, London 1891.

موسوعات ودوائر معارف :

(أ) باللغة العربية :

١ - الموسوعة العربية الميسرة ، طبعتا ١٩٥٩ ، ١٩٦٥ .

٢ - دائرة معارف القرن العشرين ، بيروت ١٩٧١ .

(ب) باللغة الانجليزية :

— Chamber's Encyclopedia Vol. 6.

— Encyclopedia Britanica, Vol. 3.

دوريات :

• المؤيد

• الأهرام

• الفلاح

• المصرى

رسائل علمية غير منشورة :

— توفيق على برو : العرب والترك في العهد العثماني ، رسالة ماجستير ،
معهد الدراسات العربية ١٩٦٠ .

— يواقيم رزق مرقص (دكتور) : تطور نظام الادارة في السودان في عهد الحكم
العثماني الاول ١٨٩٩ - ١٩٢٤ ، جامعة عين شمس ١٩٨١ .

كشاف الأعلام

(أ)

- ١ - إبراهيم « باشا »
٢٧٢
- ٢ - إبراهيم مصطفى « بك »
١٥٣
- ٣ - أحمد صادق « أفندي »
٨٢
- ٤ - أحمد عرابي
٢٣٨ ، ١٩٣ ، ١٨٢ ، ١٣٤ ، ٢٤٥

(ت)

- ١ - توفيق « الحديوي »
٢٦٤
- ٢ - توفيق كيرلس
٢٦٠

(ج)

- ١ - جرانفيل ، جورج « اللورد »
١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
- ٢ - جلادستون
١٨٣ ، ١٥٥ ، ١٣٥ ، ١٣٣ ، ٣١٧ ، ٢٢٧
- ٣ - جمال الدين الأفغاني
٣١٥ ، ٢٦٧
- ٤ - جوير
٢٠٠

(ب)

- ١ - بالمر « السير »
١٤٧
- ٢ - بريسون
١٧٥

٥ - جوش
٢٠٠

٢ - سبيك
٦٨

٣ - ستانلي
١١٧

٤ - سليمان الفرنساوى « باشا »
١٩٣

(ح)

١ - حسين القرشولى « بك »
٨٢ ، ٣١٤

(ش)

١ - شاكر « باشا »
١٩٣

٢ - شاهين مكارىوس
٧٣ ، ٧٩ ، ٩٢

٣ - شريف « باشا »
١٣٠ ، ١٤١ ، ١٩٣ ، ٢٠٦

٤ - شينيل « المسيو »
١٢٧

(د)

١ - دربي « اللورد »
١٣٥ ، ١٩٩

٢ - درومندولف ، هنرى
١٥٥ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٧ ،
٢٢٤ ، ٢٥١

٣ - دفرين
٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ،
١٣٤ ، ١٩٩ ، ٣٠٣

٤ - دلونكل ، فرانسوا
١٤٦ ، ٢٠٤

٥ - دى ميشيل « البارون »
٢٠٠

(ع)

١ - عباس « الأول »
٢٧١ ، ٢٧٢

٢ - عباس حلمي
١٢ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٧٣ ، ٧٤

٧٥ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ،
١٤٢ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ،
٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٣٠٨ ، ٣٢٧

٣ - عبد الحميد « السلطان »
٥٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٨١ ،
١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
١٩٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ،
٣١١ ، ٣١٢

٤ - عبد الرحمن الكواكبي
٨٦

٥ - عبد الله التديم
٧ ، ٨٦

(و)

١ - رودس ، سيسيل
١٦٨

٢ - روزبرى
١٧٨

٣ - رياض « باشا »
٢٠٧ ، ٢٢٠

٤ - ريبو
٢٠٣

(س)

سالمسورى
٩١ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ،
١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٧

٦ - عبد المجيد خان « السلطان »

١٨٢ ، ٨٧

٧ - عثمان نوري « باشا »

١٢٧ ، ١٩٥

٨ - علي فهمي كامل

٧٤ ، ٩

٩ - علي يوسف « الشيخ »

٢٦٠ ، ١٨٣ ، ٥٠

١٠ - غوردون

٢٥٦

(ف)

١ - فارسي نمر

١٨٩ ، ١٤٦ ، ٩٢ ، ٧٩ ، ٧٣

٢ - فرانكلين ، بنيامين

١٧٥

٣ - فيفيان « اللورد »

٢٠٠

٤ - فيليب ، لويس

١٤٩

(ك)

١ - كارل - بيترز

١٣٠

٢ - كارتافون « اللورد »

١٣٦

٣ - كارتوسادي

١١١

٤ - كافينياك

٢٠٣

٥ - كتشنر

٢٩٩ ، ٢٧٦ ، ٢٦٠ ، ٢٣١

٦ - كروجر

٢٥٢

٧ - كرومر

٧٨ ، ٧٧ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣

٧٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨

١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٤ ،

١٩٣ ، ٢٨٦ ، ٢١٩ ، ٢٣١ ،

٢٣٣ ، ٢٩١ ، ٣٠٣ ،

٨ - كلفن ، أوكلاند

١٩٩

(ل)

١ - لوجارد ، فردريك

١٣١

٢ - ليوبولد

١١٢ ، ١١٥

(م)

١ - مالكوم ، كلايف

٩١

٢ - محمد سعيد التوني « أفندي »

٨٢

٣ - محمد عبده « الشيخ »

٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٦

٤ - محمد علي « باشا »

٩٥ ، ١٣٩ ، ١٧٦ ، ٢٢١ ،

٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ،

٢٩٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩

٥ - محمد فريد

١٧٧ ، ٢١٨

٦ - محمد أبو النصر « الشيخ »

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٧٩

٧ - محمود شكري

٧٨

٨ - محمود الفلكي

١٧٧

٩ - مختار « باشا »

١٩٤ ، ٢٠٨

١٠ - مصطفى درويش « باشا »

١٩٢

- ۱۱- مصطفى كامل
 ۷ ، ۸ ، ۹ ، ۱۱ ، ۳۵ ، ۵۰ ، ۷۲ ، ۷۳ ، ۷۵ ، ۷۶ ، ۷۸ ، ۸۳ - ۸۷ ، ۹۱ ، ۹۲ ، ۹۳ ، ۱۰۸ ، ۱۲۸ ، ۱۳۲ ، ۱۴۲ ، ۱۴۷ - ۱۶۲ ، ۱۷۶ ، ۱۷۸ ، ۱۹۸ ، ۲۱۵ ، ۲۱۸ ، ۲۲۰ ، ۲۲۳ ، ۲۲۶ ، ۲۳۲ ، ۲۳۶ ، ۲۴۴ - ۲۵۵ ، ۲۵۹ ، ۲۶۹ ، ۲۷۱ ، ۲۷۴ ، ۲۷۸ ، ۲۸۸ ، ۲۸۹ ، ۲۹۰ ، ۲۹۳ ، ۲۹۸ ، ۳۰۱ ، ۳۰۵ ، ۳۰۷ ، ۳۱۴ ، ۳۲۷ ، ۳۳۲
- ۱۲- مصطفى فهمي
 ۷۸ ، ۷۹ ، ۱۴۲ ، ۲۱۹ ، ۲۸۲ ، ۲۲۰
- ۱۳- موجيل « بك »
 ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۷۸ ، ۱۷۹
- ۱۴- ميل فو « المسيو »
 ۱۲۷
- (ن)
- ۱ - نابليون
 ۱۰۷ ، ۱۲۴ ، ۱۵۹ ، ۱۷۱
- ۲ - نابليون « الثالث »
 ۱۴۹
- (هـ)
- ۱ - هاريس [كاتب انجليزى]
 ۱۹۶
- ۲ - هانونو
 ۲۰۳
- ۳ - هكس
 ۱۴۱ ، ۲۰۶
- ۴ - هوجو ، فيكتور
 ۱۲۴
- (و)
- ۱ - وادنجتون
 ۱۳۶
- ۲ - ولسلى ، جارت
 ۲۰۶
- (ي)
- ۱ - يعقوب صروف
 ۷۳ ، ۷۹ ، ۹۲
- ۲ - يوسف شهدى « باشا »
 ۹۰
- ۳ - نامق « بك »
 ۱۹۶
- ۴ - نوپار « باشا »
 ۱۳۰ ، ۱۴۲ ، ۱۶۴

كشاف البلاد والشعوب والقارات

(أ)	
١ - أسبانيا	١٢١ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ٣١٧
٢ - آسيا	١٠٩ ، ٢١٨
٣ - استراليا	٣٨
٤ - أفريقيا	٢٠٨ ، ٣٨
٥ - الانجليز	٧٣ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٦٣ ، ٦٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣٢٨
٦ - البرتغال	١٦٨ ، ١٢١
٧ - البوسنة والهرسك	٢٨٦
٨ - الجزائر	٣٨ ، ١٦٨
٩ - الحبشة	٦٨ ، ٦٩ ، ٢٧٠
١٠ - الخرطوم	٦٨ ، ٦٩ ، ١٤١ ، ١٦٧
١١ - السنغال	١٤٩
١٢ - السودان	٢٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٥٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣١١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥
١٣ - الصرب	٩٤
١٤ - الصين	٣٨
١٥ - ألمانيا	٨ ، ٨٤ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٩ ، ١٩٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٥١ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٣١
١٦ - الجبر	١٢٠ ، ١٦٥

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ،

١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ٢٢١ ،

٣٠٧

٢ - بلجيكا

١١٢ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٤١ ،

١٦٠ ، ١٦٨

٣ - بلغاريا

٩٤ ، ١٢٠

٤ - بروكسل

١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥

٦ - بومباي

١٦٣

(ت)

١ - ترايبيا

١٣٤

٢ - تركيا

١١٠ ، ١٣٩ ، ١٥٦ ، ١٨٥ ،

١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢١٦ ،

٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،

٢٤٧ ، ٢٥٧

٣ - تونس

٣٨ ، ١٠٨ ، ١٦٨

(ج)

٤ - جده « ميناء »

١٧١

(د)

١ - دنقلة

٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ،

٢١٦

(ز)

١ - روسيا

٣٨ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،

١٤٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٧ - النمسا

٨ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٣٤ ،

١٣٥ ، ١٦٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ،

٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٨٦ ،

٢٨٧ ، ٢٩٢

١٨ - الهند

٣٨ ، ٥١ ، ٨٠ ، ١٣٦ ، ١٦٣ ،

١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

٢٣٢ ، ٢٩٤ ، ٣١٧

١٩ - اليابان

٣٨ ، ١٢٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥

٢٠ - اليمن

١٩٦

٢١ - اليونان

٦٩ ، ٩٤ ، ١٤١ ، ١٦٠

٢٢ - أمريكا الشمالية

٣٧ ، ٥١ ، ٨٤ ، ١٤١ ، ٢١١ ،

٢٧٤ ، ٢٩٤

٢٣ - إنجلترا

٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٥ ،

٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥

٢٤ - انفرس

١١٦ ، ١١٩ ، ١٤٩

٢٥ - اورشليم

١٧٢

٢٦ - أوغندا

٩١

٢٧ - إيطاليا

٤٨ - ٥٠ ، ٨٤ ، ١٣٤ ، ١٤١ ،

١٥٠ ، ١٦٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ،

٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،

٢٨٣ ، ٢٩٢

(ب)

١ - باريس

٤٨ ، ٥٠ ، ١٠٦ ، ١١٣ ،

١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٤٦ ،

١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ،
١١٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ،
٢٠٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ،
٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ،
٢٩٢ ، ٣١٧

١ - رومانيا

٦٤ ، ١٢١

(س)

١ - سواكن
٢٠٩

٢ - سويسرا
١٢١ ، ١٦٠

٣ - سيباي
١٨١ ، ١٨٢

(ش)

١ - شيكاغو
٣٧ ، ٣٨

(ط)

١ - طرابلس
٣٨ ، ١٩٧

(ع)

١ - عطبرة
٦٩ ، ٢٩٨

٢ - عمان « سلطنة »
١٧٠

(ف)

١ - فرنسا

٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
٢٢٠ ، ٢٣٥ ، ٢٥١ ، ٢٧٢ ،
٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢

٢٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ،
٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣١

٢ - فيينا
١١٣

(ك)

١ - كريت
٢٥٧

٢ - كسلا

١٣١ ، ١٤٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٥

(ل)

١ - لندن

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٥

٣ - ليون

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٧

(م)

١ - مراكش
٢٨

٢ - مصر

٨٠٧ ، ٢٧ ، ٣٨ ، ٦١ ، ٦٨ ،
٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ،
٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ،
٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
١١٧ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥١ ،
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،
١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ،
١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ،
٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ،
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

، ۳۰۶ ، ۳۰۳ ، ۳۰۲ ، ۳۰۱
 ، ۳۱۴ ، ۳۱۳ ، ۳۱۱ ، ۳۰۹
 ، ۳۲۹ ، ۳۲۵ ، ۳۲۴ ، ۳۲۰
 • ۳۳۱

(۹)

۱ - واترلو
 ۱۲۴ ، ۱۲۳

، ۲۳۲ ، ۲۲۸ ، ۲۲۷ ، ۲۲۶
 ، ۲۴۰ ، ۲۳۸ ، ۲۳۷ ، ۲۳۳
 ، ۲۴۹ ، ۲۴۵ ، ۲۴۲ ، ۲۴۱
 ، ۲۵۴ ، ۲۵۳ ، ۲۵۱ ، ۲۵۰
 ، ۲۶۴ ، ۲۶۳ ، ۲۵۹ ، ۲۵۶
 ، ۲۷۴ ، ۲۶۹ ، ۲۶۸ ، ۲۶۶
 ، ۲۸۳ ، ۲۸۱ ، ۲۸۰ ، ۲۷۶
 ، ۲۹۱ ، ۲۸۸ ، ۲۸۶ ، ۲۸۴
 ، ۳۰۰ ، ۲۹۹ ، ۲۹۴ ، ۲۹۲

كشاف الحوادث ، المواقع ، المعارك ، الأماكن (١)

(ف)

١ - فريزر « حملة »
٢٢٨

(ا)

١ - الأزهر
٢٦١ ، ٧٧

(م)

١ - ماجتا « موقعة »
١٤٩

(د)

١ - دولسينيو « حادث »
١٩١

(ن)

١ - نوازين البحرية « معركة »
١٤٩

(ص)

١ - سولفرينو « معركة »
١٤٩

(١) « ال » التعريف لم تلغ أثناء الترتيب الابدعى .

المحتويات

صفحة	
٥	تصدير
٧	مقدمة
١١	مجلة المدرسة : الجزء الأول
١٩	الجزء الثاني
٢٧	الجزء الثالث
٣٣	الجزء الرابع
٤١	الجزء الخامس
٤٧	الجزء السادس
٥٥	الجزء السابع
٦٣	الجزء الثامن
٦٧	الجزء التاسع
٧٢	مقالات مصطفى كامل :
٧٣	نصيحة وطني
٧٧	الحق يعلو ولا يعلى عليه
٨٢	المدنية وتعميم التعليم
٨٨	الأعمال بمقاصدها
٩٣	الجامعة
٩٥	المعلمون والتعليم في مصر

صفحة

١٠٠	الرسالة الأولى ، البحر
١٠٤	الرسالة الثانية ، معرض ليون
١١٣	الرسالة الثالثة ، بلجيكا وعاصمتها
١١٦	الرسالة الرابعة ، معرض أنفوس
١٢٣	الرسالة الخامسة ، واترلو والمذبحة البشرية
١٢٦	الرسالة السادسة ، الاحتفال بعيد جلالة السلطان
١٢٩	ختام تجاهرون بعكس ما تفسرون
١٣٣	الوعود الصريحة
١٣٨	حديث ذوشان
١٤٤	خطاب الى مدير تحرير الأهرام
١٤٦	التهديد الباطل
١٥١	صواعق الاحتلال
١٥٤	الشرق الاقصى ، رسالة من باريز
١٥٨	من أين يأتي الخطر
١٦٢	مصر والسياسة الفرنسية
١٦٥	حديث مع جريدة الاكسترا بلاط بفيينا
١٦٦	أخطار الاحتلال الانكليزي
١٧٤	كلمة الى المدلسين
١٧٦	الغاء الارشالية المصرية بفرنسا
١٨٠	انكلترا والاسلام
١٨٦	تحالف بتحتتم (السلطان وأوروبا)
١٩٨	حديث لجريدة الجولوا
٢٠٢	الوزارة الفرنسية الجديدة
٢٠٦	في الحملة الدنقلية

صفحة

٢١١	يوم ٤ يولييه
٢١٥	مصر وفرنسا
٢١٨	حديث مع مصطفى كامل
٢١٩	نذكار دخول الانكليز مدينة القاهرة
٢٢٣	حديث مع جريدة برليزتا جبلاط
٢٢٦	مصر وانكلترا
٢٣٠	المسئلة المصرية
٢٣٤	حديث عن المسئلة المصرية
٢٣٦	كشف الغطاء عن دسائس الانكليز
٢٤٠	دعوة للأمة الألمانية
٢٤٤	مصطفى كامل فى برلين
٢٤٦	اعانة المصريين للدولة
٢٤٨	نحن واليونان
٢٥١	مصر والدولة العلية
٢٥٥	الأحوال فى مصر وتركيا
٢٥٩	خطة الانكليز فى مصر
٢٦٤	الحديوية المصرية
٢٦٩	حديث مع مدير جريده لوريان
٢٧١	الجيش المصرى
٢٧٨	الأحوال المصرية
٢٨١	الحالة العمومية فى مصر
٢٨٤	الدولة العلية ومصر
٢٨٨	التهم الكاذبة

صفحة	
٢٩٣	الفلاح المصرى
٢٩٨	ما بعد العطبرة
٣٠١	مصر والاحتلال
٣٠٥	ذكرى ١١ يولييه ١٨٨١
٣٠٧	الجناب العالى الخديوى
٣١٠	اتحاد الكلمة
٣١٣	التعليم
٣١٧	أوروبا والاسلام
٣١٩	التربية الوطنية
٣٢٢	الداء والدواء
٣٢٥	شرف الراية
٣٢٧	الأمة والأمير
٣٣٠	شماتة وتهويل
٣٣٢	مدرسة مصطفى كامل
٣٣٤	المراجع
٣٤١	كشاف

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٤٥٦٤

ISBN ٧ - ١٠٧٨ - ٠١ - ٩٧٧

وبعد أن برّ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بوعدده في نشر تراث زعيم مصر الراحل مصطفى كامل – بأن أخرج المراسلات ثم الخطب . يقدم في هذا الكتاب الجزء الأول من المقالات التي دبرجها راحلنا في الفترة من بداية إمساكه بالقلم لينشر رأيه إلى عام ١٨٩٩

تناول فيها خطوط الوطنية ، نافضاً عن النفوس التي أوشكت ربح الضياع أن يقصف بها غبار اليأس ، راسماً المستقبل ، وباعثاً الأمل – مقدماً مصر المستقبل ، صورة حية نابضة من خلال كل كلمة خطها قلمه .

وأمام هذا العمل الوطني ، قدم المركز جهداً علمياً مناسباً له ، وهو إيضاح ما كان ظاهراً أيام كتابتها وأصبح في ذمة التاريخ الآن من مواقع أو شخصيات أو معاهدات .

فضلاً عن تحليل بعض المواقف – وبذلك استطاع أن يضع لهذه اللوحة الوطنية إطاراً أكاديمياً يخدم دارس تاريخ مصر الحديث من هذه الزاوية . .